

مقدمة في أصول الدين

منهاج الصالحين

لسماحة آية الله العظمى السيد ابي القاسم الخوئي رحمته الله

مع الفتاوى

سماحة آية الله العظمى الشيخ حسين الوحيد الخراساني دام ظلّه الوارف

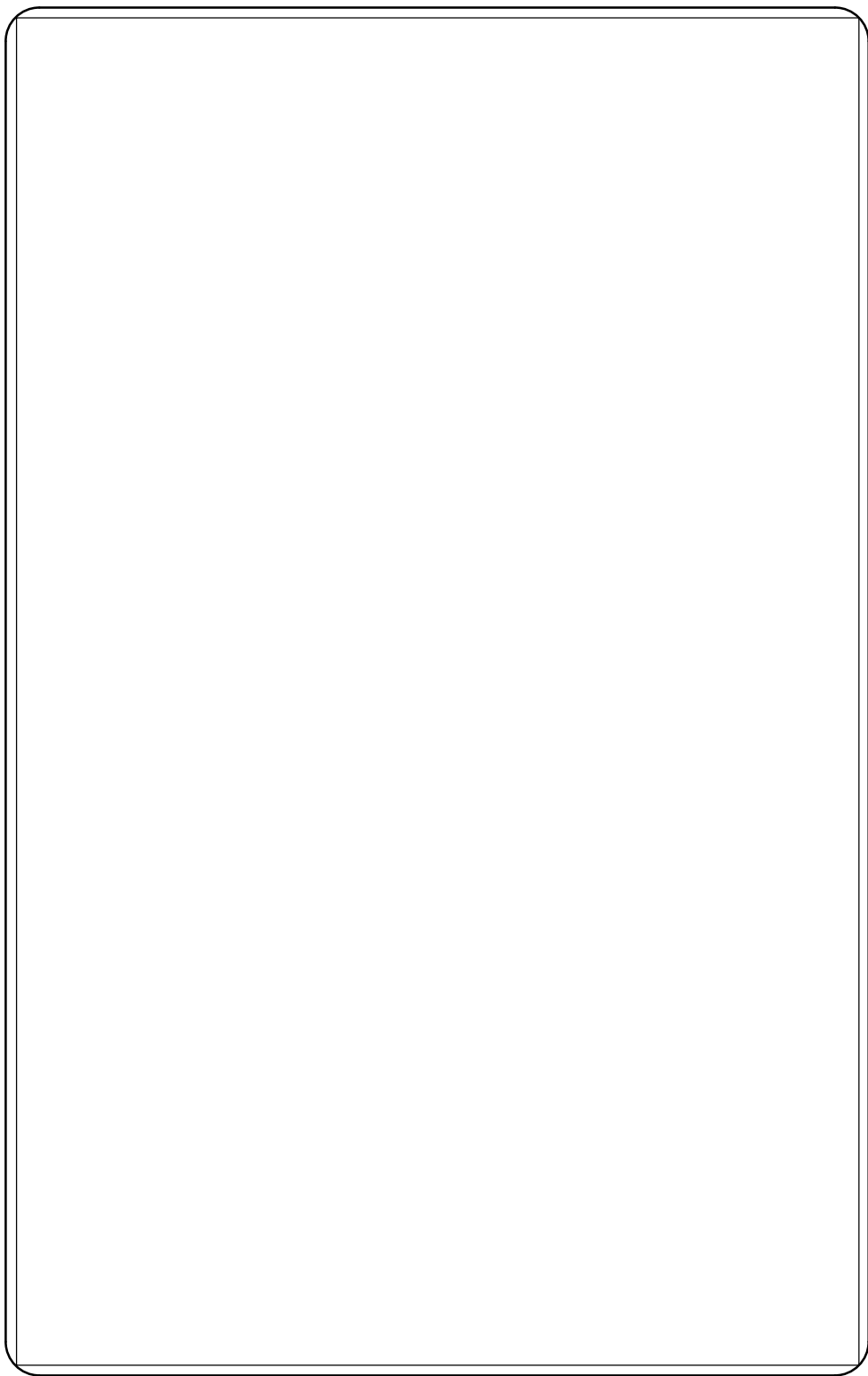
الناشر: مدرسة الإمام باقر العلوم عليه السلام

المطبعة نگارش

المطبعة: نگارش

مركز التوزيع: ايران، قم، شارع معلم، زقاق ٢٩، رقم الدار ٤٤٨

هاتف: ٧٧٣٣٤١٣، ٧٧٤٤٩٨٨



الملاحظة

لقد سعينا أن يكون المصدر الأوّل المذكور في الحاشية مطابقاً لما في أصل الكتاب، وأمّا ما يليه من المصادر فقد تكون مع تفاوت او مشتملة على بعض الفقرات.

الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

لاسيما بقيّة الله في الأرضين

هذا الكتاب في فروع الدين، إلا أنه لغرض التعرّف على أصول الدين وضعت له هذه المقدّمة، وكما أنّ للنور مراتب، ونور الشمس ونور الشمع مرتبتان من حقيقة النور، فكذلك معرفة أصول الدين الإسلامي المبين لها مراتب.

وهذه المقدّمة شمعة للسالكين في هذا الطريق، لغرض المعرفة الإجمالية، لا المعرفة التفصيلية بمستوى التعمّق والتحقيق.

وقد راعينا فيها أن يكون الاستدلال العقلي بالوجوه المبنيّة على مقدّمات أسهل تناولاً، واستندنا في النقلات إلى كتب حديث العامّة والخاصّة، وكتب التاريخ المعروفة.

وإخبارنا بما نقلنا عنها مستند إلى تلك المصادر، وإن كان الناقل ثقة أو المنقول موثقاً به.

والاستضاءة بأنوار الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في مباني الدين المبين من جهة أنّ الكتاب والسنة يوقظان الفطرة، ويشتملان على أدقّ قواعد الحكمة.

وقد تركنا إيراد بعض النكات الفنيّة الدقيقة مراعاة للأذهان العامة، ولم يتيسّر لنا في هذه الوجيزة استقصاء البحث كما هو حقّه تتبعاً وتحقيقاً مراعاة للاختصار، ولكن الميسور لا يسقط بالمعسور، وما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه.

وقبل الشروع في بيان أصول الدين لا بدّ من ذكر مقدّمات:

مقدمات تمهيدية

١ - لزوم تحصيل المعرفة

إنّ احتمال وجود المبدأ والمعاد يوجب البحث والسعي لتحصيل المعرفة الدينية، فما دام الإنسان يحتمل أنّ لهذا العالم خالقاً عليماً حكماً، وأنّ الموت ليس نهاية لحياة الإنسان، وأنّ لخالقه هدفاً من خلقه إيّاه، وأنه قد وضع له قانوناً إن هو لم يطبّقه وقع في الشقاء الأبدي، فإنّ فطرته توجب عليه أن يهتمّ بهذا الاحتمال مهما كان ضعيفاً، لكون المحتمل أمراً عظيماً وخطيراً جدّاً، وتدفعه لأن يبحث عن حقيقة الأمر ولا يهدأ ولا يستقرّ حتى يصل إلى نتيجة قطعية حاسمة، نفيّاً أو إثباتاً. وهذا كمن احتمل وجود مواد متفجرة في بيته، أو احتمل وجود تماس كهربائي يسبّب احتراق بيته بمن فيه وما فيه، فإنه لا يستقرّ لحظة، بل يفحص ويبحث حتى يتيقن بعدم وجود الخطر.

٢ - حاجة الإنسان إلى الدين الحقّ

الإنسان موجود مركّب من بدن وروح، وعقل وهوى، ويسبب هذا التركيب تراه يفحص بفطرته عن سعادته المادية والمعنوية، ويسعى للوصول إلى الكمال المقصود من وجوده.

ومن ناحية أخرى، فإنّ حياة كلّ فرد من أفراد الإنسان لها بُعدان: فردي

واجتماعي، نظير أي عضو من أعضاء البدن الواحد، الذي له -مضافاً إلى حياته الخاصة- تأثير وتأثر متقابل مع سائر الأعضاء.

ولأجل هذا احتاج الإنسان إلى نظام وقوانين تحقق له الحياة الطيبة، الفردية والاجتماعية، وتحقق له السعادة المادية والمعنوية.

وهذا النظام وتلك القوانين هو الدين الحق الذي يكون الاحتياج إليه ضرورة فطرة الإنسان ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١).

ثم إن لكل موجود كما لا يمكن الوصول إليه إلا باتِّباع السنّة المعيّنة لتكامله وتربيته، وهذه قاعدة عامّة لا يستثنى منها الإنسان ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(٢).

٣- أثر الدين في الحياة الشخصية

لحياة الإنسان أصل وفروع، ومتن وهوامش، فالأصل ذات الإنسان نفسها، والفروع والهوامش متعلقاتها من المال والمقام والزوج والأولاد والأقارب. وبسبب حب الإنسان لذاته ومتعلقاتها صارت حياته مقترنة بآفتين: الغم والحزن، والخوف والقلق؛ الغم والحزن لما يفقده، والخوف والقلق على ما يجده خشية أن يفقده.

والإيمان بالله يزيل هاتين الآفتين من جذورهما، لأن الإيمان بالله العالم القادر الحكيم الرحيم يدفع الإنسان إلى القيام بوظائفه المقررة له، وعندما يؤدي وظائف

(١) سورة الروم: ٣٠.

(٢) سورة طه: ٥٠.

عبوديته لرّبه، يعلم أنّ الله تعالى بعناية حكمته ورحمته سيوصله إلى ما هو خيرٌ وسعادة له، ويقيه من موجبات شرّه وشقائه.

بل إنّ الإنسان إذا وجد الحقيقة التي كلّ حقيقة دونها مجاز، وكلّ ما سواها كسراب بقية يحسبه الظّمان ماء، لم يبق له ضالّة؛ وبإيمانه بـ ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(١) لا يبق في نفسه أيّة جاذبية للحطام الدنيوي ليغتمّ من فقده، أو يستوحش من زواله ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَأَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢).

إنّ الذي يوجب انهيار أعصاب الإنسان في الحياة الدُّنيا هو الاضطرابات الحاصلة من الفرح بالظفر بالعلائق الماديّة، والحزن والقلق من عدم الوصول إليها. والشيء الوحيد الذي يوفّر للإنسان الأمن من طوفان الأمواج العاتية في حياته، ويرسي سفينته في مرسى الأمان، هو الإيمان بالله عزّ وجلّ ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^(٣)، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٤).

٤ - أثر الدين في الحياة الاجتماعية

إنّ الإنسان له قوّة شهوة وغضب، فإن غلبت عليه شهوة المال، فإنّ كنوز

(١) سورة النحل: ٩٦.

(٢) سورة يونس: ٦٢، ٦٣، ٦٤.

(٣) سورة الحديد: ٢٣.

(٤) سورة الرعد: ٢٨.

الأرض لا تقنعه، وإن غلبت عليه شهوة المقام والرئاسة فإن ملك الأرض لا يكفيه، بل يطمح أن يمدّ سلطانه إلى الكواكب الأخرى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾^(١).

إن هوى الإنسان الطاغى مع شهوة البطن والفرج والمال والمقام، واستخدامه قوة الغضب لإشباع هواه غير المحدود، لا يخضع لأي شيء، ولا يقف عند أي حد، ولا يصرف النظر عن تضييع أي حق.

وليست نتيجة الحياة بهذه الشهوة إلا الفساد، ولا بهذا الغضب إلا سفك الدماء وإهلاك الحرث والنسل، بل إن استخدام الإنسان ما يكتشفه من أسرار الكون بقدراته الفكرية في سبيل الوصول إلى مآرب أهوائه غير المحدودة سوف يجزّ الحياة البشرية على الكرة الأرضية إلى الدمار والخراب ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^(٢).

والقدرة الوحيدة التي تكبح جماح النفس الإنسانية، وتسيطر على غلواء غضبها وشهوتها، وتروضها حتى يعتدلا، وتحقق حقوق الفرد والمجتمع وتضمنهما، ليست إلا الإيمان بالمبدأ والمعاد، والثواب والعقاب، فإن الاعتقاد بالله الذي ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٣) وبالمجازاة التي ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٤) هو الذي يبعث الإنسان إلى كل خير ويصرفه عن كل شر، ويحقق مجتمعه على أساس التصالح في البقاء، بعيداً عن التنازع على البقاء.

(١) سورة غافر: ٣٦-٣٧.

(٢) سورة الروم: ٤١.

(٣) سورة الحديد: ٤.

(٤) سورة الزلزلة: ٧، ٨.

٥ - شرف علم أصول الدين

الإنسان يعشق العلم بفطرته، لأن ما به يكون الإنسان إنساناً هو العقل، وثمره العقل هو العلم، ولهذا إذا قلت للجاهل: يا جاهل، يحزن، مع أنه يعلم بكونه جاهلاً؛ بينما إذا نسبته إلى العلم يفرح، وهو يعلم أنه ليس بعالم.

وحيث إن الإسلام دين الفطرة، فقد جعل نسبة العلم إلى الجهل نسبة النور إلى الظلمة، ونسبة الحياة إلى الموت (إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه)^(١)، (العالم بين الجهال كالحَيِّ بين الأموات)^(٢).

وكلّ علم وإن كان بذاته شريفاً إلا أنّ مراتب العلوم متفاوتة بسبب عدّة أمور كموضوع العلم، ونتيجته، ونوع الاستدلال فيه، فالعلم الباحث عن الإنسان أشرف من العلم الباحث عن النبات، بنسبة فضل الإنسان على النبات، والعلم الباحث عن ضمان سلامة الإنسان أشرف من العلم الباحث عن ضمان أمواله، بنسبة شرف حياة الإنسان على ماله، والعلم الذي يقمّد نتائجه من البرهانيات أشرف من العلم الذي يستند إلى الفرضيات، بنسبة شرف اليقين على الظنّ.

وعلى هذا، فإنّ أشرف العلوم هو العلم الذي موضوعه (الله) تبارك وتعالى، مع ملاحظة أنّ نسبة شرف الله تعالى على غيره ليست كنسبة البحار إلى القطرة، ولا كنسبة الشمس إلى الذرّة، بل هي نسبة غير المتناهي إلى المتناهي، وبالنظر الدقيقة فإنّ الفقير بالذات لا يمكن أن يكون طرفاً في النسبة مع الغني

(١) مشكاة الأنوار ص ٥٦٣.

(٢) الأمالي للمفيد ص ٢٩، المجلس الرابع، ح ١، الأمالي للشيخ الطوسي ص ٥٢١، المجلس ١٦ ح ٥٥.

بالذات «وَعَنْتِ أَلْوَجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ»^(١).

وثمره هذا العلم هي الإيمان والعمل الصالح، اللذان هما الوسيلة الوحيدة لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ولتأمين حقوق الفرد والمجتمع «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً»^(٢).

وطريقة الاستدلال فيه هي الدليل والبرهان المفيد لليقين، ولا يتبع فيه الظن «أُدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ»^(٣)، «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ»^(٤)، «إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا»^(٥).

وبذلك يتضح مدلول الحديث الشريف: (إنَّ أفضل الفرائض وأوجبها على الإنسان معرفة الربِّ والإقرار له بالعبودية)^(٦).

٦ - شرط الوصول إلى المعرفة والإيمان بالله تعالى

عندما يواجه الإنسان أية ظاهرة في الوجود فإنه يفحص ويبحث عن الموجد لها، والفطرة الإنسانية متعطّشة إلى معرفة مبدأ الوجود ومنتهاه. لكنَّ جوهره الإيمان بالله ومعرفته، التي هي أعلى جواهر خزانة العلم والمعرفة، لا ينالها - بمقتضى قاعدة العدل والإنصاف - من تلبّس بالظلم للإيمان والمعرفة بالله، لأنَّ إعطاء الحكمة لمن ليس بأهلها ظلم لها، وإمساكها عن أهلها ظلم لأهلها.

(١) سورة طه: ١١١.

(٢) سورة النحل: ٩٧.

(٣) سورة النحل: ١٢٥.

(٤) سورة الإسراء: ٣٦.

(٥) سورة يونس: ٣٦.

(٦) كفاية الأثر: ٢٦٢، باب ما جاء عن جعفر بن محمد عليه السلام...

كما أنّ الإنسان لا يمكنه مجال أن يعتقد بعدم المبدأ والمعاد، إلا إذا أحاط بكلّ الوجود، وأحاط بسلسلة العلل والمعلولات، ولم يجد المبدأ والمعاد، فما لم تتحقّق هذه المعرفة المحيطة، فإنّ يقينه بعدم المبدأ والمعاد محال، بل غاية ما يمكنه هو الجهل بهما.

وعلى هذا، فإنّ مقتضى العدل والإنصاف للشاك في وجود الله تعالى أن لا يتجاوز مقتضى الشك قولاً وعملاً، فعليه أن يعترف بعدم العلم، وليس له أن يدّعي العلم بالعدم، مثلاً من احتمال وجوداً تترتب على وجدانه السعادة الأبدية، وعلى فقدانه الشقاء الأبدي، فإنّ وظيفته العقلية أن لا ينكر وجوده بلسانه ولا بقلبه، وأن يواصل - في مقام العمل - البحث عنه بكلّ استطاعته، ويراعي الإحتياط في سلوكه حتّى لا يخسر السعادة الأبدية، ولا يقع في الشقاء الأبدي على فرض وجوده، وذلك كما يحكم العقل عليه بأن يمسك عن الطعام اللذيذ الذي يحتمل أن فيه سماً يوجب هلاكه.

وكلّ شاكّ في وجود الله، إذا عمل بمقتضى العدل، الذي هو واجبه العقلي يصل بلا شك إلى المعرفة والإيمان ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(١)، وإلا فع التلوّث بالظلم لهذه الحقيقة يستحيل حصول معرفة ذلك القدّوس المتعال ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٢)، ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(٣).

وبعد الالتفات إلى هذه المقدمات نشرع في بيان أصول الدين :

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٣) سورة إبراهيم: ٢٧.

طرق الوصول إلى الإيمان بالله تعالى

الطرق للوصول إلى الإيمان بالله تعالى متعدّدة:

أمّا لأهل الله تعالى فالدليل عليه والوسيلة إلى معرفته هو سبحانه ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١)، (يا من دلّ على ذاته بذاته)^(٢)، (بك عرفتك وأنت دللتني عليك)^(٣).

وأما لغيرهم فنشير إلى عدّة طرق رعاية للاختصار:

الطريق الأوّل:

إذا نظر الإنسان إلى نفسه وما يصل إليه إدراكه، ولاحظ أجزاءه وذراته، وجد أنّ عدم أيّ جزء منه ليس بحال، وأنه بذاته ليس بضروري الوجود ولا بضروري العدم، وكلّ ما أمكن وجوده وعدمه فهو محتاج إلى سبب يوجده، نظير كفتي الميزان المتساويتين، لا يمكن أن ترجح إحداها على الأخرى إلاّ بعامل من الخارج، نعم الممكن إنّما يحتاج إلى السبب في وجوده، وأمّا عدمه فبعدم ذلك السبب.

وبما أنّ كلّ جزء من أجزاء العالم محتاج في وجوده إلى سبب يعطيه الوجود،

(١) سورة فصلت: ٥٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٨٤ ص ٣٣٩.

(٣) الصحيفة السجّادية، دعاؤه عليه السلام في سحر كلّ ليلة من شهر رمضان. إقبال الأعمال ص ٦٧.

فمُعطي الوجود له، إمّا هو نفسه، أو مثله من سائر الموجودات، أمّا نفسه فالمفروض أنه فاقد للوجود، فكيف يكون معطياً لما يفقده، وأمّا مثله فكذلك، لا يمكنه أن يعطي الوجود لنفسه، فكيف يعطيه لغيره، وهذا المحكم المجاري على كلّ جزء من أجزاء العالم، يجري على كلّ العالم أيضاً.

وكما أنّ ضياء الفضاء الذي ليس له نور في ذاته دليل على وجود مبدأ لذلك الضياء يكون الضوء ذاتياً له، وإلاّ لما أضاء ذلك الفضاء، لأنّ ما كان مظلماً في ذاته يستحيل أن يضيء نفسه، فضلاً عن غيره.

ومن هنا كان وجود الكائنات وكمالات الوجود - كالحياة والعلم والقدرة - دليلاً على وجود مبدأ يكون وجوده وحياته وعلمه وقدرته ذاتياً له غير مستند إلى غيره ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(١).

عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه دخل عليه رجل فقال له: يا ابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم؟ فقال: «أنت لم تكن ثمّ كنت وقد علمت أنّك لم تكون نفسك، ولا تكونك من هو مثلك»^(٢).

وسأل أبو شاهر الديصاني الإمام الصادق عليه السلام، ما الدليل على أنّ لك صناعاً؟ فقال: «وجدت نفسي لا تخلو من إحدى الجهتين، إمّا أن أكون صنعتها أنا أو صنعتها غيري، فإن كنت صنعتها أنا فلا أخلو من أحد المعنيين، إمّا أن أكون صنعتها وكانت موجودة، أو صنعتها وكانت معدومة، فإن كنت صنعتها وكانت موجودة فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها، وإن كانت معدومة فإنك تعلم أنّ المعدوم لا يحدث شيئاً، فقد ثبت المعنى الثالث أنّ لي صناعاً وهو الله ربّ العالمين»^(٣).

(١) سورة الطور: ٣٥.

(٢) التوحيد للصدوق ص ٢٩٣ باب إثبات حدوث العالم، ح ٣.

(٣) التوحيد للصدوق ص ٢٩٠ باب أنه عزّ وجلّ لا يعرف إلاّ به ح ١٠.

إنّ الشيء الذي لم يكن ثمّ كان، إمّا أن يكون قد أوجد نفسه، أو أوجده غيره، فإن كان هو أوجد نفسه، فلا يخلو إمّا أنّه أوجد نفسه عندما كان موجوداً أو أوجد نفسه عندما كان معدوماً، فإن كان الأوّل يلزم إيجاد الموجود، وهو محال، وإن كان الثاني يلزم عليّة المعدوم للوجود، وهو محال أيضاً.

وإن كان الموجد له غيره، فإن كان ذلك الغير مثله غير موجود ثمّ وجد، فحكمه حكم ذلك الشيء بلا فرق.

لذلك، تقضي ضرورة العقل بأنّ كلّ شيء لم يكن موجوداً ثمّ كان، لا بدّ أن يكون له موجد ليس للعدم إلى ذاته سبيل.

وبهذا يظهر أنّ كلّ موجودات العالم وتطوّراتها دليل على وجود موجد لها ليس له موجد، وأنّ كلّ المصنوعات والمخلوقات دليل على وجود خالق وصانع غير مخلوق ولا مصنوع.

الطريق الثاني:

لو عثر على ورقة مطروحة في صحراء مكتوب عليها حروف المعجم من الألف إلى الياء بالترتيب، فإنّ ضمير كلّ إنسان يشهد بأنّ كتابة تلك الحروف وترتيبها ناتجة عن فهم وإدراك.

وإذا رأى على الورقة كلمة مؤلّفة من الحروف المذكورة وكلاماً منسّقاً من الكلمات، فإنه سيؤمن بعلم الكاتب وفكره، بنسبة ذلك التأليف والتنسيق، ويستدلّ به على علمه وحكمته.

فهل تكوين نبتة من عناصرها الأوّلية أقلّ دلالة على علم صانعها وحكمته من تركيب جملة من الكلام الدالّ بوضوح على علم كاتبه؟!

فما بال الإنسان يستدلّ بالسطر على علم كاتبه وحكمته، ولا يستدلّ بالنبته على علم خالقها وصانعها وحكمته؟!

ما هذه الحكمة والعلم الذي جعل من الماء والتراب ما يبلي قشر الحبة ويحيي لبها بالحياة النباتية!

وأعطى لجذر النبتة قدرة يشقّ بها الأرض، ويجذب قوت النبتة وغذاءها من ظلمة التراب!

وهيأ في كلّ قطعة من مائدة التراب أقواتاً لأنواع النباتات والأشجار المختلفة، فصارت كلّ نبتة وشجرة تجد فيها غذاءها الخاص!

وجعل جذور كلّ شجرة لا تجذب إلاّ الغذاء الخاص الذي ينتج ثمرتها الخاصّة!

وجعل الجذور تكافح جاذبية الأرض، فترسل الماء والغذاء إلى فروع الشجرة وغصونها!

وفي نفس الوقت الذي تعمل فيه الجذور في الأعماق، جعل الفروع والغصون والأوراق تنشط في الفضاء للحصول على النور والهواء! (فكلُّ ميسّر لما خلق له)^(١).

ومهما حاول الإنسان تغيير هذه السنّة الحكيمّة، ليجعل الجذور - التي خلقت لتضرب في أعماق التراب - تذهب نحو السماء، والغصون - التي خلقت لتنشط في الفضاء - تذهب إلى أعماق الأرض، يجد أنّها تكافحان نقض هذه السنّة، وتذهبان في مسيرهما الطبيعي ﴿وَكَأَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٢).

(١) عوالي اللئالي ج ٤ ص ٢٢ ح ٦٧، التوحيد ص ٣٥٦ باب ٥٨ ح ٣.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٢.

إنَّ التأمّل في خلق شجرة واحدة من عروقها إلى آلاف أوراقها، وما فيها من أنظمة مذهشة محيرة للعقول، وما أعطي لكلّ خلية من خلايا أوراقها من القدرة على جذب الماء والغذاء من أعماق الأرض بواسطة الجذور، وارتباطها بما في السماء والأرض وما بينهما، والنواميس المؤثّرة في حياتها، من اختلاف الليل والنهار وتضامن القوى الأرضية والسماوية على إنباتها، بإفناء بذورها في أصلها وفرعها، وإبقاء نوعها بتكوين بذورها في ثمارها، يكفي للإنسان أن يؤمن بالعلم والحكمة اللامتناهية وراء ذلك ﴿أَمْنُ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُلُونَ﴾^(١)، ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾^(٢)، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾^(٣).

إنّ آية نبتة وشجرة تنظر إليها، تجدها من جذورها إلى ثمارها آية لعلم الخالق وقدرته وحكمته، خاضعة للسنة التي جعلت لأجل تربيتها ورشدها ﴿وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(٤).

*

وكذلك التأمّل في حياة كلّ حيوان، فإنه يهدي إلى الله تعالى .
جاء أبو شاكر الديصاني إلى الإمام الصادق عليه السلام فقال له: يا جعفر بن محمد
دُلّني على معبودي .
فقال له أبو عبد الله عليه السلام: اجلس، فإذا غلامٌ صغيرٌ في كفه بيضة يلعب بها، فقال

(١) سورة النمل: ٦٠.

(٢) سورة الواقعة: ٧٢.

(٣) سورة الحجر: ١٩.

(٤) سورة الرحمن: ٦.

أبو عبد الله عليه السلام: ناولني يا غلام البيضة، فناوله إياها، فقال أبو عبد الله عليه السلام:
يا ديصاني هذا حصنٌ مكنونٌ، له جلدٌ غليظٌ، وتحت الجلد الغليظ جلدٌ رقيقٌ،
وتحت الجلد الرقيق ذَهَبَةٌ مائعةٌ وفضَّةٌ ذائبةٌ، فلا الذهب المائعة تختلط بالفضَّة
الذائبة، ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهب المائعة، فهي على حالها، لم يخرج منها
خارجٌ مصلحٌ فيخبر عن صلاحها، ولم يدخل فيها داخلٌ مفسدٌ فيخبر عن فسادها،
لا يدري للذكر خلقت أم للأُنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبراً؟!
قال: فأطرق ملياً، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد
أنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنتك إمامٌ وحجَّةٌ من الله على خلقه، وأنا تائبٌ ممَّا كنت
فيه^(١).

فأيّ تدبيرٍ صنع هذا الحصن المحكم من مادّة الكلس المصقّى، وأودع فيه
الأسرار العجيبة؟!

أيّ تدبيرٍ نسج هذا الحصن من مواد الحبّ الذي تأكله الدجاجة والطيور، ثمّ
وضعه في بيت المبيض، وجعله مقرّاً آمناً لنموّ الفرخ فيه، وأسكن فيه النطفة
كاللؤلؤة في الصدفة؟!

وحيث إنّ الجنين منفصل عن أمّه، وليس هناك رحم يوفّر له الغذاء، فقد هبّأ
له الغذاء في داخل الحصن، وجعل بين جدار الحصن الغليظ وبين الفرخ وغذائه
غشاءً لطيفاً يمنع من وصول الأذى إليه، ثمّ خلق في ذلك الجوّ المظلم جميع أعضاء
الحيوان وقواه من عظام وعضلات وعروق وأعصاب وحواس، و وضع كلّ
واحدة منها في موضعها.

(١) الكافي ج ١ ص ٨٠، التوحيد ص ١٢٤ باب ٩ ح ١، الإحتجاج ج ٢ ص ٧٠، باب احتجاج
الصادق عليه السلام.

إن التأمّل في تركيب العين من تلك الأعضاء فقط وما أودع فيها من لطائف الصنع، ووضعها في موضعها الذي يليق بها يخيّر العقول، فضلاً عن جميعها. ولأجل أن يتمكن من الإرتزاق - إذا خرج - بالتقاط الحبّ من بين التراب والأحجار، جهّزه بمنقار صلب من جنس قرون الحيوانات، لئلا يتأذى بالنقر في الأرض.

ولأجل أن لا يفوته رزقه، جعل له حويصلةً يجمع فيها كل ما وجد من الحبّ ويدّخره في تلك المحفظة، ثمّ يعالجه بعد ذلك ويرسله إلى هاضمته.

ثمّ كسا جلده الرقيق بريشٍ وجناحين تقيه الحرّ والبرد، والضّرّ والعدوّ. ثمّ لم يكتف له بضرورات حياته وواجباتها، حتّى أنعم عليه بنوافلها المتعلقة بمظهره، فلوّن ريشه وجناحيه بألوان تسرّ الناظرين، قال عليه السلام: «تنفلق عن مثل ألوان الطواويس».

وبما أنّ تكامل هذا الحيوان يحتاج إلى الحرارة الموزونة في صدر الدجاجة، فإذا بالحيوان الذي لا يهدأ عن السعي والحركة إلا في ظلام الليل، يخدم في مكانه، ويرقد على بيضه هادئاً ساكناً طوال المدّة التي يحتاج الجنين في البيض إلى تلك الحرارة.

فأية حكمة سلّطت هذا الخمود والسكون على طائر دائم الحركة، لتتحقّق حركة الحياة في فرخ جديد؟!

بل أيّ أستاذ علّم الطائر أن يقلّب البيض في الليل والنهار حتّى لا تفقد أعضاء الجنين تعادها؟! وعلمّ الفرخ عندما يتمّ خلقه أن يكسر جدار الحصن بمنقاره، ويدخل في عالم حياة جديدة أعدت لها أعضاؤه وقواه؟!

أية عناية ورحمة أحدثت حركة قسرية في طبيعة أمّ الفراخ، تلك التي لم يكن يؤثّر فيها إلا عامل المحافظة على حياتها والدفاع عن نفسها، فإذا بانقلاب يحدث

فيها، فتجيش بالعاطفة على فراخها، تحافظ عليها وتحميها، وتجعل صدرها درعاً يقيها، وتبقى هذه الحالة العاطفية طوال المدّة التي تحتاج إليها حتى تستعدّ لإدامة الحياة بنفسها.

ألا يكفيننا التأمّل في بيضة واحدة لأن يهديننا إلى الذي ﴿خَلَقَ فَسَوَّى * وَ أَلْدَى قَدَرٌ فَهَدَى﴾^(١)، ومن هنا قال الإمام عليه السلام: (أترى لها مدبراً؟ قال: فأطرق ملياً، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنت إمام وحجة على خلقه، وأنا تائب مما كنت فيه).

*

إنّ العالم التقدير الحكيم، الذي ربّى الحبّة في ظلمة التربة، وربّى الفرخ في ظلمة البيضة، كلّ واحد لأجل هدف وغرض معيّن، هو الذي ربّى نطفة الإنسان في ظلمات البطن والرحم، من أجل هدف وغرض معيّن، تلك النطفة التي كانت في أوّلها ذرّة لا يدركها الطرف، فاقدة لجميع الأعضاء والقوى الإنسانية، فجّهزها بأنواع الأجهزة للحياة بعد الولادة، فقد جهّزها - على سبيل المثال - بعظام على مختلف أشكالها ومقاديرها تتناسب مع وظائفها، وأضاء مشعل الإدراك فيه بواسطة دماغه بعجائب صنعةٍ تتحرّج فيها العقول، وأبقى على حرارة الحياة فيه بنبضات القلب التي لا يفتر عنها ليلاً ونهاراً ويفوق عددها الملايين في كلّ سنة.

إنّ التأمّل في تركيب أبسط عضو من بدن الإنسان يكفي للإيمان بتقدير الخالق العزيز العليم، فالأسنان - مثلاً - خلقت في ثلاثة أقسام: الثنايا في المقدّمة، ثمّ الأنياب، ثمّ الطواحن الصغار والكبار، فماذا كان سيحدث لو خلقت الطواحن مقدّمة على الثنايا والأنياب، وكانت هذه في موضع الطواحن، من جهة تقطيع الطعام ومضغه، ومن جهة المنظر من حيث القبح والجمال؟!!

(١) سورة الأعلى: ٢ و ٣.

ماذا كان يحدث لو كان حاجباه تحت عينيه، أو كانت فتحة أنفه إلى الأعلى بدل الأسفل؟!

إنّ جميع فعّاليات الإنسان لإعمار الأرض، من عمله في الزراعة إلى تشييده أضخم العمارات وأقواها، وإلى إتقانه أدقّ الصنائع وأكثرها ظرافةً، متوقّف على بنانه ونموّ أظافره .

فأية قدرة وحكمة جعلت مادّة الظفر متوقّرةً في غذاء الإنسان، وجعلتها تمرّ في العمليات المحيّرة للعقول من الهضم والمضغ والجذب في أنابيب العروق، حتّى تصل إلى رؤوس الأصابع، فتتسج أظافر صلبة، ثمّ لكي يتحقّق الغرض من خلقها توثق التلاحم بينها وبين لحم الأصابع بحيث لا يتحمل الإنسان فصلهما، لكن عندما يتحقّق الغرض منها ينفصل أحدهما عن الآخر، فيمكن للإنسان تقليم أظافره بسهولة؟!

والعجب أنّ ذلك الغذاء الذي يحمل مادّة العظام والأظافر الصلبة المعدّة للفعاليات الصعبة، نفسه يحمل مادّةً في نهاية الشفّافية واللطفة لجهاز العين الحساس الدقيق، تصل إليها عبر العروق؟!

فماذا يحدث في نظام حياة البشر، لو انعكس الأمر في مسار الرزق المقسوم المعلوم، فوصل غذاء الأظافر إلى العيون فنبتت فيها أظافر! ووصل غذاء العيون إلى رؤوس الأصابع فنسجت عليها أجزاء من العيون؟!

*

إنّما هذه نماذج من أبسط آثار العلم والحكمة، غير المحتاجة إلى دقّة النظر ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١)، فكيف إذا وصلنا إلى أعماق أسرار الخلق، التي تحتاج إلى

(١) سورة الذاريات: ٢١.

تخصّص في علم وظائف الأعضاء وتشريحها، واستعمال الأجهزة الدقيقة والتفكير العميق ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

أجل، إنّ هذا الموجود الذي لم يكتشف العلماء إلى الآن الأسرار الكامنة في خِلقة جلده وقشره الظاهر على بدنه، رغم جهودهم الكبيرة لمعرفة ما فيها، فإذا عن عجائب لبّه وباطنه، من قوّة شهوته لجلب ما يلائمه، وقوّة غضبه لحفظ الملائم ودفع المنافر، إلى طاقة عقله التي تقوم بالمعادلة بين القوتين عملياً وتهدّي الحواس نظرياً ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٢).

أيّ قلم علم وقدرة كتبت هذا الكتاب المليء بالحكمة على قطرة ماء؟! ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾^(٣)، ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾^(٤).

وأيّ علم وقدرة وحكمة خلقت من ذرّة ساجدة في ماءٍ مهين بشراً سويّاً يتطلّع بشعلة عقله وإدراكه إلى فهم أعماق الآفاق والأنفس ﴿إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٥)، ويتخذ الأرض والسماء ميداناً لجولان أفكاره وقدراته؟! ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَ بَاطِنَةً وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لَاهُدَىٰ وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾^(٦).

(١) سورة الروم: ٨.

(٢) سورة النحل: ١٨.

(٣) سورة الطارق: ٥، ٦.

(٤) سورة الزمر: ٦.

(٥) سورة العلق: ٣، ٤، ٥.

(٦) سورة لقمان: ٢٠.

وماذا يستطيع الإنسان أن يقول أمام هذا العلم والقدرة والرحمة والحكمة إلا الذي قاله الله عز وجل: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(١)، وماذا يستطيع أن يفعل إلا أن يخزى إلى الأرض ساجداً ويقول: (سبحان ربّي الأعلى وبحمده)؟!

*

ولقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٢) لا بدّ من نظرة إلى آفاق الكون المشتملة على ملايين الشمس والأقمار والنجوم، والتي يصل ضوء بعضها إلى الأرض بعد آلاف السنين الضوئية (سرعة الضوء في كل ثانية ٣٠٠ ألف كيلومتر تقريباً)، وبعضها أكبر حجماً من الأرض بملايين المرات!

إنّ الفواصل بينها محسوبة بحساب دقيق، وكلّ واحدة منها في مدارها الخاص، وقد تحقّق التعادل بينها بفعل القوة الجاذبة والدافعة العمومية بحيث لا يقع تصادم بين واحدة وأخرى ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٣).

والأرض التي أعدت لحياة الإنسان، أحاطها غلاف يصونها من آلاف الشهب المتناثرة في الفضاء، بإحالتها إلى البخار إذا اصطدمت به. وقد جعل بُعد الشمس عن الأرض بنظام دقيق متغيّر، لتحقق شرائط تكوّن المعادن ونموّ النباتات والحيوان والإنسان، من جهة النور والحرارة، على أحسن وجه!

(١) سورة المؤمنون: ١٤.

(٢) سورة فصلت: ٥٣.

(٣) سورة يس: ٤٠.

ونظمت حركات الأرض الوضعية والانتقالية، لكي يوجد في أكثر الأرض ليل ونهار، وطلوع وغروب، ويحصل بطلوعها النور والضوء في حياة الإنسان فيشرع في فعالياته لأمر معاشه، وأما عند غروبها فيوافي الليل وينشر ظلامه لتوفير الهدوء والسكون اللازم لإدامة الحياة بتجديد النشاط، فلا استدامة لإشعاع الشمس، ولا انقطاع له كلياً لئلا يختل نظام الحياة ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾^(١)، ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢)، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾^(٣).

فالنور والظلمة، والليل والنهار - مع ما بينهما من غاية التضاد - متفقان متعاونان، آخذ كل منهما بيد الآخر لأجل هدف واحد! فالنهار يجعل ما في الأرض، والليل يجعل ما في السماء في معرض رؤية الإنسان، لكي يكون ملك الأرض والسماء وملكوتهما في معرض بصره وبصيرته.

فالليل والنهار يورقان صفحات كتاب الوجود للإنسان لكي يقرأ آيات ربه في صفحة الأرض والسماء ﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٤)، ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(٥).

(١) سورة الفرقان: ٦٢.

(٢) سورة القصص: ٧٣.

(٣) سورة القصص: ٧١.

(٤) سورة الأعراف: ١٨٥.

(٥) سورة الأنعام: ٧٥.

عجباً للإنسان الذي يجعل ملاك العلم والحكمة في البشر، معرفة الواحد منهم لبعض الموجودات، وانطباع أقل قليل قوانين الكون وأسرار الكائنات في ذهنه، كيف يمكن أن يرى خالق الذهن والفكر والمقنن للقوانين الحاكمة على الكون والمبدع لأسرار الخلق، فاقداً للعلم والحكمة؟!

هذا، مع أن جميع ما توصلت إليه أذهان العلماء من أسرار الكون وقوانينه، ما هو إلا كقطرة من معلومات أمام بحر من الجهولات؟! ﴿وَمَا أوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

كيف يتقبل العقل أن الإنسان الذي يستطيع أن ينسخ على لوحة ذهنه بعض سطور من كتاب الوجود، عالم وحكيم، بينما مؤلف كتاب الوجود وصانع ناسخه وجهاز الاستنساخ وما ينسخ، لا إدراك له ولا شعور؟!

كلًا، ولهذا ترى أن فطرة منكر الخالق العالم القادر أيضاً تشهد بوجوده ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنسَى يُؤْفَكُونَ﴾^(٢)، ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾^(٣).

دخل رجل من الزنادقة على علي بن موسى الرضا عليه السلام وعنده جماعة، فقال له أبو الحسن عليه السلام :

« أيها الرجل رأيت إن كان القول قولكم - وليس هو كما تقولون - ألسنا وإياكم شرعاً سواء، ولا يضرنا ما صلينا وصمنا وزكينا وأقرنا؟ فسكت.

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

(٢) سورة العنكبوت: ٦١.

(٣) سورة الزخرف: ٩.

فقال أبو الحسن عليه السلام: وإن يكن القول قولنا - وهو كما نقول - أستم قد هلكتم ونجونا؟

فقال الرجل: رحمك الله فأوجدني كيف هو، وأين هو؟
قال: ويحك إن الذي ذهبت إليه غلط، هو أين الأين وكان ولا أين، وهو كيف الكيف وكان ولا كيف، ولا يعرف بكيفية ولا بأينونية، ولا يدرك بحاسة ولا يقاس بشيء.

قال الرجل: فإذا إنه لا شيء، إذ لم يدرك بحاسة من الحواس!
فقال أبو الحسن عليه السلام: ويحك لما عجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيته، ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقننا أنه ربنا خلاف الأشياء.

قال الرجل: فأخبرني متى كان؟
فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبرني متى لم يكن، فأخبرك متى كان.
قال الرجل: فما الدليل عليه؟

قال أبو الحسن عليه السلام: إنني لما نظرت إلى جسدي فلم يمكنني فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول، ودفع المكاره عنه، وجر المنفعة إليه، علمت أن لهذا البنيان بانياً فأقررت به، مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته، وإنشاء السحاب، وتصريف الرياح، ومجرى الشمس والقمر والنجوم، وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات، علمت أن لهذا مقدراً ومنشأً^(١).

ومعنى قول الإمام عليه السلام: «ولا يضرنا ما صلينا وصمنا...» أن الوظائف الدينية من الإيمان والعمل الصالح وترك المنكرات موجبة لطمأنينة الروح وصلاح المجتمع، وهذه الأعمال حتى لو كانت عبثاً لكان تحمّلها بسبب احتمال وجود المبدأ والمعاد

(١) التوحيد للصدوق ص ٢٥٠ باب ٣٦ في الرد على الثنوية والزنادقة ح ٣، الكافي ج ١ ص ٧٨، ح ٣.

جهداً ضئيلاً، ولازماً لأجل دفع الشرّ وجلب الخير الذي لا حدّ له .

ومعنى قوله عليه السلام: «هو أين الأين...»: أن الأين والكيفيّة عرضان، والله خالق الجواهر والأعراض، فكيف يعقل اتصاف الخالق بخلقه، والمخلوق لا يكون وصفاً للخالق، حيث إنّ اتّصاف الخالق بصفات الخلق يستلزم احتياج الخالق إلى خلقه، ولهذا لا يحدّ بالأين والكيف، ولا يحسّ بحاسّة ولا يقاس بشيء .

ومعنى قوله عليه السلام: «ويلك لما عجزت...» أنّ الذي يحصر الوجود بالمحسوس غافل عن أنّ الحسّ موجود ولكنّه ليس بمحسوس، فالسمع - مثلاً - موجود وليس بمسموع، والبصر موجود وليس بمرئي، والإنسان يدرك أنّ غير المتناهي غير محدود، مع أنّ كلّ محسوس محدود، وكم من الموجودات الذهنية والخارجية هي وراء الحسّ والمحسوس .

واغترّ هذا الشخص بظنّه أنّ الموجود منحصر في المحسوس، فأنكر خالق الحسّ والمحسوس، فهده الإمام عليه السلام إلى أنّ خالق الحسّ والمحسوس، والوهم والموهوم، والعقل والمعقول، لا يحويه حسّ، ولا وهم، ولا عقل؛ لأنّ كلّ قوّة مدركة تحيط بما تدركه، والخالق محيط بالخلق، فلا يمكن أن يكون خالق قوى الحسّ والوهم والعقل المحيط بها، واقعاً في حيطة إدراكها، فيكون المحيط محاطاً! ثمّ، لو كان الله تعالى محسوساً أو موهوماً أو معقولاً يحويه الذهن، لصار شبيهاً بما تدركه هذه القوى وشريكاً له، وجهة الإشتراك تستلزم جهة اختصاص، فيكون وجوده مركّباً، والتركيب من صفات المخلوق لا الخالق، فلو كان الله تعالى يحويه حسّ أو وهم أو عقل، لكان مخلوقاً لا خالقاً.

الطريق الثالث:

إنّ التطوّرات الحادثة في المادّة والطبيعة دليل على وجود قدرة فائقة عليها؛

لأنّ تأثير المادّة والمادّي يحتاج إلى وضع ومحاذاة، فمثلاً: لا يصير الجسم حاراً بتأثير النار إلا إذا كان لها نسبة ووضع خاصّ منه، والمصباح إنّما يضيء فضاءً يكون على وضع خاص ونسبة خاصّة منه.

وحيث يستحيل الوضع والنسبة إلى المعدوم، فلا يمكن تأثير المادّة والطبيعة في الموجودات المختلفة المسبوقة بالعدم، فوجود كلّ ما كان معدوماً دليل على وجود قدرة لا يحتاج تأثيرها إلى الوضع والمحاذاة، وتكون ما وراء الأجسام والجسمانيات ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

الطريق الرابع:

الإيمان بالله تعالى مغروز في فطرة الإنسان، فالإنسان بفطرته يجد نفسه موجوداً ضعيفاً محتاجاً إلى قدرة يستند إليها، وإلى غنيّ يستمدّ منه، لكن انشغاله بمشاغله المختلفة، وعواطفه تجاه ما يحبه من علائقها، يحجبه عن وجدانه ومعرفته. ثمّ عندما يقع في خطر ويفقد الأمل بكلّ أسباب النجاة، ويرى كلّ شعلة فكر خامدة، وكلّ قدرة عاجزة، تستيقظ فطرته النائمة، ويتّجه - بلا اختيار - إلى القادر الغنيّ بالذات الذي يستند إليه ويستمدّ منه بفطرته.

﴿قُلْ مَنْ يُجِيبُكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢)، ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُبِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٣)،

(١) سورة يس: ٨٢.

(٢) سورة الأنعام: ٦٣.

(٣) سورة الزمر: ٨.

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

قال رجل للإمام الصادق عليه السلام: «يا ابن رسول الله ذُلِّي على الله ما هو؟ فلقد أكثر عليَّ المجادلون وحيروني!

فقال له: يا عبد الله، هل ركبت سفينة قط؟

قال: نعم.

قال: فهل كُسر بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تُغنيك؟

قال: نعم.

قال: فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلصك من

ورطتك؟

قال: نعم.

قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى، وعلى

الإغاثة حيث لا مغيث»^(٢).

وهذه المعرفة والإرتباط الفطري بالله، يمكن أن يصل إليها الإنسان في غير

حالات الإضطراب والإنقطاع المطلق - أي في حال الإختيار - بجناحي العلم

والعمل:

الأول: أن يزيح بنور عقله حجاب الجهل والغفلة، ويرى أن وجود كلِّ

موجود وكمالاته ليس من ذاته ولا بذاته، ويعلم أن الكلَّ لا بدَّ وأن ينتهي إلى

(١) سورة يونس: ٢٢.

(٢) التوحيد ص ٢٣١ باب ٣١ ح ٥، معاني الأخبار للصدوق ص ٤ باب معنى الله ح ٢.

الذات المقدسة الذي ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١)،
﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِي الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٢).

الثاني: أن يزيل عن جوهر روحه أكار الآثام والرذائل وظلماتها، بتزكية النفس ورعاية التقوى، فإنه لا يحجب العبد عن ربه إلا حجاب الجهل والغفلة وظلمات الذنوب وأكارها، ولا بد من إزالة ذلك بالجهد علماً وعملاً ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٣).

قال الإمام الصادق عليه السلام لابن أبي العوجاء:

«وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك: نشوؤك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوّتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوّتك، وسقمك بعد صحّتك، وصحّتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحنزك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبّك بعد بغضك، وبغضك بعد حبّك، وعزّمك بعد إبانك، وإباؤك بعد عزّمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاؤك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وعزوب ما أنت معتقده عن ذهنك...»

قال ابن أبي العوجاء: وما زال يعدّ عليّ قدرته التي في نفسي التي لا أدفعها، حتى ظننت أنه سيظهر فيما بيني وبينه!^(٤)

**

(١) سورة الحديد: ٣.

(٢) سورة الحشر: ٢٤.

(٣) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٤) التوحيد للصدوق ص ١٢٧ باب القدرة ح ٤، الكافي ج ١ ص ٧٥.

التوحيد

التوحيد

التوحيد هو الاعتقاد بأن الله واحد، ليس مركباً من أجزاء وصفات - لأن وجود أي مركب يحتاج إلى أجزاء وإلى من يركبها، والوجود المحتاج محال أن يعطي الوجود لنفسه، فضلاً عن غيره - وأنه لا شريك له في ألوهيته ولا في صفاته (١).

(١) للتوحيد مراتب نشير إليها إجمالاً:

توحيد الذات :

كل موجود مركب إلا ذات الباري المقدسة فإنه الواحد الذي الأحديّة عين ذاته، وكلّ ما سواه قابل للقسمة: إما في الوجود كاتقسام الجسم إلى المادّة والصورة، أو في الوهم كاتقسام الزمان إلى الآتات، أو في العقل كاتقسام الإنسان إلى الإنسانية والوجود، واتقسام كلّ موجود متناهٍ إلى المحدود وحده ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

عن شريح ابن هاني، عن أبيه قال: إنّ أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أتقول: إنّ الله واحد؟

قال: فحمل الناس عليه قالوا: يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسّم القلب؟! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه، فإن الذي يريد الأعرابي هو الذي نريده من القوم، ثمّ قال: يا أعرابي إنّ القول في أنّ الله واحد على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّ وجلّ، ووجهان يثبتان فيه: فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل: واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز، لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنه كفر من قال ثالث ثلاثة.

← وقول القائل : هو واحد من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز عليه، لأنه تشبيه، وجلّ ربنا عن ذلك وتعالى .

وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل : هو واحد ليس له في الأشياء شبه، كذلك ربنا .
وقول القائل : إنه عزّ وجلّ أحدي المعنى، يعني به أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، كذلك ربنا عزّ وجلّ . (التوحيد للصدوق ص ٨٣، باب معنى الواحد والتوحيد والموحد ح ٣) .

توحيد الذات والصفات :

ومعناه أنّ صفاته الذاتية - كالحياة والعلم والقدرة - عين ذاته تعالى، وإلاّ فتعدّد الذات والصفة يستلزم التركيب والتجزئة، والمركّب من الأجزاء محتاج إلى الأجزاء وإلى من يركبها، وأيضاً فإنّ زيادة الصفات على الذات تستلزم أن تكون الذات فاقدة لصفات الكمال .

من جهة أخرى، فإنّ زيادة الصفات على الذات، تستلزم أن تكون الذات في مرتبة الذات فاقدة لصفات الكمال، ومتضمنة لإمكان وجودها! بل تستلزم أن تكون الذات أيضاً ممكنة الوجود، لأنّ فاقد صفات الكمال وحامل إمكانها محتاج إلى الغني بالذات!

قال أمير المؤمنين عليه السلام : (أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيد الله نفي الصفات عنه، لشهادة العقول أنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كلّ مخلوق أنّ له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف) (التوحيد للصدوق ص ٣٤، باب التوحيد ونفي التشبيه ح ٢) .

التوحيد في الألوهية :

﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ سورة البقرة: ١٦٣ .

التوحيد في الربوبية :

﴿قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أُنِيعِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ سورة الأنعام: ١٦٤ .

﴿عَازِبَاتٌ مِّنْفَرَقُونَ حَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ سورة يوسف: ٣٩ .

التوحيد في الخلق :

﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ سورة الرعد: ١٦ .

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ سورة النحل: ٢٠ .

التوحيد في العبادة :

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ سورة المائدة: ٧٦.

التوحيد في الأمر والحكم:

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ سورة الأعراف: ٥٤.

﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ سورة يوسف: ٤٠.

التوحيد في الخوف والخشية:

﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ سورة آل عمران: ١٧٥.

﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوْنِي ﴾ سورة المائدة: ٤٤.

التوحيد في الملك:

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ سورة الإسراء: ١١١.

التوحيد في النفع والضر:

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ سورة الأعراف: ١٨٨.

﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ﴾ سورة الفتح: ١١.

التوحيد في الرزق:

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ سورة سبأ: ٢٤.

﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾ سورة الملك: ٢١.

التوحيد في التوكل:

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ سورة الأحزاب: ٣.

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ سورة التغابن: ١٣.

التوحيد في نية العمل:

﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ سورة الليل: ١٩ - ٢٠.

التوحيد في التوجه:

وهذا مقام الذين أدركوا هلاك الكائنات وفنائها، واستوعبوا حقيقة ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ سورة

القصص: ٨٨، ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ سورة الرحمن: ٢٦-٢٧.

ويتجلّى التوحيد في التوجه الفطري إلى خالقهم بجهادهم في الله، في التوحيد في التوجه الإرادي،

ونشير إلى بعض أدلة التوحيد في الألوهية :

الدليل الأول:

تعدّد الإله يستدعي الإشتراك في الألوهية، لكون كلّ منهما إلهاً، ويستدعي امتياز أحدهما عن الآخر حتى تتحقّق الإثنيّة، فكلّ منهما مركّب ممّا به الإشتراك وما به الإمتياز.

الدليل الثاني:

تعدّد الإله بلا امتياز محال، والإمتياز موجب لفقدان ما للإله الآخر من الكمال، وفاقد الكمال محتاج، ولا بدّ أن تنتهي سلسلة الإحتياج إلى الغني بالذات من جميع الجهات، وإلا لزم عدم وجود أيّ ممكن، لأنّ الفاقد للوجود يستحيل أن يكون معطياً للوجود.

الدليل الثالث:

إنّ الله تعالى موجود لا حدّ له كما قال عليّ عليه السلام: «ولا يقال له حدّ ولا نهاية»^(١) - لأنّ كلّ محدود مركّب من الوجود وحدّ ذلك الوجود، وحدّ الوجود هو فقدان الكمال الزائد على ذلك الوجود، وهذا التركيب اسوأ أنواع التركيب - حيث إنّ التركيب إمّا من وجودين، أو من عدمي ووجود، وهذا التركيب المزعوم من وجود وعدم - وكلّ أنواع التركيب محال على الله تعالى .
والموجود الذي لا حدّ له فهو واحد لا يتصوّر له ثانٍ، لأنّ تصوّر الثاني له

← فتحقّق ما استودع في النفوس بلا اختيار في نفوسهم بالعلم والاختيار، ووصلوا من قوله تعالى:

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ (سورة طه: ١١١) إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . سورة الأنعام: ٧٩.

(١) نهج البلاغة خطبة ١٨٦.

مستلزم لتحديده بعدم الثاني، والمحدود مركّب من الوجود والعدم، وكلّ مركّب محتاج إلى ما يتركّب منه، فالشرك في الألوهية ينتهي إلى افتقار الإله إلى العدم، فهو سبحانه أحدي الذات والصفات، فليس له ثان متحقّق ولا متصوّر.

الدليل الرابع:

إنّ وحدة النظم في أجزاء العالم وفي كلّ العالم تثبت وحدة الناظم. فإنّ التدقيق في النظم والتركيب لكلّ جزء من أجزاء كلّ واحد من جزئيات أنواع الكائنات، وارتباط أنواع الكائنات كلّ واحد بالآخر يكشف عن أنّ الجزء والكلّ مخلوقان لخالق واحد عليم قدير حكيم.

إنّ تركيب أجزاء شجرة، وأعضاء حيوان وقواه، وارتباط بعضها ببعض، وارتباطها بالأرض والشمس، وارتباط المنظومة الشمسية بسائر المنظومات والمجرات وبكلمة: إنّ تركيب الذرّة الواحدة من نواتها وما يدور حولها إلى تركيب الشمس والسيارات والمجرات، يكشف عن أنّ خالق الذرّة والشمس والمجرة واحد ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾^(١)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

الدليل الخامس:

سئل الصادق عليه السلام لم لا يجوز أن يكون صانع العالم أكثر من واحد؟ فقال عليه السلام:

(١) سورة الزخرف: ٨٤.

(٢) سورة البقرة: ٢١ و٢٢.

(... ثم يلزمك إن ادّعت اثنين فُرْجَة ما بينهما حتّى يكونا اثنين، فصارت الفُرْجَة ثالثاً بينهما قديماً معهما، فيلزمك ثلاثة، وإن ادّعت ثلاثة لزمك ما قلت [قلنا] في الإثنين، حتّى تكون بينهم فرجة فيكونوا خمسة، ثمّ يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة^(١) .

الدليل السادس:

قال أمير المؤمنين لولده الحسن عليه السلام: (واعلم يا بنيّ أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله، ولرايت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه)^(٢) .

ونتيجة الإيمان بوحداية الله تعالى توحيدة في العبادة، لأنّ غيره لا يستحقّ العبادة ولا يليق لها، إذ كلّ ما سواه ومن سواه عباده سبحانه ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^(٣) .

ثمّ إنّ العبودية لغير الله تعالى ذلّة للذليل واستعطاء من الفقير، بل هي ذلّة للذلّة واستعطاء من الفقر المحض! ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٤) .

إنّ الإيمان بوحدايته تعالى، وبأنّ كلّ موجود منه وبه وإليه، يتلخّص في ثلاث جمل: «لا إله إلاّ الله»، «لا حول ولا قوّة إلاّ بالله»، «وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ»^(٥) .

(١) الكافي ج ١ ص ٨٠ كتاب التوحيد باب ١ ح ٥، التوحيد ص ٢٤٣ باب ٣٦ ح ١ .

(٢) نهج البلاغة، الرسالة رقم ٣١: من وصية له للحسن بن علي عليهما السلام .

(٣) سورة مريم: ٩٣ .

(٤) سورة فاطر: ١٥ .

(٥) سورة آل عمران: ١٠٩ .

فالسعيد من كانت هذه الكلمات الطيبة التامة ذكره الدائم، ينام ويستيقظ معها، يحيى ويموت عليها، فيفوز بحقيقة «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رُجْعُونَ»^(١).

تأثير التوحيد على الإنسان والمجتمع

من الآثار المترتبة على وصول الإنسان إلى حقيقة التوحيد أن تتركز أشعة الفكر والإرادة من الفرد والمجتمع على هدف واحد، لا هدف أعلى منه، بل لا هدف غيره «قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْنِي وَفُرَادَى»^(٢).

وإذا كان تركز أشعة النفس الإنسانية على نقطة وهمية يحقق قدرات عجيبة محيرة للعقول، فكيف إذا تركزت أشعة فكر الإنسان وإرادته على حقيقة هي المبدأ والمنتهى للوجود و«نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(٣)، وإلى أيِّ مقام ومرتبة يصل هذا الإنسان؟!

إن الفرد والمجتمع إذا وصلا إلى المقام الذي قال سبحانه وتعالى عنه: «إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ»^(٤) صاروا بارتباطهم بالله وتخلُّقهم بأخلاق الله منبعاً للخير والسعادة والكمال الذي يعجز البيان عن وصفه.

وختام الكلام في هذا المقام بكلمة هي حصن الله المحصين من عذاب الدنيا والآخرة، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: (ما من شيء أعظم

(١) سورة البقرة: ١٥٦.

(٢) سورة سبأ: ٤٦.

(٣) سورة النور: ٣٥.

(٤) سورة الأنعام: ٧٩.

ثواباً من شهادة أن لا إله إلا الله، لأن الله عز وجل لا يعدله شيء ولا يشركه في الأمر أحد^(١).

يستفاد من هذه الرواية أنه كما أن الله تعالى ليس له عديل ولا شريك له في أمره، كذلك لا عديل لشهادة «لا إله إلا الله» في الأعمال، ولتناسب الجزاء مع العمل، فلا عديل له - من الأعمال - في الثواب.

إن الشهادة بـ «لا إله إلا الله» باللسان توجب صيانة النفس والمال والعرض في الدنيا، والشهادة بها بالقلب توجب النجاة من عذاب النار في الآخرة، والفوز بنعيم الجنة، فهذه الكلمة المباركة مظهر للرحمة الرحمانية والرحيمية.

روي عن الصادق عليه السلام: (إن الله تبارك وتعالى أقسم بعزته وجلاله أن لا يعذب أهل توحيده بالنار أبداً)^(٢).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ما جزاء من أنعم الله عز وجل عليه بالتوحيد إلا الجنة)^(٣).

إن من تكون هذه الكلمة ذكره الدائم فقد نجت سفينة قلبه بمرساة «لا إله إلا الله» من مهاوي الهلكة والأمواج المهيبية ومن الحوادث والوساوس والأهواء «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»^(٤).

إن كلمة «لا إله إلا الله» ذكر تودى حروفه بالجهر والإخفات، فهي تجمع بين الذكر الجلي والخفي، وتشتمل على الإسم المقدس «الله»، وقد روي عن أمير

(١) التوحيد للصدوق ص ١٩ باب ١ ح ٣.

(٢) التوحيد للصدوق ص ٢٠ باب ١ ثواب الموحدين.

(٣) التوحيد للصدوق ص ٢٢ باب ١ ثواب الموحدين.

(٤) سورة الرعد: ٢٨.

المؤمنين عليه السلام أنه أكبر اسم من أسماء الله تعالى .
 ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾^(١) .
 وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «قال الله جلّ جلاله لموسى :
 يا موسى لو أنّ السماوات وعامريهنّ والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة ،
 مالت بهنّ لا إله إلا الله»^(٢) فلا تعادل الأرضين والسماوات ولا الماديات والمجرّدات
 كلمة لا إله إلا الله ، ولا يدرك عظمتها إلا الواصلون إلى حقيقة النفي والإثبات التي
 اشتملت عليها هذه الكلمة الطيّبة .

**

(١) سورة الأنعام : ٤٠ - ٤١ .

(٢) التوحيد للصدوق ص ٣٠ ب ١ ثواب الموحّدين .

العدل

العدل

الأدلة على عدل الله عزّ وجلّ كثيرة، نذكر بعضها:

الدليل الأوّل:

كلّ إنسان - ولو لم يكن ملتزماً بدين - يدرك بفطرته حسن العدل وقبح الظلم، حتّى أنّ الظالم إذا وصفوه بأنه ظالم يتأدّى وينفر، وإذا وصفوه بأنه عادل يبتهج ويفرح.

ولو أنّ ظالماً مجرماً - يصرف كلّ همّه تبعاً لشهوته وغضبه للوصول إلى مآربه النفسانية - قُدّم إلى محكمة، ففُضّي له القاضي بغير الحقّ، طمعاً في ماله أو خوفاً من سطوته، فإنه سيفرح بحكم القاضي، لكن عقله وفطرته يحكمان بقبح الحكم ودنائة نفس القاضي!

وعلى العكس من ذلك، إذا حاكمه قاضٍ ولم يبال ببال الظالم وجاهه، وحكم عليه بالعدل، فإنّ الظالم سيغضب عليه، ولكن فطرته تجعله ينظر إلى ذلك القاضي وقضاوته باحترام وتحسين.

فإذا كانت هذه حال الإنسان، فكيف يمكن أن يكون الله سبحانه ظالماً في ملكه وحكمه، وهو الذي جعل حسن العدل وقبح الظلم في فطرته، وأراد من الإنسان أن يتحلّى بجمالية العدل ويتجنّب عن لوث الظلم، وأمر بالعدل بقوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(١) و﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾^(٢) و﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾^(٣).

الدليل الثاني:

إنما ينشأ الظلم من أحد أسباب ثلاثة، وكلها محال على الله تعالى: إما من الجهل بقبحه، أو من العجز عن تحقيق هدفه إلا بارتكابه، أو من اللغو والعبث، والله منزّه عن الجهل والعجز والسفه، فعلمه بكلّ شيء وقدرته على كلّ شيء وحكمته البالغة توجب أن يكون عادلاً ومنزهاً عن كلّ ظلم وقبيح.

الدليل الثالث:

الظلم نقص، ولو كان الله تعالى ظالماً لزم تركبه من النقص والكمال، والوجدان والفقدان، وهذا أسوأ أنواع التركيب كما تقدّم^(٤)، مضافاً إلى أنّ المركّب من الكمال والنقص محتاج ومحدود، والإحتياج والحدّ من أوصاف المخلوق لا الخالق.

والنتيجة أنّ الله تبارك وتعالى عادلٌ في خلق الكائنات ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٥)، وعادلٌ في قوانينه وأحكامه ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ

(١) سورة النحل: ٩٠.

(٢) سورة الأعراف: ٢٩.

(٣) سورة ص: ٢٦.

(٤) في صفحة ٣٨.

(٥) سورة آل عمران: ١٨.

النَّاسُ بِالْقِسْطِ»^(١)، وعادلٌ في حساب عبادته يوم الجزاء «وَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»^(٢).

عن الصادق عليه السلام: «أنه سأله رجل فقال له: إنَّ أساس الدين التوحيد والعدل، وعلمه كثير، ولا بدّ لعاقل منه، فاذا كر ما يسهل الوقوف عليه ويتبهاً حفظه، فقال: «أمّا التوحيد فأن لا تجوز على ربك ما جاز عليك، وأمّا العدل فأن لا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه»^(٣).

وقال لهشام بن الحكم: «ألا أعطيك جملة في العدل والتوحيد؟ قال: بلى جعلت فداك، قال: من العدل أن لا تتهمه، ومن التوحيد أن لا تتوهمه»^(٤).
وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «كلّ ما استغفرت الله تعالى منه فهو منك، وكلّ ما حمدت الله تعالى فهو منه»^(٥).

**

(١) سورة الحديد: ٢٥.

(٢) سورة يونس: ٥٤.

(٣) التوحيد، ص ٩٦ باب في معنى التوحيد والعدل ح ١.

(٤) بحار الأنوار ج ٥ ص ٥٨، وبتفاوت في نهج البلاغة باب المختار من حكمه عليه السلام رقم ٤٧٠.

(٥) الطرائف ٣٢٩.

النبوة العامّة

النبوة العامة

بعد أن ثبت وجود الخالق الحكيم، تثبت بذلك ضرورة وجود النبوة والنبى .

ضرورة التعليم والتربية الإلهية

لكي نفهم احتياج البشر إلى هداية الأنبياء، لابد أن نعرف طبيعة خَلقة الإنسان، والهدف من خلقته، والعوامل الموصلة إلى ذلك الهدف والمعيقة عنه. ولا يتسع هذا الموجز للوصول إلى عمق هذه المباحث، كما يظهر ذلك من العناوين المطروحة، لكن نشير إلى بعض الجهات بقدر الضرورة:

الجهة الأولى:

إنّ الإنسان موجود له غرائز مختلفة، وحياته تبدأ من أضعف مراتبها التي هي الحياة النباتية، وتصل إلى الحياة العقلانية، بل إلى أرقى منها، فإنّ المؤمن ينظر بنور الله^(١).

والإنسان مخلوق مركّب من طبع وعقل، وجسم ذي حاجات محدودة، وروح ذات مطلوبات غير محدودة، وهو في تساميه وتعاليه أعلى من الملائكة، وفي تسافله وتنزّله أخطّ من البهائم.

(١) الكافي ج ١ ص ٢١٨ ح ٣ (أتقوا فإساسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عزّ وجلّ).

عن عبدالله بن سنان، قال: سألت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فقلت: «الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: إن الله عز وجل ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم»^(١).

وكان هذا الخلق في غاية الإبداع بحيث صار - بعد تسويته ونفخ الروح المضاف إلى الله تعالى^(٢) فيه - مخلوقاً استثنائياً من بين كل الموجودات، وتظهر عظمة خلقه من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٣). والإنسان يدرك أنه لم يخلق لحياة مادية محدودة، فإن الحكمة توجب أن تكون الأدوات متناسبة مع العمل المطلوب منها، والمخلقة متناسبة مع الهدف منها، فلو كانت الحياة التي خلق من أجلها حياته الدنيوية فقط، لكانت قوة الشهوة التي تجلب الملائمات وقوة الغضب التي تدفع المنافرات كافيتين له، ولم يكن موجب لأن يعطى عقلاً متطوعاً إلى علم غير محدود، مشتاقاً إلى التخلية عن الرذائل والتخلية بالفضائل، وفطرة لا تقنع بأي مقام يصل إليه، بل تتعطش ما هو أعلى منه، فإعطاء الإنسان ذلك العقل وتلك الفطرة دليل على أنه مخلوق لحياة غير محدودة، كما ورد في الحديث النبوي الشريف: «ما خلقتم للفناء بل خلقتم للبقاء، وإنما تنقلون من دار إلى دار»^(٤).

(١) علل الشرائع ج ١ ص ٤ باب ٦ ح ١.

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ سورة الحجر: ٢٩.

(٣) سورة المؤمنون: ١٤.

(٤) بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٤٩.

ومن ناحية أخرى، إنَّ حكمة الحكيم على الإطلاق تدلُّنا على أنَّ كلَّ قوَّة أودعها في الموجود فقد هبَّأ لها عوامل الوصول إلى مرحلة فعليَّتها، لأنَّ إفاضة قوَّة لا تتحوَّل إلى الفعل أصلاً، وطلب لا يصل إلى المطلوب، لغوٌ وعبث، تعالى الله عنها.

فأنت ترى أنَّ العلم والقدرة المطلقة، عندما أعطى قوَّة الإثمار للحبَّة، خلق لها الماء والتراب والهواء، وجعل لها فيها عوامل وصولها إلى هدفها! وعندما أعطى نطفة الإنسان قوَّة التحوُّل إلى أعضاء وجوارح، خلق لها الرحم وعوامل فعليَّتها فيه!

فكيف يمكن أن يخلق الله قوَّة التفكر في الإنسان للوصول إلى ثمرة العلم والعمل، ويخلق روح الإنسان ويودع فيها استعداد الوصول إلى الكمال العلمي والخلقي والعملي، إلى أن يصل إلى معرفة الله بالله، ثم لا يهيء عوامل بلوغها إلى ثمرهما، والشرائط التي توجب فعلية استعداد النفس الإنسانيَّة لأعلى مراتب الكمالات العلمية والعمليَّة؟!

وكيف يمكن أن لا يهدي الإنسان إلى الغرض المقصود من خلقته؟! فهل يمكن أن يخصَّص قانون ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(١) ويستثنى منه خلق الإنسان؟!

كلَّا، ولهذا كانت ضرورة الهداية الإلهية لإيصال الإنسان إلى الهدف من خلقه واضحة ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ فآلَهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا^(٢).

(١) سورة طه: ٥٠.

(٢) سورة الشمس: ٧ و٨.

الجهة الثانية:

إنّ الإنسان بفطرته يبحث عن صانعه وخالقه، يريد أن يعرف من هو الذي أوجده بعد أن لم يكن، وأعطاه هذه الجوارح والأعضاء والقوى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(١)، وأنعم عليه بما لا يعدّ ولا يحصى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٢).

ويريد أن يعرف هذا المنعم الحقيقي، ليقوم بوظيفته العقلية، وهي شكر المنعم الحقيقي.

ومن ناحية أخرى يدرك الإنسان أنّ الله تعالى - الذي هو خالق الحسّ والمحسوس، والوهم والموهوم، والعقل والمعقول، الشُّبُوح القدّوس عن جميع النقائص والقبائح، الذي لا يتناهى جماله وكماله - أعظم وأعلى وأجلّ من أن يكون طرفاً لخطاب مخلوق مملوء بالجهل والخطأ والهوى، فيجيبه مباشرةً على أسئلته، ويوجّهه إلى ما يجب ويحرم عليه في أيام حياته.

فلا بدّ من وجود واسطة بين الله تعالى وبين خلقه، له صورة الإنسان وصفاته ليتعامل مع الناس، وله عقل منزّه عن الخطأ، ونفس مقدّسة عن الهوى، وسيرة ربّانية، ليكون - على وفق قانون تناسب الفاعل والقابل - أهلاً لتنويره بنور الوحي، ولتلقّي الهداية والمعرفة من الله تعالى، فيفتح أبوابها للبشر، وينقذ الإنسان من تفريطه في تعطيل العقل عن معرفة الله، ومن إفراطه في تشبيه الحقّ بالخلق، ويهديه إلى الدين القيمّ والصراط المستقيم ﴿وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا

(١) سورة لقمان: ٢٠.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٤.

تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^(١).

الجهة الثالثة:

الإنسان له قدرات فكرية يستطيع بها أن يستكشف عدداً من أسرار الطبيعة وقوانينها، ويستخدم بعض طاقاتها، وفيه أهواء نفسانية وقوى شهوانية وغضبية توسعية خطيرة، لا تقف عند حدٍّ، وهذه خاصية طبيعة الإنسان.

ولهذا ارتبط صلاح الأرض وفسادها بصلاح الإنسان وفساده ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^(٢)، بل بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣) فإنَّ صلاح الكرات الأخرى وفسادها مرتبط بالإنسان أيضاً.

والذي يضمن إصلاح هذا الموجود، إنما هي الهداية الإلهية، التي تحقق له الاعتدال الفكري بالعقائد المحققة، والاعتدال الروحي بالأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة.

الجهة الرابعة:

إنَّ حياة الإنسان بسبب حاجاته المختلفة مرتبطة بالمجتمع، وهذا الإرتباط يستتبع التأثير والتأثر المتقابل، فيوجب ذلك حقوقاً مختلفة للأفراد والمجتمع، لبقاء للحياة الاجتماعية إلاَّ بإحقاقها، ولا يمكن إحقاقها إلاَّ بوضع وإجراء قوانين

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٢) سورة الروم: ٤١.

(٣) سورة الجاثية: ١٣.

صحيحة مصونة من النقص والخطأ، معصوم واضعها ومنفذها عن التأثر بالمصالح الشخصية والانحراف عن الحق والعدالة.

وهذا لا يتحقق إلا في الشرائع الإلهية، وفي الأنبياء الذين يبلغونها وينفذونها ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١).

**

وبعد أن اتضح ضرورة هداية الإنسان إلى المبدأ والمعاد والهدف من خلقه، واتضح لزوم إيصاله إلى كماله النظري والعملي، ولزوم تعديل قواه النفسانية، وتأمين حقوقه الفردية والاجتماعية، يتضح أن هذه الأهداف لا تتيسر إلا عن طريق الوحي والنبوة، وكفاية هذه المهمات لا تتحقق بالفكر الذي لا يسان عن الخطأ، وباليد المغلولة بقيد الهوس والهوى.

إن مصباح فكر الإنسان مهما كان قوياً، ليس بإمكانه أن يضيء النقاط المهمة والمجهولة في فطرته، ويستغني في مسيرة حياته عن الأنبياء وهدايتهم عليهم السلام.

لقد بذل نوابغ البشر جهودهم في البحث عن أسرار العالم، فتصوّروا أنهم توصلوا إلى نتائج ونظريات افتخروا بكشفها، وصدّقها الناس، ومضت قرون وأجيال على التصديق بها، فإذا هي أوهام باطلة!

فهذه نظريتهم القائلة إن بدن الإنسان يتركب من العناصر الأربعة، وأن أمراضه تنشأ من الطبائع الأربع، انكشف بطلانها!

وهذه نظريات القدماء عن تكوين الكون من عناصر التراب والماء والهواء والنار، وأن الأجرام السماوية لا تقبل الحرق والإلتئام، ذهبت هباءً أمام ما اكتشفه العلم!

وهاهو الإنسان عرف أنه لم يكن يفهم تركيب بدنه الذي هو أقرب الأشياء إليه! ولا كان يعرف أسباب مرضه وصحته، وأن كثيراً من أفكاره حول الطبيعة والكون، وعن القمر الذي هو أقرب الكواكب إليه، لم تكن غير أوهامٍ خاطئة! فهل يمكن أن يكون هذا الفكر هادياً للإنسان إلى معرفة المبدأ والمعاد، وإلى موجبات سعادته وشقائه؟! كلا!

بل كيف يمكن لفكر الإنسان العاجز عن معرفة الأسرار المحبّأة في داخل ذرّة من الذرّات، أن يعرف بداية خلق الإنسان والكون، ونهاية الإنسان والعالم، وأن يعرف ما يهديه إلى المبدأ والمعاد، وإلى موجبات سعادته وشقائه؟! قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويشيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدرة»^(١).

**

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

خصائص النبي

للنبي خصائص، نكتفي بذكر اثنتين منها:

الخصوصية الأولى: العصمة

والأدلة على عصمة الأنبياء ﷺ عديدة، نشير إلى بعضها:

الدليل الأول:

إنّ لوصول كلّ مخلوق إلى كماله الذي خلق له سنناً وقوانين، وقد تبين ممّا تقدّم أنّ السنّة التي توصل الإنسان إلى كماله المقصود من خلقه، إنّما هي الهداية الإلهية ودين الحقّ .

ولمّا كان تحقّق هذا الكمال يتوقّف على هداية الإنسان إلى دين الحقّ، وتبليغ القوانين الإلهية وتنفيذها، وكان النبي هو المتكفّل لتربية الإنسان وفق هذه السنّة، فلو حصل تخلف في التبليغ أو التنفيذ لكان نقضاً للغرض، ولا يكون تخلف هذا المبلّغ والمربّي بالتربية الإلهية إلاّ من جهة الخطأ أو الهوى، وأيّ منهما كان فلا يحصل الغرض الأقصى .

فكمال الهداية الإلهية يتطلّب كمال الهادي، وعصمة القانون الإلهي الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(١) تستلزم عصمة المعلم والمنفّذ.

(١) سورة فصلت: ٤٢.

الدليل الثاني:

دَلَّ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ عَلَى أَنَّ الدِّينَ جَاءَ لِيُحْيِيَ الْإِنْسَانَ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١)، وماء الحياة الطيبة للإنسان هو الإيمان والعمل الصالح، وهما يشكّلان مجموعة الدين .

وعين الحياة التي ينفجر منها هذا الماء وجود النبي، فلو كانت متلوثة لتلوّث الماء، ولم يصلح لسقي عقول الناس وقلوبهم، ولا يحصل منه ثمر الحياة الطيبة .

الدليل الثالث:

بما أنّ الغرض من بعثة النبي لا يتحقق إلا بإطاعته في أمره ونهيه، وبما أنّ إطاعة المخطئ والعاصي لا تجوز، فلو لم يكن النبي معصوماً لم تجب إطاعته، فيلزم نقض الغرض وبطلان نتيجة البعثة .

الدليل الرابع:

إذا لم يكن النبي معصوماً عن الخطأ، لم يحصل للأمة اليقين بصدقه وصحة قوله في تبليغ الوحي، وإذا لم يكن معصوماً من الذنوب، سقطت مكانته في أعين الناس، وكلام العالم بلا عمل والواعظ غير المتعظ، لا يؤثر في النفوس، فلا يحصل الغرض المقصود من البعثة .

(١) سورة النحل: ٩٧ .

الدليل الخامس:

منشأ الخطأ والذنب ضعف العقل والإرادة، وعقل النبي كامل، لأنه باتصاله بالوحي وصل إلى حقّ اليقين، وصار يرى الأشياء على واقعها كما هي، وإرادته لا تتأثر إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى، فلا يبقى في شخصيته مجال للخطأ والذنب.

الخصوصية الثانية: المعجزة

إنّ قبول كلّ دعوى يحتاج إلى دليل، ولا بدّ أن يكون ارتباط الدعوى بدليلها وثيقاً بحيث لا ينفك اليقين بحقّانية الدعوى عن الدليل، وبما أنّ النبي يدّعي السفارة عن الله تعالى، وهذه الدعوى لا سبيل إلى ثبوتها إلا بتصديق الله تعالى لما يدّعيه، فالمعجزة تصديق عملي من الله تعالى لدعوى نبيّه:

وذلك أنّ المعجزة أمر يتحقّق - بلا وساطة سبب عادي - بالإرادة المحيطة بالأسباب والمسببات المهيمنة على تأثير السبب في المسبّب، وتأثر المسبّب بالسبب، وليست هي إلا إرادة الله سبحانه وتعالى، فعندما تحدث المعجزة لدعوى النبي، يحصل اليقين بأنّ الله تعالى فعل المعجزة تصديقاً له.

فمن ادّعى النبوة، وكان صدقه ممكناً عقلاً، وظهرت على يده المعجزة، فهي دليل قطعي على صدقه في دعواه، لأنه لو لم يكن صادقاً لكان حدوث المعجزة على يده تصديقاً للكاذب وموجباً لإضلال الناس، وتعالى الله سبحانه عن أن يصدّق الكاذب، ويضلّ الناس.

هذا، وفي النبوة العامّة آيات كريمة وأحاديث شريفة، نقتصر منها على

حديثين شريفيين:

الحديث الأول:

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إنا لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشروه، ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء في خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الأمور والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبّرون عنه جلّ وعزّ، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شيء من أحوالهم، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان ممّا أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته»^(١).

وفيا يلي نشير إلى بعض المعاني التي تضمّنها كلامه عليه السلام:

ذكر عليه السلام دليل ضرورة بعثة الأنبياء بقوله: (وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً.. إلى قوله فناؤهم)، ومعناه أن كلّ فعلٍ وتركٍ وحركةٍ وسكونٍ يصدر من الإنسان، إمّا أن يكون نافعاً لدنياه وآخرته، أو ضارّاً، أو غير نافع ولا ضارّ، وعلى كلّ الفروض يحتاج الإنسان إلى معرفة ما هو النافع وما هو الضارّ وما هو المصلح والمفسد لدنياه وآخرته، وهذه المعرفة لا تبيسر إلا من عند من هو خبير بالرابطة التي بين الأفعال والتروك وصلاح الإنسان وفساده، ومحيط بتأثير الحركات والسكنات في حياة الإنسان في الدنيا والآخرة، وإمّا هو خالق الإنسان، وخالق

(١) الكافي ج ١ ص ١٦٨، باب الاضطرار إلى الحجة ح ١.

الدُّنيا والآخرة سبحانه .

*

ولما كانت حكمته تعالى تستوجب أن يدلّ عباده على ذلك، وكانت دلالاته عليه بدون واسطة غير ممكنة لتعالیه عن مباشرتهم ومخاطبتهم، فلا بدّ من سفراء مختارين (يدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم).

وهذا البرهان يمتاز من جهاتٍ عمّا برهن به الفلاسفة على ضرورة النبوة - الذي اعتمد على قاعدة أنّ الإنسان مدنيٌّ بالطبع فيحتاج إلى قوانين عادلة لمعاملاته وعلاقاته الاجتماعية ... - فإنّ دليلهم مختصّ بالحياة الاجتماعية على الأرض، بينما دليل الإمام عليه السلام يشمل عموم مصالح الإنسان ومضارّه في كلّ عوالم الوجود.

*

وأشار عليه السلام إلى وجودهم الاستثنائي، باشتراكهم مع الناس وامتيازهم عنهم، وما به اشتراكهم وما به اختصاصهم بقوله عليه السلام: (غير مشاركين للناس - على مشاركتهم في الخلق والتركيب - في شيء من أحوالهم).

*

وأشار عليه السلام بقوله: (صفوته من خلقه) إلى اصطفاء النبي من سائر الخلق، ليتمكّن بتلك الخلقة الصافية من نيل مقام الوساطة بين الخالق والمخلوق، وأداء مهمّة الرابط بين العالي والداني .

وما ألطف كلمة «التعبير» التي أتى بها في قوله: «يعبرون عنه» ليوضّح منزلة النبي، وأنه كاللسان المبين ما في الضمير، ينطق عن الله تعالى، ويبلغ ما يريد إلى خلقه، وهذه المنزلة لازمة لقداسة النبي ومستلزمة لعصمته .

*

كما بينَ ﷺ الدليل على لزوم المعجزة لإثبات النبوة بقوله: «يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته»، وبما أن منشأ النبوة حكمة الحكيم على الإطلاق، وثمرتها الحكمة أيضاً «قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ»^(١)، «أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ»^(٢) فقد اهتم ﷺ بامتياز حكمة الأنبياء النظرية والعملية عن الحكمة البشرية الناتجة عن الفكر الإنساني، وأن حكمتهم بما أمَّها تعبير عنه تعالى، بمقتضى قوله ﷺ: (ويعبرون عنه) وأمَّها (من عند الحكيم العليم) فهي صافية من كدورة الأوهام، وأن النبي سراج منير لم يتخذ نور علمه من التعليم والتربية البشرية، بل بارتباطه بنور السموات والأرض «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ»^(٣).

*

قال ﷺ: «حكما مؤدبين بالحكمة»، ثم بعد فصل قليل قال: «مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة» لبيِّنَ ﷺ أن حكمة الأنبياء - حدوثاً وبقاءً - من عند العليم الذي أحاط بكل شيء والحكيم الذي أتقن صنع كل شيء، وأمَّها تمتاز عن الفكر البشري امتياز ما عند الله تعالى على ما عند الناس.

*

ويظهر من جملة «وكان ذلك الصانع حكيماً» ومن وصف الأنبياء بأنهم «حكما مؤدبين بالحكمة مبعوثين بها» أن العلة الفاعلية والعلة الغائية للنبوة هي الحكمة، والحدّ الوسط بين المبدأ والمنتهى أيضاً هي الحكمة «يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ

(١) سورة الزخرف: ٦٣.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

(٣) سورة النور: ٣٥.

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ .

وهناك مباحث ثمينة ودقائق عميقة أخرى في إشارات كلام الإمام عليه السلام ولطائفه، لا يتسع لها المجال .

الحديث الثاني:

قال الإمام الرضا عليه السلام: «فإن قال: فلمَ وجب عليهم معرفة الرُّسل والإقرار بهم والإذعان لهم بالطاعة؟ قيل: لأنه لما أن لم يكن في خلقهم وقواهم ما يكملون به مصالحهم وكان الصانع متعالياً عن أن يرى، وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً لم يكن بدّ لهم من رسول بينه وبينهم معصوم يؤدّي إليهم أمره ونهيه وأدبه ويقفهم على ما يكون به إجتراح منافعهم ومضارّهم [إذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون إليه من منافعهم ومضارّهم] فلو لم يجب عليهم معرفته و طاعته لم يكن لهم في مجيئ الرسول منفعة و لا سدّ حاجة و لكان إتيانه عبثاً لغير منفعة و لا صلاح، و ليس هذا من صفة الحكيم الذي أنقن كل شيء» (٢) .

**

(١) سورة الجمعة: ١ و ٢ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٠٠ ب ٣٤ ح ١، وبتفاوت في البحار ج ٦ ص ٥٩ وفيه: (... ما يكون به إحتراز منافعهم ودفع مضارّهم إذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون إليه من منافعهم ومضارّهم).

النبوة الخاصة

النبوة الخاصة

بما أنّ نبينا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، وصاحب الرسالة الخاتمة الخالدة، فلا بدّ أن تكون معجزته خالدة أيضاً.

وبما أنّ العصر الذي بعث فيه كان عصر تفاخرٍ وتنافسٍ بالفصاحة والبلاغة في النظم والنثر، حيث كان المعيار السائد لمعرفة مكانة الشخصيات المرموقة في المجتمع، هو الفصاحة والبلاغة، وكان للفصحاء البلغاء مكانةً كبيرةً في ذلك المجتمع، لذلك اقتضت حكمته تعالى أن يكون القرآن الكريم معجزاً في ألفاظه ومعانيه، ليكون معجزةً خالدةً ودليلاً مستمراً على نبوة نبيه محمد ﷺ، يتناسب مع رسالته الخاتمة المستمرة في كلِّ عصرٍ وزمان.

ونكتفي فيما يلي بعرض موجز لإعجاز القرآن.

١ - عجز البشر عن الإتيان بمثل القرآن

لقد ظهر النبي ﷺ في عصرٍ ومنطقةٍ، كانت توجد فيها أممٌ متعدّدة، وعقائد متشتتة.

فبعضهم كانوا مادّيين ملحدين، ينكرون المبدأ والمعاد.

والذين كانوا يعتقدون بما وراء الطبيعة، بعضهم كانوا يعبدون الأصنام، وبعضهم يعبدون الأجرام السماوية.

والذين اعتزلوا عبادة الأصنام والأجرام السماوية، كانوا ينتحلون المجوسية والثنوية، واليهودية القائلة بأنّ عزيراً ابن الله، والنصرانية القائلة بأنّ الله ثالث ثلاثة .

ومن جهة أخرى، كان أكاسرة إيران وقياصرة الروم مشغولين في استعمار الأمم الضعيفة واستثمارها، أو بالحروب والقتال .

في مثل هذه الظروف التي كانت العقول محجوبة بالأوهام، والقلوب قاسية بالأهواء، ولا يحكم في البلاد إلا من يفسد في الأرض أو يسفك الدماء، بُعث النبي ﷺ، ورفع علم الإيمان بالغيب والتوحيد، ودعا العالم إلى عبودية الله تعالى، وإلى كسر قيود الكفر والظلم، ودعا ملوك الأرض الطغاة المتجبرين من كسرى إيران وامبراطور الروم، إلى ملوك الغساسنة في الشام، وملوك حمير في اليمن، وغيرهم من الأمراء والسلاطين الكبار والصغار، إلى قبول الإسلام وإطاعة أوامر الله تعالى، والخضوع للحق والعدل .

لقد رفض ثنوية المجوس، وتثليث النصارى، وافترادات اليهود على الله والأنبياء، وعادات الجاهلية الوثنية الموروثة عن الآباء والأجداد، الراسخة في أعماق وجود الناس في جزيرة العرب!

لقد وقف ﷺ وحيداً أمام كلّ دول العالم، وأممها، وأمرائهم، وعلماهم، وخطأ عقائدهم، وتحداهم بالمعجزات التي جعلها الله دليلاً على نبوته .

وكان أبرزها معجزة القرآن الذي تحدّى به قدرات الملوك، والسلاطين، وعباد الأصنام، وأحبار اليهود، وقساوسة النصارى! ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١) .

(١) سورة البقرة: ٢٣ .

ومن البديهي أنّ عامّة الناس - بتعصّبهم لعقائدهم - ورجال الأديان والمذاهب - بتصلّبهم وتشدّدهم لحفظ أتباعهم - والملوك والحكّام - بخوفهم من يقظة شعوبهم - لو استطاعوا مواجهة القرآن لما تأخّروا عن ذلك لحظة .
أفتظنّ أنه لو كانت لهم القدرة على المعارضة في هذه المسابقة التي يفوق السابق بها في الدّين والدّنيا، ما فعلوا ذلك؟!

نعم، إنهم جميعاً بذلوا كلّ جهدهم لمواجهة تحديّ النبيّ ﷺ لهم بالقرآن، وفيهم علماء وشعراء وخطباء، كانوا أعلاماً في الفصاحة والبلاغة، يتسابقون كلّ سنة في سوق عكاظ الشهير وغيره، ويعلّقون القصائد الفائزة بإعجاب على الكعبة، وكان أشهرها المعلّقات السبع .

لقد حرصوا على الانتصار لدينهم ودنياهم المهتدّين بالقرآن، ولكنهم رجعوا خائبين خاسئين، ولم يجدوا جواباً إلا أن قالوا: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(١) .
وقد جاء في التاريخ أنّ أبا جهل قصد الوليد بن المغيرة الذي كان مرجع فصحاء العرب، وطرح معه مشكلة تحديّ محمد لهم بالقرآن، فقال له: فما أقول فيه! فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار منّي، ولا أعلم بجزه منّي ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا! ووالله إنّ لقوله لحلاوة، وإنه ليخطّم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يُعلّى!

قال أبو جهل: لا والله لا يرضى قومك حتّى تقول فيه!

قال: دعني حتّى أفكّر فيه!

فلما فكّر، قال: هذا سحرٌ يآثره عن غيره^(٢) .

(١) سورة المائدة: ١١٠ .

(٢) جامع البيان (تفسير الطبري) ج ٢٩ ص ١٩٥، ذيل الآية ٢٤ من سورة المدثر، الإتيان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣١٣ .

إنّ نفس اتّهامهم للقرآن بالسحر دليلٌ على تسليمهم بإعجازه! لأنّ السحر يرجع بالنتيجة إلى أسباب عادية غير خارجة عن الطاقة البشرية، وقد كان ذلك أمراً مقدوراً لهم، وكان السحرة والكهنة منتشرين في جزيرة العرب والبلاد المجاورة لها، ومع ذلك فقد سجّل التاريخ أنّهم لم يستطيعوا أن يجدوا جواباً على تحديّ القرآن! وبسبب ذلك لجأوا إلى محاولات تطميع النبي ﷺ بالمال والمقام! وعندما رفض ذلك، ضاعفوا محاولاتهم لقتله!

٢ - هداية القرآن

نزل القرآن الكريم في عصرٍ كان قسمٌ من الناس ملحدين لا يعتقدون بما وراء الطبيعة، ويرون أنّ الذي يدبّر نظام هذا الوجود المدهش، لا يتّصف بعقلٍ ولا إدراك! أمّا الذين كانوا يعتقدون بما وراء الطبيعة، فكانوا يعبدون أصناماً على صور متعدّدة.

وأما المنتسبون إلى الأديان السماوية، فقد وصفوا الله تعالى حسب كتبهم المحرّفة بصفات المخلوقين.

في ذلك العصر الذي سجّل التاريخ أنّ أهله كانوا في غاية الإنحطاط فكرياً وخُلُقياً وعملاً، نهض رجلٌ أمّي لم يتلقَّ العلم من أحد، وكسر أقفال الجهل والضلالة، وفتح أبواب العلم والهداية، وأحيا النفوس الميتة بالحياة الطيّبة، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور.

لقد دعا الناس إلى عبادة الله المنزه عن كلّ نقص، الذي منه كلّ كمالٍ وجمال، وله كلّ حمدٍ وثناء، وأعلن أنه وحده يليق للعبادة وأنّ ما يدعون من دونه كسرّاب

بقية يحسبه الظمان ماءً، وأنه أكبر من أن يحدّ بحدّ أو يوصف بوصفٍ .. «سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ».

وتحدّى في ذلك الجوّ الذي كانوا يصفون خالق العدد والمعدود بالتركيب والتثليث، والمنزّه عن الصاحبة والولد بالإحتياج والتوليد، ويصوّرون له مثيلاً وشريكاً، ويزعمون أنه مجسّد في صنمٍ ينحتونه، أو شجرةٍ يقدّسونها! في هذا الجوّ نزل القرآن، فنزّه الله عن جميع تلك الأوهام، وأعلن أنه أحد منزّه عن التركيب العقلي والوهمي والحسي، وأنه بذاته غنيّ عن كلّ شيء، وما سواه فقيرٌ محتاجٌ إليه بالذات، ونزّهه ساحته المقدّسة عن كلّ أنواع التوليد العقلي والحسي، وبين أنّ الموجودات وجدت بقدرته، وخلقت بمشيئته، وأنه لا كفؤ له، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

ونزلت أكثر من ألف آية من القرآن الكريم في معرفة الله تعالى، وصفاته العليا، وأسمائه الحسنى، لو تدبّرنا منها سطرًا واحداً هو سورة التوحيد لعرفنا عظمة الهداية التي جاء بها ﷺ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ *

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»^(١).

*

هذا مضافاً إلى أنّ أحاديث النبي وأهل بيته عليهم السلام، مفاتيح خزائن معرفة الله تعالى، ونكتفي منها هنا بمحدثين:

١- قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى خلّو من خلقه وخلقه خلّو منه، وكلّ ما وقع عليه اسم شيءٍ ما خلا الله عزّ وجلّ فهو مخلوق، والله خالق كلّ

شيء تبارك الذي ليس كمثل شيء»^(١).

٢- وقال الإمام الباقر عليه السلام: «كل ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه، مخلوق مصنوع مثلكم، مردود إليكم»^(٢).

**

إنّ عظمة ماقدّمه القرآن من الهداية في المعارف الإلهية، تتجلّى بمقارنتها مع ما يقابلها في العهد العتيق والجديد من الآيات التي ما زال يعتقد بها مئات ملايين البشر إلى اليوم من اليهود والنصارى، وبنيت على الإيمان بها كلّ كنيس وكنيسة.

ونكتفي بناذج من توراتهم فهو يمثّل تصوّراتهم لله تعالى :

أ- ورد في الإصحاح الثاني من سفر التكوين :

«وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل . فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدّسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً...!»

وجبل الربّ الإله آدم تراباً من الأرض ، ونفخ في أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفساً حيّة . وغرس الربّ الإله جنةً في عدن شرقاً . ووضع هناك آدم الذي جبله ، وأنبت الربّ الإله من الأرض كلّ شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل . وشجرة الحياة في وسط الجنة ، وشجرة معرفة الخير والشرّ . . .

وأخذ الربّ الإله آدم ووضع في جنة عدن ليعملها ويحفظها . وأوصى الربّ الإله آدم قائلاً : من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً ، وأمّا شجرة معرفة الخير والشرّ فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت . . .

(١) التوحيد ص ١٠٥ باب ٧ ح ٣.

(٢) مشرق الشمسيين ٣٩٨ ، بحار الأنوار ج ٦٦ ص ٢٩٣.

ب - في الإصحاح الثالث من سفر التكوين :

«وكانت الحيّة أخيل جميع حيوانات البرية التي عملها الربّ الإله، فقالت للمرأة: أحقّاً قال الله لا تأكل من كلّ شجر الجنّة؟ فقالت المرأة للحيّة: من ثمر شجر الجنّة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنّة فقال الله لا تأكل منه، ولا تمسّاه لئلا تموتا!

فقالت الحيّة للمرأة: لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما، وتكونان كالله عارفين الخير والشرّ!

فрат المرأة أنّ الشجرة جيّدة للأكل وأنها بهجة للعيون، وأنّ الشجرة شبيهة للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل، فانفتحت أعينها وعلما أنّهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر، وسمعا صوت الربّ الإله ماشياً في الجنّة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الربّ الإله في وسط شجر الجنّة، فنادى الربّ الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنّة فخشيت لأنّي عريان فاختبأت!

فقال: من أعلمك أنّك عريان، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها...».

وفي نفس الإصحاح: «وقال الربّ الإله: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منّا عارفاً للخير والشرّ! والآن لعلّه يمدّ يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد».

وفي الإصحاح السادس:

«فحزن الربّ أنه عمل الإنسان في الأرض. وتأسّف في قلبه.

فقال الربّ أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم

ونباتات وطيور السماء. لأنني حزنت أني عملتهم». .
ونكتفي بتسجيل بعض الملاحظات :

(١)

زعمت توراتهم أن الله تعالى نهى آدم وحواء عن معرفة الحسن والقبیح، مع أن الله تعالى خلق الإنسان ووهبه العقل ليعرف به الحسن والقبیح، والخير والشر، فكيف يعقل أن ينهى عن معرفتها!

وأما هداية القرآن فهي: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ﴾^(١)، ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢).
والآيات القرآنية في الترغيب في العلم والمعرفة والتعقل والتفكر والتدبر أكثر من أن تذكر في هذا المختصر.

لقد خلق الله الإنسان للإستباق إلى الخيرات وأمره بها، وللإجتناح عن الشرور ونهاه عنها، والغرض من هذا التكوين والتشريع لا يتحقق إلا بمعرفة الخير والشر، والأمر بذی المقدمة والنهي عن المقدمة مع إنتهائهما إلى اجتماع النقيضين كيف يصدر عن سفيه، فضلاً عن الحكيم على الإطلاق؟! .

(٢)

وزعمت توراتهم أن الله تعالى قال لآدم وحواء: إذا أكلتما من شجرة المعرفة تموتان، فأكلا منها فلم يموتا!

(١) سورة الزمر: ٩.

(٢) سورة الأنفال: ٢٢.

فإن كان الله بزعمهم لا يعلم أنّها لا يموتان، فهو جاهل!
 وإن كان يعلم فهو كاذب! وكيف يليق بالجاهل والكاذب أن يسمّى بالإله؟
 والأعجب من ذلك أنّ الحيّة ترشد آدم وحواء إلى الأكل من شجرة معرفة
 الخير والشرّ، وتكشف لهما كذب الإله (المزعوم لهم) وخداعه!
 وهذه نماذج من هداية القرآن في علم الله تعالى:
 ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(١).
 ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾^(٢) ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ
 عِلْمًا﴾^(٣).

(٣)

كيف يكون الموجود المحدود - الذي يضيّع آدم بين أشجار الجنة، وتحول
 الأشجار دون رؤيته له، ويناديه: أين أنت؟! حتى يعرف مكانه من صوته! -
 جديراً بأن يكون إله العالمين، وعالم السرّ والخفيّات، والمحيط بالأرض والسماء،
 وخالق الكون والمكان؟!
 وأمّا نموذج هداية القرآن فهكذا: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ
 مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رِّزْقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبِيبٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ
 لَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٢) سورة سبأ: ٣.

(٣) سورة طه: ٩٨.

(٤) سورة الأنعام: ٥٩.

(٤)

بينما يعلم القرآن الناس توحيد الله وتنزيهه ويقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١)، فإن التوراة تعلم الناس الشرك بالله تعالى، وتشبهه بمخلوقاته! حيث تقول: «وقال الرب الإله: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر...».

(٥)

نسبت توراتهم إلى الله تعالى أنه ندم على خلق آدم، فكان جاهلاً بعاقبة خلقه له! فكيف يصح لكتاب سماوي جاء لهداية البشر إلى ربهم، أن ينسب إلى الله تعالى الجهل المستلزم لمحدودية الذات وتركب الحق المتعال من نور العلم وظلمة الجهل، الموجب لاتصاف الخالق بصفة المخلوق.

وهداية القرآن هكذا: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢)، «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»^(٣).

(٦)

نسبت توراتهم إلى الله تعالى الإستراحة والحزن والغمّ والهّمّ والأسف، وهي صفات من لوازم الجسمية والجهل والعجز!

(١) سورة الشورى: ١١.

(٢) سورة الملك: ١٤.

(٣) سورة البقرة: ٣٠.

ويقول الربّ أمحو عن وجه الأرض الإنسان والبهائم والنباتات والطيور تشفياً لتأسف قلبه، ولأنه صار محزوناً بخلقه لهم، ومع ذلك ندم عمّا أخبر به، فلماذا يقول ما لا يفعل؟! وهل هذا إلاّ تجهيل لنفسه وتكذيب لقوله؟! ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(١).

أما القرآن فيقول: ﴿سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَ الۡاَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَ الۡاَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَ هُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الْاَوَّلُ وَ الْاٰخِرُ وَ الظَّهْرُ وَ الْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).

**

ونشير إلى بعض العقائد المختصة بالنصارى أيضاً:

(١)

في الإنجيل في رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح الخامس:

- ١- كلّ من يؤمن أنّ يسوع هو المسيح فقد ولد من الله. وكلّ من يحبّ الوالد يحبّ المولود منه أيضاً.
- ٢- بهذا نعرف أنّنا نحبّ أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه.
- ٣- فإنّ هذه هي محبة الله أن نحفظ وصاياه. ووصاياه ليست ثقيلة.
- ٤- لأنّ كلّ من ولد من الله يغلب العالم. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا.

٥- من هو الذي يغلب العالم إلاّ الذي يؤمن أنّ يسوع هو ابن الله.

(١) سورة الأنعام: ١٠٠.

(٢) سورة الحديد: ١-٣.

- ٦- هذا هو الذي أتى بماء ودم يسوع المسيح لا بالماء فقط بل بالماء والدم.
والروح هو الذي يشهد لأنّ الروح هو الحقّ.
٧- فإنّ الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الأب، والكلمة، والروح
القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد.
٨- والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة: الروح والماء والدم، والثلاثة هم
في الواحد.

(٢)

وفي إنجيل يوحنا، الإصحاح الأوّل:

- ١- في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله.
٢- هذا كان في البدء عند الله.
٣- كلّ شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء ممّا كان.
٤- فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس.
٥- والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه.
٦- كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا.
٧- هذا جاء للشهادة ليشهد للنور لكي يؤمن الكلّ بواسطته.
٨- لم يكن هو النور، بل ليشهد للنور.
٩- كان النور الحقيقي الذي ينير كلّ إنسان آتياً إلى العالم.
١٠- كان في العالم وكوّن العالم به، ولم يعرفه العالم.
١١- إلى خاصّته جاء، وخاصّته لم تقبله.
١٢- وأما كل الذين قبلوه، فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي

المؤمنون باسمه .

١٣ - الذين ولدوا ليس من دمٍ ولا من مشيمة جسد، ولا من مشيمة رجل، بل من الله .

١٤ - والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا، ورأينا مجده مجدداً، كما الوحيد من الأب مملوءاً نعمةً وحقاً .

(٣)

وقال في إنجيل يوحنا، الإصحاح السادس :

٥١ - أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء . إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد . والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم .

٥٢ - فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين : كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لناكل .

٥٣ - فقال لهم يسوع : الحقُّ الحقُّ أقول لكم : إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه ، فليس لكم حياة فيكم .

٥٤ - من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية ، وأنا أقيمُه في اليوم الأخير .

٥٥ - لأنَّ جسدي مأكَل حقّ ، ودمي مشرب حقّ .

٥٦ - من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه .

٥٧ - كما أرسلني الأب الحيّ وأنا حيّ بالأب ، فمن يأكلني فهو يحيا بي .

٥٨ - هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ، ليس كما أكل آباؤكم المنّ وماتوا . من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد .

(٤)

قال في إنجيل يوحنا، الإصحاح الثاني:

- ١- وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك.
- ٢- ودعي أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس.
- ٣- ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر.
- ٤- قال لها يسوع: مالي ولك يا امرأة. لم تأت ساعتى بعد.
- ٥- قالت أمه للخدّام مهما قال لكم فافعلوه.
- ٦- وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود، يسع كلّ واحد مطرين أو ثلاثة.
- ٧- قال لهم يسوع: إملأوا الأجران ماء، فلأوها إلى فوق.
- ٨- ثمّ قال لهم: استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ فقدّموا.
- ٩- فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحوّل خمرًا ولم يكن يعلم من أين هي. لكنّ الخدّام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا. دعا رئيس المتكأ العريس.
- ١٠- وقال له كلّ إنسان إنّما يضع الخمر الجيدة أولاً، ومتى سكروا فحينئذٍ الدون. أمّا أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن.
- ١١- هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده، فأمن به تلاميذه.

والملاحظات على هذه الفقرات كثيرة، نكتفي ببعضها:

- (أ) من أصول عقائد النصارى المتفق عليها عندهم: عقيدة التثليث، لكنهم وجدوا في أناجيلهم نصوصاً على توحيد الله تعالى، كما في إنجيل يوحنا

-الإصحاح السابع عشر - الفقرة الثالثة (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته).
فاضطرّوا إلى أن يجمعوا بين التثليث والتوحيد، فقالوا - كما جاء في رسالته يوحنا الأولى -: «الثلاثة واحد!» وأنّ الثلاثة متحدون حقيقةً، ومتميّزون عن بعضهم حقيقةً!

وهي عقيدة باطلة لعدّة وجوه، نشير إلى بعضها:

- ١- إنّ مراتب الأعداد - كالواحد والثلاثة - متضادة، واجتماع الضدين محال، فكيف يمكن أن يكون الثلاثة واحداً، والواحد ثلاثة؟!؛
- ٢- عقيدة التثليث تستلزم الاعتقاد بخمسة آلهة، بل الاعتقاد بعدد غير متناه من الآلهة - كما تقدّم في التوحيد عن الإمام الصادق عليه السلام^(١) - فلا مناص لهم من الالتزام بالآلهة غير المتناهية.
- ٣- عقيدة التثليث تستلزم التركيب، والتركيب يحتاج إلى أجزاء، وإلى من يركّبها.

٤- عقيدة التثليث تستلزم اتّصاف خالق العدد بالمخلوق، لأنّ العدد والمعدود مخلوقان، والله تعالى منزّه من أن يكون معدوداً حتّى بالوحدة العددية، لأنّ الواحد العددي له ثانٍ، والله لا ثاني له.

وأما وصفه بالوحدانية فقد تقدّم معناه في مبحث التوحيد ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

٥- ادّعى النصارى أنّ عيسى عليه السلام ابن الله تعالى، وقد ردّ القرآن قولهم فقال:

(١) لاحظ الحديث الشريف في صفحة ٣٩، الدليل الخامس.

(٢) سورة المائدة: ٧٣.

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ إشارة إلى أنهما موجودان محتاجان إلى طعام، والمحتاج إلى طعام يهضمه ويدفع فضلاته، لا يمكن أن يكون معبوداً.

*

(ب) يعتقد النصارى أن عيسى عليه السلام كان كلمة الله تعالى، وأن هذه الكلمة جاءت إلى الدنيا وصارت إنساناً من جسم ولحم ودم، ثم تجسدت في لحم أتباعه ودمائهم! وأن أول معجزة قام بها المسيح أنه حوّل الماء في حفل عرسٍ في قانا إلى خمرٍ وسقاه الحاضرين!

فأيّ عقلٍ يقبل أن الذي جاء ليكمل عقول الناس ويعلمهم الحكمة، يأتي بمعجزة من أجل أن يسكر الناس ويذهب عقولهم! ومع أيّ منطق ينسجم هذا الكلام؟

*

(ج) يعتقد النصارى أن عيسى هو الله تعالى! وفي نفس الوقت يعتقدون أنه من نسل نبي الله داود، ويوصلون نسبه إلى زوجة داود التي زعموا أنها كانت ذات زوج، وأن نبي الله داود زنا بها، والعياذ بالله، ثم لما قتل زوجها جاء بها إلى بيته وولدت له أولاده!

وخلاصة القصة كما في سفر صموئيل، الإصحاح الحادي عشر:
أن أوريا كان قائداً عند داود، وكان عنده امرأة جميلة، فعشقتها داود، وأرسل زوجها إلى الحرب وعرضه للقتل ليتخلص منه، وزنا بزوجه في غيابه! فقتل

أوريا وجاء داود بزوجه إلى بيته!

أمَّا القرآن فنزّه الله تعالى عن هذه الأوهام، وصحّح الاعتقاد بنبيّ الله عيسى عن تفريط الذين اتّهموه بأنه ابن زنا، وإفراط الذين زعموا أنه ابن الله تعالى، فقال: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسُّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا * فَنَادَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْحَرِيُّ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهَرَّتْ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَلِّطُ عَلَيْكِ رُطْبًا جَنِيًّا * فْكُلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِي عَيْنًا فَاِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرَأَتُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَأْخُذْ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾^(١).

ونزّه داود عليه السلام عن هذه الافتراءات، وقال في شأنه: ﴿يَسْأَلُونَكَ خَلِيفَةً

فِي الْأَرْضِ﴾^(٢).

(١) سورة مريم: ١٦ - ٣٤.

(٢) سورة ص: ٢٦.

وقال لنبينا ﷺ: ﴿إصْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ وَ أَدْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(١).

ونكتفي بهذه النماذج من الهداية القرآنية في معرفة الله تعالى ومقام أنبيائه ﷺ.

**

نماذج من تعاليم القرآن في سعادة الإنسان

إنّ وجوه إعجاز القرآن في بقيّة تعاليمه وتشريعاته كثيرة واسعة، تشمل العقائد، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات، والسياسات.. ونكتفي بذكر بعضها:

(١)

في مقابل الإمتيازات الإجتماعية التي كان الناس يتمايزون بها، كالقوّة، والمال، والقبيلة، والنسب، واللون، جاء القرآن بميزان للفضائل وهو المسارعة والإستباق إلى مراتب الكمالات الإنسانية علمية وعملية، وأنّ كرامة الإنسان بحقيقتها ومراتبها تدور مدار ما هو عند الله، لا ما هو عند الناس، وهو التقوى بنطاقها الواسع من الإلتقاء عمّا يوجب كدورة اللطيفة الإنسانية ويكون حجاباً بينه وبين مبدء الكمال والجمال والجلال، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١).

(٢)

عالج الأفكار الفاسدة التي تحدث بسبب شرب المسكرات، والأمراض الإقتصادية الناشئة من أكل الأموال المحاصلة بالأسباب الباطلة بقوله تعالى:

(١) سورة الحجرات: ١٣.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأُنصَابُ وَالأَزْأَلُمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)، ﴿وَ أَحَلَّ اللهُ البَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٢)، ﴿وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالأَبْطَالِ﴾^(٣).

(٣)

وفي عالم كان يسترخص قتل الإنسان ويفتخر به، حرّم القرآن القتل، وشدّد على ضمان حياة الإنسان، وبنى فقهه على أشد مراتب الإحتياط في النفوس ﴿وَ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(٤)، ﴿وَ مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٥).

(٤)

سدّ باب الجور والطغيان بتشديد النهي عن الظلم والعدوان، وفتح أبواب الخير والفضيلة على الإنسان بتأكيد الأمر بالعدل والإحسان ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٦)، ﴿وَ أَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَ لَا تَبْغِ الأَفْسَادَ فِي الأَرْضِ﴾^(٧)، ﴿إِنَّ اللهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الأِحْسَانِ وَ إِيْتَايِ ذِي القُرْبَىٰ وَ يَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ وَ المُنْكَرِ وَ البَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٨).

(١) سورة المائدة: ٩٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٣) سورة البقرة: ١٨٨.

(٤) سورة الأنعام: ١٥١.

(٥) سورة المائدة: ٣٢.

(٦) سورة البقرة: ١٩٤.

(٧) سورة القصص: ٧٧.

(٨) سورة النحل: ٩٠.

(٥)

ونزل القرآن في عصر كانوا يعاملون المرأة معاملة الحيوان ، فقال عزّ من قائل :
 ﴿وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١) ، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٢) ، ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ
 رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عِبيدٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾^(٣) .

(٦)

حرّم كل أنواع الخيانة وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
 وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤) .
 وقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾^(٥) .
 وفرض أداء الأمانة فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(٦) ،
 وقال : ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ﴾^(٧) .

(٧)

وجعل الوفاء بالعهد من علامات الإيمان ، فقال : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَ
 عَهْدِهِمْ رُءُوفٌ﴾^(٨) . وأمر بالوفاء بالعقد والعهد فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا

(١) سورة النساء : ١٩ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٢ .

(٣) سورة آل عمران : ١٩٥ .

(٤) سورة الأنفال : ٢٧ .

(٥) سورة الأنفال : ٥٨ .

(٦) سورة النساء : ٥٨ .

(٧) سورة البقرة : ٢٨٣ .

(٨) سورة المؤمنون : ٨ .

بِالْعُقُودِ^(١)، «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا»^(٢).

(٨)

وَأَنْتَذِ الْأُمَّةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»^(٣)، وبقوله تعالى: «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا»^(٤) من هاوية الكفر والجهل والسفاهة، وجعلها حاملة مشعل الإيمان والعلم والحكمة.

(٩)

وأمر أتباعه بكل معروف، ونهاهم عن كل منكر، وأحل لهم الطيبات وحرّم عليهم الخبائث، وحرّره من القيود المكبلة لإنسانيتهم، المخالفة لفطرتهم السوية، فقال: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(٥).

(١٠)

وَأَسَّسَ الْمَدِينَةَ الْفَاضِلَةَ الْمَبْنِيَّةَ عَلَى الْحِكْمَةِ وَالْعِفَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْعَدَالَةِ، عَلَى

(١) سورة المائدة: ١.

(٢) سورة الإسراء: ٣٤.

(٣) سورة المجادلة: ١١.

(٤) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٥) سورة الأعراف: ١٥٧.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١) وكلف المؤمنين والمؤمنات بهاتين الوظيفتين ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢).

ومع استلزامها للعلم بالمعروف والمنكر، واثار الأمر بالمعروف وانتهاء الناهي عن المنكر، وعموم المنكر للعقائد الباطلة والأخلاق الرذيلة والأعمال الفاسدة يتحقق مجتمع يدور مدار المكارم والفضائل، لا يميل عن الصراط المستقيم إلى الإفراط ولا التفريط، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٣).

هذه لمعة من أشعة شمس القرآن وأنوار هدايته للعالم، ولو أردنا أن نستعرض علومه وقوانينه في مجالات الحياة البشرية، في العقائد، والأخلاق، والعبادة، والاقتصاد، والسياسة، وما فيها من هداية بليغة للبشر إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.. لاحتجنا إلى تدوين كتب مفصلة!

إعجاز القرآن في إخباره عن الغيب

إذا ادعى شخص أنه رسول الله هداية البشر إلى يوم القيامة، فإن أصعب أمر عنده أن يخبرهم عن شيء أنه سيحدث في المستقبل، لأن احتمال عدم تحققه ولو بنسبة واحد في المليارد، يهدد كل ما بناه بالإنهيار، ويثبت كذب دعواه. وعندما نرى أنه قد أخبر بيقين جازم، وثقة واطمئنان، عن أمور أنها سوف

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

(٢) سورة التوبة: ٧١.

(٣) سورة البقرة: ١٤٣.

تحدث، فحدثت كما أخبر بها حرفياً! فهذا يدلّ دلالةً قطعيةً على ارتباطه بالعلم الخبير المحيطة بالزمان والزمانيات، وهذه بعض إخبارات القرآن بالغيب:

(١) الإخبار عن انتصار الروم

كانت الدولتان الكبيرتان عند بعثة النبي ﷺ: فارس والروم، وكان بينهما صراع وحروب، وقد هزم الفرس جيوش الروم في معركة كبيرة في سوريا، وكانت المؤشرات كما يذكر المؤرخون تدلّ على أنه انتصار نهائي، فأخبر القرآن بأن الروم سوف تغلب الفرس في بضع سنين! وتحقق ما أخبر به كما أخبر به ﴿الم* غَلَبَتِ الرُّومُ* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* فِي بضعِ سنين﴾^(١).

(٢) الإخبار عن عودة النبي ﷺ إلى مكة

أجمعت قبائل قريش ومن حالفها من قبائل العرب على تكذيب النبي ﷺ ومقاومة دعوته، وحاولوا قتله مراراً حتى اضطرّ إلى الهجرة من مكة خائفاً يترقب، فأخبره الله تعالى بأنه سوف يعود إلى مكة منتصراً، وتحقق ما أخبر به بعد ثمان سنوات! ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾^(٢).

(٣) الإخبار عن هزيمة المشركين

أخبر عن هزيمة المشركين قبل معركة بدر، مع أنهم كانوا جازمين بالانتصار لكونهم أكثر عدداً وعدةً وجمعاً ونفوذاً في الجزيرة، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ

(١) سورة الروم: ١ - ٤.

(٢) سورة القصص: ٨٥.

مُنْتَصِرٌ * سِيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ^(١)، وتحقق ذلك كما أخبر به .

(٤) الإخبار عن فتح مكة

أخبر المسلمين بأنهم سيفتحون مكة ويدخلون المسجد الحرام مع ذكر حالاتهم عند الدخول، فتحقق ما أخبر به، قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾^(٢).

(٥) الإخبار عن عدم مشاركة المنافقين في الحرب

بعد رجوع المسلمين من غزوة تبوك، نزل قوله تعالى عن المنافقين: ﴿قُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾^(٣)، فكان كما أخبرت الآية .

(٦) الإخبار عن فتح بلاد كسرى وقيصر

قبل فتح خيبر، وقبل أن يغنم المسلمون غنائم ذات بال، ولم يكن يخطر ببالهم الوصول إلى خزائن كسرى وقيصر، وعدهم النبي ﷺ بأنهم سيفتحون بلاد كسرى وقيصر ويحكمونها، ونزلت هذه الآيات: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا *

(١) القمر: ٤٤ - ٤٥ .

(٢) سورة الفتح: ٢٧ .

(٣) سورة التوبة: ٨٣ .

وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿١﴾.

(٧) الإخبار عن ذرية النبي الطاهرة

عندما توفي ابنه ﷺ، قال العاص بن وائل: إنه أبتري ليس له نسلٌ وذرية، فنزلت سورة الكوثر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ * وَأَنْحَرْ * إِنَّ شَأْنِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (٢)، وأخبرت بأن قائل الكلام المذكور هو الأبتري، وأما ذريته ﷺ فباقية.

**

إعجاز القرآن بإحاطته بأسرار الطبيعة

نزل القرآن في عصر كانوا يتصوّرون أنّ الأجرام السماوية بسيطة، ولا يتصوّرون حركة الكواكب والنجوم في مداراتها، فأخبر بحركتها وقال: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٣). وفي عصر لم يكن عند العلماء تصوّر عن شمول قانون الزوجية في الأشياء، قال: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤). وفي عصر لم يكن عندهم احتمال وجود حياة في الكواكب الأخرى، قال: ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ (٥).

(١) سورة الفتح: ١٨ - ٢١.

(٢) سورة الكوثر: ١ - ٣، وراجع صفحة: ٢٩٠.

(٣) سورة يس: ٤٠.

(٤) سورة الذاريات: ٤٩.

(٥) سورة الشورى: ٢٩.

وأخبر عن تلقيح النباتات بواسطة الريح، فقال: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾^(١).
وفي عصر يعتقدون بأنّ الأجرام السماوية بسيطة، وأنّ خلقتها ممتازة عن
الأرض، ولم يكن لهم علم برتق السماء وفتقه، قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾^(٢).

وفي عصر لم يكن عندهم تصوّر عن اتساع الكون المتواصل، قال لهم:
﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^(٣).

وفي عصر كان علماءه يتخيّلون أنّ الأجسام الفلكية غير قابلة للخرق
والالتام، ولا يتصوّرون نفوذ الإنسان فيها قال: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ
أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾^(٤).

إلى غير ذلك من الحقائق الكثيرة التي قدّمها القرآن عن الإنسان والطبيعة
والكون، التي لم تكن معروفة في عصر نزوله، أو كانت مردودةً أو مستغرّبة، ثمّ
انكشفت أنّها صحيحة، ممّا يدلّ على أنّ هذا القرآن من عند العليم الحكيم سبحانه.

إعجاز القرآن بجاذبته الفريدة

إنّ كلّ إنسان منصف عارف بلغة القرآن يعترف بأنّ في القرآن روحاً خاصّة
وجاذبية لا توجد في أيّ نصّ آخر، وأنّ النسبة بين أيّ نصّ - مهما كان بليغاً
ومتوفراً على جميع معايير البلاغة من لطائف علم المعاني والبيان والبديع - وبين

(١) سورة الحجر: ٢٢.

(٢) سورة الأنبياء: ٣٠.

(٣) سورة الذاريات: ٤٧.

(٤) سورة الرحمن: ٣٣.

القرآن، كالنسبة بين الزهور الصناعية والطبيعية، أو بين التمثال الحجري والإنسان الحقيقي!

عدم الاختلاف في القرآن

لا شك أنّ أعمال الإنسان وأقواله في مراحل عمره ليست على مستوى واحد، لأنّ فكره وعلمه يتكامل، وكلّ عالم تختلف آثاره العلمية في مراحل حياته، مهما كان متخصصاً في علم من العلوم، وكانت وسائل تمرّك أفكاره متوفّرة عنده، لأنّ تحوّل الفكر يستتبعه تحوّل آثاره.

والقرآن الكريم كتابٌ يشتمل على علوم متعدّدة، من معرفة المبدأ والمعاد وآيات الآفاق والأنفس، وعلاقة الإنسان بالخالق، وتكاليفه الفردية والاجتماعية، وقصص الأمم الماضية، وأحوال الأنبياء عليهم السلام.

وقد تلاه على الناس رجلٌ أمّي لم يدرس عند أستاذ، خلال ثلاثٍ وعشرين سنة تقريباً، وكان يعيش في ظروفٍ صعبة اجتمعت فيها جميع عوامل تشتتّ الذهن، من أذى المشركين في مكّة، ثمّ الحروب المتواصلة معهم، والابتلاء بكيد المنافقين ومكرهم.

وإذا أخذنا في الاعتبار طول هذه المدّة وكثرة تلك العوامل، لعلمنا أنه لو كان مثل هذا الكتاب منقطعاً عن الرحمن الذي علّم القرآن لكان مشتتلاً على اختلافات كثيرة، ولكننا لانجد في القرآن أدنى تفاوتٍ أو اختلاف! وهذا يدلّ دلالةً قطعية على أنه نزل من أفقٍ أعلى من فكر الإنسان وحالاته المتفاوتة، وأنه مقام الوحي المقدّس عن الجهل والغفلة، «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا»^(١).

(١) سورة النساء: ٨٢.

معجزة التربية العملية بالقرآن

إذا ادعى أحد التفوق في الطبّ على جميع الأطباء في العالم، فإنه يوجد طريقان لإثبات دعواه:

الأول: أن يأتي بكتاب في الطب، فيه علل الأمراض والأدوية والتداوي... بحيث لا يوجد نظيره في الكتب الطبيّة.

والثاني: أن يستطيع معالجة مريض قد استولى المرض على جميع أعضائه وقواه حتى أشرف على الموت، وقد عجز الأطباء عن معالجته، فعوفي على يده وعادت إليه السلامة الكاملة.

والأنبياء ﷺ هم أطباء عقول البشر وأرواحهم، والمعالجون للأمراض التي تطرأ للإنسان بما هو إنسان، ونبينا محمد ﷺ صفة هؤلاء الأطباء وأرقاهم، والدليل العلمي على ذلك هو القرآن الكريم، هذا الكتاب الذي لا نظير له في بيان علل الأمراض الفكرية والأخلاقية والعملية للفرد والمجتمع وبيان علاجها، وفيما قدّمناه من نماذج هدايته النظرية كفاية.

ومن ناحية عملية: نزل القرآن في مجتمعٍ مصابٍ بأسوأ الأمراض الإنسانية، وقد وصل فيه الإنحطاط الفكري إلى حدٍّ تتخذ كل قبيلة صنماً لها، فتجعله إلهها الخاص! بل كانت العائلة تتخذ صنماً لها، وربما تصنعه من التمر فتعبده وتسجد له صباحاً، ثم عندما تجوع، تأكل إلهها!

فجاء القرآن وعالج آفات أفكارهم، بحيث حمدوا خالق الكون بأنه ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ

عَلِمَهُ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ^(١)، فخرّوا له سجداً وقالوا: (سبحان ربّي الأعلى وبحمده).

وفي مجال العاطفة الإنسانية، نلاحظ أنّ المجتمع الذي بُعث فيه النبي ﷺ كان يتّصف بقسوةٍ شديدةٍ جعلتهم يئدون بناتهم ويدفنونهنّ وهنّ أحياء! (٢)، فأحيا فيهم العواطف الإنسانية، بحيث تحوّلوا إلى أرحم أمّة فاتحة، فعندما فتحوا مصر رأوا حمامةً بنت عشها على خيمة من خيام معسكرهم، ولما أرادوا أن يرحلوا تركوا لها الخيمة حتّى لا يخرب عشها، (ويقال لها الفسطاط ايضاً)، ثمّ سمّوا المدينة التي بنوها هناك باسم الخيمة (فسطاط مصر) (٣).

وأزال تطاول الأغنياء على الفقراء إلى درجة أنه اتّفق أنّ رجلاً غنياً نظيف الثياب كان في مجلس رسول الله ﷺ، فجاء فقير فجلس إلى جنبه، فجمع الغني ثيابه من جانبه، فقال له النبي ﷺ: أخفت أن يمسك من فقره شيء؟ قال: لا، قال: فخفت أن يصيبه من غناك شيء؟ قال: لا، قال: فخفت أن يوسخ ثيابك؟ قال: لا. قال: فما حملك على ما صنعت؟

فقال: يا رسول الله إنّ لي قريناً يزّين لي كلّ قبّيح، ويقبّح لي كلّ حسن، وقد جعلت له نصف مالي.

فقال رسول الله ﷺ للمعسر: أتقبل؟ قال: لا.

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٢) راجع الكافي ج ٢ ص ١٦٢، كتاب الكفر والإيمان، باب البرّ بالوالدين ح ١٨.

(٣) معجم البلدان ج ٤ ص ٢٦٣.

فقال له الرجل: ولم؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك! (١).
 فأية تربية هذه التي غرست روح العطاء في نفس الغني، وغيّرت تكبره إلى
 التواضع! وغرست النظرة البعيدة والهمة العالية في نفس الفقير، وغيّرت ذلته إلى
 العزة!

استطاعت تربية القرآن أن تزيل تسلط القوي على الضعيف، كما نرى في قصة
 مالك الأشتر التالية:

فقد ورثت الدولة الإسلامية سلطان امبراطورية الروم والفرس، وكان مالك
 الأشتر القائد العام لقوات أمير المؤمنين عليؑ، وذات يوم كان مالك مجتازاً سوق
 الكوفة وعليه قميص خام وعمامة منه، فرآه بعض السوق فسخر من زيّه، فرماه
 ببندقة تهاوناً به، فمضى ولم يلتفت! فقيل له: ويلك أتدري من رميت؟! فقال: لا،
 فقيل له: هذا مالك صاحب أمير المؤمنينؑ! فارتعد الرجل، ومضى إليه ليعتذر
 منه، فرآه وقد دخل مسجداً وهو قائم يصلي، فلما انفتل أكبَّ الرجل على قدميه
 يقبلها، فقال له: ما هذا الأمر؟! فقال: أعتذر إليك ممّا صنعت، فقال: لا بأس
 عليك، فوالله ما دخلت المسجد إلا لأستغفرن لك! (٢).

لقد كان أثر التربية القرآنية على مالك أن غرور المنصب الكبير لم يسلبه
 خضوع العبد المؤمن للحَيِّ القيوم عزّ وجلّ، وأن يجازي ذلك الذي أهانه - وهو
 مضطرب لا يدري ماذا سيلاقى من العقوبة - بأفضل الخيرات، بأن شفع له إلى الله
 تعالى، وطلب أن يغفر له!

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٦٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٢ ص ١٥٧ ح ٢٥، تنبيه الخواطر المعروف بمجموعة ورام ج ١ ص ٢.

هذه هي التربية التي أزلت الفوارق القومية الراسخة في النفوس، ومنها التعصّب القومي بين العرب والفرس وغيرهم، فعندما اعترض بعضهم على جلوس سلمان الفارسي وأمثاله في مجلس النبي إلى جانب شخصيات قبائل العرب، وطلبوا من النبي أن يجعل لهم مجلساً خاصاً، أجابهم ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعُ مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبِعْ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(١)، فصار سلمان أميراً على المدائن، وكان عطاؤه خمسة آلاف، وإذا خرج عطاؤه تصدّق به، وكان يأكل من عمل يده، وكانت له عبادة يفرش بعضها ويلبس بعضها.^(٢)

كما استطاعت أن تزيل فوارق العرق واللون، فصار بلال الغلام الأسود المؤذّن الخاص للنبي ﷺ وصاحبه المقرب، وعندما اعترض بعض زعماء قريش قائلاً: (أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذّناً!)^(٣)، كان جواب النبي لهم بقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٤).

وقد غرس القرآن دوحه جذورها العلم والمعرفة، وجذعها الاعتقاد بالمبدأ والمعاد، وفروعها الملكات الحميدة والأخلاق الفاضلة، وأزهارها التقوى والورع، وثمارها الأقوال المحكّمة والأفعال المحمودة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ

(١) سورة الكهف: ٢٨، مجمع البيان ج ٦ ص ٣٣٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٩١.

(٣) مجمع البيان ج ٩ ص ٢٢٦ في تفسير الآية المذكورة.

(٤) سورة الحجرات: ١٣.

مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أكلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا^(١).

**

بهذا التعليم وهذه التربية بالقرآن، أثمرت شجرة الإنسانية بعمل النبي ﷺ، وقدّم أعلى ثمراتها الفريدة إلى البشرية، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام.
ويكفي من موسوعة فضائله العلمية والعملية بعض سطور:
لقد اقتضى أدبه عليه السلام أن لا يظهر علمه ومعرفته في زمن النبي ﷺ، فكان قرأً تحت شعاع الشمس.

ثمّ واجه بعد النبي ﷺ ظروفاً كان معها في محاق الاضطهاد ممنوعاً من أن تشرق أشعة أنواره على الأمة.

ثمّ في مدّة الخمس سنوات - تقريباً - التي حكم فيها، ابتلي بحروبٍ صعبة، حرب الجمل، وصفين، والنهروان!

لكن في هذه الفرصة القليلة كان عليه السلام إذا أسندت له وسادة الكلام، نطق بما هو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق - على حدّ تعبير ابن أبي الحديد -^(٢).

ومن تأمل في حقائق خطبته الأولى من نهج البلاغة في معرفة الله تعالى، ولطائف خطبته في أوصاف المتّقين، وسياسة النفس، وما أودع في عهده إلى مالك الأشر من قواعد إدارة المجتمع وسياسة المدن، يرى أنه بحر محيط في الحكمة النظرية والعملية، مع أنّ هذه الروائع الثلاث ماهي إلاّ قطراتٌ من ذلك البحر المتلاطم بأموج العلم والمعرفة والفصاحة والبلاغة!

كان إذا قدم إلى الحرب لم يشهد التاريخ شجاعاً مثله، كان يلبس درعاً لا يظهر

(١) سورة إبراهيم: ٢٤ - ٢٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٤.

له^(١)، وفي ليلة واحدة تواصل فيها القتال إلى الصباح أحصوا له خمسمائة وثلاثاً وعشرين تكبيرةً، مع كل تكبيرة كان يجادل عدو الله إلى الأرض^(٢)!

وفي نفس تلك الليلة (ليلة الهيرير) وقف بين الصفين يصلي صلاة الليل، ويؤدّي مراسم العبودية لربه، فأمر أن يبسط له نطع ما بين الصفين، ودخل في صلاته بين يدي ربه، غير مكترث برشق السهام بين يديه وعن جنبه، حتى أكمل نافلته^(٣)، فلم يشغله شيء من ذلك عن العبودية لله كسائر الأوقات!

كان إذا أحجم المسلمون في الحرب، ورهبوا من مبارزة الأبطال كعمرو بن عبدود، تقدّم قائلاً: أنا له يارسول الله، وخطا إليه بخطوات ثابتة، وقلب متصل بالله، فلم يلبث أن ضربه ضربة هاشمية جدّته في التراب، فأعلن النبي ﷺ يومئذٍ: «لمبارزة علي بن أبي طالب لعمر بن عبدود يوم الخندق أفضل من عمل أمّتي إلى يوم القيامة»^(٤).

وعندما أجفل المسلمون أمام يهود خيبر، وانهمزوا أمام رشق سهام المتحصنين في أعلى حصنهم الحصين، وخافوا من هيبه فرسانهم المشهورين مثل مرحب.. تقدّم علي عليه السلام، وواصل هجومه إلى أعلى الجبل وحيداً وهو يدفع سيل

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٨٤ فصل في المسابقة بالشجاعة.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٨٣ فصل في المسابقة بالشجاعة.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٢٣ فصل في المسابقة بصالح الأعمال، شرح نهج البلاغه ابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٧.

(٤) كشف الغمّة ج ١ ص ١٥٠ في بيان أنه أفضل أصحابه، الصراط المستقيم ج ٢ ص ٧٢، الخصال

ص ٥٧٩ أبواب السبعين ج ١ على ما في النسخة المخطوطة، الطرائف ص ٦٠، شرح الأخبار ج ١

ص ٣٠٠ ومصادر أخرى للخاصة.

المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٣٢، تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٩، المناقب ص ١٠٧، كنز العمال ج ١١

ص ٦٢٣، شواهد التنزيل ج ٢ ص ١٤، ينابيع المودة ج ١ ص ٢٨٢ و ٤١٢ ومصادر أخرى للعامّة.

السهم والأحجار من حراس الحصن، حتى وصل إلى باب الحصن فدحاه، وبرز إليه مرحب فقدّه شطرين، وقتل بعده سبعين من فرسانهم، وكبّر معلناً الفتح، فالتحق به المسلمون، وذهل المسلمون واليهود من فعله^(١)!

ذلك البطل الذي ترتعد من هيئته فرائص الأبطال، كان يجمع إلى تلك الشجاعة الخوف والخشية لله تعالى، فكان إذا تهيأ للصلاة تغيّر لونه، وارتعد بدنه، فيسألونه عن ذلك فيقول: «جاء وقت أمانة عرضها الله تعالى على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان...»^(٢).

إن ذلك البطل الذي تقشعر جلود الفرسان من سطوته في ميادين الحرب كان إذا جنّ عليه الليل يتململ تلملم السليم ويقول باكياً: «يادنيا، يا دنيا إليك عني، أبي تعرّضت؟ أم إليّ تشوّقت؟ لا حان حينك هيهات غري غيري لا حاجة لي فيك، قد طلّقتك ثلاثاً لارجعة لي فيها... آه! من قلة الزاد، وطول الطريق وبعُد السفر»^(٣).

وسأله أعرابي شيئاً فأمر له بألف، فقال الوكيل: من ذهب أو فضّة؟ فقال: «كلاهما عندي حجران، فأعط الأعرابي أنفعهما له»^(٤).

وفي أيّ الأمم والشعوب رأيت شجاعة اقترنت بالكرم في ساحة الحرب، حيث قال له مشرك: يا ابن أبي طالب هبني سيفك، فرماه إليه! فقال المشرك:

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٩٣ و ص ٢٩٤ فصل في نواقض العادات منه عليه السلام، و ص ٢٩٨ فصل في معجزاته، وبتفاوت في الإصابة ج ٤ ص ٤٦٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٢٤ فصل في المسابقة بصالح الاعمال.

(٣) نهج البلاغة، باب المختار من حكمه عليه السلام، رقم ٧٧، خصائص الائمة ص ٧١، روضة الواعظين ص ٤٤١، نظم درر السمطين ص ١٣٥، حلية الأولياء ج ١ ص ٨٥، سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٠٠، ينابيع المودّة ج ١ ص ٤٣٨ و مصادر أخرى للخاصة والعامة.

(٤) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١١٨ فصل في المسابقة في الهيبة والهمّة.

عجباً يا ابن أبي طالب في مثل هذا الوقت تدفع إليّ سيفك؟! فقال: «يا هذا إنك مددت يد المسألة إلي، وليس من الكرم أن يردّ السائل»، فرمى الكافر نفسه إلى الأرض وقال: هذه سيرة أهل الدين، فقبّل قدمه وأسلم! (١).

وقال له ابن الزبير: إنّي وجدت في حساب أبي: أنّ له على أبيك ثمانين ألف درهم، فقال له: «إنّ أباك صادق، ففضى ذلك، ثمّ جاءه فقال: غلظت فيما قلت، إنّما كان لوالدك على والدي ما ذكرته لك!

فقال: والدك في حلّ والذي قبضته منّي هو لك» (٢).

وهل رأى الدهر حاكماً امتدّت حكومته من مصر إلى خراسان، فرأى امرأة تحمل قربة ماء، فأخذ منها القربة إلى دارها، وسأل عن حالها، ثمّ قضى ليلته تلك قلقاً ممّا رأى من حال المرأة وبتامها، حتّى إذا أصبح حمل إليهم الزاد، وطبخ لهم الطعام، وجعل يلقّم الصبيان، فلما عرفته المرأة واعتذرت إليه، قال: «بل وا حيائي منك يا أمة الله!» (٣).

وجاء إلى السوق، ومعه غلامٌ له، وهو خليفة، فاشترى قيصين وألبس الغلام أحسنهما ولبس الآخر، ليرضي رغبة الشابّ بحبّ الزينة (٤).

ومن رأى حاكماً تحت يده خزائن الذهب والفضّة، وهو يقول: «والله لقد رقت مدرعتي هذه حتّى استحييت من راقعها؟» (٥).

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٨٧ فصل في المسابقة بالشجاعة.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١١٨. فصل في المسابقة بالهبة والهمة.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١١٥. فصل في حلمه وشفقته.

(٤) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٩٧. فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.

وفي كلّ مرّة يفرغ من تقسيم الغنائم يصليّ ركعتين فيقول: «الحمد لله الذي أخرجني منه كما دخلته»^(١).

وعرض - في زمن خلافته - سيفه في السوق للبيع وقال: «فوالله لو كان عندي ثمن إزار ما بعته»^(٢).

وما أصيب بمصيبة إلاّ صلىّ في ذلك اليوم ألف ركعة، وتصدّق على ستّين مسكيناً، وصام ثلاثة أيّام^(٣).

وقد أعتق ألف مملوك من كديده^(٤).

وعندما خرج من الدُّنيا كان عليه دين ثمانمائة ألف درهم!^(٥).

وذات ليلة جاء إلى بيت ابنته ليفطر عندها، فما كان على مائدة بنت الحاكم للدولة المترامية الأطراف إلاّ قرصان من خبز الشعير، وقصعة فيها لبن وملح جريش، فقال: «يا بنية أتقدمين إلى أبيك إدامين في فرد طبق واحد؟» فأفطر بالخبز والملح وما شرب اللبن، لئلا تكون مائدة طعامه أكثر ألواناً من ضعاف رعيته^(٦)! وأين رأيت في التاريخ حاكماً يملك دولة ممتدّة من خراسان إلى مصر، يضع لنفسه ولحكّام ولاياته برنامج سلوكيّ كالذي سجّلته رسالته عليه السلام إلى عثمان بن حنيف

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٩٥، فصل في المسابقة بالزهد والقناعة، أنساب الأشراف ص ١٣٤.

(٢) كشف المحجّة ص ١٢٤ فصل ١٤١، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ٥٥، مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٩٧ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة، ومصادر أخرى للخاصّة.

ذخائر العقبى ص ١٠٧، مصنف ابن أبي شيبة ج ٨ ص ١٥٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٠٠، الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٣٨ ومصادر أخرى للعامّة.

(٣) الدعوات ص ٢٨٧ في مستدركاته.

(٤) المحاسن ج ٢ ص ٦٢٤ كتاب المرافق ب ١٠ ح ٨٠، الكافي ج ٥ ص ٧٤.

(٥) كشف المحجّة ص ١٢٥ فصل ١٤١.

(٦) بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٢٧٦.

حاكم البصرة، حين قد بلغه أنه دُعي إلى وليمة ثريٍّ من أهلها فأجاب إليها، فكتب له:

«أما بعد يا ابن حنيف، فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان! وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قومٍ عائلهم مجفوّ، وغنيهم مدعوّ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه.

ألا وإنّ لكلّ مأمومٍ إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه.

ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه.

ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورعٍ واجتهاد، وعقّةٍ وسداد، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادّخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، [ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه إلا كقوت أتان دبّرة، ولهي في عيني أوهى من عفصة مقرة]». إلى أن قال: «ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القزّ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع...»^(١).

إنّ الحكومة الإسلامية تتجلّى في مرآة وجود حاكم كان مركز حكمه بالكوفة، وكان يمنعه احتمال وجود من لا عهد له بالشبع بالحجاز أو اليمامة من أن يمدّ يده إلى لذيذ الطعام، ولا أعدّ لبالي ثوبه طمراً، ولا حاز من أرض الدنيا شبراً، وهكذا كان قوته وملبسه ومسكنه في الدنيا، لئلا يكون أحسن معيشةً من أفقر أفراد رعيته. لقد طبّق الإسلامُ العدالة في أطراف مملكته، بحيث أنه لما رأى درعه عند يهودي،

(١) نهج البلاغة: الرسالة رقم ٤٥.

وقال له: «درعي سقطت عن جمل لي أورك». فقال اليهودي: درعي وفي يدي، ثم قال له اليهودي: بيني وبينك قاضي المسلمين، فأتوا شريحاً، فلما رأى علياً قد أقبل تحرّف عن موضعه وجلس عليّ فيه، ثم قال عليّ: «لو كان خصمي من المسلمين لساويته في المجلس...» ثم قال لليهودي: «خذ الدرع» فقال اليهودي: أمير المؤمنين جاء معي إلى قاضي المسلمين ففضى عليه ورضي، صدقت والله يا أمير المؤمنين أنها لدرعك سقطت عن جمل لك التقطتها، أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، فوهبها له عليّ وأجازه سبعمائة وقتل معه يوم صفين^(١).

ولما بلغه أنّ امرأة معاهدة انتزع خلخالها في غارة على بلدها، لم يصبر على هذا الظلم ونقض القانون، وقال: فلو أنّ امرءاً مسلماً مات من هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان عندي به جديراً^(٢).

ورأى في الطريق شيخاً يستعطي، فقال: «ما هذا؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين نصراني، فقال: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعموه! أنفقوا عليه من بيت المال»^(٣).

وكان في مقام رعاية حقوق الخلق بحيث لو أعطى الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، على أن يسلب جلب شعيرةٍ من نملة ما فعل!^(٤).

(١) حلية الأولياء ج ٤ ص ١٣٩، وبتفاوت في السنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ١٣٦، وفي لسان الميزان ج ٢ ص ٣٤٢، سبل السلام ج ٤ ص ١٢٥، وغيرها من مصادر العامة.
وبتفاوت في مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٧٣، وأتى بصدر القصة في المبسوط ج ٨ ص ١٤٩ وفي غيرهما من مصادر الخاصة.

(٢) الكافي ج ٥ ص ٥، باب فضل الجهاد ج ٦ - نهج البلاغة خطبة ٢٧.

(٣) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٢٩٢.

(٤) نهج البلاغة الخطبة رقم ٢٢٤.

وفي مقام رعاية حق الخالق يقول: «إلهي ما عبدتك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»^(١).

**

نعم، هكذا ربّي رسول الله ﷺ علياً عليه السلام، وعندما ارتضى تربيته قال عنه: «أنا أديب الله، وعلي أديبي»^(٢).

لقد استطاع بهذه التربية أن يقدم للبشرية قدوة إنسانية كاملة، مزج الصلابة في ميدان الحرب برقة قلب تنحدر بها دموعه على خديه لمنظر يتيم محروم! واستطاع أن يرفع مستوى الإنسانية إلى درجة تتحرّر فيها من قيود جميع المنافع الدنيوية المحدودة والأخروية غير المحدودة، وتتمحض فيها لعبودية رب العالمين!

ثمّ لم يكن هذا الإخلاص من أجل نفعه، بل من أجل أنه آمن بأنّ ربّه أهلّ للعبادة فعبده!

لقد جمع النبي ﷺ في شخصيته تلميذه، بين حرية وعبودية، هي المقصد النهائي من خلق الإنسان والكون، فقد أفنى رضاه وغضبه في رضا خالقه وغضبه، حتّى لم يعد له رضاءً وغضباً!

وقد شهد على ذلك مبيته على فراش النبي عند هجرته^(٣)، وضربته يوم

(١) عوالي اللئالي ج ١ ص ٤٠٤.

(٢) مكارم الأخلاق: ١٧.

(٣) كشف الغمّة ج ١ ص ٨٢ ما جاء في إسلامه وسبقه وص ٣١٠ في الآيات النازلة فيه عليه السلام، تفسير

العبّاشي ج ١ ص ١٠١، المناقب ص ١٢٦، كشف اليقين ص ٣٠ ومصادر أخرى للخاصّة.

مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٣١ وص ٣٤٨، المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٣٣، مجمع

الزوائد ج ٩ ص ١٢٠، شرح نهج البلاغه ابن ابي الحديد ج ١٣ ص ٢٦٢ ومصادر أخرى للعمامة.

الخندق التي روي عن النبي ﷺ أمها تعدل عمل الثقلين! (١).
 أليس من حق ذلك الرجل ﷺ، الذي عمل في أرض جزيرة العرب
 القاحلة، في مدة قصيرة، وفي تلك الظروف الصعبة، فأنشأ تلك الأمة، وغرس
 شجرة الإنسانية، وأنتج سيّد ثمارها علياً عليه السلام، وقدمه إلى دنيا البشرية، أن يقول:
 أنا أكبر بستاني للإنسانية!

وهل يوجد في الدنيا تعليمٌ وتربيةٌ أعظم من تربية علي أمير المؤمنين عليه السلام؟!

**

بقطع النظر عن معجزات النبي ﷺ، التي لا يتسع لها هذا الموجز، ألا يوجب
 العدل والإنصاف لمن كان بعيداً عن الهوى والتعصب، أن يؤمن بنبوّة هذا الرسول
 ودينه، الذي استطاع أن يوصل البشرية إلى مثل هذه التربية العلمية والعملية
 -التي ذكرناها باختصار- وهي منتهى كمال الإنسانية؟

وهل ما يطلبه العقل والفطرة الإنسانية من الدين، سوى ما يوجد في هذا
 الدين والمنهج؟! وهل يوجد تعليمٌ وتربيةٌ أعظم من هذه التربية للإنسان، في المجال
 الشخصي والاجتماعي؟

وهل يوجد دين أولى بأن يكون خاتم الأديان، ورسول يكون خاتم الرسل
 غير الإسلام، ورسوله ﷺ؟!

وهذا هو الإيمان بخاتمية نبي الإسلام، وأبديّة شريعته ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا
 أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمًا﴾ (٢).

(١) عوالي اللئالي ج ٤ ص ٨٦، مشارق الأنوار ص ٣١٢ وراجع صفحة ١٠٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٠.

أشعة من حياة رسول الله ﷺ

ونستضيء ببعض الأضواء الوهاجة من شمس حياته الساطعة، التي هي بذاتها دليل على رسالته ونبوته ﷺ .

عندما أعلن النبي ﷺ دعوته، خافت قبائل قريش أن يطيعه الناس، فبادروا إلى التهديد والتطميع، وجاءوا وفداً إلى عمه أبي طالب وقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سفّه أحلامنا، وسبّ آهتنا، وأفسد شبابنا، وفرّق جماعتنا، فإن كان يحمل على ذلك العدم جمعنا له مالاً فيكون أكثر قريش مالاً، ونزووجه أيتمة امرأة شاء من قريش، حتى وعدوه بالملك والسلطنة.

فكان جوابه ﷺ: «لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما أردته»^(١).

ولمّا رأوا أنّ التطميع لم يؤثّر فيه ﷺ، وأنه ماضٍ في أمره غير عابئ بتطميعهم، عمدوا إلى التهديد والإيذاء، ومن نماذج ذلك: أنّهم كانوا عندما كان يقف النبي للصلاة في المسجد الحرام يرسلون أربعة من بني عبد الدار القادة العسكريين لقريش، اثنين إلى يمينه يصفّران، واثنين إلى يساره يصفّقان بأيديهما ليؤذياه بذلك ويشوشا عليه صلاته!^(٢).

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ٢٢٨ ذيل آية ٤ من سورة ص .

(٢) مجمع البيان ج ٤ ص ٤٦٣ ذيل آية ٣٥ من سورة الأنفال .

و ذات يوم وهو في طريقه إلى المسجد رموا على رأسه التراب، أو هو ساجد فطرحوا عليه رحم شاة، فأنته ابنته وهو ساجد لم يرفع رأسه، فرفعته عنه ومسحته! (١).

وبعد وفاة عمّه وناصره أبي طالب، اشتدّ البلاء وزاد أذى قريش له، ففي تلك الظروف الخطيرة قصد النبي قبيلة ثقيف بالطائف وعرض عليهم أن يحموه حتى يبلغ رسالة ربّه، ولكنهم أبوا ذلك، وتهزؤوا به، ووجهوا عليه سفهاءهم وغلماهم، ففعدوا له صقّين على طريقه، فلما مرّ رسول الله بين صقّيهم جعلوا لا يرفع رجله ولا يضعها إلا رضخوهما بالحجارة، حتى أدموا رجله، فخلص منهم وهما يسيلان دماً، فعمد فجاء إلى حائط من حيطانهم، فاستظلّ في ظلّ نخلة منه وهو مكروبٌ موجعٌ تسيل رجلاه دماً، فإذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله، فلما رآياه أرسلا إليه غلاماً لهما يدعى عداس معه عنب وهو نصراني من أهل نينوى، فلما جاءه قال له رسول الله: من أيّ أرض أنت؟ قال: من أهل نينوى. قال: من مدينة العبد الصالح يونس بن متى؟ فقال له عداس: وما يدريك من يونس بن متى؟ فقال: أنا رسول الله، والله تعالى أخبرني خبر يونس بن متى، فلما أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس خرّ عداس ساجداً لله، ومعظماً لرسول الله، وجعل يقبّل قدميه وهما تسيلان بالدماء (٢).

وقد آذوا أصحابه بأنواع الأذى، فمنها أنهم كانوا يطرحون بلائاً تحت حرارة الشمس، ويضعون على صدره حجراً ثقيلاً ويطلبون منه أن يكفر، فكان يردّد:

(١) تفسير العياشي ج ٢ ص ٥٤، ح ٤٣، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَأْكُورِينَ﴾ سورة آل عمران: ٥٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٦٨، مجمع البيان ج ٩ ص ١٥٤ ذيل آية ٣٠ من سورة الأحقاف، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٨١.

أحدُّ أحدًا! (١).

وعذبوا سمية أمَّ عمَّار العجوز لكي ترجع عن دينها وتكفر، فلم تفعل فقتلواها! (٢).

ومع كلِّ هذا الأذى، ففي بعض الظروف طلب منه بعض أصحابه أن يدعو على قومه فقال «إنما بعثت رحمةً للعالمين» (٣) وكان يدعو لقومه «اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون» (٤)!

فكان يريد لهم من الله الرحمن بدل العذاب، رحمةً لا يتصوّر فوقها رحمة، وهي نعمة الهداية، وأضاف القوم إلى نفسه بقوله: «قومي» ليصونهم بذلك من عذاب الله، ويكون شافعاً لهم عنده بدلاً من أن يشكّوهم إليه، ويعتذر لهم بأنهم لا يعلمون.

وكانت معيشته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزهد والتقشّف، فكان طعامه خبز الشعير، وما كان يأكل منه بقدر الشبع (٥).

وقد جاءت إليه الصديقة الكبرى - في غزوة الخندق - ومعها كسرة [كسيرة] من خبز، فدفعتها إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما هذه الكسرة [الكسيرة]؟ قالت: قرصاً خبزتها للحسن والحسين جئتك منه بهذه الكسرة [الكسيرة]، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا فاطمة أما إنه أوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث! (٦).

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ١٤٨. تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٥٣.

(٢) إعلام الوری ج ١ ص ١٢٢ الفصل الخامس في ذكر ما لقي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذى المشركين ...

(٣) بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٤٣.

(٤) الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٦٤، الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨.

(٥) الأمالي للصدوق ص ٣٩٨، مكارم الأخلاق ص ٢٨.

(٦) عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَام ج ٢ ص ٤٠ باب ٣١ ح ١٢٣.

ولم يكن تقشّفه كذلك بسبب قلة ذات يده، فقد كانت تصل إليه - في نفس تلك الأيام - الأموال فيقسمها ويهب ويتصدّق، حتّى أنه كان يعطي لشخص واحد مئة بعير! (١).

وقد فارق الدنيا وما ترك ديناراً ولا درهماً ولا غلاماً ولا أمةً، ولا شاة ولا بعيراً، وكانت درعه مرهونةً عند يهودي على عشرين صاعاً من شعير، اشتراها لقوت عياله! (٢).

ولا بدّ من التأمّل في نقطتين:

الأولى: لا شك أنّ اليهودي لم يكن يطلب من النبي ﷺ الوثيقة، لمكانته وأمانته، لكنّه ﷺ قصد أن يراعي قانون الرهن عند عدم كتابة الدين، ليكون المال وثيقة عند الدائن، حتّى لو كان الدائن يهودياً، والمدين أكبر شخصية في الإسلام.

الثانية: أنه كان في تناول النبي ﷺ أطيب الأطعمة والذّها، لكنّه اكتفى إلى آخر عمره الشريف بخبز الشعير، حتّى لا يكون طعامه أحسن من طعام أضعف رعيته!

نموذج من إيثار النبي ﷺ

إنّ مكانة فاطمة الزهراء سلام الله عليها معلومة عند الخاصّة والعامة، فإن كتب الفريقين مشحونة بفضائلها، كما يأتي، وقد قامت في محرابها حتى تورم قدمها (٣) تأسياً بأبيها، وكانت مع استغراقها في عبادة الله تقوم بإدارة بيت وليّ الله

(١) بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٧٠، السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٩٢٩.

(٢) قرب الاسناد ص ٩١.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٤١.

وتربية أبناء رسول الله، حتى أن النبي ﷺ دخل عليها ذات يوم فرآها تطحن بالرحى وترضع ولدها فدمعت عيناه^(١).

ورآها عليّ ﷺ وقد استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، فقال لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك ضرّاً ما أنت فيه. وجاءت الى أبيها فاستحت، وانصرفت، فعلم النبي ﷺ أنّها جاءت لحاجة، فجاءها وسألها عن حاجتها، وأخبر عليّ ﷺ رسول الله ﷺ بما أصابها من الضرّ والضرر الشديد.

قال ﷺ: أفلا أعلمكما ما هو خير لكما من الخادم، إذا أخذتما منامكما فسبّحاً ثلاثاً و ثلاثين و احمداً ثلاثاً و ثلاثين، و كبراً أربعاً و ثلاثين، قال: فأخرجت فاطمة رأسها فقالت: رضيت عن الله و رسوله ثلاث دفعات.^(٢)

ذلك الأب الذي كان متمكناً أن يملأ بيت ابنته ذهباً وفضة ويستخدم لها عبيداً وإماءً، ولا يردّ عن بابه ذا حاجة إلاّ بقضاء حاجته، أمسك عن استخدام خادمة

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٤٢، مكارم الأخلاق ص ١١٧.

(٢) علل الشرايع ج ٢ ص ٣٦٦ باب ٨٨ علّة تسييح فاطمة ﷺ و بتفاوت في من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢١١، مكارم الأخلاق للطبرسي ص ٢٨٠، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٤١، و مصادر أخرى للخاصّة.

ذخائر العقبى ص ٤٩، مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٨٠ و ٩٦ و ١٠٦ و ١٣٦ و ١٤٦ و ١٥٣، صحيح البخارى ج ٤ ص ٤٨ و ج ٦ ص ١٩٣ كتاب التفقات باب خادم المرأة و ج ٧ ص ١٤٩ كتاب الدعوات باب التكبير و التسييح عند المنام، صحيح مسلم ج ٨ ص ٨٤، سنن أبي داود ج ٢ ص ٣٠، المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ١٥٢، السنن الكبرى للبيهقى ج ٧ ص ٢٩٣، مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٠٠، مسند أبي يعلى ج ١ ص ٤١٩، نظم درر السمطين ص ١٨٩، تهذيب الكمال ج ٢١ ص ٢٥٣، مسند أبي داود الطيالسى ص ١٦ و مصادر أخرى للعامة.

لسيدة نساء العالمين، التي كانت بضعة منه، ويريبه ما أرابها^(١)، في مثل هذه الحاجة الملحة لبنته التي هي أحب الخلق إليه، إيثاراً لفقراء أمته على مهجة قلبه.

هكذا كانت سيرة الذي بعثه الله لأن يربي أمته بقوله تعالى ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٢)

نماذج من تعامله وأخلاقه ﷺ

كان ﷺ يجلس على الأرض^(٣).

ويأكل مع العبيد، ويسلم على الصبيان^(٤).

وكان يأكل أكلة العبد، ويجلس جلسة العبد^(٥).

مرّت به امرأة بدوية وكان يأكل وهو جالس على الأرض، فقالت: يا محمّد، والله إنك لتأكل أكل العبد، وتجلس جلوسه. فقال لها رسول الله: ويحك أيّ عبدٍ أعبد منّي؟^(٦).

وكان يُرّقع ثوبه^(٧).

ويجلب عنز أهله، ويجيب دعوة الحرّ والعبد^(٨).

(١) فضائل الصحابة ص ٧٨، مسند أحمد ج ٤، ص ٣٢٨، صحيح البخارى ج ٦ ص ١٥٨ و سياتى بعض المصادر المذكورة في صفحة ١٩٣.

(٢) سورة الحشر: ٩.

(٣) الأمالي للشيخ الطوسي ص ٣٩٣.

(٤) الأمالي للصدوق المجلس السابع عشر ح ٢، ص ١٣٠.

(٥) المحاسن ص ٤٥٦ باب ٥١ ح ٣٨٦.

(٦) المحاسن ص ٤٥٧ باب ٥١ ح ٣٨٨، الكافي ج ٢ ص ١٥٧.

(٧) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٤٦.

(٨) المصدر السابق.

ويعود المرضى في أقصى المدينة^(١).
 ويجالس الفقراء، ويؤاكل مع المساكين^(٢).
 وكان إذا صافحه أحد لم يجريده من يده حتى يتركها الآخر^(٣).
 ويجلس حيث ينتهي به المجلس^(٤).
 ولا يثبت بصره في وجه أحد^(٥).
 يغضب لرّبّه ولا يغضب لنفسه^(٦).
 وأتاه رجل يكلمه فأرعد، فقال له: هوّن عليك، فلست بملك، إنّما أنا
 ابن امرأة كانت تأكل القدّ^(٧).
 وقال خادمه أنس بن مالك: خدمت النبي ﷺ تسع سنين، فلم أعلمه قال
 لي قط هلاًّ فعلت كذا وكذا؟ ولا عاب عليّ شيئاً قطّ^(٨).
 بينما هو ﷺ ذات يومٍ جالس في المسجد إذ جاءت جاريةٌ لبعض الأنصار
 وهو قائم، فأخذت بطرف ثوبه، فقام لها النبي ﷺ، فلم تقل شيئاً، ولم يقل لها
 النبي شيئاً، حتى فعلت ذلك ثلاث مرّات، فقام لها النبي في الرابعة وهي خلفه،
 فأخذت هدبة من ثوبه، ثم رجعت!

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٤٧.

(٤) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٤٦.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) مكارم الأخلاق ص ١٦ الفصل الثاني في نبذ من أحواله.

(٨) المصدر السابق.

فقال لها الناس: فعل الله بك وفعل، حبست رسول الله ثلاث مرّات، لا تقولين له شيئاً ولا هو يقول لك شيئاً! ما كانت حاجتك إليه؟! قالت: إنّ لنا مريضاً فأرسلني أهلي لآخذ هديّةً من ثوبه، ليستشفي بها، فلمّا أردت أخذها رأيتني فقام فاستحييت منه أن آخذها وهو يراني، وأكره أن أستأمره في أخذها، فأخذتها^(١).

وهذه الحادثة تدلّ على اهتمامه ﷺ بكرامة الإنسان لأنه ﷺ تفتنّ إلى حاجة الجارية وكرامتها للسؤال، وقام من مكانه أربع مرّات من أجل قضاء حاجتها، ولم يستنطقها لئلا تقع الجارية في ذلّ السؤال، فالذي يحافظ على حرمة جارية وكرامتها، بهذه الدقّة والأدب، إلى أيّ حدّ تكون قيمة الإنسان وكرامته في نظره؟!

وفي الوقت الذي كان اليهود يعيشون في دولته على العهد والذمّة، وكان هو في أعلى درجات القدرة، كان لأحدهم على رسول الله ﷺ دنائير فتقاضاه، فقال له: يا يهودي ما عندي ما أعطيك. فقال: فإنّي لا أفارقك يا محمّد حتّى تقضيّني! فقال: إذاً اجلس معك، فجلس معه حتّى صلّى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة!

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتهدّدونه ويتواعدونهم، فنظر رسول الله ﷺ إليهم فقال: ما الذي تصنعون به؟ فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك؟ فقال: لم يبعثني ربّي عزّ وجلّ بأن أظلم معاهداً، ولا غيره.

فلمّا علا النهار قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمّداً عبده

(١) الكافي ج ٢ ص ١٠٢.

ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلت بك الذي فعلت إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فإنِّي قرأت نعتك في التوراة: محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بطيبة، وليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب، ولا متزيّن بالفحش، ولا قول الخنا. وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وهذا مالي، فاحكم فيه بما أنزل الله، وكان اليهودي كثير المال^(١).

عن عقبه بن علقمة قال: «دخلت على عليّ عليه السلام، فإذا بين يديه لبن حامض آذاني حموضته، وكسرة يابسة، فقلت: يا أمير المؤمنين أتأكل مثل هذا؟! فقال لي: يا أبا الجنوب [الجنود] إنني أدركت رسول الله يأكل أيبس من هذا ويلبس أخشن من هذا، وإن [أنا] لم آخذ بما أخذ به رسول الله صلى الله عليه وآله خفت أن لا ألحق به»^(٢).

وقيل لعليّ بن الحسين عليه السلام وكان الغاية في العبادة: «أين عبادتك من عبادة جدّك؟ قال: عبادتي عند عبادة جدّي، كعبادة جدّي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٣). وفي ختام حياته عفى عن قاتله^(٤)، وأظهر بذلك تخلّقه بأخلاق الله تعالى بظهور الرحمة الرحمانية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٥). إن مثل هذا الرسول العظيم يستطيع أن يقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٦).

(١) الأُمالي للصدوق المجلس ٧١ ح ٦، ص ٥٥٢.

(٢) مكارم الأخلاق ص ١٥٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٠١.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٧، بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤٩.

(٤) الكافي ج ٢ ص ١٠٨ كتاب الإيمان والكفر، باب العفوح ٩.

(٥) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٦) مجمع البيان ج ١٠ ص ٨٦.

وَأَنِّي يَتَّبِعُ شَرْحَ فِضَائِلِهِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ لَهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

إِنَّ مَطَالَعَةَ سِيرَةِ فِي حَيَاتِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَسَجَايَاهُ - فَقَطْ - تَكْفِي الْمُنْصَفَ لِأَنَّ يَوْمَ مِنْ بِنبُوَّتِهِ ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^(٢).

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٥-٤٦.

بشائر الأنبياء السابقين بنبينا ﷺ

لقد بشرت الكتب السماوية والأنبياء السابقون ﷺ بنبينا محمد ﷺ، ومع أن أتباعهم حرّفوا كتبهم لكي لا يبقى أثرٌ لتلك البشارة، لكن المتأمل فيما بقي منها تنكشف له الحقيقة. ونكتفي منها بنموذجين:

الأول:

جاء في التوراة - سفر التثنية - الإصحاح ٣٣:

(وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته فقال: جاء الربّ من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلاًلاً من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم).

و(سيناء) محل نزول الوحي على نبي الله موسى، و(سعير) محل بعثة نبي الله عيسى، و(فاران) الذي يتلاًلاً بنور الله تعالى، هي جبال مكّة المكرّمة التي تلاًلات بنور نبوة محمد ﷺ!

وفي سفر التكوين، الإصحاح ٢١، عن إسماعيل وأمّه هاجر: (وكان الله مع الغلام فكبر. وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران. وأخذت له أمّه زوجة من أرض مصر).

ففاران هي مكّة التي سكنها إسماعيل وأبناؤه ومن تلاًلاً من جبل فاران وعن يمينه نارٌ شريعة لهم، هو السراج المنير الذي أرسله الله من جبل حراء ليضيئ سماء

العالم بنور هداية القرآن، ويحرق الكفر والنفاق بنار غضب القهار ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾^(١).

وفي التوراة - سفر حيقوق النبي - الإصحاح الثالث:

(الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السماوات. والأرض امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور. له من يده شعاع. وهناك استتار قدرته.)

فبظهوره ﷺ حدث ذلك الدوي في العالم من جبال مكة بصوت (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) وانتشر في العالم ترديد المسلمين في صلواتهم (سبحان ربي العظيم وبحمده) و(سبحان ربي الأعلى وبحمده).

الثاني:

جاء في إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر:

١٥. إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي.

١٦. وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد.

وفي الإصحاح الخامس عشر:

٢٦. ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من

عند الأب ينبثق، فهو يشهد لي.)

وقد ورد في النسخة الأصلية اسم النبي الذي وعدهم عيسى بأن ربه سوف

يرسله (بارقليطا) أو (بركليطوس) وترجمتها المحمود والأحمد، ولكن المترجمين

غيروها إلى (المعزي)!.^(١)

وهذه الحقيقة ظهرت في إنجيل برنابا، فقد جاء في الفصل الثاني عشر بعد المائة:

(١) سورة التوبة: ٧٣.

«(١٣) فاعلم يا برنابا إنه لأجل هذا يجب التحفظ وسيبيني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة من نقود (١٤) وعليه فإني على يقين من أن من يبيعي يقتل باسمي (١٥) لأن الله سيصعدني من الأرض وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياي (١٦) ومع ذلك فإنه لما يموت شرّ ميتة أمكث في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم (١٧) ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة».

وقد جاءت البشارة بعنوان «محمد رسول الله» في فصول من هذا الإنجيل .
 منها: ما جاء في الفصل التاسع والثلاثين: «(١٤) فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصّها «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله» (١٥) ففتح حينئذ آدم فاه وقال: «أشكرك أيها الربّ. إلهي لأنك تفضّلت فخلقتني (١٦) ولكن أضرع إليك أن تُنبئني ما معنى هذه الكلمات «محمد رسول الله» (١٧) فأجاب الله مرحباً بك يا عبدي آدم (١٨) وإني أقول لك إنك أول إنسان خلقت».
 ومنها: ما جاء في الفصل الواحد والأربعين: «(٣٠) فلما التفت آدم رأى مكتوباً فوق الباب: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

ومنها: ما جاء في الفصل السادس والتسعين: «(١١) حينئذ يرحم الله ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله (١٢) الذي سيأتي من الجنود بقوة وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام (١٣) وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر (١٤) وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به (١٥) وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً».

ومنها: ما جاء في الفصل الواحد والتسعين: «(١) ومع أيّ لست مستحقاً أن أحلّ سير حدائه (٢) قد نلت نعمة ورحمة من الله لأراه».

ويكفي لإثبات بشارات التوراة والإنجيل بنبيتنا محمد ﷺ، أنه دعا اليهود

والنصارى وحكامهم وأحبارهم ورهبانهم وقساوستهم إلى الإسلام، وأعلن رفضه لعقيدة اليهود ﴿عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ﴾^(١) ولعقيدة النصارى ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾^(٢).
وأعلن بكل صراحة بأنه هو الذي بشرت به التوراة والإنجيل ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾^(٣)، ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(٤).

فهل كان يمكنه الإعلان عن هذه الدعوى، وهو غير صادق فيها، أمام أولئك الأعداء الذين كانوا ينتهزون الفرصة للقضاء عليه حتى لا يفقدوا موقعيتهم المادية والمعنوية؟

إنّ الأحبار والقساوسة وعلماء اليهود والنصارى وسلاطينهم الذين توسّلوا بكلّ الوسائل للوقوف أمامه وبذلوا جميع جهودهم للتصدّي له، ورجعوا خائبين مندحرين حتّى في الحرب والمباهلة، كيف سكتوا في مقابل هذه الدعوى المدمّرة، وعجزوا عن مواجهتها وإبطالها؟

إنّ هذا السكوت الفاضح من علماء اليهود والنصارى وأمرائهم، وذلك الإدّعاء الواضح منه ﷺ برهان قاطع على ثبوت تلك البشارات في ذلك الزمان، وأنّهم لم يجدوا بعد ذلك بدءاً من تحريف الكتب، حفظاً لما بأيديهم من حطام الدّنيا وحبّاً للجاه والمقام بين الناس، كما يحدثنا عن ذلك قسيس أسلم في كتابه

(١) سورة التوبة: ٣٠.

(٢) سورة المائدة: ٧٣.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٤) سورة الصف: ٦.

(أنيس الأعلام) و خلاصة كلامه :

إنِّي ولدت بين كنائس أرومية، وفي أواخر أيّام دراستي صرت خادماً عند أحد كبار طائفة الكاثوليك، وكان يحضر درسه أربعمئة أو خمسمئة مستمع، وذات يوم كان التلاميذ يتباحثون فيما بينهم في غياب الأستاذ، وعندما دخلت عليه سألتني: في أيّ شيء كانوا يبحثون؟

قلت له: في معنى كلمة (الفارقليط).

فسألني عن آراء المتباحثين فأخبرته، فقال: الحق غير ما قالوه! ثم أعطاني مفتاح صندوق كنت أتصوّر أنه صندوق فيه كنز له، وقال: في هذا الصندوق كتابان أحدهما باللغة السريانية والآخر باليونانية، وقد كتبا على رق قبل بعثة محمّد، أحضرهما لي.

وعندما أحضرتها أراني الجملة التي فيها كلمة الفارقليط، وقال: هذا اللفظ بمعنى أحمد ومحمّد، وقال لي: لم يكن بين علماء المسيحية خلاف في معنى هذا الاسم قبل بعثته، لكنهم بعد بعثته حرّفوا اسمه!

سألته عن دين النصارى، فقال: هو منسوخ، وطريق النجاة منحصر باتّباع

محمّد ﷺ!

سألته: لما لا تظهر ذلك؟

فقال: إذا أظهرت ذلك سوف يقتلونني.

عندها بكينا كلانا معاً، ثمّ سافرت بهذا الزاد الذي تزودته من أستاذي إلى بلاد المسلمين!.

وكانت مطالعة دينك الكتابين كافيةً لإحداث تحوّل في عقيدة ذلك القسيس، وبعد تشرّفه بالإسلام ألف كتابه أنيس الأعلام في بطلان دين النصارى، وأنّ الدين الحقّ هو الإسلام، وكتابه يدلّ على تتبّعه وتحقيقه في التوراة والإنجيل.

المعاد

المعاد

الإعتقاد بالمعاد مبني على الدليل العقلي و النقلى .

الدليل العقلى

(١)

كلّ عاقل يدرك أنّ العالم والجاهل، والمتخلّق بالأخلاق الفاضلة والمتخلّق بالأخلاق الرذيلة، والمحسن والمسيء في الأقوال والأعمال، ليسا سواء، والتسوية بين الفريقين - فضلاً عن كونه ترجيح المرجوح على الراجح القبيح عقلاً - ظلم وسفاهة.

ومن جهة أخرى، فإنّنا نرى أنّ المحسنين والمسيئين لا ينالون جزاءهم في الحياة الدنيا كما ينبغي، ففتضى العدل والحكمة وجود البعث والحساب، والثواب والعقاب ﴿لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾^(١) على ما يقتضيه ارتباط العمل بالجزاء، فإنّهم لا ينالون جزاء أعمالهم كما ينبغي في هذه الدنيا، فإذا كانت لا توجد دار أخرى يتحقّق فيها الحساب والجزاء والعقاب المتناسب مع عقائد الناس وأعمالهم، لكان ذلك ظلماً.

(١) سورة الجاثية: ٢٢.

إنَّ عدل الله تعالى يستوجب وجود البعث والحساب والثواب والعقاب
 ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ
 كَالْفُجَّارِ﴾^(١)، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
 يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٢)

(٢)

إنَّ الله تعالى حكيم، ولا يصدر عنه سفةٌ وعبثٌ، وهو لم يقتصر في خلق
 الإنسان على تجهيزه بالقوى الضرورية لحياته النباتية والحيوانية، كقوة الجذب
 والدفع، والشهوة والغضب، بل جهّزه بقوى أخرى تقوده إلى التكامل والتحلي
 بالفضائل العلمية والعملية، وترتفع به إلى مستويات عليا، لا يقف فيها عند حدّ،
 بل كلما ترقى في هذا السبيل يتعطّش لما هو أعلى، وقد بعث الله الأنبياء ﷺ هداية
 الإنسان إلى الكمال الذي يكون مفطوراً على طلبه ومجبولاً على أن لا يقف على حدّ
 حتّى ينتهي إلى ما قال سبحانه ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾^(٣).

فلو كان الإنسان مخلوقاً للحياة الحيوانية فقط لكان إعطاؤه العقل الذي لا
 يقتنع إلاّ بإدراك أسرار الوجود لغواً، وخلقته على الفطرة التي لا تطمئن دون آية
 مرتبة من الكمال حتّى يصل إلى مبدأ الكمال الذي ليس له حدّ عبثاً.
 فالحكمة الإلهية توجب أن لا تختتم حياة الإنسان بالحياة المادّية والحيوانية،
 بل تتواصل لتحقيق الهدف الذي خلقت قوى عقله وروحه من أجله ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا

(١) سورة ص: ٢٨.

(٢) سورة الزلزلة: ٦ و٧ و٨.

(٣) سورة النجم: ٤٢.

خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ»^(١).

(٣)

إنّ فطرة الإنسان تحكم بأنّ كلّ صاحب حقّ لا بدّ أن يعطى حقّه، وكلّ مظلوم لا بدّ أن يؤخذ له من ظالمه.

وهذه الفطرة البشرية هي التي تدفع البشر في كلّ عصر - على مختلف أديانهم مهما كانت أفكارهم ومعبوداتهم - إلى تشكيل أجهزة قضائية، ومحاكم لتحقيق العدالة.

ومن ناحية أخرى، نرى أنّ كثيراً من الظالمين والمجرمين يموتون دون أن يقتصّ منهم، ونرى مظلومين يموتون تحت سياط الظالمين ونيران اضطهادهم، لذا فإنّ حكمة الله تعالى وعدله وعزّته ورحمته، تستوجب وجود حياة أخرى تؤخذ فيها حقوق المظلومين من الظالمين «وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفَلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ»^(٢).

(٤)

حكمة الله تعالى تقتضي أن يهيء للإنسان وسيلة وصوله إلى ثمرة وجوده والغرض من خلقته، ولا يتحقّق ذلك إلاّ بأن يأمره بما يوجب سعادته، وينهاه عمّا يوجب شقاءه.

وتنفيذ الأوامر والنواهي الإلهية المخالفة لهوى الإنسان، لا يمكن إلاّ بوجود عاملي الخوف والرجاء في نفسه، وهما لا يتحقّقان إلاّ بالتبشير والإنذار، والتبشير

(١) سورة المؤمنون: ١١٥.

(٢) سورة إبراهيم: ٤٢.

والإنذار يستلزمان وجود ثوابٍ وعقابٍ ونعيمٍ وعذابٍ بعد هذه الدنيا، وإلا كانا تبشيراً وإنذاراً كاذبين، والله تعالى منزّه عن الكذب والقيح.

الدليل النقلى

أجمعت الأديان الإلهية على وجود معاد وحياء آخرة، فقد أخبر بذلك جميع الأنبياء ﷺ، وصدّقهم أتباعهم من أهل الأديان السماوية، فعصمة الأنبياء ﷺ، وحفظ الوحي عن الخطأ، يستوجب الإيمان بالمعاد.

أمّا المنكرون للمعاد والحشر في مقابل الأنبياء، فلا دليل عندهم على عدمه إلا الإستهبعاد المحض لأن يحيى الله العظام وهي رميم، وأن يجمع ذرات الإنسان المتفرقة بعد موته وفنائها، وينشئها مرة أخرى.

وقد غفلوا أو تغافلوا عن أنّ الموجودات الحيّة إنّما خلقت من أجزاء مادّية ميّنة متفرقة، وأنّ العليم الحكيم القدير الذي خلقها أوّل مرة وركّبها من اجزاء ميّنة تركيباً خاصّاً يقبل الحياة، وصورّها بصورة إنسان له أعضاء وقوى مختلفة بلا مثال قبله، قادر على أن يعيد خلقها ثانيةً من ذراتها أينما كانت، وبأيّ شكل صارت! لأنّ أجزاء بدنه أينما كانت وكيفما كانت غير خارجة عن دائرة علم الله وقدرته التي بها خلق الإنسان من دون مثال سابق، بل الخلق الثاني المسبوق بالمثال أهون ﴿قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾^(١)، ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾^(٢).

(١) سورة المؤمنون: ٨٢.

(٢) سورة يس: ٨١.

إنّ الذي يقدر على أن يجعل من الشجر الأخضر ناراً، ويقدر على أن يحيي الأرض في كل ربيع بعد موتها في الخريف، لقادر على أن يحيي الموتى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾^(١)، ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

إنّ القدير الذي يطفى مشعل إدراك الإنسان وعلمه وإرادته في كل ليلة، فيميتته ويسلب منه قدرته واختياره، ثم يوقظه، ويردّ إليه ما أخذه، لقادر بعد أن يطفئه بالموت على أن يضيئه ويحييه ويبعثه إنساناً سوياً، ويعيد إليه معلوماته التي فقدتها «لتموتنّ كما تنامون ولتبعثنّ كما تستيقظون»^(٣)، سبحانه الذي جعل النوم إيقاظاً لمعرفة المعاد والمبدأ الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(٤).

**

(١) سورة يس: ٨٠.

(٢) سورة الحديد: ١٧.

(٣) روضة الواعظين ص ٥٣، الاعتقادات للصدوق ص ٦٤.

(٤) سورة الروم: ٢٣.

الإمامة

الإمامة

لا خلاف بين الخاصّة والعامة في ضرورة وجود الخليفة بعد رسول الله ﷺ،
وإنّما الخلاف في أنه منصوب من قبل الله تعالى أو باختيار من الناس .
قال العامة إنه لا حاجة إلى النصب، بل يتعيّن باختيار الأمة، وقال الخاصّة
بضرورة النصب والتعيين من الله تبارك وتعالى بواسطة النبي ﷺ .
والحكّم في هذا الاختلاف هو العقل والكتاب والسنة .

حكومة العقل

ونكتفي منها بثلاثة وجوه:

الوجه الأول:

لو أنّ شخصاً مخترعاً أسّس مصنعاً ينتج أعلى الجواهر، وكان هدفه أن يستمرّ
المصنع في إنتاجه ولا يتوقّف في حضوره أو غيابه وحياته وبعد موته، وكان في
المصنع أجهزة معقّدة دقيقة، لا يمكن معرفتها إلاّ بأن يعلمّ المخترع أحداً على
خصائصها وتشغيلها .

فهل يمكن أن نصدّق أنّ ذلك المخترع العاقل الواعي، يعلن للناس أنه سوف
يموت في هذه السنة، ثمّ لا يعيّن لإدارة المصنع شخصاً عالماً بأجهزته، قادراً على
تشغيلها واستخدامها للإنتاج، بل يترك اختيار المدير والمهندس لذلك المصنع إلى

أناس ليس لهم معرفة بأحوال تلك الأجهزة ودقائق صنعها وظرافة تشغيلها .
 فهل أن الدقة والظرافة للمعارف والسنن والأحكام الإلهية لجميع مجالات الحياة، التي هي أجهزة مصنع دين الله أقل من أجهزة ذلك المصنع؟!
 وهل أن إنتاجها الذي هو أعلى جواهر الوجود وهو كمال الإنسانية بمعرفة الله تعالى وعبادته، وتعديل شهوة الإنسان إلى العفة، وغضبه إلى الشجاعة، وفكره إلى الحكمة، وإقامة المدينة الفاضلة على أسس العدل والقسط، أقل قدراً من إنتاج مصنع الجواهر؟!

إن الكتاب الذي بعث الله به رسوله ووصفه بأنه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾^(١)، وقال عنه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٢)، وقال عنه: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾^(٣) وضمّنه كلّ ما يحلّ اختلاف الناس على اختلاف مراتبهم ويميّز لهم الحقّ والباطل، يحتاج إلى مبيّن يستخرج منه ما هو تبيان له، ولا بدّ أن يكون محيطاً بالظلمات الفكرية والأخلاقية والعملية، وما يقابلها من النور، حتّى يخرجهم من تلك الظلمات، ويهديهم إلى ذلك النور، ويبيّن لهم الحقّ والباطل فيما اختلفوا فيه؟! ولا مناص من أن يكون عالماً بالحقّ والباطل في كلّ ما اختلف فيه الناس، لكي يبيّن لهم الذي اختلفوا فيه: من أعمق المسائل الأصولية في المبدأ والمعاد - التي ما زالت تشغل أفكار نوابغ العلماء في حلّها - إلى كلّ ما يتبلّى به في المسائل الفرعية كتنازع المرأتين في رضيع تدّعي كلّ واحدة منهما أنّها أمّه.

(١) سورة النحل: ٨٩.

(٢) سورة إبراهيم: ١.

(٣) سورة النحل: ٦٤.

فهل يعقل أن نقول: إنَّ مهمّة هذا القرآن في هداية الناس وتربيتهم وحلّ مشاكلهم ورفع اختلافاتهم قد انتهت برحيل النبي ﷺ؟!
 فهل ترك الله ورسوله هذا الكتاب المبين الذي يتضمّن كلّ ما يحتاج إليه البشر، من دون أن يعيّن له مبيّناً ومفسّراً؟!
 ومن هنا، فإنّ تصوّر حقيقة القرآن الحكيم المنزل من عند العليم الحكيم على النبيّ الذي منّ الله ببعثه على المؤمنين، ليتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، يستلزم التصديق بوجود معلّم إلهي، ومفسّر ربّاني، عنده علم الكتاب الذي أنزله الله تبياناً لكلّ شيء.
 وهل يقبل عاقل أنّ الله ورسوله قد أوكلا تعيين المبينّ لدين الله إلى الذين يجهلون علوم القرآن وأسراره، وقوانين الإسلام وأهدافه؟!

الوجه الثاني:

إنّ الإمامة للإنسان عبارة عن الإمامة والقيادة لعقل الإنسان، لأنّ موضوع بحث الإمامة من يكون إماماً للإنسان، وإنسانية الإنسان بعقله وفكره «دعامة الإنسان العقل»^(١).

ففي نظام خلقه الإنسان تحتاج قواه وأعضاء بدنه إلى توجيه حواسّه، وتحتاج أعصاب حركته إلى أعصاب حسّه، لكن الذي يوجّه الحواس ويميّز صوابها وخطأها، هو عقله، وهذا العقل ذو إدراك محدود، معرّض للخطأ والهوى، فهو يحتاج إلى قيادة عقل كامل محيط بالداء والدواء، وبعوامل نقص الإنسان وتكامله، مصون عن الخطأ والهوى، لكي تتحقّق بإمامته هداية عقل الإنسان.

(١) علل الشرائع ج ١ ص ١٠٣ باب ٩١ ح ٢.

وطريق معرفة هذا الإنسان الكامل المصون عن الخطأ، الصائن نفسه عن الخطأ، إنما هي بتعريف الله تعالى .
من هنا، فإنّ تصوّر حقيقة الإمامة لا ينفكّ عن التصديق بضرورة نصب الإمام من الله تعالى .

الوجه الثالث:

بما أنّ مقام الإمامة مقام حفظ القوانين الإلهية وتفسيرها وتطبيقها، فإنّ نفس الدليل الذي دلّ على ضرورة عصمة النبي المبلّغ للدين ومطبّقه، يدلّ على ضرورة عصمة خليفته المحافظ على الكتاب والسنة والمفسّر لهما ومطبّقهما .
وكما أنّ الخطأ والهوى في المبلّغ يبطل الغرض من بعثته، فكذلك الخطأ والهوى في المحافظ المفسّر والمنفّذ، يوجب ضلال الأمة ونقض الغرض من البعثة، وبما أنّ الأمة لا يمكنها أن تعرف المعصوم، فلا بدّ أن يعرفها إياه الله تعالى ورسوله .

حكومة الكتاب

وللإختصار نشير إلى ثلاث آيات :

الآية الأولى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(١) .

كلّ شجرة لا بدّ أن تعرف بمعرفة أصلها وفرعها، وجذرها وثمرها، وقد ذكر الأصل والفرع لشجرة الإمامة الطيبة في هذه الآية من القرآن الكريم .
فأصل الإمامة أعلى مراتب الكمال العقلي، وهو اليقين بآيات الله سبحانه تكويناً وتشريعاً، كما هو المستفاد من عموم الجمع المضاف، وفرعها أعلى مراتب

(١) سورة السجدة: ٢٤ .

الكمال الإرادي وهو الصبر وحبس النفس عن كلِّ مكروه وعلى كلِّ محبوب لله سبحانه، كما هو المستفاد من إطلاق الصبر عن التقييد بمتعلق خاص، فالجملتان في الآية الشريفة تبينان علم الإمام وعصمته.

وأما ثمرة هذه الشجرة الطيبة فهي الهداية بأمر الله التي لا تبيس إلا لمن يكون واسطة بين عالم الخلق والأمر.

وهذه الثمرة من تلك الشجرة الطيبة تحيي البشرية بالحياة الطيبة من الجهل والهوى.

فبالتدبر في الآية الكريمة يظهر مبدأ الإمامة ومنتهاها، وأن الشجرة التي أصلها اليقين بآيات الله، وفرعها الصبر على مرضاة الله، وثمرتها الهداية بأمر الله، لا يكون غارسها إلا الله، فالإمام منصوب من الله، ومن هنا قال عزّ من قائل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(١).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

دلّت الآية على أنّ الإمامة لأجيال الناس مقام ربّاني عظيم، لم يبلغه نبيّ الله إبراهيم عليه السلام إلا بعد نجاحه في ابتلائه بكلمات، منها امتحانه بإلقائه في نار نمrod، ومنها إسكان زوجته وولده في وادٍ غير ذي زرع، ومنها اختباره باستعداده لذبح ولده اسماعيل.

فبعد أن وصل إبراهيم عليه السلام إلى مراتب النبوة، والرسالة، والحلّة، وبعد أن ابتلي

(١) سورة السجدة: ٢٤.

(٢) سورة البقرة: ١٢٤.

بكلمات فآتمهنّ، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وبسبب عظمة هذا المقام طلبه إبراهيم لذريته فأجابه الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

وعبر الله تعالى عن الإمامة بـ (عهد الله) الذي لا يناله إلا المعصوم، إذ لا شك أن إبراهيم لم يسأل الإمامة لجميع ذريته، فإنه لا يمكن أن يسأل خليل الله من العدل الحكيم الأمر بالعدل والإحسان الإمامة للمتلبس بالظلم والعصيان، فكان دعاؤه للعدول من ذريته، ولما كان طلبه عامًا لمن هو عادل بالفعل وإن تلبس بالظلم في الماضي كان المقصود من الجواب عدم الاستجابة بالنسبة إلى هذا القسم من الذرية العدول، فدلّت الآية الشريفة أن الإمامة المطلقة مشروطة - بحكم العقل والشرع - بالطهارة والعصمة المطلقة، فهيهات أن ينالها من عبد اللات والعزى، وأشرك بالله العظيم، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

الآية الثالثة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾^(٢)، فقد عطف في الآية «أولى الأمر» على «الرسول»، ومع أن العطف في قوة التكرار لكنّه اكتفى بـ (أطيعوا) واحدة ولم يكررها، ليبين أن إطاعتهم وإطاعة الرسول من سنخ واحد، وحقيقة واحدة، فكما أن إطاعة الرسول غير مقيدة بقيد ولا شرط في الوجوب، ولا حدّ في الواجب، فكذلك إطاعة أولى الأمر.

ومثل هذا الوجوب لا يكون إلا مع عصمة أولى الأمر، لأنّ إطاعة كلّ أحد مقيدة لا محالة بعدم مخالفة أمره لأمر الله تعالى، وإلا لزم الأمر بعصيان الإله، ولما كان أمر المعصوم - بمقتضى عصمته - غير مخالف لأمر الله تعالى، كان وجوب إطاعته غير مقيد بقيد.

(١) سورة لقمان: ١٣.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

ثمّ مع الاعتراف بأنّ الإمامة عند الجميع خلافة للنبيّ ﷺ في تطبيق الدّين وحفظ كيان الأُمّة، وأنّ الإمام واجب الطاعة على جميع الأُمّة^(١)، ومع ملاحظة قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ»^(٢)، وقوله: «يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(٣)، يتّضح أنّ الإمام يجب أن يكون معصوماً، وإلّا لزم من الأمر بطاعته المطلقة الأمر بالظلم والمنكر، والنهي عن العدل والمعروف، سبحانه وتعالى .

ومن جهة أخرى، إذا لم يكن الإمام معصوماً فقد يخالف أمره أمر الله ورسوله، وفي هذه الحالة يكون الأمر بإطاعة الله ورسوله والأمر بإطاعة وليّ الأمر، بمقتضى إطلاق الأمر والمأمور به فيها، أمراً بالضدّين، وهو محال، فوليّ الأمر على الإطلاق عقلاً ونقلاً لا يكون إلّا المعصوم على الإطلاق.

والنتيجة: أنّ أمر الله سبحانه بإطاعة (أولي الأمر) بلا قيد ولا شرط، دليل على عدم مخالفة أمرهم لأمر الله ورسوله، وهذا دليل على عصمتهم، وتعيين المعصوم لا يمكن إلّا من قبل العالم بالسرّ والخفّيات .

حكومة السنّة

لا يخفى أنّ الإستشهاد بالروايات الواردة من طرق العامّة في هذه المقدّمة على إمامة أمير المؤمنين ﷺ لإتمام الحجّة، والمجدال بالتي هي أحسن، وإلّا ففي تحقّق شروط الإمامة التي يحكم بها العقل والكتاب في نفسه القدسية ﷺ، وانطباق الكبرى عليها قهراً، فيما تواتر من السنّة على إمامته غنى وكفاية.

(١) شرح المواضع ج ٨ ص ٣٤٥ .

(٢) سورة النحل: ٩٠ .

(٣) سورة الأعراف: ١٥٧ .

وما أطلقنا عليه الصحيح من روايات العامة هو الصحيح على الموازين الرجالية عندهم، وما أطلقنا عليه الصحيح من روايات الخاصة هو الواحد لشرائط الاعتبار أعم من الصحيح الاصطلاحي والموثق على الموازين الرجالية عندهم.

*

لا إشكال في وجوب اتباع سنة نبيِّنا ﷺ، بمقتضى إدراك العقل لزوم اتباع المعصوم وإطاعة أمره، ومقتضى حكم القرآن بذلك ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١).

ونكتفي بما تواتر صدوره عن النبيِّ ﷺ واتفق العلماء بأصنافهم من المفسر والمحدث والمؤرخ وأهل الأدب واللغة عليه، ولم يخف على شيخ وشاب، قال ابن أبي الحديد: روى سفيان الثوري عن عبدالرحمن بن قاسم عن عمر بن عبدالغفار أن أبا هريرة لما قدم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيات بباب كندة، ويجلس [الناس] إليه، فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه، فقال يا أبا هريرة أنشدك الله أ سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فقال: اللهم نعم. قال: فأشهد بالله لقد واليت عدوه، وعاديت وليه، ثم قام عنه^(٢). وقال ابن حجر العسقلاني في شرح صحيح البخاري: وأما حديث من كنت مولاه فعلي مولاه، فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدھا صحاح وحسان...^(٣). نذكر منها واحداً من الصحاح عندهم وهو ما رواه زيد بن أرقم قال:

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٦٨.

(٣) فتح الباري ج ٧، ص ٦١.

«لما رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ونزل غدیر خمّ أمر بدوحاتٍ فقممنَ، فقال:

كأنّي قد دعيت فأجبت، إنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، فإنهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض.

ثمّ قال: إنّ الله عزّ وجلّ مولاي وأنا مولى كلّ مؤمن، ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: من كنت مولاه فهذا وليّهِ. اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه... وذكر الحديث بطوله»^(١).

ونظراً لاهتمامه ﷺ بإمامة الأمتّة من بعده، لم يقتصر تأكيده عليها في حجّة الوداع وحدها، بل أكّد عليها في مناسبات متعدّدة قبل حجّة الوداع وبعدها، ومنها في مرض وفاته حيث كان الصحابة مجتمعين عنده فأوصاهم بالقرآن والعترّة بتعابير مختلفة.

فتارةً بلفظ (إنّي قد تركت فيكم الثقلين)^(٢).

وأخرى بلفظ: (إنّي تارك فيكم خليفتين)^(٣).

(١) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٠٩.

(٢) فضائل الصحابة ص ١٥، المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٠٩، مسند أحمد ج ٣ ص ٢٦، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٣، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٤٥ و ١٣٠، البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢٢٨، السيرة النبوية ج ٤ ص ٤١٦، كنز العمال ج ١٣ ص ١٠٤، خصائص الوحي المبين ص ١٩٤، ينابيع المودة ج ١ ص ١٠٥ و ١١٥ و ١٢١، ومصادر أخرى للعامة.

بصائر الدرجات ص ٤٣٤ الجزء الثامن باب ١٧ ح ٤، كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٣٦ و ٢٣٨، المناقب ص ١٥٤، العمدة ص ٧١، الطرائف ص ١١٤ و ١١٦ و ١٢٢ ومصادر أخرى للخاصّة.

(٣) مسند أحمد ج ٥ ص ١٨٢ و ١٨٩، في مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤١٨ (الخليفتين)، وكذا في كتاب

وثالثة بلفظ: (إني تارك فيكم الثقلين)^(١).

وفي بعضها: (لن يفترقا)^(٢).

← السنة لابن أبي عاصم ص ٣٣٦ رقم ٧٥٤، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٢، الجامع الصغير ج ١ ص ٤٠٢، الدر المنثور ج ٢ ص ٦٠، كنز العمال ج ١ ص ١٧٢ و ١٨٦، ينابيع المودة ج ١ ص ١١٩ ومصادر أخرى للعامّة.

كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٤٠، العمدة ص ٦٩، سعد السعود ص ٢٢٨ ومصادر أخرى للخاصّة.
(١) فضائل الصحابة ص ٢٢، مسند أحمد ج ٣ ص ١٤ و ١٧ و ج ٤ ص ٣٧١، المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٤٨، سنن الدارمي ج ٢ ص ٤٣٢، السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٣٠ و ج ١٠ ص ١١٤، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٣، مسند ابن الجعد ص ٣٩٧، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ١٧٦، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٥١، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص ٩٣، كتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٦٢٩ و ٦٣٠، مسند أبي يعلى ج ٢ ص ٢٩٧ و ٣٠٣، صحيح ابن خزيمة ج ٤ ص ٦٣، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٢٢، المعجم الصغير ج ١ ص ١٣١ و ١٣٥، المعجم الأوسط ج ٣ ص ٣٧٤ و ج ٤ ص ٣٣، المعجم الكبير ج ٣ ص ٦٦ و ج ٥ ص ١٥٤ و ١٦٦ و ١٧٠ و ١٨٢ و...، الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٩٤، تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٢٥٨ و ج ٤١ ص ١٩ و ج ٥٤ ص ٩٢. ومصادر أخرى للعامّة.

بصائر الدرجات ص ٤٣٢ الجزء الثامن باب ١٧ ح ٣ و ح ٥ و ح ٦، دعائم الإسلام ج ١ ص ٢٨، الأمالي للصدوق ص ٥٠٠ المجلس الرابع والستون ح ١٥، كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٣٤ و...، معاني الأخبار ص ٩٠، كفاية الأثر ص ٨٧ و ١٣٧ و ١٦٣، روضة الواعظين ص ٢٧٣ مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ١١٢ و ١١٦ و ١٣٥ و ١٤٠ و...، المسترشد ص ٥٥٩، شرح الأخبار ج ١ ص ٩٩ و ج ٢ ص ٤٧٩ و ٤٨١ و...، ومصادر أخرى للخاصّة.

(٢) البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٢٨ و ج ٧ ص ٣٨٦، الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٩٤، مسند أبي يعلى ج ٢ ص ٢٩٧، وص ٣٧٦، جواهر العقدين ص ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣، مسند ابن الجعد، ص ٣٩٧، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص ٩٣، مسند أحمد ج ٣ ص ١٤، وص ١٧ و ٢٦ و ٥٩، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٣، المعجم الصغير ج ١ ص ١٣١ و ١٣٥، المعجم الكبير ج ٣ ص ٦٥، نظم درر السمطين ٢٣٢، كنز العمال ج ١ ص ١٧٢، السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٦٦ ومصادر أخرى للعامّة.

وفي بعضها: (لن يتفرّقا)^(١).

وفي بعضها: (لا تقدموهما فتهلكوا ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم)^(٢).

وفي بعضها: (إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتّبعتموهما)^(٣).

← بصائر الدرجات ص ٤٣٣ و ٤٣٤ الجزء الثامن باب ١٧، الكافي ج ٢ ص ٤١٥، الخصال ص ٦٥، الأمالي للصدوق ص ٦١٦ المجلس التاسع والسبعون ح ١، كمال الدين وتمام النعمة ص ٦٤ و ٩٤ و ٢٣٤ و...، كفاية الأثر ص ٩٢، الإحتجاج ج ١ ص ٧٥ و ٢١٧ و ٣٩١ و ج ٢ ص ١٤٧ و ٢٥٢، العمدة ص ٦٨ و ٧١ و ٨٣ و...، تفسير القمي ج ١ ص ١٧٢، التبيين ج ١ ص ٣، مجمع البيان ج ١ ص ٣٣ و ج ٢ ص ٣٥٦ و ج ٧ ص ٢٦٧ و ج ٨ ص ١٢ ومصادر أخرى للخاصّة.

(١) كتاب السنّة لابن أبي عاصم ص ٣٣٧، رقم ٧٥٤، وص ٦٢٩، رقم ١٥٤٩، وص ٦٣٠، ١٥٥٣، المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٠٩ و ١٤٨، فضائل الصحابة ص ١٥، مسند أحمد ج ٥ ص ١٨٢، مجمع الزوائد ج ١ ص ١٧٠ و ج ٩ ص ١٦٣ و ١٦٥، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤١٨، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٤٥ و ١٣٠، المعجم الأوسط ج ٣ ص ٣٧٤، المعجم الكبير ج ٥ ص ١٥٤ و ١٦٦ و...، الجامع الصغير ج ١ ص ٤٠٢، الدرّ المنتور ج ٢ ص ٦٠، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٢٠ و ج ٥٤ ص ٩٢ ومصادر أخرى للعامة.

روضة الواعظین ص ٩٤، المناقب ص ١٥٤، تفسير القمي ج ٢ ص ٤٤٧ في تفسير سورة الفتح، تفسير فرات الكوفي ص ١٧ ومصادر أخرى للخاصّة.

(٢) العبارة المذكورة والقريب منها: راجع المعجم الكبير ج ٣ ص ٦٦ و ج ٥ ص ١٦٧، كنز العمال ج ١ ص ١٨٦ و ١٨٨، الدرّ المنتور ج ٢ ص ٦٠، ينابيع المودة ج ١ ص ٧٤ و ١٠٩ و ١١٢ و ١١٦ و ١٢١ و ١٣٣ و ج ٢ ص ٤٣٨، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٤، الصواعق المحرقة ص ١٥٠ و ٢٢٨ ومصادر أخرى للعامة.

تفسير العياشي ج ١ ص ٤ و ٢٥٠، تفسير القمي ج ١ ص ٤، تفسير فرات الكوفي ص ١١٠، الامامة والتبصرة ص ٤٤، الكافي ج ١ ص ٢٠٩ و ٢٨٧ و ٢٩٤، الأمالي للصدوق ص ٦١٦ المجلس التاسع والسبعون ح ١، كفاية الأثر ص ١٦٣، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ٣٧٦، المسترشد ص ٤٠١ و ٤٦٧، الإرشاد ج ١ ص ١٨٠ ومصادر أخرى للخاصّة.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١١٠، جامع الأحاديث ج ٣ ص ٤٣٠ رقم ٩٥٩١، ينابيع المودة

ولا يمكن استيفاء النكات الدقيقة التي تضمنتها بياناته صلى الله عليه وآله وسلم، لذا نكتفي بالإشارة إلى بعضها:

(١)

تدلّ جملة (إني قد تركت) على أنّ الكتاب والعترة تركة وميراث من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أمته؛ لأنّ نسبة النبي إلى أمته نسبة الأب إلى ولده، وذلك أنّ الإنسان موجوداً مركّباً من الجسم والروح، ونسبة الروح إلى الجسم نسبة المعنى إلى اللفظ، واللّب إلى القشر.

والأب الجسماني واسطة لإفاضة الأعضاء والقوى الجسمانية، والأب الروحاني واسطة لإفاضة القوى والأعضاء الروحانية من العقائد الحقّة، والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة.

ولا تقاس الواسطة في إفاضة السيرة الروحانية والصورة العقلانية بالواسطة في إفاضة الصورة المادّية والهيئة الجسمانية، كما لا يقاس اللّب بالقشر ولا المعنى باللفظ، ولا اللؤلؤ بالصدف.

هذا الأب العظيم للأمة أخبر أمته عن رحيله، وأنّ ربه تعالى سيدعوه إلى جواره فيجيبه ويفارقهم (كأنّي قد دعيت فأجبت) وأكّد عليهم أنّ تركتي فيكم وحصيلة عمري وثمره وجودي، شيئان (كتاب الله، وعترتي).

← ج ١ ص ١١٦، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢١٦، كنز العمال ج ١ ص ١٨٧، وقريب منه في مسند أحمد ج ٣ ص ٥٩، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٢٨ و ٣٢٩، السنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٤٢٢، منتخب مسند عبد بن حميد ص ١٠٨، المعجم الصغير ج ١ ص ١٣٥ ومصادر أخرى للعامة.
كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٣٥ و ٢٣٧ و...، كفاية الأثر ص ٢٦٥، تحف العقول ص ٤٥٨، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ١٠٥ و... و ص ١٤١ و ١٧٧، شرح الأخبار ج ١ ص ١٠٥ ومصادر أخرى للخاصة.

فالكتاب هو رابط الأمة برّبها، والعترة هي رابطة الأمة بنبيّها، فانقطاع الأمة عن القرآن انقطاع عن الله تعالى، وانقطاعها عن العترة انقطاع عن النبيّ ﷺ، والإنقطاع عن النبيّ انقطاع عن الله تعالى.

وقد كان يكفي لبيان عظمة القرآن والعترة مجرد إضافتها إلى الله تعالى ورسوله ﷺ، لأنّ المضاف يأخذ قيمته من المضاف إليه، لكن مع ذلك وصفها ﷺ بـ (الثقلين) ليدلّ على جوهرها الغالي ووزنها الثقيل، فنفاضة القرآن الكريم، وثقل وزنه المعنوي فوق إدراك العقول، لأنّ القرآن تجلّي الخالق لخلقه، ويكفي لدرك عظمته التأمل في هذه الآيات: ﴿يَسْ * وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾^(١) ﴿ق * وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾^(٢)، ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٣)، ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤).

ثمّ إنّ وصف العترة بنفس ما وصف به القرآن يفيد أنّ العترة في كلامه ﷺ عدلٌ للقرآن وشريكٌ للوحي، ولا يمكن أن تكون العترة عدلاً للقرآن - في كلام النبيّ ﷺ الذي هو ميزان الحقيقة - إلا إذا كانت العترة، فيما وصف الله الكتاب بقوله: ﴿تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٥) شريكاً لعلم القرآن، وفيما وصف الله القرآن بقوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(٦) شريكاً في عصمته.

(١) سورة يس: ١ - ٢.

(٢) سورة ق: ١ - ٢.

(٣) سورة الواقعة: ٧٧ - ٧٩.

(٤) سورة الحشر: ٢١.

(٥) سورة النحل: ٨٩.

(٦) سورة فصلت: ٤٢.

(٢)

يدلُّ قوله ﷺ «لن يتفرقا» على التلازم الدائم بين القرآن والعتره، بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر، وذلك أن القرآن الكريم كتاب أنزل لكافة أفراد البشر على اختلاف مستوياتهم وقابليّاتهم، فكانت عباراته للعوام، وإشاراتة للعلماء، ولطائفه للأولياء، وحقائقه للأنبياء ﷺ.

إنه كتاب يستضيء بنور هدايته أدنى أفراد البشر، الذي لاهم له إلا الأمور المادّية، إلى أعلى الأفراد، الذي لا يهدأ اضطراب روجه إلا بالإطمئنان بذكر الله تعالى، ولا ضالّة له إلا الأسماء الحسنى والأمثال العليا، وتحمل اسم الله الأعظم.

إنّ هذا القرآن كالشمس، يستشفي المصاب بالبرد بحرارتها، ويحتاجها الزارع لنموّ زرعها، ويبحث العالم الطبيعي في تأثير أشعتها على الأحياء والنبات والمعادن، ويبحث العالم الرّباني في تأثيرها على الأرض ومواليدها، وفي السنن والقوانين التي تنظم بعدها عن الأرض وقربها، وطلوعها وغروبها، فيجد ضالّته وهو الخالق المدبّر للشمس.

إنّ مثل هذا الكتاب الذي جاء لجميع أفراد البشر، والمتكفل لكلّ ما تحتاج إليه الإنسانية في الدّنيا والبرزخ والآخرة، لا بدّ له من معلّم عالم بكلّ ذلك، فإنّ الطب بلا طبيب، والعلم بلا معلّم ناقص، وكذلك القانون - خاصّة القانون الإلهي الذي به نظم أمور المعاش والمعاد - بلا مفسّر مناسب له ناقص ومناف لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(١)، وناقض للغرض من نزول هذا الكتاب ويخالف قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢). والحكيم على

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) سورة النحل: ٨٩.

الإطلاق يستحيل أن ينزل ديناً ناقصاً، أو ينقض غرضه من تنزيله! ولذا قال النبي ﷺ (لن يتفرقا).

(٣)

في بعض صيغ حديث الثقلين (لن تضلوا إن اتبعتموهما) واهتداء الإنسان - من جهة خصوصية خلقه - سبب لسعادته الأبدية، وضلاله سبب لشقائه الأبدي، وذلك أنّ الإنسان - كما أشرنا سابقاً - عصاره موجودات العالم، فهو مخلوق دنيوي، وبرزخي، وأخروي، وملكي، وملكوتي، وهو مرتبط بعالم الخلق، وعالم الأمر، وهو مخلوق من أجل البقاء لا الفناء.

والهداية اللازمة لمخلوق من هذا النوع هداية خاصة، لا تيسر إلا بتعليم وتربية بالوحي الإلهي، ذلك النور المقدّس عن الظلمات ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(١).

وبقانون التناسب والسنخية، لا بدّ أن يكون معلّم البشر بالوحي الذي قال سبحانه في شأنه: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٢) و﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٣) أيضاً معصوماً عن الخطأ والهوى.

وإنما قال ﷺ: (لن تضلوا إن اتبعتموهما) لأنّ اتباع الكتاب الذي ينطق بالحق بلسان الصدق الذي لا يتفرّق عن الحقّ، يحقّق للبشر الأمن من الضلال الفكري والخلقي والعملية.

(١) سورة المائدة: ١٥.

(٢) سورة البقرة: ٢.

(٣) سورة النجم: ٣-٤.

(٤)

وفي تفسير قوله ﷺ: (لا تعلموهما فإنهما أعلم منكم) نكتفي بما قاله ابن حجر، وهو من علماء السنة المتعصبين، قال واصفاً أهل البيت ﷺ: (وتميزوا بذلك عن بقية العلماء، لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً... إلى أن قال: ثم أحق من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته، ومن ثم قال أبو بكر: علي عترة رسول الله، أي الذين حث على التمسك بهم، فخصه لما قلنا، وكذلك خصه بما مر يوم غدير خم^(١).

فمع اعترافهم بأنّ علياً أمتاز عن بقية علماء الأمة بآية التطهير، التي دلت على أنه طاهر من كل أنواع الرجس، واعترافهم بأنّ النبي ﷺ نصّ على أنّ علياً ﷺ أعلم الأمة، ونظراً إلى أن العقل والكتاب يوجبان اتباع الأعم بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٣) واعترافهم بصحة أمر النبي ﷺ بقوله: (إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي)، تكون النتيجة ثبوت الحجّة على متبوعية علي ﷺ وتابعة عموم الأمة - من دون استثناء - وأن جميع الأمة مأمورة لأجل النجاة من الضلال أن تتبع علياً ﷺ ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾^(٤).

(١) الصواعق المحرقة ص ١٥١.

(٢) سورة الزمر: ٩.

(٣) سورة يونس: ٣٥.

(٤) سورة الأنعام: ١٤٩.

(٥)

بعدما بيّن أنّ ما تركه لصيانة الأئمة عن الضلالة هو الكتاب والعترة، أراد أن يبيّن مصداق العترة، وأن يعرف الذي لا يفترق القرآن عنه، ولا يفترق هو عن القرآن، لئلا تبقى آية شبهة لأحد من الأئمة، فأخذ بيد عليّ عليه السلام، فقال: «من كنت مولاه فهذا وليه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه».

فمع أنّ الحجّة كانت تامّة ببيان الكبرى لانطباقها على عليّ عليه السلام بعلمه وعصمته بشهادة الكتاب والسنة، فقد أكدها بإثبات ولايته على كلّ مؤمن لعليّ عليه السلام لئلا يتخلف أحد عن دائرة هدايته العامّة وولايته المطلقة، وذلك بقوله عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ مولاي وأنا مولى كلّ مؤمن» وبه فسّر قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكُوعًا»^(١).

ومع أنّ الأدلّة على الإمامة العامّة من العقل والكتاب والسنة، أوضحت أمر الإمامة الخاصّة، وأنّ الصفات اللازمة في الإمام لا تنطبق إلا على الأئمة المعصومين عليهم السلام، كما تقدّم في حديث الثقلين، لكن لأجل إتمام الحجّة نورد بعض الأحاديث في إمامة أمير المؤمنين وسيد الوصيين عليّ عليه السلام، التي ثبتت صحّتها عند المحدثين:

الحديث الأول:

«عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومن عصى عليّاً فقد عصاني»^(٢).

(١) سورة المائدة: ٥٥.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٢١ وفي التلخیص أيضاً ص ١٢٨، كنز العمال ج ١١ ←

دَلَّ هذا الحديث الذي صحَّحه كبار علماء السنَّة على أنَّ النبيَّ ﷺ - الذي شهد القرآن بأنه لا ينطق عن الهوى، وشهد العقل بذلك - حكم بأنَّ طاعة عليٍّ ومعصيته طاعة النبيِّ ومعصيته، وطاعة النبيِّ ومعصيته طاعة الله تعالى ومعصيته، وقد قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١).

وبما أنَّ الطاعة والمعصية إمَّا تكون عند الأمر والنهي، ومنشأ الأمر والنهي هو الإرادة والكرهية، فلا يمكن أن تكون طاعة عليٍّ ومعصيته طاعة الله تعالى ومعصيته، إلا أن تكون إرادة عليٍّ وكرهيته مظهراً لإرادة الله تعالى وكرهيته.

ومن كانت إرادته وكرهيته مظهراً لإرادة الله تعالى وكرهيته، فقد بلغ من العصمة مقاماً يكون رضاه وغضبه، رضا الله تعالى وغضبه.

وبمقتضى دلالة كلمة (مَنْ) على العموم، يعلم أنَّ كلَّ من كان داخلياً في دائرة إطاعة الله ورسوله لا بدَّ له أن يطيع عليّاً عليه السلام وإلا كان عاصياً لله ورسوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾^(٢)، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾^(٣).

ومن أطاعه فقد أطاع الله والرسول ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي

← ص ٦١٤، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٧٠ و ٣٠٦، ذخائر العقبى ص ٦٦، ينابيع المودة ج ٢ ص ٣١٣ ومصادر أخرى للعامة.

معاني الأخبار ص ٣٧٢، وقريب منه في بصائر الدرجات ص ٣١٤، الجزء السادس باب ١١ باب في أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ رسول الله ﷺ يشاركه في العلم...، الكافي ج ١ ص ٤٤٠، الأمالي للصدوق ص ٧٠١ المجلس الثامن والثمانون ح ٥، تفسير فرات الكوفي ص ٩٦ و ١٠٩ ومصادر أخرى للخاصة.

(١) سورة النساء: ٨٠.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٣) سورة الجن: ٢٣.

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ»^(١)، «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً»^(٢)، «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»^(٣).

الحديث الثاني:

«ان رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي»^(٤).

(١) سورة النساء: ١٣.

(٢) سورة الأحزاب: ٧١.

(٣) سورة النساء: ٦٩.

(٤) صحيح البخاري غزوة تبوك ج ٥ ص ١٢٩ ح ٢، صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٠٨، صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٠ و ١٢١، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٠٢ و ٣٠٤، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٥، خصائص النسائي ص ٤٨ و ٥٠ و موارد أخرى من هذا الكتاب، المستدرک علی الصحيحین ج ٢ ص ٣٣٧ و ج ٣ ص ١٠٨ و ١٣٣، وفي التلخيص أيضاً، مسند أحمد ج ١ ص ١٧٠ و ص ١٧٣ و ص ١٧٥ و ص ١٧٩ و ص ١٨٤ و ص ١٨٥ و ص ٣٣١، ج ٣ ص ٣٢ و ص ٣٣٨، ج ٦ ص ٣٦٩، فضائل الصحابة ص ١٣ و ١٤، السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٤٠، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٩ و...، مسند أبي داود الطيالسي ص ٢٨ و...، المصنّف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٤٠٦، ج ١١ ص ٢٢٦، مسند الحميدي ج ١ ص ٣٨، المعيار والموازنة ص ٧٠ و ١٨٧ و ٢١٩، مسند ابن الجعد ص ٣٠١، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٩٦ و ج ٨ ص ٥٦٢، مسند ابن راهويه ج ٥ ص ٣٧، مسند سعد بن أبي وقاص ص ٥١ و ١٠٣ و ١٣٦ و...، الآحاد والمثاني ج ٥ ص ١٧٢، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٤٤ و ١٠٨ و... و ١٤٤ و ٢٤٠، مسند أبي يعلى ج ١ ص ٢٨٦ و ج ٢ ص ٥٧ و... و ج ١٢ ص ٣١٠، صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ١٥ و ٣٦٩ و...، المعجم الصغير ج ٢ ص ٢٢ و ٥٤، المعجم الأوسط ج ٢ ص ١٢٦ و ج ٣ ص ١٣٩ و ج ٤ ص ٢٩٦، و ج ٥ ص ٢٨٧ و ج ٦ ص ٧٧ و ٨٣ و ج ٧ ص ٣١١ و ج ٨ ص ٤٠، المعجم الكبير ج ١ ص ١٤٦ و ١٤٨ و ج ٢ ص ٢٤٧ و ج ٤

← ص ١٧ و ١٨٤، وج ٥ ص ٢٠٣ و ٢٢١ وج ١١ ص ٦١ و ٦٣ وج ١٢ ص ١٥ و ٧٨ وج ١٩ ص ٢٩١ وج ٢٤ ص ١٤٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ و ٢٦٤ وج ٥ ص ٢٤٨ وج ٦ ص ١٦٩ وج ١٠ ص ٢٢٢ وج ١٣ ص ٢١١، نظم درر السمطين ص ٢٤ و ٩٥ و ١٠٧ و ١٣٤ و ١٩٤، شواهد التنزيل ج ١ ص ١٩٠ و... وج ٢ ص ٣٥، الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٣، تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٤٢ وج ٤ ص ٥٦ و ١٧٦ و ٢٩١ و ٤٢٥ وج ٥ ص ١٤٧ وج ٧ ص ٤٦٣ وج ٨ ص ٥٢ و ٢٦٢ وج ٩ ص ٣٧٠ وج ١٠ ص ٤٥ وج ١١ ص ٣٨٣ و ٤٣٠ وج ١٢ ص ٣٢٠، تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٣١ وج ١٣ ص ١٥١ وج ١٨ ص ١٣٨ وج ٢٠ ص ٣٦٠ وج ٢١ ص ٤١٥ وج ٣٠ ص ٦٠ و ٢٠٦ و ٣٥٩ وج ٣٨ ص ٧ وج ٣٩ ص ٢٠١ وج ٤١ ص ١٨ وج ٤٢ ص ١٦ و ٥٣ و ١٠٠ و موارد أخرى من هذا الكتاب، أسد الغابة ج ٤ ص ٢٦ وج ٥ ص ٨، ذيل تاريخ بغداد ج ٢ ص ٧٨ وج ٤ ص ٢٠٩، تهذيب الكمال ج ٥ ص ٢٧٧ و ٥٧٧ وج ٧ ص ٣٣٢ و موارد أخرى من هذا الكتاب، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠ و ٢١٧ وج ٢ ص ٥٢٣، سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٢١٤ وج ١٣ ص ٣٤٠، معرفة الثقات ج ٢ ص ١٨٤ و ٤٥٧، تهذيب التهذيب ج ٥ ص ١٦٠ وج ٦ ص ٨٤ وج ٧ ص ٢٩٦، ذكر أخبار اصبهان ج ١ ص ٨٠ وج ٢ ص ٢٨١، البداية والنهاية ج ٥ ص ١١ وج ٧ ص ٣٧٠ و ٣٧٤ و... وج ٨ ص ٨٤، السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٢، سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤١ وج ١١ ص ٢٩١، ينابيع المودة ج ١ ص ١١٢ و ١٣٧ و ١٥٦ و... و موارد أخرى كثيرة من هذا الكتاب ومصادر أخرى كثيرة جداً للعامة.

المحاسن للبرقي ج ١ ص ١٥٩، الكافي ج ٨ ص ١٠٧، دعائم الإسلام ج ١ ص ١٦، علل الشرائع ج ١ ص ٦٦ و ١٣٧ و... و ص ٢٠٢ وج ٢ ص ٤٧٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٢٢ باب ٣٥ ح ١ وج ٢ ص ٢٥ باب ٣١ ح ٥ وج ٢ ص ١٥٣ باب ٤٠ ح ٢٢ و موارد أخرى من هذا الكتاب، الخصال ص ٣١١ و ٣٧٠ و ٣٧٤ و ٥٥٤ و ٥٧٢، الأمالي للصدوق ص ١٥٦ المجلس الحادي والعشرون ح ١ و ص ١٩٧ و ٤٠٢ و ٤٩١ و ٦١٨، كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٥١ و ٢٦٤ و ٢٧٨ و ٣٣٦، معاني الأخبار ص ٥٧ و ٧٤ و...، كفاية الأثر ص ١٣٥، تحف العقول ص ٤١٦ و ٤٣٠ و ٤٥٩، روضة الواعظين ص ٨٩ و ١١٢ و ١٥٣، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ٢٢٤ و ٢٥٠ و ٣٠١ و ٣١٧ و ٣٥٥ و ٤١٤ و ٤٥٩ و ٤٧٢ و ٤٩٩ و ٥٠٠ و موارد أخرى، ج ٣ ص ٢٠٢، الإرشاد ج ١ ص ١٥٦، الاختصاص ص ١٦٩ و...، الأمالي للمفيد ص ٥٧، كنز الفوائد ص ٢٧٤ و...، الأمالي للطوسي ص ٥٠ و ١٧١ و ٢٢٧ و ٢٥٣ و ٢٦١ و ٣٠٧

هذا حديث متفق عليه من الخاصّة والعامّة أخرجه أصحاب الصحاح والمسانيد المعتمدة من العامّة، ونقل جمع من أكابرهم الإتّفاق على صحّته، كقول بعضهم: (هذا حديث متفق على صحّته، رواه الأئمّة الحفّاظ كأبي عبد الله البخاري في صحيحه، ومسلم بن الحجاج في صحيحه، وأبي داود في سننه، وأبي عيسى الترمذي في جامعه، وأبي عبد الرحمن النسائي في سننه، وابن ماجة القزويني في سننه، واتّفق الجميع على صحّته حتّى صار ذلك إجماعاً منهم. قال الحاكم النيسابوري: هذا حديث دخل في حدّ التواتر)^(١).

← ٣٣٣ و ٣٤٢ وموارد أخرى، الإحتجاج ج ١ ص ٥٩ و ٩٨ و ١١٣ و ١٥١... وموارد أخرى، ج ٢ ص ٨ و ٦٧ و ١٤٥ و ٢٥٢، العمدة ص ٨٦ و ٩٧ و ١٢٦ وموارد أخرى، الفضائل ص ١٣٤ و ١٥٢، مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢١٣ و ٢٢١ وج ٢ ص ١٨٦ و ١٩٤ وموارد أخرى، التحصين ص ٥٦٦ و ٦٣٥ ومصادر أخرى كثيرة جداً للخاصّة.

(١) كفاية الطالب ص ٢٨٣، ونشير إلى كلمات بعض علماء العامّة حول هذا الحديث:

أ: ابن عبد البرّ في الإستيعاب القسم الثالث ص ١٠٩٧ و ١٠٩٨ «وروى قوله ﷺ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، جماعة من الصحابة وهو من أثبت الآثار وأصحّها... وطرق حديث سعد فيه كثيرة جداً».

ب: الجزري في أسنى المطالب ص ٥٣ «متفق على صحّته بمعناه من حديث سعد بن أبي وقاص، قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: «وقد روى هذا الحديث عن رسول الله جماعة من الصحابة منهم عمر، وعلي، وابن عبّاس، وعبد الله بن جعفر، ومعاذ، ومعاوية، وجابر بن عبد الله، وجابر بن سمرة، وأبو سعيد، وبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وزيد بن أبي أوفى، ونبيط بن شريط، وحبشي بن جنادة، وماهر بن الحويرث، وأنس بن مالك، وأبي الطفيل، وأمّ سلمة، وأسما بنت عميس، وفاطمة بنت حمزة».

ج: شرح السنّة للبعوي، ج ١٤ ص ١١٣: «هذا حديث متفق على صحّته».

د: شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني ج ١ ص ١٩٥: «هذا هو حديث المنزلة الذي كان شيخنا أبو حازم الحافظ يقول خرجته بخمسة آلاف إسناد».

وقد دلّ هذا الحديث الشريف - بمقتضى عموم المنزلة - على أنّ كلّ منزلة كانت لهارون من موسى عليه السلام، ثبتت لعلّي من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واستثناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم للنبوّة فقط، يؤكّد هذا العموم.

وقد قال الله تعالى عن منزلة هارون من موسى صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَاجْعَلْ لِي وِزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾^(١)، ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢).

وتتلخّص هذه المنزلة بعدّة مقامات:

الأول، الوزارة:

وأنه وزير النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والوزير هو الذي يتحمّل المسؤوليات التي يتحمّلها من هو وزير له، ويتصدّى لأدائها بأمره، وهذا الحديث صريح في ثبوت هذه المنزلة لعلّي عليه السلام.

ولكن الدليل على أنه وزيره لا ينحصر بهذا الحديث، فقد نصّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك في أحاديث أخرى - في كتب الحديث والتفسير من العامّة والخاصّة - في مناسبات متعدّدة^(٣).

(١) سورة طه: ٢٩ - ٣٢.

(٢) سورة الأعراف: ١٤٢.

(٣) التفسير الكبير ج ١٢ ص ٢٦ في تفسير آية ﴿أَنَا وَلِيكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٣، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٥٢ و ٥٧، ينابيع المودّة ج ١ ص ٢٥٨ و ج ٢ ص ١٥٣ و ص ٢٨٨، تفسير فرات الكوفي ص ٩٥ و ٢٤٨ و ٢٥٠ و ٢٥٥، ومصادر أخرى للعامّة والخاصّة تقدّم ذكرها.

الثاني، الأخوة:

وأنّ علياً أخ النبي ﷺ، وقد كان هارون أخاً نسيباً لموسى، وجعل النبي هذه المنزلة لعليّ بعقد الأخوة معه، وقد وردت في ذلك أحاديث عديدة في مصادر العامّة والخاصّة نكتفي منها بواحدة:

عن عبدالله بن عمر قال: «لما ورد رسول الله ﷺ المدينة آخى بين أصحابه، فجاء عليّ عليه السلام تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد؟ فقال رسول الله ﷺ: يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة»^(١).

فهذه الأخوة تدلّ على أنه ارتفع عن كلّ مؤمن عندما نزلت: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢)، لأنه ﷺ آخى بينهم على قدر منازلهم، كما آخى بين أبي بكر وعمر، وآخى بين عثمان وعبد الرحمن، وآخى بين أبي عبيدة وسعد بن معاذ و...^(٣)،

(١) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٤، سنن الترمذی ج ٥ ص ٣٠٠ رقم ٣٨٠٤، أسد الغابة ج ٤ ص ٢٩، البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٧١، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٢، فتح الباري ج ٧ ص ٢١١، تحفة الأحوذی ج ١٠ ص ١٥٢، تاریخ بغداد ج ١٢ ص ٢٦٣، نظم درر السمطین ص ٩٤ و ص ٩٥، كنز العمال ج ١٣ ص ١٤٠، تاریخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٨ و ٥٣ و ٦١، أنساب الأشراف ص ١٤٥، ینابیع المودّة ج ٢ ص ٣٩٢ ومصادر أخرى للعامّة.

مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٨٥، وقريب منه في الخصال ص ٤٢٩ باب العشرة ح ٦، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ٣٠٦ و ٣١٩ و ٣٢٥ و ٣٤٣ و ٣٥٧، شرح الأخبار ج ٢ ص ١٧٨ و ٤٧٧ و ٥٣٩، العمدة ص ١٦٧ و ١٧٢ ومصادر أخرى للخاصّة.

(٢) الحجرات: ١٠.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٤ و ٣٠٣، الدرّ المنثور ج ٣ ص ٢٠٥، ومصادر أخرى للعامّة. الأمالي للطوسي ص ٥٨٧، مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٨٥، العمدة ص ١٦٦ ومصادر أخرى للخاصّة.

فاختاره ﷺ لنفسه، وكيف لا يكون في مرتبة أشرف ولد آدم، وقد نصّ الرسول ﷺ على إخوته له في الدنيا والآخرة.

وهذا يدلّ على أنه قد بلغت المشاكلة الروحية والمهائلة العلمية والخلقية والعملية بينه وبين أفضل البرية إلى مستوى درجته ﷺ، ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾^(١)، والدرجات في الدار الآخرة على ما كسبوا واكتسبوا ﴿وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾^(٢)، والله أعلم بما جاهد في الله حقّ جهاده، حتّى وصل إلى المقام في دار القرار مع الذي قال عنه سبحانه ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّخْمُوداً﴾^(٣).

فلا يمكن أن يعبر عن درجته إلا بما عبّر به الرسول ﷺ بقوله: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»، ولقد كان ﷺ مفتخراً بعد العبودية بهذه الأخوة، فكان يقول: «أنا عبد الله وأخو رسوله»^(٤)، وقال يوم الشورى: «أفيكم من آخى

(١) سورة الأنعام: ١٣٢.

(٢) سورة الأنبياء: ٤٧.

(٣) سورة الإسراء: ٧٩.

(٤) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٤، المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ١١٢، ذخائر العقبى ص ٦٠، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٩٧ و ٤٩٨، الآحاد والمثاني ج ١ ص ١٤٨، كتاب السنّة ص ٥٨٤، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٠٧ و ١٢٦، خصائص أمير المؤمنين ﷺ ص ٨٧، مسند أبي حنيفة ص ٢١١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٧ و ج ١٣ ص ٢٠٠ و ٢٢٨، نظم درر السمطين ص ٩٥ و...، كنز العمال ج ١١ ص ٦٠٨ و ج ١٣ ص ١٢٢ و ١٢٩، الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٣، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٥٩ و ٦٠ و ٦١، ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٣٢، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٩٦، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٦، البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٦ و ج ٧ ص ٣٧١، ينابيع المودة ج ١ ص ١٩٣ ومصادر أخرى للعامة.

رسول الله غيري؟!»^(١).

الثالث، شدّ الأزر:

وقد دلّت أحاديث أخرى على أنّ النبي ﷺ قد طلب من الله تعالى أن يشدّ به أزره فاستجاب الله له^(٢).

ولاريب أنّ أعباء الرسالة الخاتمة التي هي أعظم المسؤوليات التي كلفه بها الله سبحانه لا يتحمّلها إلاّ ظهر الرسول الذي هو ظهير الأنبياء والمرسلين. وبعد أن تحمّل ما حمّله الله تعالى دعا ربّه أن يشدّ ظهره وعضده بعليّ، واستجاب له ربّه، كما استجاب لموسى حيث قال سبحانه: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾^(٣).

والدُّعاء من الرسول والإجابة من الله دليل على أنّ إنجاز أمر الرسالة الخاتمة

← عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٦٣ باب ٣١ ح ٢٦٢، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ٣٠٥ و...، المسترشد ص ٢٦٣ و... و٣٧٨، شرح الأخبار ج ١ ص ١٩٢، الأمالي للمفيد ص ٦، الأمالي للطوسي ٦٢٦ و٧٢٦، مجمع البيان ج ٥ ص ١١٣، إعلام الوري ج ١ ص ٢٩٨، كشف الغمّة ج ١ ص ٨٩ و ج ١ ص ٤١٢، العمدة ص ٦٤ و ٢٢٠، الخصال ص ٤٠٢ ومصادر أخرى للخاصّة.

(١) لسان الميزان ج ٢ ص ١٥٧، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٥٢، كنز العمال ج ٥ ص ٧٢٥ ومصادر أخرى للعامة

المسترشد ص ٣٣٢، الأمالي للطوسي ص ٣٣٣، الإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٩٧ ومصادر أخرى للخاصّة.

(٢) الدرّ المنثور ذيل تفسير هذه الآية ج ٤ ص ٢٩٥ والتفسير الكبير ج ١٢ ص ٢٦ ذيل آية ﴿أَتَمَّا وَلِيكُم

الله...﴾، شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٣٠ و ٤٨٠ و ٤٨٢، المعيار والموازنة ص ٧١ و ٣٢٢، نظم درر

السمطين ص ٨٧، نياييع المودّة ج ١ ص ٢٥٨ و ج ٢ ص ١٥٣ ومصادر أخرى للعامة.

مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ٣٤٨، تفسير فرات الكوفي ص ٩٥ و ٢٤٨ و ٢٥٥ و ٢٥٦،

شرح الأخبار ج ١ ص ١٩٢، كنز الفوائد ص ١٣٦، مجمع البيان ج ٣ ص ٣٦١، ومصادر أخرى

للخاصّة.

(٣) سورة القصص: ٣٥.

لم يكن يتحقق إلا بلسانه الناطق بحكمة الله وبيده القاهرة بقدرة الله.
 فهل يعقل أن يكون بعد النبي ﷺ ظهيراً لأمته غير من هو ظهير الرسول أو
 تتخذ الأمة عضداً سوى عضد الرسول ﷺ؟!

الرابع، الإصلاح:

﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾^(١) فكما أن هارون كان
 مصلحاً لقوم موسى ونائباً منابه في إصلاح أمته، كذلك هذه المنزلة في أمة الرسول
 لعلي عليه السلام، والإصلاح بقول مطلق شأن من كان متصفاً بالصالح المطلق، لا بطلاق
 الصلاح، الذي اتصف به يحيى ﴿وَسَيِّدًا وَحْصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢)، وعيسى
 ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣).

الخامس، الشركة في أمره:

فقد كان هارون شريكاً في أمر موسى وعمله، وعلي عليه السلام بمقتضى هذا الحديث
 شريك في عمل النبي ﷺ، ما عدا النبوة المستثناة.
 ومن أمره تعليم الكتاب الذي فيه تبيان كل شيء، والحكمة التي قال الله تعالى
 في شأنها ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٤)، ﴿وَأَنْزَلَ
 اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(٥)،

(١) سورة الأعراف: ١٤٢.

(٢) سورة آل عمران: ٣٩.

(٣) سورة آل عمران: ٤٦.

(٤) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٥) سورة النساء: ١١٣.

ولا ريب أنّ ما أنزل الله عليه من الكتاب والحكمة هو ما أنزل على جميع الأنبياء والمرسلين ﷺ، مع ما زاد عليه بنسبة النبوة العامّة، والرسالة الخاتمة، وإمامته لجميع الأنبياء، وسيادته على كلّ ما سوى الله.

ومن أمره أن يبيّن للناس كلّ ما اختلفوا فيه ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾^(١).
ومن أمره أن يحكم بين الناس ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾^(٢).

ومن أمره أنه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فكان عليّ ﷺ شريكاً في أمر من هو وليّ الأمر في نظام التكوين والتشريع.

السادس، الخلافة:

فقد كان هارون خليفة موسى ﷺ على أمته، فكذلك عليّ ﷺ خليفة النبي ﷺ على أمته بعده بلا فصل.

إنّ الخليفة كما سنشير إليه فيما بعد^(٣) هو الوجود التنزيلي للمستخلف عنه الذي يسدّ خلاً وجوده عند فقدّه وغيبته، ولا يقاس الوجود التنزيلي للخاتم ﷺ مع الوجود التنزيلي لأحد من الأنبياء، بل لا يقاس خليفة الخاتم مع خليفة جميع الأنبياء، لأنّ خليفة الخاتم قائم مقام من يكون آدم ومن دونه تحت لوائه، فكيف يقاس ظلّ العرش بظلّ جميع ما هو دون العرش، فيكون هارون خليفة لموسى ووجوداً تنزليّاً لمن قال الله سبحانه في شأنه: ﴿وَتَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ

(١) سورة النحل: ٣٩.

(٢) سورة النساء: ١٠٥.

(٣) راجع صفحة: ٢٦٤.

وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا^(١) ويكون عليّ عليه السلام خليفة لخاتم النبيين صلوات الله عليهم ووجوداً تنزلياً لمن قال سبحانه في شأنه: «ثُمَّ دَنَا فَتَدَنَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى»^(٢).

وفي الصحيح عن أبان الأحمر، قال الصادق عليه السلام: «يا أبان كيف ينكر الناس قول أمير المؤمنين عليه السلام، لما قال: «لو شئت لرفعت رجلي هذه، فضربت بها صدر بن أبي سفيان بالشام، فنكسته عن سريره» ولا ينكرون تناول آصف وصيِّ سليمان عرش بلقيس، وإتيان سليمان به قبل أن يرتد إليه طرفه، أليس نبينا صلوات الله عليهم أفضل الأنبياء ووصيه عليه السلام أفضل الأوصياء، أفلا جعلوه كوصيِّ سليمان، حكم الله بيننا وبين من جحد حقنا وأنكر فضلنا»^(٣).

فلا تقاس وزارته للرسول الأعظم، وشدّ أزره، والشركة في أمره، وأخوته له، وإصلاحه في أمته، وخلافته عنه بمن هو حائز لهذه المقامات ممن دون النبي صلوات الله عليهم من آدم إلى عيسى بن مريم.

ومن تأمل في حديث المنزلة، وكان من أهل التدبّر في الكتاب والتفقه في السنّة يعلم بأنّ الفصل في الخلافة بين رسول الله ومن استخلفه الرسول عن نفسه في حياته، مخالف لما حكم به العقل والكتاب والسنّة.

وفي الرواية التي اعترفوا بصحّتها عن بكير بن مسمار قال: سمعت عامر بن سعد يقول: قال معاوية لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنها: ما يمنعك أن تسبّ ابن أبي طالب؟ قال فقال: لا أسبّ ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلوات الله عليهم لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم.

(١) سورة مريم: ٥٢.

(٢) سورة النجم: ٨-٩.

(٣) الإختصاص ص ٢١٢.

قال له معاوية: وما هنّ يا أبا إسحاق؟ قال: لا أسبّه ما ذكرت حين نزل عليه الوحي فأخذ عليّاً وابنيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ثمّ قال: ربّ إنّ هؤلاء أهل بيتي، ولا أسبّه ما ذكرت حين خلفه في غزوة تبوك غزاها رسول الله ﷺ فقال: له علي خلفتني مع الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبوة بعدي، ولا أسبّه ما ذكرت يوم خيبر وقال ﷺ: لأعطين هذه الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويفتح الله على يديه، فتطاولنا لرسول الله ﷺ فقال: أين عليّ؟ قالوا: هو أرمد، قال: ادعوه، فدعوه، فبصق في وجهه ثمّ أعطاه الراية، ففتح الله عليه، قال: فلا والله ما ذكره معاوية بحرف حتّى خرج من المدينة^(١).

وقال الحاكم^(٢) وقد اتّفقا (أي البخاري ومسلم) على إخراج حديث المواخاة وحديث الراية.

وفي البخاري عن سهل بن سعد قال: قال النبيّ يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال فأرسلوا إليه، فأتى به فبصق رسول الله في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية، فقال علي يا رسول الله: أقاتلهم حتّى يكونوا مثلنا، فقال عليه الصلاة والسلام: أنفذ على رسلك حتّى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً

(١) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٠٨ وفي التلخیص أيضاً، صحیح مسلم، ج ٧، ص ١٢٠، سنن

الترمذی، ج ٥، ص ٣٠١ خصائص أمير المؤمنين ﷺ ص ٨١، ومصادر أخرى.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٠٩.

واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم^(١).

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ٧٦، نيل الأوطار ج ٨ ص ٥٥ و ٥٩، فضائل الصحابة ص ١٦، مسند أحمد ج ١ ص ٩٩ و ١٨٥ و ج ٤ ص ٥٢، و ج ٥ ص ٣٣٣، صحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٥ و ج ٧ ص ١٢٠ و ١٢٢، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٥، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٠٢، السنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٦٢ و ج ٩ ص ١٠٧ و ص ١٣١، مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٠ و ج ٩ ص ١٢٣، ...، مصنف ابن أبي شيبة ج ٨ ص ٥٢٠ و ٥٢٢، مسند سعد بن أبي وقاص ص ٥١، بغية الباحث ص ٢١٨، كتاب السنة ص ٥٩٤، ...، السنن الكبرى ج ٥ ص ٤٦ و ١٠٨ و ... و ١٤٥، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص ٤٩ و ... و ٨٢ و ١١٦، مسند أبي يعلى ج ١ ص ٢٩١ و ج ١٣ ص ٥٢٢ و ٥٣١، صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٣٧٧ و ٣٨٢، المعجم الأوسط ج ٦ ص ٥٩، المعجم الكبير ج ٦ ص ١٥٢ و ١٦٧ و ١٨٧ و ١٩٨ و ج ٧ ص ١٣ و ١٧ و ٣١ و ٣٥ و ٣٦ و ٧٧ و ج ١٨ ص ٢٣٧ و ٢٣٨، مسند الشاميين ج ٣ ص ٣٤٨، دلائل النبوة ج ٣ ص ١٠٩٢ فصل ٧٨ ح ١٧٨، الفائق في غريب الحديث ج ١ ص ٣٨٣، الإستيعاب ج ٣ ص ١٠٩٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١١ ص ٢٣٤ و ج ١٣ ص ١٨٦، نظم درر السمطين ص ٩٨ و ١٠٧، كنز العمال ج ١٠ ص ٤٦٧ و ٤٦٨ و ج ١٣ ص ١٢١ و ١٢٣ و ١٦٣، الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١١١، التاريخ الكبير ج ٢ ص ١١٥، الثقات لابن حبان ج ٢ ص ١٢ و ٢٦٧، شرح السنة للبخاري ج ١٤ ص ١١١، تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥، تاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ٢٨٨ و ج ٤١ ص ٢١٩ و ج ٤٢ ص ١٦ و ٨١ و ... و ٤٣٢، أسد الغابة ج ٤ ص ٢٦ و ٢٨، ذيل تاريخ بغداد ج ٢ ص ٧٨، البداية والنهاية ج ٤ ص ٢١١ و ... و ج ٧ ص ٢٥١ و ٣٧٢، ...، السيرة النبوية ج ٣ ص ٧٩٧، سبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٣٢ و ج ٥ ص ١٢٤ و ج ١٠ ص ٦٢، ينابيع المودة ج ١ ص ١٦١ و ج ٢ ص ١٢٠ و ٢٣١ و ٣٩٠ ومصادر أخرى كثيرة جداً للعامة.

رسائل المرتضى ج ٤ ص ١٠٤، الدعوات ص ٦٣، زبدة البيان ص ١١، كشف الغطاء ج ١ ص ١١، الكافي ج ٨ ص ٣٥١، علل الشرائع ج ١ ص ١٦٢ باب ١٣٠ ح ١، الخصال ص ٢١١ و ٣١١ و ٥٥٥، الأمالي للصدوق ص ٦٠٤ المجلس السابع والسبعون ح ١٠، روضة الواعظين ص ١٢٧، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ٣٤٥ و ٥٣٧ و ج ٢ ص ٨٩ و ٤٩٦ و ...، المستترشد ص ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٤١ و ... و ٤٩١ و ٥٩٠، شرح الأخبار ج ١ ص ٣٠٢ و ج ٢ ص ١٧٨ و ١٩٢ و ١٩٥ و ٢٠٩، الافصاح ص ٣٤ و ٦٨ و ٨٦ و ١٥٧ و ١٩٧، التكت الاعتقادية ص ٤٢، الإرشاد ح ١ ص ٦٤، الإختصاص ص ١٥٠، الأمالي للمفيد ص ٥٦، الأمالي للطوسي ص ١٧١ و ٣٠٧ و ٣٨٠ و ٥٤٦ و ٥٩٩، الإحتجاج ج ١ ص ٤٠٦ و ج ٢ ص ٦٤، الخرائج والجرائح

ولا يخفى أنّ قوله صلوات الله عليه: لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله يكشف عن أنه لم يكن في أصحابه متّصفاً بهذا الوصف غير عليّ عليه السلام وإلا كان تخصيصه بهذا الوصف من دون مخصّص، وجلّ جنابه عليه السلام عمّا هو باطل عقلاً وشرعاً.

وإعطاؤه الراية وقوله عليه السلام «يفتح الله على يديه» تفسير لحديث المنزلة، وأنّ علياً هو الذي شدّ الله عضد رسوله به.

وقوله عليه السلام: «يفتح الله على يديه»، دليل على أنّ فعل الله جرى على يديه كما جرى على يد رسوله عليه السلام في قوله تعالى: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ»^(١)، وعنه عليه السلام: «والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية»^(٢).

ومن يكون الله فاتحاً لخيبر على يديه هو يد الله، وهل يشدّ عضد خير خلق الله إلا بيد الله؟ «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ»^(٣).

الحديث الثالث:

مارواه العامّة والخاصّة، ونقتصر على ما رواه الحاكم النيسابوري في مستدرکه^(٤) والذهبي في تلخيصه^(٥)، عن بريدة، قال: «غزوت مع علي إلى اليمن،

← ج ١ ص ١٥٩، العمدة ص ٩٧ و ١٣١ و ١٣٩ و... و ١٨٨ و ١٨٩ و ٢١٩، الفضائل ص ١٥٢، التبيين ج ٣ ص ٥٥٥ و ج ٩ ص ٣٢٩، مجمع البيان ج ٣ ص ٣٥٨ و ج ٩ ص ٢٠١ ومصادر أخرى كثيرة جداً للخاصّة.

(١) سورة الأنفال: ١٧.

(٢) راجع صفحة: ٢٦١.

(٣) سورة ق: ٣٧.

(٤) المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ١١٠، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ٤٢٥، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة ج ١ ص ٢٩٢ ومصادر أخرى.

(٥) ذيل المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ١٠٩.

فرايت منه جفوة، فقدمت على رسول الله ﷺ، فذكرت علياً فتنقصته، فرايت وجه رسول الله يتغير، فقال: يا بريدة، ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يارسول الله. فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه...».

وهذا هو نفس ما قاله النبي ﷺ في خطبة الغدير.

وحادثة غدير خم وخطبة النبي ﷺ فيها مشهورة، ذكرها أكابر المحدثين والمؤرخين والمفسرين^(١) في أحداث حجة الوداع، وفسرها كبار اللغويين.

(١) فضائل الصحابة ص ١٤، مسند أحمد ج ١ ص ٨٤ و ١١٨ و ١١٩ و ١٥٢ و ٣٣١ و ج ٤ ص ٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و ج ٥ ص ٣٤٧ و ٣٦٦ و ٣٧٠ و ٤١٩، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٥، المستدرک علی الصحيحین ج ٣ ص ١١٦ وفي التلخيص أيضاً و ص ١٣٤ وفي التلخيص أيضاً و ص ٣٧١ و ٥٣٣ وفي التلخيص أيضاً، مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٧ و ج ٩ ص ١٠٣ و... و ص ١٢٠ و ١٦٤، فتح الباري ج ٧ ص ٦١، المصنف لعبد الرزاق ج ١١ ص ٢٢٥، المعيار والموازنة ص ٧٢ و ٢١٠ و... و ص ٣٢٢، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٩٥ و... والآحاد والمثاني ج ٤ ص ٣٢٥ و... كتاب السنة ص ٥٥٢ و ٥٩٠ و...، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٤٥ و ١٠٨ و ١٣٠ و...، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص ٥٠ و ٦٤ و ٩٤ و...، مسند أبي يعلى ج ١ ص ٤٢٩ و ج ١١ ص ٣٠٧، صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٣٧٦، المعجم الصغير ج ١ ص ٦٥ و ٧١، المعجم الأوسط ج ١ ص ١١٢ و ج ٢ ص ٢٤ و ٢٧٥ و ٣٢٤ و ٣٦٩ و ج ٦ ص ٢١٨ و ج ٧ ص ٧٠ و ج ٨ ص ٢١٣، المعجم الكبير ج ٣ ص ١٧٩ و ١٨٠ و ج ٤ ص ١٧ و ١٧٣ و... و ج ٥ ص ١٦٦ و ١٧٠ و ١٧١ و... و ص ١٩٤ و... و ص ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢١٢ و ج ١٢ ص ٧٨ و ج ١٩ ص ٢٩١، مسند الشاميين ج ٣ ص ٢٢٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٠٨ و ج ٤ ص ٧٤ و ج ٦ ص ١٦٨ و ج ٨ ص ٢١ و موارد أخرى من هذا الكتاب، نظم درر السمطين ص ٩٣ و ١٠٩ و ١١٢، موارد الظمان ص ٥٤٣، الجامع الصغير ج ٢ ص ٦٤٣، كنز العمال ج ١ ص ١٨٧ و... و ج ٥ ص ٢٩٠ و ج ١١ ص ٣٣٢ و ٦٠٣ و ٦٠٨ و... و ج ١٣ ص ١٠٥ و ١٣١ و موارد أخرى من هذا الكتاب، شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٠٠ و... و ٢٥١ و... و ٣٥٢ و ٣٨١ و... و ٣٩١، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٥، الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٩ و ٢٩٣ و ج ٥ ص ١٨٢، تاريخ بغداد ج ٧ ص ٣٨٩ و ج ٨ ص ٢٨٤ و ج ١٢ ص ٣٤٠ و ج ١٤ ص ٢٣٩، أسد الغابة ج ١ ص ٣٦٧ و ٣٦٩ و ج ٢ ص ٢٣٣ و ج ٣ ص ٩٢ و ٢٧٤ و ٣٠٧ و ٣٢١ و ج ٤

قال ابن دريد في جمهرة اللغة: (خَمٌّ، غديرٌ معروفٌ، وهو الموضع الذي قام فيه رسول الله بفضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)^(١).
وقال الزبيدي في تاج العروس في تفسير الولي: (الذي يلي عليك أمرك...).

← ص ٢٨ وج ٥ ص ٦ و ٢٠٥ و ٢٠٨ و ٢٧٦ و ٢٨٣، ذيل تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٠ ومصادر أخرى كثيرة جداً للعامة.

الهداية للشيخ الصدوق ص ١٤٩ و ١٥٠، رسائل المرتضى ج ٣ ص ٢٠ و ١٣٠، الإقتصاد للشيخ الطوسي ص ٢١٦، الرسائل العشر للشيخ الطوسي ص ١٣٣، الكافي ج ١ ص ٢٨٧ و ٢٩٤ وج ٤ ص ٥٦٧ وج ٨ ص ٢٧، دعائم الإسلام ج ١ ص ١٦ و ١٩، من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٤٨ ح ٦٨٦ وج ٢ ص ٣٣٥ حديث ١٥٥٨ الصلاة في مسجد غدير خم، علل الشرائع ج ١ ص ١٤٣، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٥٢ و ٦٤ و ١٦٤ وج ٢ ص ٥٨، الخصال ص ٦٦ و ٢١١ و ٢١٩ و ٣١١ و ٤٧٩ و ٤٩٦ و ٥٧٨، الأمالي للصدوق ص ٤٩ و ١٤٩ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ٤٢٨ و ٦٧٠، كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٧٦ و ٣٣٧، التوحيد ص ٢١٢، معاني الأخبار ص ٦٥ و ٦٦ و ٦٧، المجازات النبوية للشريف الرضي ص ٢١٧، خصائص الأئمة ص ٤٢، تهذيب الأحكام ج ٣ ص ٢٦٣، روضة الواعظين ص ٩٤ و ١٠٣ و ٣٥٠، الإيضاح ص ٩٩ و ٥٣٦، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ١١٨، ١٣٧، ١٧١، ٣٦٢، ج ٢ ص ٣٦٥ وموارد أخرى من هذا الكتاب، المسترشد ص ٤٦٨ و... و ٦٢٠، ٦٣٢، دلائل الإمامة ص ١٨، شرح الأخبار ج ١ ص ٩٩ و... و ٢٢٨ و... و ٢٤٠ و... وج ٢ ص ٢٥٥ و ٢٦٠ وموارد أخرى من هذا الكتاب وج ٣ ص ٤٦٩ و ٤٨٥، كتاب الغيبة ص ٦٨، الإرشاد ج ١ ص ١٧٦ و ٣٥١، الإختصاص ص ٧٩، الأمالي للمفيد ص ٥٨ و ٢٢٣، كنز الفوائد ص ٢٢٥ و... الأمالي للطوسي ص ٩ و ٢٢٧ و ٢٤٧ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٧٢ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و... و ٣٤٣ و ٥٤٦ و ٥٥٥ و... الإحتجاج ج ١ ص ٧٥ و ٩٦ و ١٥٥، الخرائج والجرائح ج ١ ص ٢٠٧، العمدة ص ٨٥ و ٩٢ و... ص ٢٧١ وموارد أخرى من هذا الكتاب، تفسير العياشي ج ١ ص ٤ و ٢٥٠ و ٢٨١ و ٣٢٧ و ٣٢٩ و ٣٣٢ و... وج ٢ ص ٩٨ و ١٠٠ و ٣٠٧ و ٣٢٠، تفسير القمي ج ١ ص ١٧٤ و ٣٠١ وج ٢ ص ٢٠١، تفسير فرات الكوفي ص ٥٦ و ١١٠ و ١٢٤ و ١٣٠ و ٣٤٥ و... و ٤٥١ و ٤٩٠ و ٤٩٥ و... و ٥٠٣ و... و ٥١٦ و ٥٧٤، مجمع البيان ج ٣ ص ٢٧٤ و ٣٨٢ و ٣٨٣ وج ٨ ص ١٢٥ وج ١٠ ص ٥٩ و ١١٩ ومصادر أخرى كثيرة جداً للخاصّة.

(١) جمهرة اللغة ج ١ ص ١٠٨.

ومنه الحديث: من كنت مولاه فعلي مولاه).

وقال ابن الأثير في النهاية في كلمة ولي: (وقول عمر لعلي: أصبحت مولى كل مؤمن، أي ولي كل مؤمن).

وقد روي حديث الغدير بطرق صحيحة عند العامة، وإن كانت كثرة طرقه تجعله غنياً عن البحث في صحّة سنده، قال الحافظ القندوزي في ينابيع المودّة:
«حكى العلامة علي بن موسى وعلي بن محمد أبي المعالي الجويني الملقّب بإمام الحرمين أستاذ أبي حامد الغزالي رحمهما الله يتعجب ويقول: رأيت مجلداً في بغداد في يد صحافٍ فيه روايات خبر غدير خمّ مكتوباً عليه: المجلد الثامنة والعشرون من طرق قوله صلى الله عليه وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه.. ويتلوه المجلد التاسع والعشرون!»^(١).

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب في ترجمة علي عليه السلام بعد أن نقل حديث الغدير عن ابن عبد البر عن أبي هريرة، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم:
(وقد جمعه ابن جرير الطبري في مؤلّف فيه أضعاف من ذكر، وصحّحه، واعتنى بجمع طرقه أبو العبّاس بن عقدة، فأخرجه من حديث سبعين صحابياً أو أكثر!)^(٢).

ودلالة هذا الحديث واضحة على ولاية علي عليه السلام على الأُمّة، وخلافته للنبي صلى الله عليه وآله بلا فصل، لأنّ لفظ (المولى) وإن استعمل في معانٍ كثيرة، لكنّ القرائن المقامية والمقالية تعين المقصود منه وأنه ولاية الأمر على الأُمّة، وهذه بعض القرائن:

(١) ينابيع المودّة ج ١ ص ١١٣.

(٢) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٩٧.

١- قبل إعلان النبي ﷺ ولاية عليّ عليه السلام، أخبر ﷺ أمته أنه راحل إلى ربّه، وأوصاهم بالكتاب والعترة، وأكد أنّها لا يفترقان، ثمّ قدّم لهم عليّاً معلناً لهم (من كنت مولاه فعلي مولاه)، فالمقصود تعريف من يجب على الأمة التمسك به وبالقرآن لتصان عن الضلال.

٢- لا يناسب حكمة النبي ﷺ أن يأمر بإيقاف الألواف المؤلفة من الحجّاج في الصحراء في حرّ الظهيرة، ويأمرهم أن يصنعوا له منبراً من الأحجار وحدائج الإبل.. من أجل أن يعلن للمسلمين أنّ عليّاً مولاهم بمعنى محبّهم وناصرهم! بل لا بدّ أن يكون الموضوع إعلان أمر مهمّ، وليس هو إلاّ بيان ولاية الأمر من بعده.

٣- روى الواحدي في أسباب النزول عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) يوم غدِير خمّ في علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢).

(١) سورة المائدة: ٦٧.

(٢) أسباب النزول ص ١٣٥، شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٤٦ و ٢٤٩ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٧ و ٤٠٢ و ج ٢ ص ٣٩١ و ٤٥١، الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨، فتح القدير ج ٢ ص ٦٠، المعيار والموازنة ص ٢١٤، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٣٧، ينابيع المودّة ج ١ ص ٣٥٩ و ج ٢ ص ٢٤٨ و ٢٨٥ و ج ٣ ص ٢٧٩، وقد ذكر سبب نزول الآية الشريفة في بعض المصادر المذكورة في صفحة ١٦٨.

دعائم الإسلام ج ١ ص ١٥، رسائل المرتضى ج ٣ ص ٢٠ و ج ٤ ص ١٣٠، الكافي ج ١ ص ٢٨٩ و ٢٩٠، الأمالي للصدوق ص ٤٣٥ المجلس السادس والخمسون ح ١٠ و ص ٥٨٤، كشف الغطاء ج ١ ص ١٠، التوحيد ص ٢٥٤ و ٢٥٦، روضة الواعظين ص ٩٠ و ٩٢، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ١٤٠ و ١٧١ ج ٢ ص ٣٨٠ و ٣٨٢، المسترشد ص ٤٦٥ و ٤٧٠ و ٦٠٦، شرح الأخبار ج ١ ص ١٠٤ و ج ٢ ص ٢٧٦ و ٣٧٤، الإرشاد ج ١ ص ١٧٥، الإحتجاج ج ١ ص ٧٠، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢١ و ٢٣، العمدة ص ٩٩، الطرائف ص ١٢١ و ١٤٩ و ١٥٢، تفسير أبي حمزة الثمالي ص ١٦٠، تفسير

ويستفاد من الآية الكريمة أنّ الذي أمر الرسول ﷺ - في شأن نزول الآية - بتبليغه كان ذا جهتين :

الأولى: أنّ الشيء الذي أوقفهم لتبليغهم إياه ذو أهمية كبرى على مسيرة الأمة، بحيث إنه لو لم يفعل لما بلغ رسالة الله، وهذا لا يكون إلا ولاية أمر الأمة لا غيرها من معاني الولاية.

الثانية: إنّ وعد الله بأن يعصمه من الناس دليل على أنّ تبليغ ما أمر بتبليغه يستتبع كيد المنافقين الذين قد سمعوا من أهل الكتاب ظهور النبي ﷺ وتوسعة حكومته، فتظاهروا بالإيمان وأحاطوا به طمعاً في الرئاسة من بعده، وليس شيء من معاني الولاية يترتب عليه ذلك إلا ولاية الأمر من بعده.

٤- روى الخطيب، عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجة، كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدیر خمّ، لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: ألسنت ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال عمر بن الخطاب: يخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم. فأنزل الله: اليوم أكملت لكم دينكم^(١)، وإكمال الدين وإتمام

← العياشي ج ١ ص ٣٢٨ و ٣٣١ و... وج ٢ ص ٩٧، تفسير القمي ج ١ ص ١٧١ و ١٧٤ وج ٢ ص ٢٠١، تفسير فرات الكوفي ص ١٢٤ و ١٢٩ و...، إعلام الوری ج ١ ص ٢٦١. ومصادر أخرى للخاصة، وقد ذكر سبب نزول الآية الشريفة في بعض المصادر المذكورة في صفحة: ١٦٨.

(١) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٢٨٤، شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٠٠ و... وج ٢ ص ٣٩١، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٣٣ و ٢٣٤، البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٨٦، المعيار والموازنة ص ٢١٢، ينابيع المودة ج ٢ ص ٢٤٩ ومصادر أخرى للعامة.

العمدة ص ١٠٦ و ١٧٠ و ٢٤٤، الطرائف ص ١٤٧، رسائل المرتضى ج ٤ ص ١٣١، الإقتصاد ص ٢٢٠،

النعمة على المسلمين، لا يتصوّر إلا بتعيين شخص يبيّن الإسلام، وينقّذه بعد النبي ﷺ.

٥ - قال الشبلنجي في نور الأبصار: ونقل الإمام أبو إسحاق الثعلبي رضي الله عنه في تفسيره: «أنّ سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى سئل عن قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَعْ﴾ فيمن نزلت، فقال للسائل: لقد سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك، حدّثني أبي عن جعفر بن محمّد عن آباءه رضي الله عنهم أنّ رسول الله لما كان بغدير خمّ نادى الناس، فاجتمعوا، فأخذ بيد علي رضي الله عنه، وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فشاع ذلك فطار في البلاد، وبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله على ناقه، فأتاخ راحلته ونزل عنها وقال: يا محمّد! أمرتنا عن الله عزّ وجلّ بشهادة أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك، وأمرتنا أن نُصليّ خمساً فقبلنا منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا، وأمرتنا بالحجّ فقبلنا، ثمّ لم ترضَ بذلك حتّى رفعت بضبعي ابن عمّك تفضّله علينا. فقلت: من كنت مولاه فعليّ مولاه! فهذا شيء منك أم من الله عزّ وجلّ؟

فقال النبيّ: والذي لا إله إلا هو، إنّ هذا من الله عزّ وجلّ. فولّى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهمّ إن كان ما يقول محمّد حقّاً فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذابٍ أليم، فما وصل راحلته حتّى رماه الله عزّ وجلّ بحجر، سقط على هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَعْ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (١).

← الأماي للصدوق ص ٥٠ المجلس الأوّل ح ٢، روضة الواعظين ص ٣٥٠، تفسير فرات الكوفي ص ٥١٦، خصائص الوحي المبين ص ٩٧ ومصادر أخرى للخاصّة.

(١) نور الأبصار ص ٨٧، وراجع أيضاً نظم درر السمطين ص ٩٣، الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢٧٩.

ولا شك أنّ أحاديث النبي ﷺ في فضائل عليّ عليه السلام كانت قد بلغت المسلمين، والحديث الذي لم يكن يعرفه أمثال الحارث بن النعمان الفهري، وجابر بن النضر، إنّما هو ولاية عليّ على الأمة بعد النبي، فكان يصعب عليهم قبوله ولذلك اعترضوا عليه.

٦- من القرائن الواضحة على أنّ معنى المولى الولي بعد النبي ﷺ، أنّ المسلمين فهموا ذلك من خطبة النبي ﷺ، وهنؤوا علياً عليه السلام بذلك، فقد روى أحمد في مسنده: (١)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢)، والرازي في تفسيره (٣)، ونكتفي بما في مسند أحمد:

عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله في سفر فنزلنا بغدير خمّ، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله تحت شجرتين، فصلّى الظهر وأخذ بيد علي رضي الله تعالى عنه فقال: أستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. قال: أستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى.

قال: فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهمّ وال من والاه وعاد

← ينابيع المودة ج ٢ ص ٣٧٠، شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٨١ و... ومصادر أخرى للعامة.
شرح الأخبار ج ١ ص ٢٣٠، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٤٠، تفسير فرائد الكوفي ص ٥٠٥، الطرائف ص ١٥٢، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٤٠ ومصادر أخرى للخاصة.
(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٨١.
(٢) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٢٨٤.
(٣) التفسير الكبير ج ١٢ ص ٤٩ تفسير آية (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) ومصادر أخرى للعامة.

وقد ذكر في مصادر الخاصة أيضاً: منها مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ٣٦٨ و٣٦٩ و...، ومنها المناقب ص ١٥٦.

من عاداه!

قال: فلقبه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمّسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة^(١).

فهذه التهينة من شخص مثل عمر لا يمكن أن تكون بسبب أن النبي مدح علياً بأمر مشترك بينه وبين غيره، بل بسبب أنه خصّه بأمر مختصّ به، وليس هو إلا ولايته وزعامته على الأمة.

٧- ومن القرائن على أنّ المقصود بالمولى الوالي على الأمة، احتجاج عليّ عليه السلام بخطبة الغدير، وقد نقل ذلك عدد من كبار علماء السنّة، مثل ابن حجر في الإصابة^(٢)، وابن الأثير في أسد الغابة^(٣)، ونكتني بما قاله ابن كثير، قال: (قال أبو إسحاق: وحدثني من لا أحصي أنّ علياً نشد الناس في الرحبة من سمع قول رسول الله: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه. فقام

(١) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ٤٤٣، ج ٢ ص ٤٤١، المسترشد ص ٤٧٢، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٤٥، الطرائف ص ١٥٠، اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ٨٧ ومصادر أخرى للخاصّة.
نظم درر السمطين ص ١٠٩، ذخائر العقبى ص ٦٧، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٢٠ و...، البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٨٦، ينابيع المودّة ج ١ ص ٩٨ و ١٠١ و ج ٢ ص ١٥٨ و ٢٨٥ ومصادر أخرى للعامة.
(٢) الإصابة ج ٤ ص ٣٠٠ القسم الأوّل عبد الرحمن بن مدّج، ج ٤ ص ٢٧٦ و ج ٧ ص ١٣٦.
(٣) أسد الغابة ج ٣ ص ٣٢١، وراجع أيضاً: مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١١٩، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٥ و ١٠٧، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٣١ و...، مسند أبي يعلى ج ١ ص ٤٢٨، البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٢٩، السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤١٨، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص ٩٦ و ١٠٠ و... وص ١٣٢، المعجم الأوسط ج ٧ ص ٧٠، المعجم الكبير ج ٥ ص ١٧١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٩ ص ٢١٧، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٠٥ ومصادر أخرى للعامة.
مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ٣٧٢، شرح الأخبار ج ١ ص ١٠٠، الأمالي للطوسي ص ٢٥٥ و ٢٧٢ و ٣٣٤... العمدة ص ٩٣، الطرائف ص ١٥١ ومصادر أخرى للخاصّة.

نفر فشهدوا أنهم سمعوا ذلك من رسول الله ، وكنتم قوم! فما خرجوا من الدنيا حتى عموا، وأصابتهم آفة! منهم يزيد بن وداعة، وعبد الرحمن بن مدلج).

ومن البديهي أن استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الحديث، وطلبه شهادة الصحابة لإثبات خلافته، قرينة واضحة على تعيين المدلول - لكلمة الولي - في ولاية أمر المسلمين.

٨- ومن القرائن على أن الولاية في الحديث بمعنى ولاية الأمر، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهّد لولاية علي بولاية الله تعالى، وقال: (الله مولاي) ولا شك أنه لا ولاية لأحد عليه صلى الله عليه وآله وسلم سوى الله تبارك وتعالى، ثم قال: (وأنا مولى كل مؤمن) فأفاد أن تلك الولاية ثابتة له على المؤمنين، ثم قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه) فأثبت تلك الولاية لعلي من بعده، ومن الواضح أنها ليست إلا ولاية أمر المسلمين.

٩- ومن القرائن أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد رفع الشبهة والشك وسدّ الطريق على من يريد تحريف ولاية علي عليه السلام التي أعلنها، حيث ذكّرهم بقول الله تعالى: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم»^(١) وأخذ منهم الإقرار بولايته وأولويته بهم بقوله: «أنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم»، قالوا: بلى» ثم جعل تلك الولاية والألوية لعلي عليه السلام بقوله: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه»، فلا يبقى أيّ شك في أن المراد من المولى هو ولاية الأمر على المسلمين.

(١) سورة الأحزاب: ٦.

الحديث الرابع:

قول النبي ﷺ لعليّ عليه السلام: (أنت منّي وأنا منك)^(١)، وقد أخرجه البخاري وغيره من أكابر أئمة الحديث.

لا ريب أنّ كمال العالم بالعقل والعلم والعبادة والإطاعة بالإختيار، الذي خلق لأجله الإنسان الذي امتاز في خلقته بالعقل والإختيار، وكمال الإنسان بلوغه إلى مرتبة الإتّصال بعالم الغيب، واستنارة عقله بنور الوحي، وهي مرتبة النبوة، وكمال

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٦٨ كتاب الصلح باب كيف يكتب هذا... وج ٤ ص ٢٠٧ باب مناقب علي بن أبي طالب وج ٥ ص ٨٥ باب عمرة القضاء، مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٩٨ و ١١٥ وج ٥ ص ٢٠٤، وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ٢٢٩ و ٢٣٠، السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٥، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٧٥، المصنف لعبد الرزاق ج ١١ ص ٢٢٧، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٩٩، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٢٧ و ١٤٨ و ١٦٨ و ١٦٩، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص ٨٨ و ٨٩ و ١٢٢ و ١٥١، كنز العمال ج ٥ ص ٥٧٩ وج ١١ ص ٥٩٩ و ٦٣٩ و ٧٥٥ وج ١٣ ص ٢٥٥، معاني القرآن ج ٥ ص ٤٠، شواهد التنزيل ج ٢ ص ١٤٣، الجامع لأحكام القرآن ج ١٣ ص ٦٠ وج ١٥ ص ٢١٥، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٧٥ وج ٤ ص ٢١٨، تاريخ بغداد ج ٤ ص ٣٦٤، تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٣٦٢ وج ٤٢ ص ٥٣ و ٦٣ و ١٧٩، تهذيب الكمال ج ٥ ص ٥٤، البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٧، ومصادر أخرى كثيرة للعامة.

مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ص ٤٧٣، مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٩٦، الخصال ص ٤٩٦ و ٥٧٣ و ٦٥٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٥٨ باب ٣١ ح ٢٢٤، الأمالي للصدوق ص ٦٦ المجلس الرابع ح ٨ و ١٥٦ المجلس الحادي والعشرون ج ١ ص ٣٤٢ المجلس الخامس والأربعون ح ٢ وموارد أخرى من هذا الكتاب، كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٤١، كفاية الأثر ص ١٥٨، روضة الواعظين ص ١١٢ و ٢٩٦، المسترشد ص ٦٢١ و ٦٣٤ و...، شرح الأخبار ج ١ ص ٩٣ وج ٢ ص ٢٥٠، الإرشاد ج ١ ص ٤٦، الأمالي للمفيد ص ٢١٣، الأمالي للطوسي ص ٥٠ و ١٣٤ و ٢٠٠ و ٢٧١ و ٣٣٥ و ٣٥١ و ٤٨٦، العمدة ص ١٤٦ و ٢٠١، ومصادر أخرى للخاصّة.

هذه المرتبة ببعثه سفيراً من الخالق إلى خلقه لإضاءة عقولهم بضياء الحكمة الإلهية، وهي مرتبة الرسالة.

وكمال هذه المرتبة بلوغها إلى مرتبة العزم على العهد المعهود، والميثاق المأخوذ، الذي هو مرتبة أولي العزم من الرسل المبعوثين بالشرعة.

وكمال هذه المرتبة الوصول إلى مرتبة الخاتمية، التي هي مرتبة المبعوث بالشرعة الأبدية، التي هي نهاية الحدّ، وصاحبها أول العدد وآخر الأبد، الخاتم لما سبق، والفتاح لما استقبل، وهو الإسم الأعظم، والمثل الأعلى.

وقد وصل عليّ عليه السلام إلى مرتبة قال الذي قال الله في شأنه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(١): (عليّ مني)، الكاشف عن اشتقاق عليّ من الجوهرة الفريدة في عالم الإمكان، وهي النفس القدسية التي هي العلة الغائية من خلق العالم واستخلاف آدم، ولم يقتصر على هذا، بل قال: (وأنا منه)، لأنّ غاية وجوده والهدف من بعثته وما به قوام إتيته، وهو الهداية إلى الدين القويم والصرّاط المستقيم، لم تتحقّق حدوثاً وبقاءً إلاّ بعليّ وأبنائه المعصومين عليهم السلام.

فكيف يمكن الفصل في الخلافة بين من هو من عليّ وعليّ منه؟!

الحديث الخامس:

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يتفرقا حتى يردا على الحوض»^(٢)، وقد اعترف بصحة سنده كبار أئمة الحديث من العامة والخاصة.

(١) سورة النجم: ٣.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٢٤ وفي التلخیص أيضاً المعجم الصغير ج ١ ص ٢٥٥، المعجم الأوسط ج ٥ ص ١٣٥، الجامع الصغير ج ٢ ص ١٧٧، كنز العمال ج ١١ ص ٦٠٣، فيض القدير ج ٤

ودلالة هذا الحديث كسابقه واضحة، لأنه ليس في الكتب الإلهية أفضل من القرآن ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا﴾^(١)، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِيَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(٢)، وقد وصفه الله بأوصاف تنبئ عن عظّمته التي جفّ القلم عن تحريرها وكلّ البيان عن تقريرها، كقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾^(٣)، ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾^(٤)، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(٥)، ﴿يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾^(٦)، ووصف نفسه بأنه معلّم هذا الكتاب ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾^(٧)، وأشار إلى ما تجلّى من جبروته في هذا الكتاب بقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٨)، وإلى ما تجلّى من قدرته في الأسرار المكنونة في آياته، بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَن قُرْآنًا سُوِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾^(٩)، وأنّ هذا الكتاب مظهر علمه وحكمته ﴿وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى

← ص ٤٧٠، سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٩٧، ينابيع المودّة ج ١ ص ١٢٤ و ٢٦٩ ومصادر أخرى للعامة.

الإحتجاج ج ١ ص ٢١٤ و ٢٢٥، الطرائف ص ١٠٣، الأربعون حديثاً ص ٧٣، كشف الغمّة ج ١ ص ١٤٨، الأمالي للطوسي ص ٤٦٠، المجلس السادس عشر ص ٣٤ و ٤٧٩ و ٥٠٦ ومصادر أخرى للخاصّة.

(١) سورة الزمر: ٢٣.

(٢) سورة الإسراء: ٩.

(٣) سورة البروج: ٢٠ - ٢١.

(٤) سورة الواقعة: ٧٧ - ٧٨.

(٥) سورة الحجر: ٨٧.

(٦) سورة يس: ١ - ٢.

(٧) سورة الرحمن: ١ - ٢.

(٨) سورة الحشر: ٢١.

(٩) سورة الرعد: ٣١.

الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ^(١)، وقال: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً^(٢)»، وحمد نفسه على إنزال هذا الكتاب «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا^(٣)»، وهو الكتاب الذي قد روي عن رسول الله في التمسك به: «فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع وماحل مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له تخوم، وعلى تخومه تخوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائب، فيه مصابيح الهدى، ومنازل الحكمة، ودليل على المعروف [المعرفة] لمن عرفه [عرف الصفة]^(٤).

هذا هو الكتاب الذي قد تجلّى الله لخلق فيه، وقد عرفه من أنزله بما ذكر من الآيات، ومن أنزل عليه بهذه الكلمات، فما أجل قدر من وصفه النبي بعمية هذا الكتاب!

فهو الذي يكون مع ظاهر القرآن بحكمته، ومع باطن القرآن بعلمه، ومع عجائبه التي لا تحصى وغرائبه التي لا تبلى، وبهذه المعية، عنده ما أنزل الله على جميع أنبيائه من الكتاب والحكمة، وعلمه حملة علمه من عزائم أمره وغوامض أسرار.

إن الذي كان عنده علم من الكتاب استطاع أن يأتي بعرش بلقيس قبل أن

(١) سورة النمل: ٦.

(٢) سورة النحل: ٨٩.

(٣) سورة الكهف: ١.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٥٩٩.

يرتدّ طرف سليمان، فما أرفع مكان من هو مع الكتاب بكلّ ما فيه !
وهو الأذن الواعية في قوله تعالى: ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَأَعِيَةٌ﴾^(١)، على ما رواه أعلام
التفسير والحديث^(٢)، وهو الذي قال: «سلوني فوالله لاتسألوني عن شيء يكون إلى
يوم القيامة إلا حدثتكم به وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل
نزلت [أنزلت] أم بنهار أم في سهل أم في جبل»^(٣).
وما أعظم مقام من وصفه النبي بأنّ القرآن معه، ومع أنّ المعية قائمة بالطرفين لم
يكتف بقوله ﷺ: عليّ مع القرآن وزاد في بيان عظّمته بما لا يناله إلاّ أولو الألباب
وهو قوله: والقرآن مع عليّ.

(١) سورة الحاقة: ١٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٧ ص ٢٢٠، نظم درر السمطين ص ٩٢، كنز العمال ج ١٣
ص ١٣٥ و ١٧٧، جامع البيان ج ٢٩ ص ٦٩، أسباب النزول ص ٢٩٤، شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٦١
و ٣٦٢ و...، الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢٦٤، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٤١، الدر المنثور ج ٦
ص ٢٦٠، تاريخ مدينة دمشق ج ٣٨ ص ٣٤٩، ج ٤١ ص ٤٥٥ و ج ٤٢ ص ٣٦١ ومصادر أخرى للعامة.
بصائر الدرجات ص ٥٣٧، الجزء العاشر باب ١٧، ح ٤٨، الكافي ج ١ ص ٤٢٣، عيون أخبار
الرضا عليه السلام ج ٢، ص ٦٢ باب ٣١ ح ٢٥٦، روضة الواعظين ص ١٠٥، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١
ص ١٤٢ و...، دلائل الإمامة ص ٢٣٥، تفسير العياشي ج ١ ص ١٤، تفسير فرات الكوفي ص ٤٩٩،
التبيان ج ١٠ ص ٩٨، مجمع البيان ج ١٠ ص ١٠٧ ومصادر أخرى للخاصّة.

(٣) فتح الباري ج ٨ ص ٤٥٩، كنز العمال ج ٢ ص ٥٦٥ وبتفاوت يسير في شواهد التنزيل ج ١ ص ٤٢،
تفسير الثعلبي ج ١ ص ٥٢، الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣٥، الجرح والتعديل ج ٦ ص ١٩٢، تهذيب
الكمال ج ٢٠ ص ٤٨٧، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٩٧، أنساب الأشراف ص ٩٩، ينابيع المودّة ج ٢
ص ١٧٣ و ٤٠٨، ذخائر العقبى ص ٨٣، تفسير القرآن عبد الرزاق ج ٣ ص ٢٤١، الطبقات الكبرى ج ٢
ص ٣٣٨، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٩٨ ومصادر أخرى للعامة.
مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٤٦، وصول الأخبار إلى أصول الأخبار ص ٤، المناقب ص ٩٤، كشف
الغمّة ج ١ ص ١١٧، سعد السعود ص ٢٨٤، تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٨٣، ومصادر أخرى للخاصّة.

وفي الإبتداء بعلي والإختتام بالقرآن في الجملة الأولى، والإبتداء بالقرآن والإختتام بعلي في الجملة الثانية، وترتيب الكلام من أفصح من نطق بالضاد^(١) بحيث يكون البدء والختم بعلي، لطائف لا يسعها المجال.

وخلاصة الكلام أنه ليس فيمن أرسله الله أفضل من الرسول الأمين، ولما كان عليّ منه وهو من عليّ، فعليّ تالٍ تلو خير خلق الله، وليس فيما أنزل الله أعلى من القرآن المبين، ولما كان عليّ مع القرآن والقرآن معه فقلبه خزنة كلّ ما أنزل الله من الهدى والنور والكتاب والحكمة.

فهل يبقى ريب في أنه أولى بأن يكون خليفة للرسول الكريم ومفسراً للقرآن العظيم؟! وهل يبقى شك في أنه مولى كلّ من آمن بالله الذي قال: ﴿مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾^(٢)، ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٣)؟!

الحديث السادس:

وقد اعترف بصحّته أهل الحديث والرجال من العامّة، قال عمرو بن ميمون، قال: إنني لجالس عند ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا ابن عباس، إمّا أن تقوم معنا، وإمّا أن تخلو بنا من بين هؤلاء. قال: فقال ابن عباس: بل أنا أقوم معكم، قال: وهو يومئذٍ صحيح قبل أن يعمي.

قال: فابتدؤوا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفذ ثوبه ويقول: أفٍ وتفٍ! وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل، ليست لأحد غيره! وقعوا في

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ١٦٣.

(٢) سورة الحشر: ٧.

(٣) سورة النور: ٥٤.

رجل قال له النبي ﷺ: لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فاستشرف لها مستشرف فقال: أين علي؟ فقالوا: إنه في الرحى يطحن، قال: وما كان أحدهم ليطحن!
قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر. قال: فنفت في عينيه، ثم هزّ الراية ثلاثاً فأعطاها إياه.

قال ابن عباس: ثم بعث رسول الله ﷺ فلاناً بسورة التوبة، فبعث علياً خلفه فأخذها منه وقال: لا يذهب بها إلا رجل هو منّي وأنا منه.
فقال ابن عباس: وقال النبي ﷺ لبني عمّه: أيكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ قال وعليٌّ جالس معهم، فقال رسول الله ﷺ وأقبل على رجل رجل منهم: أيكم يواليني في الدنيا والآخرة، فأبوا!
فقال لعلي: أنت وليي في الدنيا والآخرة.

قال ابن عباس: وكان عليّ أوّل من آمن من الناس بعد خديجة رضي الله عنها. قال: وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على عليّ وفاطمة وحسن وحسين، وقال: إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً.
قال ابن عباس: وشريّ عليّ نفسه، فلبس ثوب النبي ثمّ نام مكانه... إلى أن قال:

وجعل عليّ ﷺ يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله ﷺ وهو يتضوّر، وقد لفّ رأسه في الثوب لا يخرج منه حتى أصبح، ثمّ كشف عن رأسه، فقالوا: إنّك للئيم، وكان صاحبك لا يتضوّر ونحن نرّميه، وأنت تتضوّر، وقد استنكرنا ذلك!
فقال ابن عباس: وخرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وخرج بالناس معه، قال فقال له علي: أخرج معك.

قال: فقال النبي ﷺ: لا، فبكى علي، فقال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس بعدي نبي. إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي.

قال ابن عباس: وقال له رسول الله: أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة.

قال ابن عباس: وسد رسول الله أبواب المسجد غير باب علي، فكان يدخل المسجد جنباً، وهو طريقه ليس له طريق غيره.

قال ابن عباس: وقال رسول الله: من كنت مولاه فإنّ مولاه علي^(١).

فهل يبقى شك في أنّ علياً هو الخليفة للنبي بلا فصل، بعد تخصيص النبي له براءة الفتح، ونصّه عليه وحده من بين الأصحاب بأنه محبوب الله ورسوله؟ وبعد أن أرسل سورة براءة إلى أهل مكة بيد غيره، فأمره الله أن يسحبها منه ويعطيها لعلي، لأنه لا يجوز أن يبلغها عن النبي إلا هو أو رجل منه، وهو علي؟ وبعد تصريح النبي بأنّ منزلته منه كمنزلة هارون من موسى، وأنه لا ينبغي له أن يذهب من المدينة إلا وعلي خليفته؟

وبعد أن نصّ علي ولايته المطلقة على المؤمنين فقال: (أنت ولي كل مؤمن بعدي

(١) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٣٢، مسند أحمد ج ١ ص ٣٣٠، السنن الكبرى للسيهقي ج ٥ ص ١١٢، المعجم الكبير ج ١٢ ص ٧٧، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص ٦٢، خصائص الوحي المبين ص ١١٧، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٩٨، ينابيع المودة ج ١ ص ١١٠، ذخائر العقبى ص ٨٧، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٩، كتاب السنّة ص ٥٨٩، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١١٣، البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٧٤ ومصادر أخرى للعامة.

تفسير فرات الكوفي ص ٣٤١، شرح الأخبار ج ٢ ص ٢٩٩، العمدة ص ٨٥ و ٢٣٨، كشف الغمّة ج ١ ص ٨٠، المناقب ص ١٢٥، كشف اليقين ص ٢٦، ومصادر أخرى للخاصة.

ومؤمنة) (من كنت مولاه فعلي مولاه)؟

فكيف يبقى مجال للشك عند المنصف وهو يرى هذه الأحاديث وأمثالها مدوّنة في مصادر العامّة، معترفاً بصحّتها عندهم، تنصّ على أنّ عليّاً عليه السلام هو خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلا فصل؟!

**

هذا غيضٌ من فيض من آيات الله تعالى، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الموضوع، ولا يتّسع هذا الموجز لاستقصائها.

وقد روى الحاكم الحسكاني، وهو من أعلام القرن الخامس من علماء العامّة، عن مجاهد أنه قال: (إنّ لعلّي سبعين منقبة ما لأحد من أصحاب النبي مثلها، وما من شيء من مناقبهم إلّا وقد شركهم فيها)^(١).

وعن ابن عبّاس قال: (ما في القرآن آية: الذين آمنوا وعملوا الصالحات، إلّا وعلي أميرها وشريفها، وما من أصحاب محمّد رجل إلّا وقد عاتبه الله، وما ذكر عليّاً إلّا بخير!)^(٢).

وقال: (لقد كانت لعلّي بن أبي طالب عليه السلام ثماني عشرة منقبة، لو لم يكن له إلّا واحدة منهنّ لنجا بها. ولقد كانت له ثلاث عشرة منقبة لم تكن لأحد من هذه الأمّة)^(٣).

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٤، الخصال ج ٢ ص ٥٧٢ أبواب السبعين.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٠. وقريب منه في ص ٦٧ و...، ينابيع المودّة ج ٢ ص ١٧٧ و٤٠٦ وقد ذكر في كتب الخاصّة أيضاً كما في كشف الغمّة ج ١ ص ٣١٧ وتفسير العيّاشي ج ٢ ص ٣٥٢ وتفسير فرات الكوفي ص ٤٩ وغيرها.

(٣) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٢، المعجم الأوسط ج ٨ ص ٢١٢ وقريب منه في مصادر الخاصّة أيضاً كما في مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣، الخصال ص ٥٠٩ وغيرها.

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: (قال شيخنا أبو الهذيل وقد سأله سائل: أيهما أعظم منزلة عند الله عليّ أم أبو بكر؟

فقال: يا ابن أخي، والله لمبارزة عليّ عمرواً يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلّها وتربو عليها فضلاً عن أبي بكر وحده)^(١).

وقال أحمد بن حنبل كما في مستدرک الحاكم: (ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله من الفضائل، ما جاء لعلي بن أبي طالب)^(٢).

وقيل لإمام العلم والأدب مؤسس علم العروض، الخليل بن أحمد:

ما الدليل على أنّ علياً إمام الكلّ في الكلّ؟

قال: احتياج الكلّ إليه، واستغناؤه عن الكلّ.

وقيل له: ما تقول في علي بن أبي طالب؟

فقال: ما أقول في حقّ امرئ كتم مناقبه أولياؤه خوفاً، وأعداؤه حسداً، ثمّ

ظهر من بين الكتّانين ما ملأ الخافقين^(٣).

فلو لم يكن حسد الأعداء وخوف الأصدقاء، ولم تحجب العصور المظلمة

لحكومات بني أمّية وبني العبّاس شمس سماء الولاية والإمامة، لأشرقت أنوار

فضائل هذا البدر التمام في فلك الإسلام وانتشرت في الأنفس والآفاق؟!

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٩ ص ٦٠.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٠٧، شواهد التنزیل ج ١ ص ٢٦ و ٢٧، تاریخ مدینة دمشق

ج ٤٢ ص ٤١٨، نظم درر السمطين ص ٨٠، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٩٧، ينابيع المودة ج ١ ص ٩

وج ٢ ص ٣٧٠ و ٣٨٥ وغيرها.

وقد ذكر في كتب الخاصة أيضاً كما في: الطرائف ص ١٣٦ والمناقب ص ١١ و ٣٤ والعمدة ص ١٢١

وكشف العمّة ج ١ ص ١٦٧ وغيرها.

(٣) تنقيح المقال ج ١ ص ٤٠٢.

ولنختم هذا المبحث الشريف بآيتين من الآيات النازلة في شأنه عليه السلام:

الآية الأولى

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١).

وقد اعترف أكابر علماء العامّة بنزولها في شأن علي عليه السلام وكنيتي بما نقله الفخر الرازي في تفسيره: وروى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: صليت مع رسول الله يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد أنني سألت في مسجد رسول الله فما أعطاني أحد شيئاً، وعلي عليه السلام كان راكعاً، فأوماً إليه بخصره اليمنى وكان فيها خاتم، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى النبي، فقال: اللهم إن أخي موسى سألك فقال ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾^(٢) إلى قوله: ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ فأنزلت قرآناً ناطقاً ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾^(٣) اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري. قال أبو ذر: فوالله ما أتم رسول الله هذه الكلمة حتى نزل جبرئيل فقال: يا محمد اقرأ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ إلى آخرها^(٤).

(١) سورة المائدة: ٥٥.

(٢) سورة طه: ٢٥.

(٣) سورة القصص: ٣٥.

(٤) التفسير الكبير ج ١٢ ص ٢٦، وراجع أيضاً: جامع البيان ج ٦ ص ٣٨٩، أحكام القرآن ج ٢ ص ٥٥٧، الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٢٢٢، الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٣ و ٢٩٤، المعيار والموازنة ص ٢٢٨،

ونزول الآية بعد دعائه ﷺ إجابةً له، فقد جعل الله عزّ وجلّ علياً من رسول الله كما كان هارون من موسى ﷺ .
ويستفاد من هذه الآية - بمقتضى حرف العطف - أنّ نفس ولاية الله الثابتة للرسول ﷺ هي الثابتة لعليّ ﷺ .
وأفادت الآية الشريفة - بمقتضى أداة المحصر «إنّما» - أنّ هذه الولاية الثابتة لله ولرسوله ولعليّ وولاية منحصرة، وليست هذه الولاية إلا ولاية الأمر .

الآية الثانية

وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١) .

وفي هذه الآية نكات لأهل النظر، نكتي بالإشارة إلى ثلاث منها:

← المعجم الأوسط ج ٦ ص ٢١٨، معرفة علوم الحديث ص ١٠٢، شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢٧٦، نظم درر السمطين ص ٨٦، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٥٧، ينابيع المودة ج ١ ص ٣٤٣ و ٣٤٦ و ج ٢ ص ١٩٢، شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٠٩ و ٢١٢ و...، أسباب النزول ص ١٣٣، مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٧، تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٥٢، تفسير النسفي ج ١ ص ٤٠٥ ومصادر أخرى للعامة.
الكافي ج ١ ص ٢٨٩ و ٤٢٧، الخصال ص ٥٨٠، الأمالي للصدوق ص ١٨٦ المجلس السادس والعشرون ح ٤، كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٧٦ و ٣٣٧، روضة الواعظين ص ٩٢ و ١٠٢، مناقب أمير المؤمنين ﷺ ج ١ ص ١٥١ و ١٧٠ و ١٨٩، دلائل الإمامة ص ١٩ و ٥٤، شرح الأخبار ج ٢ ص ١٩٣ و ٣٤٦، الإرشاد ج ١ ص ٧، كنز الفوائد ص ١٥٤ و...، الأمالي للطوسي ص ٥٤٩، الإحتجاج ج ١ ص ٧٣ و ج ٢ ص ٢٥٢، العمدة ص ١١٩ و...، تفسير العياشي ج ١ ص ٣٢٧، تفسير فرات الكوفي ص ١٢٤ و...، التبيان ج ٣ ص ٥٥٨، مجمع البيان ج ٣ ص ٣٦١ ومصادر أخرى كثيرة للخاصة.
(١) سورة آل عمران: ٦١ .

- ١ - دعوة النبي ﷺ إلى المباهلة برهان على صدق رسالته وحقانيّة دينه، وإبائه النصراني عنها اعتراف ببطلان دينهم.
- ٢ - وكلمة (أنفسنا) دليل على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بلا فصل، لأنّه مع وجود النفس المنزلة منزلة نفس النبي بنصّ الكتاب، والتي هي امتداد لوجوده الشريف، لا يعقل أن يقوم مقامه شخص آخر.
- ٣ - واتفق أئمة التفسير على أنّ المراد (بأبنائنا) في الآية الحسن والحسين عليه السلام، والمراد (بنسائنا) فاطمة الزهراء عليها السلام، والمراد (بأنفسنا) علي عليه السلام^(١).

(١) تفسير فرات الكوفي ص ٨٥، التبيان ج ٢ ص ٤٨٤، مجمع البيان ج ٢ ص ٣٠٩، حقائق التأويل ص ١١٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٨٥ باب ٧ ح ٩ و ج ١ ص ٢٣١ باب ٢٣ ح ١، الخصال للصدوق ص ٥٧٦ أبواب السبعين ح ١، الأمالي للصدوق ص ٦١٨، المجلس التاسع والسبعون ح ١، تحف العقول ص ٤٢٩، روضة الواعظين ص ١٦٤، شرح الأخبار ج ٢ ص ٣٤٠ و ج ٣ ص ٩٤، الفصول المختارة ص ٣٨، تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام ص ٢١، الإرشاد ج ١ ص ١٦٧، الأمالي للطوسي ص ٢٧١، المجلس العاشر ص ٤٥ و ص ٣٠٧ و ص ٣٣٤ المجلس الثاني عشر ح ١٠ و ص ٥٦٤ المجلس الحادي والعشرون ح ١، الإحتجاج ج ١ ص ١٦٢ و ج ٢ ص ١٦٥، دعائم الإسلام ج ١ ص ١٨، مسار الشيعة ص ٤١، كنز الفوائد ص ١٦٧، العمدة ص ١٣٢ و ١٨٨ و... مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ٥٠٢، المناقب ص ١٠٨، كشف الغمّة ج ١ ص ٣٠٨، كشف اليقين ص ٢٨٢، ومصادر أخرى كثيرة للخاصّة.

جامع البيان ج ٣ ص ٤٠٨، الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ١٠٤، تفسير البغوي ج ٣ ص ٣٦١، تفسير روح المعاني ج ٣ ص ١٨٨، تفسير أبي السعود ج ٢ ص ٤٦، تفسير النسفي ج ١ ص ٢٢٤، الدر المنثور ج ٢ ص ٣٩، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٠٢، تحفة الأحوذى ج ٨ ص ٢٧٨، معرفة علوم الحديث ص ٤٩، نظم درر السمطين ص ١٠٨، فتح الباري ج ٧ ص ٦٠، شواهد التنزيل ج ١ ص ١٥٦ و... سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٨٦، زاد المسير ج ١ ص ٣٣٩، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٨٢، البداية والنهاية ج ٥ ص ٦٥ و ج ٧ ص ٣٧٦، السيرة النبوية ابن كثير ج ٤ ص ١٠٣، ينابيع المودة ج ١ ص ٤٣ و ١٣٦ و ١٦٥ و ج ٢ ص ٤٤٦ و ج ٣ ص ٣٦٨، أحكام القرآن ج ٢ ص ١٨، أسباب نزول الآيات ص ٦٧، مسند أحمد ج ١

ونكتفي بذكر حديث أورده الفخر الرازي في تفسيره، قال:

(المسألة الثانية: روي أنه عليه السلام لما أورد الدلائل على نصارى نجران ثم إنهم أصروا على جهلهم، فقال عليه السلام: إن الله أمرني إن لم تقبلوا الحجّة أن أباهلكم. فقالوا: يا أبا القاسم، بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك. فلما رجعوا قالوا للعاقب، وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل، ولقد جاءكم بالكلام الحقّ في أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً قط، فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لكان الإستئصال، فإن أبيتم إلا الإصرار على دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

وكان رسول الله خرج وعليه مرط من شعر أسود، وكان احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي عليه السلام خلفها، وهو يقول: إذا دعوت فأمنوا.

فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إنني لأرى وجوهاً لو سألو الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبق على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، ثم قالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك وأن نقرّك على دينك. فقال صلوات الله عليه: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين، فأبوا، فقال: فإني أنا جزكم القتال، فقالوا: ما لنا بجر

← ص ١٨٥، صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢١، سنن الترمذي ج ٤ ص ٢٩٣، المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٥٠، السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٦٣، مسند سعد بن أبي وقاص ص ٥١، أسد الغابة ج ٤ ص ٢٦، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٦ و ١١٢، الإصابة ج ٤ ص ٤٦٨ ومصادر أخرى للعمامة كثيرة جداً.

العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تردّنا عن ديننا، على أن نوّدي إليك في كلّ عام ألفي حلّة، ألفاً في صفر، وألفاً في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد.

فصالحهم على ذلك، وقال: والذي نفسي بيده، إنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسحوا قرده وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتّى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلّهم حتّى يهلكوا.

وروي أنه عليه السلام لما خرج في مرط أسود، فجاء الحسن عليه السلام فأدخله، ثمّ جاء الحسين عليه السلام فأدخله ثمّ فاطمة، ثمّ علي رضي الله عنهما، ثمّ قال: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**^(١). واعلم أنّ هذه الرواية كالمتمفق على صحّتها بين أهل التفسير والحديث^(٢).

ولا يتّسع المجال لشرح الآية الكريمة والحديث الشريف، فنكتفي بنقاط:
الأولى: إنّما جمع النبي عند خروجه عليّاً وفاطمة والحسنين وأدار عليهم الكساء وقرأ الآية **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**، ليثبت أنّ الدعاء الذي يخرق نواميس الطبيعة، ويهيمن على أسبابها، ويستجاب فوراً بإرادة الله تعالى، لا بدّ أن يصعد إلى خالق الكون من روح مطهّرة من كلّ أنواع الرجس **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾**^(٣)، وأنّ هذه الطهارة بإرادة الله تعالى متحقّقة في هؤلاء النفر، أصحاب الكساء، صلوات الله عليهم.

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) التفسير الكبير ج ٨ ص ٨٥.

(٣) سورة فاطر: ١٠.

الثانية: أن الله سبحانه جعل دعاء الرسول علة تامة للإجابة، ولكنّه في هذه القضية بمقتضى أمر الله سبحانه بانضمام هؤلاء الاربعة بالرسول عند المباهلة، و مقتضى الجملة الشرطية في كلام الرسول (فإذا دعوت فأمنوا) الدالة على التلازم بين الشرط الذي هو دعاؤه و الجزاء الذي هو آمين هؤلاء، أن الله سبحانه و تعالى جعل آمين هؤلاء الاربعة جزء العلة للإجابة ليظهر للناس منزلة عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين، و أنّ لهم الدعوة المستجابة عندالله، و يظهر لهم أن الوجاهة عندالله و التي تستجاب بها الدعوة و لا تردّ بها طلبته منحصرة على وجه الارض بهؤلاء الخمسة.

الثالثة: إنّ مباهلة النبي للنصارى دعاء باللعن عليهم، و كان دعاء عظيماً باستجابته الحتمية تنقلب صورة الانسان الى الحيوان و التراب الى النار، و يستأصل نجران و أهله و تمحو أمة من وجه الأرض.
ولا يمكن أن يكون ذلك إلا بإرادة متصلة بالأمر الذي ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

وهذا مقام الإنسان الكامل الذي يكون رضاه و غضبه مظهراً لرضا الله و غضبه، و هو مقام خاتم النبيين ﷺ، و وصيه عليّ عليه السلام. و المرأة الوحيدة التي شاركت في هذا المقام هي الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، و هذا يكشف عن أنّ روح الولاية الكلية و الإمامة العامة التي هي العصمة المطلقة، متحققة فيها صلوات الله عليها و على أبيها و بعلمها و بنيتها. و ممّا يؤكّد ذلك الحديث الذي رواه العامة و الخاصة، و اعترفوا بصحّته أنّ

(١) سورة يس: ٨٢.

رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني»^(١).

ومع أن العقل والكتاب والسنة دلّت على أن غضب النبي ﷺ هو غضب الله تعالى، لكن روى علماء السنة أنه ﷺ قال لفاطمة: «إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»^(٢).

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢١٠ باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ص ٢١٩ وج ٦ ص ١٥٨، وقريب منه في فضائل الصحابة للنسائي ص ٧٨، مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٥ و ٣٢٨، صحيح مسلم ج ٧ ص ١٤١، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٤٤، سنن أبي داود ج ١ ص ٤٦٠، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٥٩ و ٣٦٠، المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ١٥٩، السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٣٠٧ وج ١٠ ص ٢٠١، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥٢٦، الآحاد والمثاني ج ٥ ص ٣٦١ و ٣٦٢، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٩٧ و ١٤٨، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص ١٢٠ و...، صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤٠٦، المعجم الكبير ج ٢٢ ص ٤٠٤ و ٤٠٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٧٣ و ٢٧٩، نظم درر السمطين ص ١٧٦، الجامع الصغير ج ٢ ص ٢٠٨، كنز العمال ج ١٢ ص ١٠٧ و...، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٦٧، تفسير الثعالبي ج ٥ ص ٣١٥، تاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ١٥٥ وج ٥٨ ص ١٥٩، تهذيب الكمال ج ٢٢ ص ٥٩٩ وج ٣٥ ص ٢٥٠، تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٧٣٥، سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٩٠، الإصابة ج ٨ ص ٢٦٥، البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٦٦، سبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٤٤٩ و... وج ١١ ص ٤٤٤، ينابيع المودّة ج ٢ ص ٤٦ و ٥٢ و... ومصادر أخرى كثيرة للعامة.

علل الشرائع ج ١ ص ١٨٦ باب ١٤٩ ح ٢ وج ١ ص ١٨٧، الأمالي للصدوق ص ١٦٥، المجلس الثاني والعشرون ح ٣، كفاية الأثر ص ٣٧ و ٦٥، الإيضاح ص ٥٤١، دلائل الإمامة ص ١٣٥، شرح الأخبار ج ٣ ص ٣٠ و ٣١ و ٥٩ و... الاعتقادات ص ١٠٥ الأمالي للمفيد ص ٢٦٠، الأمالي للطوسي ص ٢٤، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٣٢ و...، العمدة ص ٣٨٤ و...، مجمع البيان ج ٢ ص ٣١١ وج ٥ ص ٤٠٣، المناقب ص ٣٥٣، كشف الغمّة ح ٤٦٦ و... ومصادر أخرى كثيرة للخاصّة.

(٢) المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ١٥٤، المعجم الكبير ج ١ ص ١٠٨، وج ٢٢ ص ٤٠١، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٣، الآحاد والمثاني ج ٥ ص ٣٦٣، ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤٩٢، الإصابة ج ٨ ص ٢٦٥ و ٢٦٦، تهذيب الكمال ج ٣٥ ص ٢٥٠، تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٣٩٢، ذخائر العقبى

ومن كان الله يرضى لرضاه ويغضب لغضبه بلا قيد ولا شرط، لا بدّ أن يكون رضاه وغضبه - بضرورة العقل - منزّهين عن الخطأ والهوى، وهذه هي العصمة الكبرى.

**

← ص ٣٩، نظم درر السمطين ١٧٧، كنز العمال ج ١٢ ص ١١١ وج ١٣ ص ٦٧٤، الكامل ج ٢ ص ٣٥١، تاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ١٥٦، أسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٢، سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٤٤، ينابيع المودة ج ٢ ص ٥٦ و ٥٧ و ٧٢ و ١٣٢ و ٤٦٤ ومصادر أخرى للعامة.

الإحتجاج ج ٢ ص ١٠٣، وبتفاوت يسير في عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٢٦ باب ٣١ ح ٦ و ص ٤٦ ح ١٧٦، الأمالي للصدوق ص ٤٦٧ المجلس الحادي والعشرون ح ١، روضة الواعظين ص ١٤٩، دلائل الإمامة ص ١٤٦، شرح الأخبار ج ٣ ص ٢٩ و ٣٠ و ٥٢٢، الأمالي للطوسي ص ٤٢٧، مجمع البيان ج ٢ ص ٣١١، الإحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ١٠٣، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٣٤، كشف الغمّة ج ٢ ص ٤٦٧، كشف اليقين ص ٣٥١، معاني الأخبار ص ٣٠٣، الإعتقادات ص ١٠٥، الأمالي للمفيد ص ٩٥، إعلام الوري ج ١ ص ٢٩٤ ومصادر أخرى للخاصّة.

الأئمة الإثنا عشر عليهم السلام

ما تقدّم هو أدلّة مختصرة على مسألة الإمامة في المذهب الحقّ، والشيعّة تعتقد أنّ أئمة المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وآله هم الأئمة الإثنا عشر المعصومون عليهم السلام، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله قد نصّ عليهم، وهم:

الأول: الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام.

الثاني: الإمام الحسن بن علي السبط الأكبر عليه السلام.

الثالث: الإمام الحسين بن علي سيّد الشهداء عليه السلام.

الرابع: الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

الخامس: الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام.

السادس: الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام.

السابع: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

الثامن: الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

التاسع: الإمام محمّد بن علي الجواد عليه السلام.

العاشر: الإمام علي بن محمّد الهادي عليه السلام.

الحادي عشر: الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام.

الثاني عشر: الإمام الحجّة بن الحسن العسكري المهدي الموعود عليه السلام.

وقد اكتفينا بالأدلة المتقدّمة على إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام، وللبحث في

أدلة إمامة كل واحد منهم، من العلم، واستجابة الدعاء، ونص الإمام السابق عليه، مجال آخر.

وغيرنا هنا أن نذكر أحاديث البشارة النبوية في مصادر العامة بالأئمة الإثني عشر عليهم السلام التي وردت بعنوان «اثنا عشر خليفة» و«اثنا عشر أميراً»، وفيها يلي بعضها:

- ١- في صحيح البخاري: «عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي يقول: يكون اثنا عشر أميراً فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي إنه قال كلهم من قريش»^(١).
- ٢- وفي صحيح مسلم: «عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبي فسمعتة يقول: إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة. قال: ثم تكلم بكلام خفي عليّ، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش»^(٢).
- ٣- وفي صحيح مسلم، ومسند أحمد: «عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي يقول: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً، ثم تكلم النبي بكلمة خفيت عليّ، فسألت أبي ماذا قال رسول الله؟ فقال: كلهم من قريش»^(٣).
- ٤- وفي صحيح ابن حبان: «سمعت رسول الله يقول: يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»^(٤).

٥- وفي سنن الترمذي: «يكون من بعدي اثنا عشر أميراً، قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فسألت الذي يليني فقال قال: كلهم من قريش»^(٥).

(١) صحيح البخاري: آخر كتاب الاحكام ج ٨ ص ١٢٧، مسند أحمد ج ٥ ص ٩٣.

(٢) صحيح مسلم ج ٦ ص ٣.

(٣) صحيح مسلم ج ٦ ص ٣، مسند أحمد ج ٥ ص ٩٨.

(٤) صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤٣.

(٥) سنن الترمذي ج ٣ ص ٣٤٠.

٦- وفي مسند أحمد بن حنبل: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش»^(١).

٧- وفيه أيضاً: «يكون بعدي اثنا عشر أميراً ثم لا أدري ما قال بعد ذلك، فسألت القوم كلهم فقالوا: قال: كلهم من قريش»^(٢).

٨- وفي مسند أحمد بن حنبل: «يكون من بعدي اثنا عشر أميراً فتكلم فخفي عليّ، فسألت الذي يليني أو إلى جنبي فقال: كلهم من قريش»^(٣).

٩- وفي مسند أحمد: «يكون بعدي اثنا عشر أميراً، قال ثم تكلم فخفي عليّ ما قال، قال: فسألت بعض القوم أو الذي يليني ما قال؟ قال: كلهم من قريش»^(٤).

١٠- وفي مسند ابن الجعد: «يكون بعدي اثنا عشر أميراً، غير أن حصيناً قال في حديثه: ثم تكلم بشيء لم أفهمه. وقال بعضهم فسألت أبي، وقال بعضهم فسألت القوم، فقال كلهم من قريش»^(٥).

١١- وفي مسند أبي يعلى: «يقول لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، ويكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»^(٦).

١٢- وفي مسند أحمد بن حنبل: «عن جابر بن سمرة قال: خطبنا رسول الله بعرفات فقال: لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيعاً ظاهراً على من ناواه حتى يملك اثنا عشر كلهم، قال فلم أفهم ما بعد قال: فقلت لأبي ما قال بعدما قال: كلهم؟ قال:

(١) مسند أحمد ج ٥ ص ٩٢.

(٢) مسند أحمد ج ٥ ص ٩٢.

(٣) مسند أحمد ج ٥ ص ٩٩.

(٤) مسند أحمد ج ٥ ص ١٠٨.

(٥) مسند ابن الجعد: ٣٩٠ رقم ٢٦٦.

(٦) مسند أبي يعلى ج ١٣ ص ٤٥٦.

كلهم من قريش»^(١).

١٣- وفي مستدرك الحاكم: «عن مسروق قال: كنا جلوساً ليلة عند عبد الله يقرؤنا القرآن فسأله رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبدالله: ما سألتني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك! قال: سأله فقال: اثنا عشر، عدة نقباء بني إسرائيل»^(٢).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة^(٣)، وطرقها عن كبار الصحابة، مثل

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ٩٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج ٤ ص ٥٠١.

(٣) راجع: المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٦١٨، سنن أبي داود ج ٢ ص ٣٠٩، مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٩٨ و ٤٠٦، وج ٥ ص ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٧ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨، مسند أبي يعلى ج ٨ ص ٤٤٤ وج ٩ ص ٢٢٢، المعجم الكبير ج ٢ ص ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٩ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٨ و ٢٢٣ و ٢٢٦ و ٢٤٠ و ٢٤٨ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ج ١٠ ص ١٥٧ وج ٢٢ ص ١٢٠، المعجم الأوسط ج ١ ص ٢٦٣، الآحاد والمثاني ج ٣ ص ١٢٨، التاريخ الكبير للبخاري ج ٣ ص ١٨٥ وج ٨ ص ٤١٠، تهذيب الكمال ج ٣ ص ٢٢٣ و ٢٢٤ وج ٣٣ ص ٢٧٢، التفقات لابن حبان ج ٧ ص ٢٤١، طبقات المحدثين بأصبهان ج ٢ ص ٨٩، مسند أبي داود الطيالسي ص ١٠٥ و ١٨٠، تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ص ٥٣٨، تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٥٤، تاريخ مدينة دمشق ج ٢١ ص ٢٨٨ وج ٣٢ ص ٣٠٣، سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ١٨٤ ومصادر أخرى كثيرة جداً للعامة.

كشف الغطاء ج ١ ص ٧، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٤٩ باب ٦ ح ٩، الخصال ص ٤٦٧ و...، الأمالي للصدوق ص ٣٨٦ المجلس الحادي والخمسون ح ٤ و ص ٣٨٧ و...، كمال الدين وتمام النعمة ص ٦٨ و... و ٢٧١ و...، كفاية الأثر ص ٣٥ و ٤٩ و...، روضة الواعظين ص ٢٦١ و ٢٦٢، دلائل الإمامة ص ٢٠، شرح الأخبار ج ٣ ص ٤٠٠، كتاب الغيبة ص ١٠٣ و... و ١١٧ و ١١٨ و ١٢٠ و...، الغيبة للطوسي ص ١٢٨ و...، مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٩٥، العمدة ص ٤١٦ و... الطرائف ص ١٦٩ و... ومصادر أخرى للخاصة.

ابن عباس، وابن مسعود، وسلمان الفارسي، وأبي سعيد الخدري، وأبي ذر، وجابر بن سمرة، وجابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وأبي ثمامة، ووائلثة بن الأسقع، وأبي أيوب الأنصاري، وعمار بن ياسر، وحذيفة بن أسيد، وعمران بن حصين، وسعد بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وأبي قتادة الأنصاري وآخرين.

وفي هذه الأحاديث نكات نوردها في نقاط:

١. حصر الخلفاء في اثني عشر.
٢. استمرار خلافة هؤلاء الإثني عشر إلى يوم القيامة.
٣. توقّف عزّة الإسلام وأمّته ومنعتها عليهم.
٤. أنّ قوام الدين علماً وعملاً بهم، لأنّ قوامه العلمي بمفسّر للكتاب ومبيّن لحقائقه ومعارفه، وقوامه العملي بمنفذ لقوانينه وأحكامه العادلة، وهذان الغرضان المهّمّان لا يتيسّران إلاّ بتحقيق شروط خاصّة في هؤلاء الأئمة الإثني عشر.
٥. إن اختياره صلى الله عليه وآله للتنظير نعباء بني إسرائيل مع أن النظر للعدد متعدد، تنبيه على أن خلافتهم ليست بانتخاب من الناس، بل تعيين من الله، فقد قال الله تعالى عن النعباء ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾^(١).
٦. إن هؤلاء الأئمة من قريش.

فهل يوجد خلفاء فيهم هذه المزايا، إلا على المذهب الحقّ؟

وهل يمكن تفسير الأئمة الإثني عشر إلاّ بأئمّتنا عليهم السلام؟

وهل تحققت عزّة الإسلام وأهدافه في خلافة يزيد بن معاوية وأمثاله؟!

لقد اعترف بعض المحقّقين من علماء العامّة بأنّ بشارة النبي صلى الله عليه وآله لا تقبل

(١) سورة المائدة: ١٢.

الانطباق إلا على الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، ففي ينابيع المودة للقندوزي:
 (قال بعض المحققين: إن الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده عليهم السلام إثني عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان، علم أن مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حديثه هذا الأئمة الإثنا عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه، نقلتهم عن اثني عشر، ولا يمكن أن يحمل على الملوك الأموية لزيادتهم على اثني عشر، ولظلمهم الفاحش إلا عمر بن عبد العزيز، ولكونهم غير بني هاشم، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (كلهم من بني هاشم) في رواية عبد الملك عن جابر، وإخفاء صوته صلى الله عليه وآله وسلم في هذا القول يرجح هذه الرواية، لأنهم لا يحسنون خلافة بني هاشم، ولا يمكن أن يحمل على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور، ولقلة رعايتهم الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١).

فلا بد من أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الإثني عشر من أهل بيته وعترته عليهم السلام لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلهم وأورعهم وأتقاهم، وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حساباً، وأكرمهم عند الله؛ وكان علمهم عن آبائهم متصلاً بجدهم عليهم السلام وبالوراثة واللدنية، كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق، وأهل الكشف والتوفيق.

ويؤيد هذا المعنى أي أن مراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأئمة الإثنا عشر من أهل بيته، ويشهد له ويرجح حديث الثقلين، والأحاديث المتكثرة المذكورة في هذا الكتاب وغيرها^(٢).

(١) سورة الشورى: ٢٣.

(٢) ينابيع المودة ج ٣ ص ٢٩٢.

عن السدي في تفسيره، وهو من علماء الجمهور وثقاتهم: (لما كرهت سارة مكان هاجر أوحى الله تعالى إلى إبراهيم: أن انطلق بإسماعيل وأمه حتى تنزله بيت النبي التهامي، فإني ناشر ذريتك وجاعلهم ثقلاً على من كفر، وجاعل من ذريته اثني عشر عظيماً)^(١).

وهو موافق لما في التوراة الفعلية في سفر التكوين، الإصحاح السابع عشر:

١٨. وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك.

١٩. فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم

عهدي معه عهداً أبدياً، لنسله من بعده.

٢٠. وأمّا إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره، وأكثره كثيراً

جداً. اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة.

وقد دلّت على إمامتهم عليهم السلام من طرقنا أحاديث صحيحة ونصوص متواترة،

تستغني بتواترها عن البحث في سلسلة إسنادها إلى المعصوم عليه السلام، ونكتفي في هذا

الموجز بروايتين لحديث اللوح، الذي رواه كبار المحدثين بأسانيد متعدّدة بعضها

معتبر:

الأولى:

رواية الشيخ الصدوق رحمته الله عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله

الأنصاري قال: (دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من

ولدها، فعُدّت اثني عشر آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمّد، وأربعة منهم علي

(١) كشف الغطاء ج ١ ص ٧.

صلوات الله عليهم أجمعين^(١).

والثانية:

الرواية المشتمة على أخبار غيبية، ومنتها شاهد على صدورها عن مقام العصمة. وقد رواها أكابر محدثينا مثل الشيخ الصدوق، والشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، أعلى الله مقامهم، عن عبد الرحمن بن سالم، عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

قال أبي جابر بن عبد الله الأنصاري: «إن لي إليك حاجة، فمتى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها، فقال له جابر: أي الأوقات أحببته، فخلا به في بعض الأيام فقال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما أخبرتك به أمي أنه في ذلك اللوح مكتوب؟

فقال جابر: أشهد بالله أنني دخلت على أمك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهنيئتها بولادة الحسين، ورأيت في يديها لوحاً أخضر، ظننت أنه من زمرد، ورأيت فيه كتاباً أبيض، شبه لون الشمس، فقلت لها: بأبي وأمِّي يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا لوح أهداه الله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني، واسم الأوصياء من ولدي، وأعطانيه أبي ليبشّرني بذلك، قال جابر: فأعطنيه أمك فاطمة عليها السلام فقرأته واستنسخته.

فقال له أبي: فهل لك يا جابر أن تعرضه عليّ؟ قال: نعم، فمشى معه أبي إلى منزل جابر فأخرج صحيفة من رق، فقال: يا جابر انظر في كتابك لأقرأ أنا عليك، فنظر جابر في نسخته فقرأه أبي فما خالف حرف حرفاً، فقال جابر: فأشهد بالله أنني

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٦٩.

هكذا رأيته في اللوح مكتوباً:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه ونوره وسفيره وحجابه ودليله، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين.

عظّم يا محمد أسمائي واشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي، إني أنا الله لا إله إلا أنا، قاصم الجبارين ومدّيل المظلومين وديان الدين، إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي، عذّبتّه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، فإيائي فاعبد، وعليّ فتوكّل، إني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه وانقضت مدّته إلا جعلت له وصياً، وإني فضّلتك على الأنبياء، وفضّلت وصيّك على الأوصياء، وأكرمتك بشبليّك وسبّطيك حسن وحسين، فجعلت حسناً معدن علمي، بعد انقضاء مدّة أبيه. وجعلت حسيناً خازن وحيي وأكرمته بالشهادة وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامة معه وحجّتي البالغة عنده، بعترته أثيب وأعاقب. أولهم علي سيّد العابدين وزين أوليائي الماضين، وابنه شبه جدّه المحمود، محمد الباقر لعلمي، والمعدن لحكمتي.

سيهلك المرتابون في جعفر، الراذّ عليه كالراذّ عليّ، حقّ القول مني لأكرم منّ مثوى جعفر ولأسرّنه في أشياعه وأنصاره وأوليائه.

أتيحت بعده موسى فتنة عمياء حندس، لأنّ خيط فرضي لا ينقطع وحجّتي لا تخفي، وإنّ أوليائي يسقون بالكأس الأوفى، من جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي، ومن غير آية من كتابي فقد افتري عليّ.

ويل للمفتريين الجاحدين عند انقضاء مدّة موسى عبدي وحبّبي وخيرتي، في علي وليّي وناصري، ومن أضع عليه أعباء النبوة، وأمتحنه بالاضطلاع بها، يقتله عفريت مستكبر، يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح، إلى جنب شرّ خلقي.

حقّ القول منّي لأسرته بمحمد ابنه وخليفته من بعده ووارث علمه، فهو معدن علمي وموضع سرّي، وحبّتي على خلقي، لا يؤمن عبد به إلا جعلت الجنة مثواه، وشقّته في سبعين من أهل بيته كلّهم قد استوجبوا النار.

وأختم بالسعادة لابنه علي وليي وناصري، والشاهد في خلقي، وأميني على وحيي، أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن.

وأكمل ذلك بابنه (م ح م د) رحمةً للعالمين، عليه كمال موسى، وبهاء عيسى، وصبر أيّوب، فيذلّ أوليائي في زمانه، وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم، فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم، ويفشو الويل والرنة في نساءهم.

أولئك أوليائي حقاً، بهم أذفَع كل فتنة عمياء حنّس، وبهم أكشف الزلازل، وأذفَع الآصار والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون».

قال عبد الرحمن بن سالم: قال أبو بصير: لو لم تسمع في دهرك، إلا هذا الحديث لكفّاك، فصنه إلا عن أهله^(١).

**

والأدلة على إمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام أكثر من أن تحصى في هذا المختصر، ولكن نختّم هذا الموجز بخطبة شريفة للإمام الصادق عليه السلام، يصف فيها مقام العصمة والإمامة السامي، رواها شيخ المحدثين محمد بن يعقوب الكليني، عن محمد بن يحيى (الذي يقول في حقّه النجاشي: شيخ أصحابنا في زمانه، ثقة، عين، روى نحو ستّة آلاف رواية) عن أحمد بن محمد بن عيسى (شيخ القميين، ووجههم وفقهم

(١) الكافي ج ١ ص ٥٢٧ (باب ما جاء في الإثني عشر).

غير مدافع، ومن أصحاب الرضا والجواد والهادي عليهم السلام عن الحسن بن محبوب (أحد أربعة هم أركان زمانهم، ومن أصحاب الإجماع الذين أجمعت الطائفة على صحّة ما يروى عنهم بسند صحيح، ومن أصحاب الإمام الكاظم والإمام الرضا عليهم السلام) عن إسحاق بن غالب (الذي يضاف إلى توثيقه الخاص رواية أمثال صفوان بن يحيى عنه) عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليهم السلام وصفاتهم:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْضَحَ بِأُتَمَّةِ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا عَنْ دِينِهِ، وَأَبْلَجَ بِهِمْ عَنْ سَبِيلِ مَنْهَاجِهِ، وَفَتَحَ بِهِمْ عَنْ بَاطِنِ يَنْبِيعِ عِلْمِهِ، فَمَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاجِبَ حَقِّ إِمَامِهِ، وَجَدَ طَعْمَ حَلَاوَةِ إِيْمَانِهِ، وَعَلِمَ فَضْلَ طَلَاوَةِ إِسْلَامِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَصَبَ الْإِمَامَ عِلْمًا لَخَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ حِجَّةً عَلَى أَهْلِ مَوَادِّهِ وَعَالَمِهِ، وَأَلْبَسَهُ اللَّهُ تَاجَ الْوَقَارِ، وَغَشَاهُ مِنْ نُورِ الْجَبَّارِ، يَمُدُّ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ، وَلَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ مَوَادُّهُ، وَلَا يَنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِجَهَّةِ أَسْبَابِهِ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ عَالِمٌ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ مَلْتَبَسَاتِ الدَّجَى، وَمَعْمِيَّاتِ السَّنَنِ، وَمَشْبَهَاتِ الْفِتَنِ.

فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَخْتَارُهُمْ لَخَلْقِهِ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ مِنْ عَقَبِ كُلِّ إِمَامٍ، يَصْطَفِيهِمْ لِذَلِكَ وَيَجْتَبِيهِمْ، وَيَرْضَى بِهِمْ لَخَلْقِهِ وَيَرْضِيهِمْ، كُلٌّ مَا مَضَى مِنْهُمْ إِمَامٌ نَصَبَ لَخَلْقِهِ مِنْ عَقَبِهِ إِمَامًا، عِلْمًا بَيْنًا، وَهَادِيًا نِيرًا، وَإِمَامًا قِيَمًا، وَحِجَّةً عَالِمًا.

أُتَمَّةٌ مِنَ اللَّهِ، يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ. حَجَّجَ اللَّهُ وَدَعَاتِهِ، وَرِعَاتِهِ عَلَى خَلْقِهِ، يَدِينُ بِهَدْيِهِمُ الْعِبَادَ، وَتَسْتَهْلُ بِنُورِهِمُ الْبِلَادَ، وَيَنْمُو بِبِرْكَتِهِمُ التَّلَادَ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ حَيَاةً لِلْأَنَامِ، وَمَصَابِيحَ لِلظُّلَامِ، وَمَفَاتِيحَ لِلْكَلامِ، وَدَعَائِمَ لِلْإِسْلَامِ، جَرَتْ بِذَلِكَ فِيهِمْ مَقَادِيرُ اللَّهِ عَلَى مَحْتَمُومِهَا.

فالإمام هو المنتجب المرتضى، والهادي المنتجى، والقائم المرتجى، اصطفاها الله

بذلك، واصطنعه على عينه في الذرّ حين ذراه، وفي البرية حين برأه، ظلّاً قبل خلق نسمةٍ عن يمين عرشه، محبوباً بالحكمة في علم الغيب عنده، اختاره بعلمه، وانتجبه لطهره.

بقيّة من آدم عليه السلام، وخيرةً من ذرية نوح، ومصطفى من آل إبراهيم، وسلالةً من إسماعيل، وصفوةً من عترة محمد صلى الله عليه وآله لم يزل مرعياً بعين الله، يحفظه ويكلؤه بستره، مطروداً عنه حبائل إبليس وجنوده، مدفوعاً عنه وقوب الغواسق، ونفوث كلّ فاسق، مصروفاً عنه قوارف السوء، مبرءاً من العاهات، محجوباً عن الآفات، معصوماً من الزلّات، مصوناً عن الفواحش كلّها، معروفاً بالحلم والبر في يقاعه، منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه، مسنداً إليه أمر والده، صامتاً عن المنطق في حياته.

فإذا انقضت مدّة والده، إلى أن انتهت به مقادير الله إلى مشيئته، وجاءت الإرادة من الله فيه إلى محبّته، وبلغ منتهى مدّة والده فمضى، وصار أمر الله إليه من بعده، وقلّده دينه، وجعله الحجّة على عباده، وقيّمه في بلاده، وأيده بروحه، وآتاه علمه، وأنبأه فصل بيانه، واستودعه سرّه، وانتدبه لعظيم أمره، وأنبأه فضل بيان علمه، ونصبه علماً لخلقه، وجعله حجّةً على أهل عالمه، وضياءً لأهل دينه، والقيّم على عباده، رضي الله به إماماً لهم، استودعه سرّه، واستحفظه علمه، واستخبأه حكيمته، واسترعاه لدينه، وانتدبه لعظيم أمره، وأحيا به مناهج سبيله وفرائضه وحدوده، فقام بالعدل عند تحيّر أهل الجهل، وتحيير أهل الجدل، بالنور الساطع، والشفاء النافع، بالحقّ الأبلج، والبيان اللائح من كلّ مخرج، على طريق المنهج، الذي مضى عليه الصادقون من آبائه.

فليس يجهل حقّ هذا العالم إلا شقي، ولا يجحده إلا غوي، ولا يصدّ عنه إلا

جري على الله جلّ وعلا»^(١).

إنّ كلّ جملة في هذه الخطبة الشريفة تحتاج إلى شرح مفصّل، ونكتفي في هذا الموجز ببيان بعض النقاط منها:

(أ)

جعل الإمام عليه السلام موضوع خطبته أئمة الهدى، لوضوح ضرورة وجود الإمام للأئمة «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِئْمَانِهِمْ»^(٢).

وإمام الأئمة لا بدّ أن يكون إمام الهداية، كما قال الله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا»^(٣). «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ»^(٤).

ومعرفة إمام الهداية يتوقف على معرفة الهداية، ومعرفة الهداية تحتاج إلى التدبّر في آيات الكتاب الواردة في هذا الموضوع، التي تزيد على المائتين وتسعين آية، ولا يتسع هذا الموجز لشرحها.

وذلك أنّ الهداية كمال الخلقة «قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى»^(٥) «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى»^(٦)، وهداية كلّ مخلوق تناسب خلخته، ولما كان الإنسان مخلوقاً في أحسن تقويم فهدايته أعلى مراتب كمال الخلق.

وقد بين الإمام عليه السلام عظمة مقام الإمامة حيث وصف الأئمة بأنهم (أئمة الهدى)،

(١) الكافي ج ١ ص ٢٠٣ كتاب الحجّة باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته ح ٢.

(٢) سورة الاسراء: ٧١.

(٣) سورة السجدة: ٢٤.

(٤) سورة الرعد: ٧.

(٥) سورة طه: ٥٠.

(٦) سورة الأعلى: ١، ٢، ٣.

بل أوضح لأهل النظر والتعمق ما للإمام من الخصائص، وما لهذا الملزوم من لوازم.

ثم شرع الإمام بعد الإجمال بالتفصيل، فبيّن موقع الإمام من الدين الإلهي، وأنّ الإمام هو المبيّن لأصول الدين وفروعه، لأنّ الله تعالى لم يوكل تفسير دينه إلى آراء الخلق المعرّضة للخطأ والاختلاف، لأنّ الخطأ والاختلاف في الدين آفتان تنقضان الغرض من تشريعه، وتدخلان الأمة في ظلمات الضلال.

بل لم يترك الله تعالى نقطة غموض ولا إبهام، حول أصول دينه وفروعه، إلاّ أوضحها بأئمة الهدى، كما قال الإمام عليه السلام: (إنّ الله عزّ وجلّ أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه).

(ب)

الإنسان بمقتضى فطرته يبحث عن خالقه تعالى، وهذه الفطرة لا تنال مقصودها إلاّ بأن تجد الطريق إلى الله، الذي هو الدين القويم والاستقامة عليه ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(١).

وبما أنّ عوامل الانحراف عن دين الله تعالى موجودة في كلّ عصر، من خطأ الإنسان وهواه، وقطّاع طريق الله من الجنّ والإنس ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾^(٢)، ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣) فكان من اللازم وجود إمام ليتحقّق به الغرض من تكوين هذه الفطرة

(١) سورة يوسف: ١٠٨.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٣) سورة التوبة: ٩.

- وهو الوصول إلى الله - ومن تشريع الصراط المستقيم - وهو الدين والسبيل إلى الله - قال عليه السلام: «وأبلغ عن سبيل منهاجه».

(ج)

الغرض من خلق عقل الإنسان الوصول إلى حقيقة العلم والمعرفة، والإنسان يستدعي بلسان جبلته وخلقته من واهب العقل والإدراك ويناجيه: إلهي أرني الأشياء كما هي، وعزّفي نفسي، وأنها من أين، وفي أين، وإلى أين. وتعطّش الإدراك الإنساني لا يرتفع إلا بالوصول إلى عين الحياة من العلم الإلهي، وإلا فإنّ عاقبة الفلسفة البشرية أيضاً حيرة الكمل، بأن يعلموا أنّهم لا يعلمون.

لهذا كان من الضروري وجود إنسان له الطريق إلى عين الحياة وينابيع العلم والحكمة، ليروي بيده العطاشى إلى الحقيقة، فيتحقّق بذلك الغرض من خلق العقل والإدراك، كما قال الإمام عليه السلام في النصّ المعتر (من زعم أنّ الله يحتج بعبد في بلاده، ثمّ يستر عنه جميع ما يحتاج إليه، فقد افتري على الله)^(١).
نعم إنّ الظنّ بأنّ الله جعل إنساناً حجّة على العباد، ثمّ يحجب عن حجّته ما يحتاج إليه العباد ولا يعلمه، افتراءً على الله تعالى نشأ من عدم المعرفة بالعلم والقدرة والحكمة غير المتناهية، ومن هنا قال: «وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه».

(د)

(وألْبَسَهُ تاجَ الوَقَارِ) تاج الوقار الذي على رأس الإمام عليه السلام هو العلم والقدرة،

(١) بصائر الدرجات ص ١٤٣ الجزء الثالث نادر من الباب ح ٤.

فعن أبي الحسن الرضا عليه السلام في جواب من سأله عن علامة الإمام فيما هي؟ قال: «في العلم، واستجابة الدعوة»^(١)، وذلك أنّ منشأ الإضطراب والحقّة في الإنسان هو الجهل والعجز، وبما أنّ الإمام معلم لكتاب الله - وهو لا يفارقه بنصّ حديث الثقلين - والكتاب تبيان لكلّ شيء - بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢) - فلا يعزب عنه علم من العلوم التي في الكتاب الإلهي!

وتستفاد هذه النكتة من الحديث المعتبر: عن ابن بكير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «كنت عنده فذكروا سليمان وما أعطي من العلم، وما أوتي من الملك، فقال لي: وما أعطي سليمان بن داود؟! إنّما كان عنده حرفٌ واحد من الإسم الأعظم، وصاحبكم الذي قال الله: قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب! وكان والله عند عليّ علم الكتاب! فقلت: صدقت والله، جعلت فداك»^(٣). والإمام - بارتباطه بأمر الله - صاحب الدعوة المستجابة، وبهذا العلم والقدرة تلبّس بتاج الوقار.

(هـ)

(وغشاه من نور الجبار) أضيف النور إلى الإسم المقدّس: «الجبار» والمضاف إلى كلّ اسم من الأسماء الإلهية يكتسب خصوصية ذلك الاسم بمقتضى الإضافة. والله جبارٌ يجبر كلّ انكسار «يا جابر العظم الكسير»^(٤).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢٠٠ باب ٤٦ ح ١.

(٢) سورة النحل: ٨٩.

(٣) بصائر الدرجات ص ٢٣٢، الجزء الخامس، باب ما عند الأئمة عليهم السلام من اسم الله الأعظم.

(٤) تفسير العياشي ج ٢ ص ١٩٨ ح ٨٨ (سورة يوسف)، مصباح المتهجّد ص ٢٢٨.

وقد عُثِيَ الإمام من نور الجَبَّار لكي يجبر كل كسر ونقص يلحق بالإسلام والمسلمين .

(و)

(أئمة من الله، يهدون بالحق، وبه يعدلون).

الإمام هو الإنسان المختار من الله تعالى، والمصطفى باصطفائه، والمجتبى باجتماعه للإمامة والقيادة، ولذا عندما يتوفى إمام ينصب الله مكانه إماماً آخر ليكون علماً للخلق، ومصباحاً لهدايتهم، وهادياً نيراً، وقائداً قيماً، وحقّة عالمياً، لكي يتحقّق الغرض من خلقه الإنسان وبعثة الأنبياء عليهم السلام، ذلك الغرض الذي يتلخّص في كلمتين هما: الهداية بالحق، والعدالة بالحق، وهما عصارة الحكمة النظرية والعملية، ومنتهى كمال العقل والإرادة الإنسانية.

وتحقّق هذين الأمرين إنما يكون بواسطة العقل الذي يعرف الأشياء كما هي، والإرادة التي تقوم بكل عمل كما ينبغي.

وهذا هو مقام العصمة العلمية والعملية، ولهذا قال عليه السلام: (أئمة من الله، يهدون بالحق، وبه يعدلون).

(ز)

(اصطفاه الله بذلك واصطنعه على عينه في الذرّ حين ذراه).

الإمام هو الذي صنع الله جوهرة وجوده على يمين عرشه، وربّاه على عينه، ووهبه الحكمة في علم الغيب المكنون عنده، الذي لا سبيل لأحد إليه ﴿إلا من أرتضى من رسول﴾^(١).

(١) سورة الجن: ٢٧.

وفي هذه النشأة كان من حيث النسب من الخيرة من ذرية نوح، والمصطفين من ذرية إبراهيم، والمنتخبين من سلالة إسماعيل، والصفوة من ذرية محمد ﷺ. جسمه مبرأ من العيوب، وروحه معصومة من كل زلل، مصونة من كل ذنب. وقد طرد إبليس الذي قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُعْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ﴾^(١) عن ذاته المقدسة بالعزة التي حصلت له في ظل عبودية الله ﷻ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾^(٢).

وقد دلّ بقوله ﷺ: (وصار أمر الله إليه من بعد) على أنّ أمر الله ينتقل من الإمام السابق إلى اللاحق، وذاك الأمر هو الذي جاء في الحديث الصحيح عن الصادق ﷺ قال: (إنّ الله واحد متوحّد بالوحدانية، متفرّد بأمره، فخلق خلقاً فقدرهم لذلك الأمر، فنحن هم يا ابن أبي يعفور، فنحن حجج الله في عباده، وخزّانه على علمه، والقائمون بذلك)^(٣).

(ح)

(وأيدّه بروحه) الروح التي أيد الله بها الإمام فسرها الحديث الصحيح عن أبي بصير قال: «سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي، قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممّن مضى، غير محمد صلّى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يسدّدهم، وليس كلّ ما طلب وجد»^(٤).

(١) سورة ص: ٨٢-٨٣.

(٢) سورة الحجر: ٤٢.

(٣) الكافي ج ١ ص ١٩٣ ح ٥.

(٤) الكافي ج ١ ص ٢٧٣ ح ٤.

(ط)

(وآتاه علمه) في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ لله علماً لا يعلمه غيره، وعلماً قد أعلمه ملائكته وأنبياءه ورسله فنحن نعلمه، ثم أشار بيده إلى صدره^(١).

(ي)

(واستودعه سرّه) في صحيحة معمر بن خلاد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: (لا يقدر العالم أن يخبر بما يعلم، فإن [فإنه] سرّ الله، أسرّه إلى جبرئيل عليه السلام، وأسرّه جبرئيل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله، وأسرّه محمد صلى الله عليه وآله إلى من شاء الله)^(٢).

(ك)

(رضي الله به إماماً لهم) لا شك أنّ الأئمة تحتاج إلى إمام، وأنّ الإمام يجب أن يكون مرضياً من الله تعالى، لكن من هو الإمام المرضي من الله؟ إذا كان الله، من العلم والجهل، يرضى العلم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، و من السلامة والآفة، يرضى السلامة ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾^(٤)، و من الحكمة والسفاهة، يرضى الحكمة ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٥)، و من العدل والفسق، يرضى

(١) بصائر الدرجات: الجزء الثاني ص ١٣٠، باب ٢١ في الأئمة أنه صار إليهم... ح ٥.

(٢) بصائر الدرجات: الجزء الثامن ص ٣٩٨ باب ٣ في الأئمة أنّ عندهم أسرار الله ح ٦.

(٣) سورة الزمر: ٩.

(٤) سورة المائدة: ١٦.

(٥) سورة البقرة: ٢٦٩.

العدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْأِحْسَنِ﴾^(١)، ومن الحقِّ والباطل، يرضى الحقَّ ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَالْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٢)، ومن الصواب والخطأ، يرضى الصواب ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^(٣)، فالذي يرضاه الله إماماً للأمة، لا بد أن يتّصف بالصفات المرضية عنده سبحانه، ومنها العلم، والعدل، والسلامة، والحكمة، والصواب، والحقُّ والهداية.

ومن جهة ثانية، نرى أن اختيار الأحسن محبوبٌ لله تعالى ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(٤)، وأنه تعالى يأمر بالأخذ بالأحسن ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا أُخْدُودُ بِأَحْسَنِهَا﴾^(٥)، ويأمر بقول الأحسن ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٦)، ويأمر بالمجادلة - في موضعها - بالأحسن ﴿وَجِدْ لَهُمِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٧). وعند لزوم الدفع والردّ، يأمر بالردّ بالأحسن ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٨)، وأنه تعالى يجازي بالأحسن ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٩)، وأنه ينزل أحسن الحديث ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ﴾^(١٠).

فهل يعقل أن يختار للإمامة غير الأحسن، والأكمل، والأفضل، والأعلم،

(١) سورة النحل: ٩٠.

(٢) سورة الإسراء: ٨١.

(٣) سورة النبأ: ٣٨.

(٤) سورة الزمر: ١٨.

(٥) سورة الأعراف: ١٤٥.

(٦) سورة الإسراء: ٥٣.

(٧) سورة النحل: ١٢٥.

(٨) سورة المؤمنون: ٩٦.

(٩) سورة النحل: ٩٧.

(١٠) سورة الزمر: ٢٣.

والأعدل.. وغير من هو جامع الصفات الحميدة المذكورة في الحديث؟!
 ثم، مع أنّ الأمر باتّباع الأحسن يستلزم كون الأحسن متبوعاً لغيره، فكيف
 يعقل أن يرضى بإمامة غير الأحسن ومتبوعيته؟! ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ
 يُوقِنُونَ﴾^(١).

ولهذا قال عليه السلام: (وانتدبه لعظيم أمره، وأنبأه فضل بيان علمه، ونصبه علماً
 لخلقه، وجعله حجةً على أهل عالمه، وضياءً لأهل دينه، والقيّم على عباده، رضي
 الله به إماماً لهم).



(١) سورة المائدة: ٥٠.

موجز من حياة رسول الله ﷺ
وأهل بيته المعصومين عليهم السلام

الرسول الأكرم محمد بن عبد الله ﷺ

ولادته ﷺ

ولد سابع عشر شهر ربيع الأول على المشهور عند الخاصة، وفي الثاني عشر منه على المشهور عند العامة.

أسمائه ﷺ

ومن أسمائه: محمد، وأحمد، وعبد الله، ويس، ون، وطه، والفتاح، والخاتم، والكاف، والمقفي، والحاشر.

صفاته ﷺ

ومن أوصافه التي وصفه الله بها: الشاهد، والمبشّر، والنذير، والداعي إلى الله بإذنه، والسراج المنير، ورسول الله، وخاتم النبيين.

عناوينه ﷺ

ومن عناوينه التي خاطبه الله بها: يا أيها النبي، ويا أيها الرسول، ويا أيها المزمل، ويا أيها المدثر.

كناهه ﷺ

ومن كناه: أبو القاسم، وأبو الطاهر، وأبو الطيب، وأبو المساكين، وأبو الدرتين، وأبو الريحانتين، وأبو السبطين.

فضائله ومناقبه ﷺ

وهي أكثر من أن تسطر وأجلّ من أن تُدرك، وكيف يمكن إدراك مكارم من هو حبيب إله العالمين، وخير الخلائق أجمعين، وخاتم النبيين وسيد المرسلين، وإمام الأئمة الهداة المهديين، المخاطب من الله سبحانه بـ(طه و يس) وهو أول العابدين وأسبق الأولين والآخريين، لقوله «بلى»^(١) حينما أخذ الميثاق على ربوبيته رب العالمين.

وبكلمة واحدة، الذي هو الإسم الأعظم، والمثل الأعلى لله الملك الحق المبين. وليس لنا إلا الإيعتراف بالقصور والتقصير عن التعرض لمناقب من وصفه الله بالشاهد والمبشّر والنذير والداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، غير أنا نذكر بعض ما أدّب به أمته تيمناً، وليس على الله بعزيز أن يوفّقنا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢).

عن بكر بن عبدالله أنّ عمر بن الخطاب دخل على النبي ﷺ وهو موقوذ - أو قال محموم - فقال له عمر: يا رسول الله ما أشدّ وعكك [أو حماك!] فقال:

(١) إشارة إلى الآية الشريفة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ الأعراف: ١٧٢.

(٢) الأحزاب: ٢١.

ما منعني ذلك أن قرأت الليلة ثلاثين سورة فيهنّ السبع الطوال. فقال عمر: يا رسول الله غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر وأنت تجتهد هذا الاجتهاد. فقال: يا عمر أفلا أكون عبداً شكوراً^(١).

هذا مع تهجده المفروض عليه في كلّ ليلة، وقد تعبّد لربّه حتّى انتفخ الساق وورم القدم، فأنزل الله سبحانه: ﴿طه* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾^(٢).

وعن جابر بن عبد الله: قال: لم يكن يسأل رسول الله ﷺ شيئاً قط، فيقول لا^(٣). وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان أجود الناس كفاً، وأجراً الناس صدراً، وأصدق الناس لهجةً، وأوفاهم ذمّةً، وألينهم عريكةً، وأكرمهم عشرةً، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفةً أحبّه، لم أر قبله ولا بعده مثله^(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: كنّا إذا احمرّ البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه^(٥).

كان أعداؤه يعرفونه بالأمانة، حتّى اشتهر بينهم بالأمين، ويعرفونه بالصدق، إلى أن قال أبو جهل: إنّنا لا نكذّبك، ولكن نكذب بما جئت به، فنزلت: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾^(٦).

كان مجلسه مجلس علم، وحلم، وحياء، ووقار^(٧).

(١) الأمالي للشيخ الطوسي ص ٤٠٣.

(٢) سورة طه: ١ و ٢. راجع الإحتجاج ج ١ ص ٣٢٦.

(٣) مكارم الأخلاق ص ١٨.

(٤) مكارم الأخلاق ص ١٨.

(٥) مكارم الأخلاق ص ١٨.

(٦) سورة الأنعام: ٣٣، مجمع البيان ج ٤، ص ٤٢.

(٧) مكارم الأخلاق ص ١٤.

ولم تكن ركبته تتقدّمان ركلة جليسه^(١). وكان خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء^(٢).

وكان كثير السكوت، لا يتكلّم في غير حاجة، يعرض عمّن تكلم بغير جميل^(٣).

وكان ضحكه تبيهاً^(٤)، وكلامه فصلاً^(٥)، ولا يقول في الرضا والغضب إلاّ الحقّ^(٦).

وكان لا يجلس ولا يقوم إلاّ على ذكر^(٧).

وإذا جلس إليه أحد لم يقم حتّى يقوم الذي جلس إليه^(٨).

وفي معبرة جميل بن درّاج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله يقسم لحظاته بين أصحابه، فينظر إلى ذا أو ينظر إلى ذا بالسويّة، قال: ولم يبسط رسول الله رجله بين أصحابه قط، وإن كان ليصافحه الرجل فما يترك رسول الله يده من يده حتّى يكون هو التارك^(٩).

وكان في سفر، فأمر أصحابه بذبح شاة، فقال رجل من القوم يا رسول الله عليّ ذبحها، وقال الآخر عليّ سلخها، وقال الآخر عليّ قطعها، وقال آخر

(١) مكارم الأخلاق ص ١٧.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام باب ٢٩ حديث ١ ص ٣١٧.

(٣) مكارم الأخلاق ص ١٣.

(٤) مكارم الأخلاق ص ١٣.

(٥) مكارم الأخلاق ص ٢٣.

(٦) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٤٧.

(٧) مكارم الأخلاق ص ١٤.

(٨) مكارم الأخلاق ص ١٤.

(٩) الكافي ج ٢ ص ٦٧١.

عَلِيَّ طَبَخَهَا، فَقَالَ ﷺ: عَلِيٌّ أَنْ أَلْقَطَ لَكُمْ الْحَطْبَ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَتَعَبَنَّ - بآبائنا وأمّهاتنا أنت - نحن نكفيك. قال ﷺ: قد علمت أنكم تكفوني، ولكن الله يكره من عبده إذا كان مع أصحابه أن ينفرد من بينهم، فقام ﷺ يلقط الحطب لهم^(١).

وعن أنس قال: كان [لرسول الله] شربة يفطر عليها وشربة للسحر، وربّما كانت واحدة، وربّما كانت لبناً، وربّما كانت الشربة خبزاً يماث فهيتأثها له ذات ليلة، فاحتبس النبي ﷺ، فظننت أن بعض أصحابه دعاه، فشربتها حين احتبس، فجاء ﷺ بعد العشاء بساعة، فسألت بعض من كان معه: هل كان النبي أفطر في مكان أو دعاه أحد؟ فقال: لا. فبت ليلة لا يعلمها إلا الله خوف أن يطلبها مني النبي ﷺ، ولا يجدها، فبييت جائعاً، فأصبح صائماً، وما سألتني عنها، ولا ذكرها حتى الساعة^(٢).

وعنه قال: إن النبي ﷺ أدركه أعرابي فأخذ بردائه فجذبه جذبةً شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال له: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ، فضحك، وأمر له بعتاء^(٣).

وفي الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال: «دخل يهودي على رسول الله وعائشة عنده، فقال: السام عليكم، فقال رسول الله ﷺ: عليكم. ثم دخل آخر، فقال مثل ذلك، فردّ عليه كما ردّ على صاحبه، ثم دخل آخر، فقال مثل ذلك، فردّ

(١) مكارم الأخلاق ص ٢٥٢، سُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ ج ٧ ص ١٣.

(٢) مكارم الأخلاق ص ٣٢.

(٣) مكارم الأخلاق ص ١٧.

رسول الله ﷺ كما ردّ على صاحبيه، فغضبت عائشة، فقالت: عليكم السام والغضب واللعنة يا معشر اليهود يا إخوة القردة والخنازير، فقال لها رسول الله ﷺ: يا عائشة إنّ الفحش لو كان ممثلاً لكان مثال سوء، إنّ الرفق لم يوضع على شيء قط إلا زانه ولم يرفع عنه قط إلا شانه...»^(١).

وفي الصحيح عن أبان الأحرر عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقد بلي ثوبه فحمل إليه اثني عشر درهماً فقال: يا عليّ خذ هذه الدراهم فاشتر لي ثوباً ألبسه، قال عليّ عليه السلام: فجئت إلى السوق فاشترت له قميصاً باثني عشر درهماً وجئت به إلى رسول الله ﷺ فنظر إليه فقال: يا عليّ غير هذا أحبّ إليّ، أترى صاحبه يقيّلنا، فقلت: لا أدري، فقال: أنظر فجئت إلى صاحبه، فقلت: إنّ رسول الله ﷺ قد كره هذا يريد ثوباً دونه فأقلنا فيه، فردّ عليّ الدراهم وجئت بها إلى رسول الله ﷺ فمشى معي إلى السوق لابتاع قميصاً فنظر إلى جارية قاعدة على الطريق تبكي، فقال لها رسول الله ﷺ: ما شأنك، قالت: يا رسول الله إنّ أهل بيتي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة فضاقت فلا أجسر أن أرجع إليهم، فأعطاها رسول الله ﷺ أربعة دراهم وقال: إرجعي إلى أهلِكَ، ومضى رسول الله ﷺ إلى السوق فاشترى قميصاً بأربعة دراهم ولبسه وحمد الله، وخرج فرأى رجلاً عرباناً يقول: من كساني كساه الله من ثياب الجنة، فخلع رسول الله ﷺ قميصه الذي اشتراه وكساه السائل، ثمّ رجع إلى السوق فاشترى بالأربعة التي بقيت قميصاً آخر فلبسه وحمد الله، ورجع إلى منزله وإذا الجارية قاعدة على الطريق، فقال لها رسول الله ﷺ: ما لك لا تأتين أهلِكَ، قالت: يا رسول الله إنّني قد أبطأت عليهم وأخاف أن يضربوني، فقال لها رسول الله ﷺ:

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٤٨.

مري بين يدي ودليني على أهلك، فجاء رسول الله ﷺ حتى وقف على باب دارهم، ثم قال: السلام عليكم يا أهل الدار، فلم يجيبوه، فأعاد السلام فلم يجيبوه، فأعاد السلام، فقالوا: عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال لهم: ما لكم تركتم إجابتي في أول السلام والثاني، قالوا: يا رسول الله سمعنا سلامك فأحببنا أن نستكثر منه، فقال رسول الله ﷺ: إن هذه الجارية أبطأت عليكم فلا تؤاخذوها، فقالوا: يا رسول الله هي حرّة لممشاك، فقال رسول الله: الحمد لله، ما رأيت اثني عشر درهماً أعظم بركةً من هذه، كسا الله بها عريانيين، وأعتق بها نسمة^(١).

ومع كلّ ما رأى من قومه من الشدائد والأذى التي لم يؤذ نبيّ بمثلها^(٢) كان حريصاً عليهم ليهديهم إلى الصراط المستقيم، وينقذهم من الجهالات والضلالات ويحييهم حياةً طيبةً في الدنيا والآخرة، ولما ظفر عليهم أسكن روعتهم بقوله: «لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٣).

وفي الموثّق عن أبي جعفر^(٤) قال: «إنّ رسول الله ﷺ أتى باليهودية التي سمّت الشاة للنبيّ ﷺ فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: قلت: إن كان نبياً لم يضرّه، وإن كان ملكاً أرحت الناس منه، قال: فعفا رسول الله ﷺ عنها»^(٤).
ومن تأمل في لطائف ما ظهر من مكارمه وتجلّى في أقواله وأفعاله يرى أنه المبعوث لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

(١) الأماي للصدوق ص ٣٠٩، المجلس ٤٢ ح ٥.

(٢) إشارة إلى الحديث المشهور: (ما أؤذي نبيّ مثل ما أؤذيت) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢٤٧، كشف الغمّة ج ٢ ص ٥٣٧.

(٣) ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ سورة يوسف: ٩٢، (اذهبوا فأنتم الطلقاء) الكافي ج ٣ ص ٥١٣، السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١١٨.

(٤) الكافي ج ٢ ص ١٠٨.

هذا قليلٌ من كثيرٍ، يتعذّرُ عدّه، وكيف تُحصى مناقب مَنْ سَبَّحَ اللهُ نفسه بإسرائه به، وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾^(١)، وحمد نفسه على الكتاب الذي أنزله عليه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾^(٢)، وتبارك بالفرقان الذي نزل عليه ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾^(٣)، واختاره لأن يناجيه في الملأ الأعلى ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِي مَا أَوْحَىٰ﴾^(٤).

مواعظ النبي ﷺ

ونقتصر من مواعظه على بعض ما وعظ به أبا ذرّ:

يا أبا ذر، أعبد الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك.

واعلم أنّ أول عبادة الله المعرفة به، فهو الأوّل قبل كلّ شيء، فلا شيء قبله، والفرد فلا ثاني له، والباقي لا إلى غاية، فاطر السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من شيء وهو الله اللطيف الخبير وهو على كلّ شيء قدير.

ثمّ الإيمان بي، والإقرار بأنّ الله تعالى أرسلني إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

ثمّ حبّ أهل بيتي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

واعلم يا أبا ذرّ، أنّ الله عزّ وجلّ جعل أهل بيتي في أمّتي كسفينة نوح، من ركبها

نجا، ومنّ رغب عنها غرق، ومثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله كان آمناً.

يا أبا ذرّ، احفظ ما أوصيك به تكن سعيداً في الدنيا والآخرة.

(١) سورة الإسراء: ١.

(٢) سورة الكهف: ١.

(٣) سورة الفرقان: ١.

(٤) سورة النجم: ١٠.

يا أبا ذرّ، نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصّحة والفراغ.
يا أبا ذرّ، اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك،
وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك.
يا أبا ذرّ، إيتاك والتسوية بأملك، فإنك بيومك، ولست بما بعده، فإن يكن
غدك فكن في الغد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن غد لك لم تندم على ما فرطت
في اليوم.

يا أبا ذرّ، كم من مستقبل يوماً لا يستكمله، ومنتظر غداً لا يبلغه.
يا أبا ذرّ، إن حقوق الله جلّ ثناؤه أعظم من أن يقوم بها العباد، وإنّ نعم الله أكثر
من أن يحصيها العباد، ولكن أمسوا وأصبحوا تائبين.
يا أبا ذرّ، لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت.
يا أبا ذرّ، ما دمت في الصلاة فإنك تفرع باب الملك الجبار، ومن يكثر قرع باب
الملك يفتح له.

يا أبا ذرّ، ما من مؤمن يقوم مصلياً إلا تناثر عليه البرّ ما بينه وبين العرش،
ووكّل به ملك ينادي يا ابن آدم لو تعلم ما لك في الصلاة ومنّ تناجي ما انقلت.
يا أبا ذرّ، يقول الله تبارك وتعالى: لا أجمع على عبد خوفين، ولا أجمع له
أمنين، فإذا أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا آمنت يوم
القيامة.

يا أبا ذرّ، إنّ جبرئيل أتاني بخزائن الدنيا على بغلة شهباء، فقال لي: يا محمد
هذه خزائن الدنيا ولا ينقصك من حظك عند ربك، فقلت: يا حبيبي جبرئيل
لا حاجة لي فيها، إذا شبعت شكرت ربّي، وإذا جعت سألته.
يا أبا ذرّ، إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين، وزهده في الدنيا وبصره
بعيوب نفسه.

يا أبا ذرٍّ، ليكن لك في كل شيء نية حتى في النوم والأكل .
يا أبا ذرٍّ، ما من شاب يدع لله الدنيا ولهوها، وأهرم شبابه في طاعة الله، إلا أعطاه
الله أجر اثنين وسبعين صديقاً .

يا أبا ذرٍّ، إن الله عز وجل عند لسان كل قائل، فليتق الله أمره وليعلم ما يقول .
يا أبا ذرٍّ، إن أحبكم إلى الله جل ثناؤه أكثركم ذكراً له، وأكرمكم عند الله عز وجل
وجل أتقاكم له، وأنجاكم من عذاب الله أشدكم له خوفاً .

يا أبا ذرٍّ، من لم يأت يوم القيامة بثلاث فقد خسر، قلت: وما الثلاث فداك
أبي وأمي؟ قال: ورع يحجزه عما حرم الله عز وجل عليه، وحلم يرد به جهل
السفيه، وحُلق يداري به الناس .

يا أبا ذرٍّ، إن سرك أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله، وإن سرك أن تكون
أكرم الناس فاتق الله، وإن سرك أن تكون أغنى الناس فكن بما في يد الله عز وجل
أوثق منك بما في يدك .

يا أبا ذرٍّ، لو أن الناس كلهم أخذوا بهذه الآية لكفتهم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
مَخْرَجاً* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ
بِالْعُزْمِ أَلْبَسُ﴾^(١) .

يا أبا ذرٍّ، طوبى لمن تواضع لله تعالى في غير منقصة، وأذل نفسه في غير
مسكنة، وأنفق مالاً جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل
الفقه والحكمة .

طوبى لمن صلحت سريرته، وحسنت علاقته، وعزل عن الناس شره .

(١) سورة الطلاق: ٢ و ٣ .

طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله^(١).

*

ولا عجب بأبي ذرّ الذي اتّعظ بهذه المواعظ، وتأدّب بهذه الآداب، أن يقابل الباطل بالحقّ، ولا يؤثّر فيه التهديد حتّى أبعد عن دياره، وتحقّق ما قاله الرسول ﷺ في حقّه: يعيش وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده، ويدخل الجنّة وحده^(٢).

ولم يؤثّر فيه التطميع، فقد أرسل إليه عثمان موليّين له ومعهما مائتا دينار، فقال لهما: انطلقا بها إلى أبي ذرّ، فقولالا له: إنّ عثمان يقرّوك السلام، وهو يقول لك هذه مائتا دينار فاستعن بها على ما نابك. فقال أبو ذرّ: هل أعطى أحداً من المسلمين مثل ما أعطاني؟ قالوا: لا، قال: فإنّما أنا رجلٌ من المسلمين يسعني ما يسع المسلمين، قالالا له: إنه يقول هذا من صلب مالي، وبالله الذي لا إله إلا هو ما خالطها حرام، ولا بعثت بها إليك إلا من حلال، فقال: لا حاجة لي فيها، وقد أصبحت يومي هذا وأنا من أغنى الناس. فقالالا له: عافاك الله وأصلحك ما نرى في بيتك قليلاً ولا كثيراً ممّا يستمتع به! فقال: بلى، تحت هذه [هذا] الإكاف الذي ترون رغيفاً شعيراً قد أتى عليها أيّام...^(٣).

وأرسل عثمان مع عبد له كيساً من الدراهم إلى أبي ذرّ، وقال له: إن قبِل هذا فأنت حرّ. فأتى الغلام بالكيس إلى أبي ذرّ وألحّ عليه في قبوله، فلم يقبل، فقال: اقبله فإنّ فيه عتقي، فقال: نعم، ولكن فيه رقيّ^(٤).

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٧٤، وبتفاوت في مكارم الأخلاق ص ٤٥٩.

(٢) اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ٩٨، أبو ذر ٤٨.

(٣) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج ١ ص ١١٨، أبو ذر ٥٣.

(٤) الكشكول للبهائي ج ١ ص ٢٠٨.

التحاqqه ﷺ بالرقيق الأعلى

قبض ﷺ على ما ذكره شيخ الطائفة في التهذيب^(١) مسموماً، يوم الإثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة عشرة من الهجرة.

ونعتذر من إيراد ما جرى عند وفاته، ونقتصر على بعض ما روته الصحاح والمسانيد:

عن عبدالله بن عباس قال: لما اشتد بالنبي وجعه، قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. قال عمر: إن النبي غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط. قال: قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه^(٢).

عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما حضر رسول الله وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي: هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، فقال عمر: إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله...^(٣).

وبسند آخر عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما حضر رسول الله وفي البيت رجال فقال النبي: هلمّوا أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، فقال بعضهم: إن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن

(١) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٢ كتاب المزار باب ١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم ج ١ ص ٣٦.

(٣) صحيح البخاري، باب قول المريض قوموا عني ج ٧ ص ٩، وباب كراهية الخلاف ج ٨ ص ١٦١.

حسبنا كتاب الله... (١).

وفي صحيح البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله وجعه يوم الخميس، فقال ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا هجر رسول الله... (٢).

وفي صحيح البخاري: سمع سعيد بن جبير سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بل دمه الحصى، قلت: يا ابن عباس ما يوم الخميس، قال: اشتد برسول الله وجعه، فقال: ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا ما له أهجر استفهموه، فقال: ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه... (٣).

وقد روى البخاري في باب مرض النبي ﷺ ووفاته روايتين: عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد برسول الله وجعه فقال: ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا ما شأنه أهجر استفهموه فذهبوا يردون عليه فقال: دعوني فالذي

(١) صحيح البخاري، باب مرض النبي ج ٥ ص ١٣٧.

وقد ورد هذا الحديث - بمضمون غلبة الوجد - في مصادرهم الأخرى، منها: مسند أحمد ج ١ ص ٣٢٥ و ٣٣٦، صحيح مسلم ج ٥ ص ٧٦، مجمع الزوائد ج ٤ ص ٢١٤ و ج ٩ ص ٣٤، السنن الكبرى للنسائي ج ٣ ص ٤٣٣ إلى ٤٣٥، ج ٤ ص ٣٦٠، صحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٥٦٢، المعجم الأوسط ج ٥ ص ٢٨٨، الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٤٢ و ٢٤٤ و...، المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٤٣٨.

(٢) صحيح البخاري، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم ج ٤ ص ٣١.

(٣) صحيح البخاري، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ج ٤ ص ٦٥.

أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه... (١).

ورواه مسلم في كتاب الوصية بثلاثة أسانيد (٢).

وفي مسند أحمد بن حنبل: عن جابر أنّ النبيّ دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلّون بعده، قال: فخالف عليها عمر بن الخطّاب حتّى رفضها (٣).

وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر في مادّة هجر: ومنه حديث مرض النبيّ «قالوا ما شأنه أهجر؟» أي اختلف كلامه بسبب المرض على سبيل الإستفهام، أي هل تغيّر كلامه واختلط لأجل ما به المرض؟ وهذا أحسن ما يُقال فيه، ولا يجعل إخباراً، فيكون إمّا من الفحش أو الهذيان، والقائل كان عمر، ولا يظنّ به ذلك (٤).

في هذه القضية أمور لا بدّ من التأمل فيها:

(١) صحيح البخاري، باب مرض النبيّ ج ٥ ص ١٣٧.

(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ٧٥ و٧٦.

وقد ورد هذا الحديث - بمضمون الهجر - في مصادر أخرى للعامة، منها: مسند أحمد ج ١ ص ٢٢٢ و ٣٥٥، المصنف لعبدالرزاق ج ٦ ص ٥٧ و ج ١٠ ص ٣٦١، مسند الحميدي ج ١ ص ٢٤١، المعجم الكبير ج ١١ ص ٣٥٢، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٣٦، البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٧، السنن الكبرى للنسائي ج ٣ ص ٤٣٣ و ٤٣٥، ومصادر أخرى للعامة.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٣٤٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والآثار ج ٥ ص ٢٤٥.

ومن مصادر الخاصّة راجع: الإيضاح ص ٣٥٩ و...، المسترشد ص ٦٨١ و ٦٨٢، أوائل المقالات ص ٤٠٦، الإرشاد ج ١ ص ١٨٤، الأمل للحميد ص ٣٦، الإحتجاج ج ١ ص ٢٢٣، سعد السعود ص ٢٩٧ ومصادر أخرى.

الأول: إن إطاعة الرسول ﷺ مأمور بها من الله سبحانه بنص الكتاب مقرونة بطاعة الله تعالى في عدة آيات، كقوله تعالى: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»^(١) ومنفردة كقوله تعالى: «وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ»^(٢).

ومقتضى إطلاق الواجب والوجوب عدم الإختصاص بحال من الأحوال، وقد أكد سبحانه وجوب إطاعته بتفريعه على أمانته في عدة آيات، كقوله تعالى: «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا»^(٣)، وجعل إطاعته إطاعة الله سبحانه بقوله تعالى: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ»^(٤) فمن لم يطع الرسول خرج عن طاعة الله.

الثاني: إن القول بأنه: «غلبه الوجد وعندنا كتاب الله» بعد أمره ﷺ «أتوني بكتاب» عصيان للرسول، وقد قال الله تعالى: «إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ»^(٥)، وعصيان الله سبحانه حيث قال: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»^(٦)، وقد قال الله سبحانه: «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا»^(٧)، «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا»^(٨).

(١) سورة آل عمران: ١٣٢.

(٢) سورة التغاين: ١٢.

(٣) سورة الشعراء: ١٤٣ - ١٤٤.

(٤) سورة النساء: ٨٠.

(٥) سورة المجادلة: ٩.

(٦) سورة الحشر: ٧.

(٧) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٨) سورة الجن: ٢٣.

الثالث: إنَّ ما يختاره الرسول هو مختار الله سبحانه بمقتضى العقل والكتاب، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(١) والتعبير بجملة «ما كان» تنبيه على أنه حكم لا يقبل التخلف بوجه، واتصاف موضوع الحكم بالإيمان مع أنه حكم عام للمؤمن وغيره بحكم العقل، للإعلام بأنَّ اختيار خلاف ما اختاره الله ورسوله كاشف عن عدم الإيمان.

الرابع: إنَّ هذه المقالة إيذاء للنبي ﷺ، وردَّ على الله تعالى حيث قال ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٢).

وقد ظهر شدة تأذي النبي ﷺ وتأثره من ذلك، حيث طردهم من بيته بقوله ﷺ: «قوموا عني»، مع أنه ﷺ كان إذا صافحه أحد لم يترك يده من يده حتى يكون هو التارك^(٣)، وإذا جلس إليه أحد لم يقم حتى يقوم الذي جلس إليه^(٤)، وكان أحبي الناس وأكرمهم لمن يرد عليه، فقوله ﷺ «قوموا عني» يكشف عن تألمه إلى حدِّ لم يتحمَّل جلوسهم عنده، وقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(٦).

الخامس: إنَّ هذه المقالة صارت سبباً لرفع الأصوات عند النبي ﷺ وقد

(١) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٢) سورة النجم: ٢ و٣.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٦٧١.

(٤) مكارم الأخلاق ص ١٧.

(٥) سورة التوبة: ٦١.

(٦) سورة الأحزاب: ٥٧.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾^(٢)، كما صارت سبباً للتنازع عنده، وقد قال سبحانه: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾^(٣)، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(٤)، فصار الذي جعله الله مردوداً إليه في كل أمر، مردوداً عليه في أمره!

السادس: إنَّ الغاية القصوى من إرسال الرسل وإنزال الكتب هداية الإنسان وصيانته عن الضلال ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾^(٥)، والدعاء الذي في أم الكتاب يدعو به كل مسلم في كل صلاة هو ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ^(٦)، والرسول الذي يرى الفتن من بعده، أشفق على أمته وأراد أن يصونهم عن الضلال بعد الهدى بكتاب يكون ضماناً لهم عن الضلال، حيث قال: «أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده»، وتعليق عدم الضلال على الكتاب يدل على حرمان الأمة - بفقد ذلك الكتاب - من أعظم النعم وهو الهداية، وابتلائها بأكبر النقم وهو الضلالة!

السابع: مقولة «كتاب الله حسبنا»، مخالفة للكتاب والسنة والإجماع والعقل: فإنها مخالفة للكتاب إذ لا يبقى مع هذا الكلام موضوع لوجوب إطاعة الرسول، ولا للنهي عن معصيته في الآيات الكثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ

(١) سورة الحجرات: ٢.

(٢) سورة الحجرات: ٣.

(٣) سورة الأنفال: ٤٦.

(٤) سورة النساء: ٥٩.

(٥) سورة التوبة: ٣٣.

(٦) سورة الحمد: ٥ و ٦.

الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْكُمُ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا»^(١).

ومخالفة للإجماع القطعي على وجوب اتباع السنّة لما ورد في أبواب العلم وغيره، فلو كان الكتاب كافياً لكان ما في الصحاح الست فضولاً مستغنى عنه، ومخالفة للإجماع القطعي من الرجوع إلى السنّة.

ومخالفة للعقل الحاكم بأنه لا يمكن استفادة تفاصيل الأحكام في العبادات والمعاملات والسياسات من شعار «عندنا كتاب الله حسبنا».

ويدل على وضوح الأمر ما صرح به أحد من كبار أئمة العامة وهو الذهبي، أن (حسبنا كتاب الله) هو ما تقوله الخوراج^(٢)، وقد غفل عما هو موجود في عدة أبواب من صحيح البخاري وفي غيره من الصحاح والمسانيد.

الثامن: أن النبي ﷺ مبعوث إلى كافة الناس، وأمته باقية إلى يوم القيامة، وقد أراد أن يكتب كتاباً كي لا تضلّ الأمة بعده، فبأي حقّ منعه من هذا العمل وأضاع حقّ الأمة بقوله «عندنا كتاب الله حسبنا»؟!.

التاسع: روى مسلم عن عبد الرحمن بن أبزي أن رجلاً أتى عمر فقال: إنّي أجنبتم فلم أجد ماء. فقال: لا تصلّ، فقال عمّار: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماء، فأما أنت فلم تصلّ، وأما أنا فتمعكت في التراب وصلّيت، فقال النبيّ: إنّما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض، ثمّ تنفخ ثمّ تمسح بهما وجهك وكفيك، فقال عمر: اتق الله يا عمّار. قال: إن شئت لم أحدث به^(٣).

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١، ص ٣.

(٣) صحيح مسلم ج ١ ص ١٩٣، مسند أحمد ج ٤ ص ٢٦٥ و ٣١٩، صحيح البخاري ج ١ ص ٨٧ كتاب

وغير خفي أنّ الصلاة عمود الدين ومفتاحه الطهور وقد قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١) والنبي ﷺ قد بيّنه لهم!

وأبنا الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أتى عمر رضي الله عنه بمبتلاة قد فجرت فأمر برجمها فرّ بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعها الصبيان يتبعونها، فقال ما هذه قالوا أمر بها عمر أن ترجم، قال فردّها وذهب معها إلى عمر رضي الله عنه وقال ألم تعلم أن القلم رفع عن المجنون حتى يعقل وعن المبتلى حتى يفيق وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم.^(٢)

← التيمم باب التيمم هل ينفخ فيهما، سنن ابن ماجه ج ١ ص ١٨٨، سنن أبي داود ج ١ ص ٨١، سنن النسائي ج ١ ص ١٦٦ و ١٦٨ و ١٧٠، السنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ٢٠٩، عون المعبود ج ١ ص ٣٥٥، مسند أبي داود الطيالسي ص ٨٩، السنن الكبرى للنسائي ج ١ ص ١٣٤ و ١٣٥، مسند أبي يعلى ج ٣ ص ١٨٣، صحيح ابن خزيمة ج ١ ص ١٣٥، صحيح ابن حبان ج ٤ ص ١٣١ و ١٣٣، تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٩٥١ ومصادر أخرى للعامة.

(١) سورة المائدة: ٦.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ج ٤ ص ٣٨٩، وفي التلخیص أيضاً، ج ١ ص ٢٥٨، ج ٢ ص ٥٩، سنن أبي داود ج ٢ ص ٣٣٩ بأسانيد متعددة، السنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٢٦٩ و ج ٨ ص ٢٦٤، المصنف لعبد الرزاق ج ٧ ص ٨٠، مسند ابن الجعد ص ١٢٠، السنن الكبرى للنسائي ج ٤ ص ٣٢٣، مسند أبي يعلى ج ١ ص ٤٤٠، صحيح ابن خزيمة ج ٢ ص ١٠٢، ج ٤ ص ٢٤٨، صحيح ابن حبان ج ١ ص ٣٥٦، وبتفاوت في صحيح البخاري ج ٨ ص ٢١ باب رجم المحصن ومصادر اخرى كثيرة للعامة. الخصال ص ٩٣ و ١٧٥، مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣ ومصادر أخرى للخاصة.

وروى عن عبدالله بن الحسن، قال دخل عليّ على عمر، وإذا امرأة حبلى تقاد ترجم، قال ما شأن هذه قالت: يذهبون بي ليرجموني، فقال: يا أمير المؤمنين لأي شيء ترجم، ان كان لك سلطان عليها، فمالك سلطان على ما في بطنها. فقال عمر رضي الله عنه كل أحد أفقه مني ثلاث مرات^(١)

وروى البيهقي في سننه عن الشعبي قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال ألا تغلوا في صدق النساء، فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله أو سيق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال، ثم نزل، فعرضت له امرأة من قريش، فقالت يا أمير المؤمنين: أكتب الله أحق أن يتبع أو قولك، قال: بل كتاب الله تعالى، فماذاك؟ قالت: نهيت الناس أنفاً أن يغالوا في صدق النساء، والله تعالى يقول في كتابه ﴿وَأَتَيْتُمُ إِحْدَايَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾^(٢) فقال عمر رضي الله عنه كل أحد أفقه من عمر مرتين أو ثلاثاً^(٣).

وروى في السنن الكبرى أن عمر رضي الله عنه أتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهمم برجمها فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه فقال ليس عليها رجم، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأرسل إليه فسأله فقال ﴿وَأَلْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾^(٤) وقال ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٥) فستة أشهر حمله حولين تمام لا حدّ عليها أو

(١) ذخائر العقبى ص ٨١، الرياض النضرة ج ٣ ص ١٤٣، كفاية الطالب ص ٢٢٧ باب ٥٩.

(٢) سورة النساء: ٢٠.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٢٣٣، كنز العمال ج ١٦ ص ٥٣٧، كشف الخفاء ج ١ ص ٢٦٩ وج ٢ ص ١١٨ ومصادر أخرى.

(٤) سورة البقرة: ٢٣٣.

(٥) سورة الأحقاف: ١٥.

قال لا رجم عليها قال فخلى عنها،^(١) ولا ريب أن الجرأة على الدماء من أشد ما يحتاج الفقيه فيه، وهناك موارد أخرى، لكن تقتصر على ما ذكرنا. وهل يمكن بهذا المبلغ من العلم بالكتاب مقابلة من أنزل الله عليه الكتاب برّد كتابه بأن يقال (حسبنا كتاب الله).

العاشر: من تأمل في قوله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض لن تضلّوا ما إن تمسكتم بهما»^(٢) وفي قوله ﷺ: «أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده» يظهر له أنّ هذا الكتاب متمّم لذلك الحديث، لتصير الأمة مصونة عن الضلال كما قال ﷺ «لن تضلّوا»، فله درّ ابن عباس حيث قال: «إنّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه».

**

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٤٤٢، المصنف لعبد الرزاق ج ٧ ص ٣٥٠، نظم درر السمطين ص ١٣١، كنز العمال ج ٥ ص ٤٥٧، الدر المنثور ج ١ ص ٢٨٨ وج ٦ ص ٤٠، تاريخ المدينة ج ٣ ص ٩٧٩ ومصادر أخرى للعامة.

(٢) تقدّم مناقبه في بعض ما ذكر في صفحة ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧.

آل الرسول وأهل بيته عليهم السلام

لا بد في معرفة آله عليهم السلام وأهل بيته من النظر إلى منزلتهم عند الله تعالى، ونكتفي منها بالإشارة إلى أمرين:

الأول: أن الدعاء هو السبب المتصل بين العبد والرب وقد قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾^(١)، وقال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٢). وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: الدعاء سلاح المؤمن، وعمود الدين، ونور السموات والأرض^(٣)، وعنه صلى الله عليه وآله: الدعاء مخ العبادة^(٤).

وعن الصادق عليه السلام: إن الدعاء يردّ القضاء المبرم بعدما أبرم إبراماً، فأكثر من الدعاء فإنه مفتاح كلّ رحمة، ونجاح كلّ حاجة، ولا ينال ما عند الله إلا بالدعاء^(٥).

(١) سورة الأعراف: ٥٥.

(٢) سورة غافر: ٦٥.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٤٦٨، مكارم الأخلاق ص ٢٦٨، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٣٧، باب ٣١ ح ٩٥ ومصادر أخرى للخاصة.

المستدرک علی الصحیحین ج ١ ص ٤٩٢، مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٤٧، مسند أبي يعلى ج ١ ص ٣٤٤ ومصادر أخرى للعامة.

(٤) الدعوات ص ١٨، عدّة الداعي ص ٢٤ ومصادر أخرى للخاصة.

سبل السلام ج ٤ ص ٢١٢، المعجم الأوسط ج ٣ ص ٢٩٣ ومصادر أخرى للعامة.

(٥) الكافي ج ٢ ص ٤٧٠، مكارم الأخلاق ص ٢٦٩.

وقد تظافت النصوص من الخاصّة والعامة أنّ الدعاء محبوب حتّى يصلّي على محمّد وآله^(١)، وفي بعضها كلّ دعاء محبوب حتّى يصلّي على محمّد وآل محمّد^(٢).

ولنظرة كلّ من أدوات العموم، فكلّ دعاء من كلّ داعٍ محبوب، والرافع للحجاب هو الصلاة عليه وعلى آله.

فإذا كانت الصلاة خارقة للحجاب فالمصلّي عليه لا حجاب بينه وبين ربّه، لأنّه الواصل إلى مقام القرب الذي هو أجلّ من أن يوصف، بحيث صارت إنّ الصلاة عليه بإضافتها إليه مقرباً إلى الله، ومفتاح باب إجابة الدعاء.

الثاني: لا ريب أنّ أفضل ما يتقرّب به العباد إلى ربّهم بعد المعرفة، هو الصلاة، وهي التي قال إبراهيم عليه السلام: «رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي»^(٣)، وقال عيسى عليه السلام: «وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ»^(٤)، وأمر الله أشرف عباده بإقامتها، ووعده المقام المحمود بها، وهي عمود الدّين، ووصيّة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، ومعراج المؤمن،

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٩١، الدعوات ص ٣١، الأمالي للطوسي ص ٦٦٢، كفاية الأثر ص ٣٩، مكارم الأخلاق ص ٢٧٤ ومصادر أخرى للخاصّة.

الجامع الصغير ج ١ ص ٦٥٦، كنز العمال ج ٢ ص ٧٨ و ٨٨ و ٢٦٩، فيض القدير ج ٣ ص ٧٢٥، الصواعق المحرقة ص ١٤٨، ينابيع المودّة ج ٢ ص ٤٣٤ ومصادر أخرى للعامة.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٤٩٣، ثواب الأعمال ص ١٥٥ ثواب الصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله، روضة الواعظين ص ٣٢٩، مكارم الأخلاق ص ٣١٢، عوالي اللئالي ج ٢ ص ٢٢٣ ومصادر أخرى للخاصّة.

مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٦٠، المعجم الأوسط ج ١ ص ٢٢٠، كنز العمال ج ٢ ص ٢٦٩، الجامع الصغير ج ٢ ص ٦٥٦، ينابيع المودّة ج ٢ ص ٩٩ و ج ٣ ص ٢٣٢ ومصادر أخرى للعامة.

(٣) سورة إبراهيم: ٤٠.

(٤) سورة مريم: ٣١.

وقربان كلّ تقي، وبالصلاة يبلغ العبد إلى الدرجة القصوى.

وحينا يقوم العبد إلى مناجاة ربه يتقرب إلى الله بقراءة كلام الله ويركع ويسجد وبعد ما يرفع الرأس من السجدة الأخيرة، ويصل إلى مقام الشهود والشهادة لله بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كما شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم، ولمحمد ﷺ بالعبودية والرسالة، يتوسل لقبول صلاته بالصلاة على محمد وآله، وبعد إتمام الصلاة بالصلاة على آل يختمها بالتسليم، فإلى الله يصعد الكلم الطيب بالصلاة على محمد وآله.

وفي سنن الدارقطني عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله : من صلى صلاة لم يصل فيها عليّ ولا على أهل بيتي، لم تقبل منه^(١).

وقال الفخر الرازي: الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد^(٢).

وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال بشير بن سعد أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم^(٣).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٠.

(٢) التفسير الكبير ج ٢٧ ص ١٦٦ في تفسير ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ سورة

الشورى: ٢٣، ينابيع المودة ج ٣ ص ١٣٨.

(٣) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٦، صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٧ كتاب تفسير القرآن، باب ان الله ←

والمستفاد من الحديث أنّ الصلاة على النبي التي أمر الله المؤمنين بها في كتابه كما فسّرها رسوله هي الصلاة على محمّد وآله، والأمر بها بعد قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾^(١) يدلّ على أنّ صلاة الله وملائكته على النبي مقرونة بالصلاة على آله، ولا تحادهم معه قد اكتفى في الآية الكريمة عن الصلاة عليهم بالصلاة على النبي ﷺ.

وبالتدبر في هذين الأمرين الذين اتفقت عليه العامة والخاصة يظهر مقام آل الرسول وأهل بيته عند الله سبحانه.

ولا مجال لبسط الكلام في ما ورد في منزلة أهل البيت ﷺ ويكفي ما تظافت النصوص عنه ﷺ من قوله: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق^(٢).

← وملائكته...، مسند أحمد ج ٥ ص ٢٧٤، سنن الدارمي ج ١ ص ٣١٠، سنن الترمذي ج ١ ص ٣٠١ وج ٥ ص ٣٨، المستدرک علی الصحیحین ج ١ ص ٢٦٨ وج ٣ ص ١٤٨، عون المعبود ج ٣ ص ١٩٠، مسند الحمیدی ج ٢ ص ٣١١، مسند ابن الجعد ص ٤٠، مصنف ابن أبي شيبة ج ٢ ص ٣٩٠، السنن الكبرى للنسائي ج ١ ص ٣٨١ وج ٦ ص ١٧ و ٩٧ و ٤٣٦، سنن النسائي ج ٣ ص ٤٥ و ٤٧، السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٤٦ و ١٤٨، صحيح ابن حبان ج ٣ ص ١٩٣ وج ٥ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٩٦، المعجم الكبير ج ١٧ ص ٢٥١ و ٢٦٤ وج ١٩ ص ١١٦ و ١٢٤ و...، المعجم الصغير ج ١ ص ٨٦، المعجم الأوسط ج ٣ ص ٢٩ و ٩١ و ٩٢ و ٢١٥ وج ٧ ص ٥٧، زاد المسير ج ٦ ص ٢١٥، الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ٢٣٣، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٦٨ وج ٣ ص ٥١٥ و ٥١٦، الدر المنثور ج ٥ ص ٢١٧ و ٢١٨، تاريخ مدينة دمشق ج ١٠ ص ٢٩١ وج ٥٣ ص ٣٠٩ ومصادر أخرى كثيرة للعامة.

الأمالی للطوسی ص ٥٦٤: العمدة ص ٤٨، الطرائف ص ١٦٠، سعد السعود ص ٢٠٤، مسند زيد بن علي ص ٣٤، عوالي اللئالي ج ١ ص ٤١٧ ج ٢ ص ٣٩ ومصادر أخرى للخاصة.

(١) سورة الأحزاب: ٥٦.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ج ٢ ص ٣٤٣ وج ٣ ص ١٥١، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٨، المعجم الصغير ←

ومن تمثيله أهل بيته بسفينة نوح يستفاد أنه كما كانت سفينة نوح مصنوعة بيد نوح بعين الله ووحيه ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾^(١) فصارت وسيلة نجاة أمته، كذلك نجاة هذه الأمة بسفينة مصنوعة بيد التعليم والتربية الخاتمية تحت إشراف عين الله ووحيه.

والسفينة التي صنعها رسول الله، وناظرها عين الله، واللطائف التي أعملت في صنعها إنما هي بوحى الله، تدور النجاة والهلاك مدار التمسك بها والتخلف عنها. والرواية تدلّ على عصمة أهل البيت ﷺ، لأنّ التمسك بمن لا يكون معصوماً من الخطأ والزلل نقض للغرض الذي هو النجاة من مهالك الدنيا والآخرة. ومن يكون التمسك به نجاة والتخلف عنه هلاكاً لا محالة لا يتخلف عن الحقّ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فالأمر بالتمسك والنهي عن التخلف بمقتضى إطلاق التمسك والتخلف، دليل على أنّ سفينة نجاة هذه الأمة تجري على الصراط المستقيم الذي لا انحراف فيه عن

← ج ١ ص ١٣٩ وج ٢ ص ٢٢، المعجم الأوسط ج ٤ ص ١٠ وج ٥ ص ٣٥٥ وج ٦ ص ٨٥، المعجم الكبير ج ٣ ص ٤٥ وج ١٢ ص ٢٧، مسند الشهاب ج ٢ ص ٢٧٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢١٨، نظم درر السمطين ص ٢٣٥، الجامع الصغير ج ١ ص ٣٧٣ وج ٢ ص ٥٣٢، كنز العمال ج ١٢ ص ٩٤... فيض القدير ج ٢ ص ٦٥٨، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٢٣، الدر المنثور ج ٣ ص ٣٣٤، ينابيع المودة ج ١ ص ٩٣... ومصادر أخرى للعامة.

بصائر الدرجات، ص ٣١٧، باب ١٣ في الأئمة يعلمون كلّ أرض...، عيون أخبار الرضا ﷺ ج ٢ ص ٢٧ باب ٣١ ح ١٠، كفاية الأثر ص ٣٤ و ٢١٠، مناقب أمير المؤمنين ﷺ ج ١ ص ٢٩٦ وج ٢ ص ١٤٦ و...، المسترشد ص ٢٦٠ و ٥٧٨، شرح الأخبار ج ٢ ص ٤٠٦ و ٥٠٢ و... وج ٣ ص ٣، كتاب الغيبة للنعمانى ص ٤٤، الأمالي للطوسي ص ٦٠ المجلس الثاني ح ٥٧ و ٣٤٩ و...، الإحتجاج ج ١ ص ٢٢٩ وج ٢ ص ١٤٧، العمدة ص ٣٠٦ ومصادر أخرى للخاصة.

(١) سورة المؤمنون: ٢٧.

الصدق والحقّ.

ومقتضى إطلاق كلمة (مَنْ) أَنْ من سواهم كائناً من كان مأموراً بالتمسك بهم، ومنهبي عن التخلف عنهم، فهم الأئمة الذين فرض الله طاعتهم والقادة الهداة الذين وجب اتباعهم على جميع الأمة.

ومقتضى المماثلة بين السفينتين أَنَّ الذين اتَّخذوا وليجة في هذه الأمة وتفرَّقوا عن أهل بيت العصمة لا عاصم لهم عن عذاب الله، كما قال ابن نوح ﴿سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعِصْنِي مِنَ الْمَاءِ﴾^(١) ولم يعلم أنه ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢)، إلا بالسفينة التي صنعت بعين الله.

وعن النبي ﷺ أنه خرج ذات ليلة وقد أحرَّ صلاة العشاء حتى ذهب من الليل هنيهة أو ساعة، والناس ينتظرون في المسجد فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: ننتظر الصلاة، فقال: إنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتوها، ثم قال: أما إنَّها صلاة لم يصلها أحد ممن كان قبلكم من الأمم ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: النجوم أمان لأهل السماء فإن طمست النجوم أتى السماء ما يوعدون، وأنا أمان لأصحابي فإذا قبضت أتى أصحابي ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأمتي فإذا ذهب أهل بيتي أتى أمتي ما يوعدون^(٣)، وقد ورد هذا المضمون في عدّة من المصادر^(٤).

(١) سورة هود: ٤٣.

(٢) سورة هود: ٤٣.

(٣) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٤٥٧.

(٤) المستدرك على الصحيحين ج ٢ ص ٤٤٨ وج ٣ ص ١٤٩، كنز العمال ج ١٢ ص ٩٦ و ١٠١ و ١٠٢، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٤، المعجم الكبير ج ٧ ص ٢٢، نظم درر السمطين ص ٢٣٤، الجامع الصغير ج ٢ ص ٦٨١، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٠ ص ٢٠، سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٦ و ٧، ينابيع المودة ج ١ ص ٧٢ وج ٢ ص ١٠٤ و ١١٤ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٤٧٤ وج ٣ ص ١٤٢، الصواعق المحرقة ص ١٨٧ ومصادر أخرى للعامة.

وكفى في مقام أهل البيت أنهم أمان للأمة من الوعيد الذي يخاف منه الذين وصلوا إلى مقام العلم واليقين، قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾^(٢) فمن أدرك عظمة وعيد الرب وأن الخوف منه عديل للخوف من مقام الرب في الآيات الكريمة، وأدرك عظمة ما يوعدون في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾^(٣)، يعلم منزلة أهل البيت الذين هم أمان للأرض من الإنشقاق كما أن النجوم أمان للسماء من الانفطار، وأنهم عديل من لا عديل له في الممكنات في أن الأمان مما يوعدون يدور مدار وجودهم بقاءً وذهاباً.

وكونهم أماناً للأمة دليل على عصمتهم، لأن الله سبحانه يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾^(٤) فإذا كان الأمن لمن لهم الأمن مشروطاً بعدم الظلم، فالذين هم أمان كيف يعقل أن يلبس إيمانهم بظلم.

وفي هذا القليل من الكثير كفاية لأصحاب الدراية في معرفة أهل بيت الرسالة، ومن تأمل فيما ذكر وما لم يذكر مما ورد عن الرسول ﷺ في وصفهم يرى أنه لا يخلو من الملزوم أو اللازم أو الملازم للعصمة المطلقة وكمال الإنسانية، الذي لا يتحقق إلا في الإنسان الكامل على الإطلاق.

← عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢٧ باب ٣١ ح ١٤، كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٠٥، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ١٣٣ و ١٤٢ و... و ١٧٤، المسترشد ص ٥٧٩، شرح الأخبار ج ٣ ص ١٣ و ٥١٦، الأمالي للطوسي ص ٢٥٩ المجلس العاشر ح ٨ وص ٣٧٩ المجلس الثالث عشر ح ٦٣ ومصادر أخرى للخاصة.

(١) سورة إبراهيم: ١٤.

(٢) سورة المؤمنون: ٣٦.

(٣) سورة مريم: ٧٥.

(٤) سورة الأنعام: ٨٢.

من هم أهل بيت الرسول صلوات الله عليهم

المستفاد من النصوص المتواترة كحديث الثقلين^(١) وغيره، وما ورد في خليفة الله المهدي^(٢) من النصوص الكثيرة المتلقاة بالقبول من العامة والخاصة، أن المهدي من أهل بيت النبي ﷺ، وأن أهل بيته عترته المعصومون الذين لا يفترون عن القرآن ولا يفترق القرآن عنهم، وإن كان أهل البيت في زمانه ﷺ منحصرين في علي وفاطمة والحسن والحسين.

ونقتصر على بعض ما ورد عنه ﷺ في بيان مصداق آله وأهل بيته:
 وفي الصحيح عندهم عن عامر بن سعد عن أبيه قال: لما نزلت: ندع أبناءنا وأبناءكم الآية، دعا رسول الله علياً وفاطمة وابنيها فقال: هؤلاء أهل بيتي^(٣).
 وفي الصحيح عندهم عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة وابنيها فقال: هؤلاء أهل بيتي^(٤).

(١) راجع صفحة: ١٤٥. (٢) راجع صفحة: ٤٨٠ و ٤٨٢.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٤٦ وفي التلخیص أيضاً، وبعض المصادر في صفحة: ١٨٩.
 (٤) المستدرک علی الصحیحین ج ٢ ص ٤١٦ و ج ٣ ص ١٠٨ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨ وفي التلخیص أيضاً، مسند أحمد ج ٤ ص ١٠٧ و ج ٦ ص ٢٩٢ و ٣٠٤، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٠ و ٣٢٨ و ٣٦١، السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٥٠، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٧، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥٠١، كتاب السنة ص ٥٨٩، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١١٣، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص ٤٩ و ٨١، مسند أبي يعلى ج ١٢ ص ٣١٣ و ٤٥١ و ج ١٣ ص ٤٧١، المعجم الأوسط ج ٧ ص ٣١٩، المعجم الكبير ج ٣ ص ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ ج ٩ ص ٢٦ و ج ٢٢ ص ٦٦، ج ٢٣ ص ٣٣٣ و ٣٩٦، نظم درر السمطين ص ١٣٣، كنز العمال ج ١٣ ص ٦٠٣، جامع البيان ج ٢٢ ص ١٠ و ١١ و ١٢، أسباب النزول للواحدي ص ٢٣٩، شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٠ و ٣٦ و ٣٨ و ٣٩ و ٥٠ و ٥٢ و ٦٧ و ٧٣ و ٩٥ و...، الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٨٣ و ١٨٤، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٤٩٤، البرهان للزركشي ج ٢

وفي الرواية التي اعترفوا بصحتها عن صفية بنت شيبة حدثني أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها معها ثم جاء عليٌّ فأدخله معهم، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).
وقد تقدّم عن الفخر الرازي أنه قال: واعلم أنّ هذه الرواية كالمتمفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث^(٢).

والحصر المستفاد من قوله وفعله صلى الله عليه وآله وسلم يكفي دليلاً على أنه لم يكن في عشيرته وأزواجه من يستحقّ أن يصدق عليه عنوان أهل البيت إلا هؤلاء الأربعة الذين اختارهم الله للمباهلة لإثبات توحيده وتنزيهه ورسالة رسوله، واصطفاهم على أهل الأرض باختصاصهم بالدعوة المستجابة، وأذهب عنهم كلّ رجس وطهرهم

← ص ١٩٧، الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٨، تفسير النعالي ج ٤ ص ٣٤٦، التاريخ الكبير ج ٢ ص ٦٩، تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٢٧٧، تاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ٢٠٣ و... وج ١٤ ص ١٤٠ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٨، اسدالغابة ج ٢ ص ١٢ وج ٤ ص ٢٩ وج ٥ ص ٥٨٩، تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٥٨، تهذيب الكمال ج ٦ ص ٢٢٩، سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٢٢ و ١٢٥ ومصادر أخرى كثيرة للعامّة.
الخصال ص ٥٦١، الأمالي للصدوق ص ٥٥٩ المجلس الثاني والسبعون ح ٥ ص ٥٧٢، كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٧٨، كفاية الأثر ص ٦٦، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ١٥٦ وج ٢ ص ١٢٥ و ١٥٩، شرح الأخبار ج ٢ ص ٣٠٠ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٤٨٩ و ٤٩١ و ٤٩٢ وج ٣ ص ٨٦، الأمالي للطوسي ص ٣٦٨ والمجلس الثالث عشر ح ٣٤ ص ٥٥٩ المجلس السادس والعشرون ح ٩، الإحتجاج ج ١ ص ٢١٥، الخرائج والجرائح ج ١ ص ٤٨، العمدة ص ٣٢، و ٣٣ و ٣٦ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٥ و ١٢٢ و ١٨٨ و ١٨٩، سعد السعود ص ١٠٧، الطرائف ص ٤٥ و ١١٦ و ١٢٣ و ١٢٥ و...، الفصول المختارة ص ٥٣، تفسير القمي ج ٢ ص ١٩٣، تفسير فرات الكوفي ص ٣٢٢ و ٣٣٣ و ٣٣٥، النبيان ج ٨ ص ٣٣٩، مجمع البيان ج ٨ ص ١٥٦ و ١٥٧ ومصادر أخرى كثيرة للخاصة.

(١) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٤٧ وفي التلخیص أيضاً.

(٢) التفسير الكبير ج ٨ ص ٨٠.

تطهيراً وأخبر بتعلق إرادته بعصمتهم والطهارة الخاصة بهم. والإرادة المتعلقة بإذهاب الرجس عن أهل البيت و تطهيرهم إرادة تكوينية، لأن متعلق الإرادة التشريعية هو فعل الغير المورد للتشريع والأمر والنهي، ومتعلق الإرادة في الآية فعل الله.

و توهم كونها إرادة تشريعية مستلزم لأن يكون الله سبحانه آمراً و مأموراً و مريداً و مراداً منه، و أن يكون أفعاله مورداً للتشريع و التكليف! و أن يكون إذهاب الرجس و التطهير فعل أهل البيت، مع أنهما مستندان إلى الله بهيئة الإفعال و التفعيل، و غير ذلك من التوالى الفاسدة عقلاً و نقلاً.

و ثانياً: أن الإرادة التشريعية بتطهير النفوس بالإتيان بالواجبات و ترك المحرمات إرادة عامة لقاطبة الناس، لامعنى لحصرها ب(انما) في أهل البيت، في الكتاب الحكيم.

و ثالثاً: التخصيص و الإختصاص مقتضى الروايات الكثيرة الواردة في أصحاب الكساء و تقتصر على واحدة منها: أن النبي ﷺ جلل فاطمة و زوجها و إبنيهما بكساء و قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً و قد اعترف بصحة هذه الرواية من دأبه المناقشة بالوجوه الضعيفة فيما ورد في فضائل أهل البيت (١).

و لو كانت الإرادة في الآية تشريعية مع أنها محققة بتشريع الشريعة بالبعث الى ما ينبغي و الزجر عما لا ينبغي، و تكون باقية ببقاء الأوامر و النواهي إلى يوم القيمة كان الدعاء من النبي ﷺ لأصحاب الكساء طلب للحاصل و تخصيص بلامخصص.

فالإرادة لإذهاب الرجس على إطلاقه عنهم و تطهيرهم بالتطهير الخاص بهم

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٢٢.

المستفاد من المفعول المطلق إرادة تكوينية لا واسطة بينها وبين المراد، ولا يمكن تخلفها عن المراد ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

و آية التطهير منقطعة عما نزلت في نساء النبي ﷺ و مخصصة بأصحاب الكساء لوجوه نكتفي منها بوجيهم:

الأول: اختلاف ضمير الجمع المذكّر في هذه الآية و ضمير الجمع المؤنث في ما نزلت في نساء النبي ﷺ الكاشف عن اختلاف المخاطب في هذه الآية عن المخاطب فيها.

الثاني: ما ورد في روايات الفريقين من الصحاح وغيرها من الإختصاص، مثل ما ورد عن أمّ سلمة، قلت: يا رسول الله أأنت من أهل البيت؟ قال: إنك إلي خير، إنك من أزواج النبي،^(٢) و ما عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ و في علي و فاطمة و حسن و حسين ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً﴾.^(٣)

(١) سورة يس: ٨٢.

(٢) في بعض المصادر: إنك إلي (أو علي) خير، و في بعضها: إنك (أو أنت) من أزواج النبي، و في بعضها كلتا الجملتين: راجع: مسند أبي يعلى ج ١٢ ص ٤٥٦، المعجم الكبير ج ٣ ص ٥٣ و ج ٢٣ ص ٢٤٩ و ٣٣٦، شواهد التنزيل ج ٢ ص ٦١ و...، الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٨، ذخائر العقبى ص ٢١، نظم درر السمطين ص ٢٣٨، جامع البيان ج ٢٢ ص ١١، معاني القرآن ج ٥ ص ٣٤٨، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٩٣، تاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ٢٠٧ و مصادر أخرى للعامة.

مناقب أمير المؤمنين ﷺ ج ١ ص ١٣٢ و ج ٢ ص ١٣٨، شرح الأخبار ج ١ ص ٢٠٣ و ج ٢ ص ٣٣٨ و ج ٣ ص ١٣، تفسير فرات الكوفي ص ٣٣٤، الخصال ص ٤٠٣، الأملالي للصدوق ص ٥٥٩، روضة الواعظين ص ١٥٧، الأملالي للطوسي ص ٢٦٤، العمدة ص ٣٣ و ٥١ و مصادر أخرى للخاصة.

(٣) ذخائر العقبى ص ٢٤، المعجم الصغير ج ١ ص ١٣٥، المعجم الأوسط ج ٣ ص ٣٨٠، الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٨، تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ١٤٧ و مصادر أخرى للعامة.

ونزول هذه الآية في هؤلاء الخمسة يكشف عن شركة علي وفاطمة والحسن والحسين في عصمة الرسول المختصة بخاتم النبيين الممتازة عن عصمة جميع الأنبياء والمرسلين بامتياز مرتبة الرسالة الخاتمة عمّا دونها.

ومن تدبّر في الكتاب يرى أن هذا التطهير والتطهير الذي قال الله سبحانه: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾^(١) وقال ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾^(٢) من مبدء واحد، فالكتاب المطهر الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يقتضي أن يكون أهله مطهراً من كل رجس على قانون تناسب الفيض والمستفيض، وفي الآية مباحث شريفة لا يسعها هذا المختصر.

وهؤلاء الأربعة هم الذين يصلي عليهم الله وملائكته، وبالصلاة عليهم تقبل الصلاة ويرفع الدعاء، وهم الأبرار الذين نزلت في حقهم ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾^(٣)، وهؤلاء هم القدر المتيقن من قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٤). قال الزمخشري: وروي أنّها لما نزلت قيل: يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما^(٥).

قال الرازي ما ملخصه: إنّ آل محمد هم الذين يؤول أمرهم إليه فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله أشدّ التعلّقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر

← الطرائف ص ١٢٧، شرح الأخبار ج ٢ ص ٥١٥، العمدة ص ٣٩، مجمع البيان ج ٨ ص ١٥٧ و مصادر أخرى للخاصة.

(٢) سورة البينة: ٢.

(١) سورة عبس: ١٢ - ١٤.

(٤) سورة الشورى: ٢٣.

(٣) سورة الإنسان: ٨ و ٩، راجع صفحة: ٣٠٥.

(٥) الكشّاف ج ٤ ص ٢١٩ في تفسير آية المودّة.

فوجب ان يكونوا هم الآل^(١).

وليعلم أنّ تعلقهم برسول الله هو ما قال الله تعالى في كتابه وأنفسنا وأنفسكم فجعل الله عليّاً نفس النبي، وما قاله النبي في شأن ابنته: فاطمة بضعة مني^(٢)، وفي شأن الحسن: هذا مني^(٣) وفي شأن الحسين: حسين مني وأنا من حسين^(٤).
 وورد في النصّ الصحيح أنّ رسول الله دخل على فاطمة فقال: إني وإياك وهذا النائم يعني عليّاً وهما يعني الحسن والحسين ففي مكان واحد يوم القيامة^(٥).
 وكونهم مع النبي صلى الله عليه وآله في مكان واحد في يوم قال فيه سبحانه: «يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ»^(٦)، وقال الله تعالى: «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٧)، يكشف عن وصوهم بجهادهم علماً وعملاً إلى المقام المحمود الذي لم يبلغه أحد من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين إلا خاتم النبيين صلى الله عليه وآله.

(١) التفسير الكبير ج ٢٧ ص ١٦٦ في تفسير آية المودة. (٢) راجع صفحة: ٣١٠.

(٣) ذخائر العقبى ص ١٣٣، مسند أحمد ج ٤ ص ١٣٢، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٧٥، المعجم الكبير ج ٣ ص ٤٣ ج ٢٠ ص ٢٦٩، كنز العمال ج ١٢ ص ١١٤ وج ١٣ ص ٦٥٣، التاريخ الصغير ج ١ ص ١٣٧، تاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ٢١٩ وج ١٤ ص ١٦٦ وج ٦٠ ص ١٨٧ وج ٦٨ ص ٩٣ ومصادر أخرى.
 (٤) راجع صفحة: ٣٤٤.

(٥) المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ١٣٧ وفي التلخيص أيضاً، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١، المعجم الكبير ج ٣ ص ٤١، ج ٢٢ ص ٤٠٦، كنز العمال ج ١١ ص ٦١٥ وج ١٢ ص ٩٩، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ص ١٦٥، ذخائر العقبى ص ٢٥، مسند أحمد ج ١ ص ١٠١، مسند أبي داود الطيالسي ص ٢٦، كتاب السنّة ص ٥٨٤، مسند أبي يعلى ج ١ ص ٣٩٣، أمالي المحاملي ص ٢٠٥، شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٩٧، تاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ٢٢٤ و ٢٢٨ وج ١٤ ص ١٦٣ و ١٦٤، أسد الغابة ج ٥ ص ٢٦٩ و ٥٢٣، تهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٠٣، سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٥٨، البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٢٦، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ص ١١٠ و ١١٧ و... مصادر أخرى للعامة.
 شرح الأخبار ج ٣ ص ٢٤، الأمالي للطوسي ص ٥٩٤ المجلس ٢٦ ح ٢، العمدة ص ٣٩٥ ومصادر أخرى للخاصة.
 (٦) سورة الزلزلة: ٦. (٧) سورة الأنبياء: ٤٧.

فعلى كل من كان من أهل التفقه في الكتاب والسنة أن ينظر إلى هذه المقامات التي اتفقت عليها روايات العامة والخاصة، وما جرى على أصحاب هذه الفضائل التي لا تبلغ كنه عظمتها العقول والأفكار، من الظلمات التي اسودت منها صفحات التاريخ، والحكم في ذلك لله الواحد القهار في يومٍ تتقلب فيه القلوب والأبصار.

وكيف يبرر تأسيس أساس الظلم والجور حتى انتهى الأمر إلى أن يذبح الحسين عليه السلام عطشاناً وقد رووا في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أنه قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: أنا حربٌ لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم»^(١).
والتاريخ يشهد من الذي حاربهم ومن الذي سالمهم.

(١) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٤٩ وفي التلخیص أيضاً، مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٤٤٢، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٩، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥١٢، ذخائر العقبى ص ٢٥، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٢، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٦٠، المعجم الأوسط ج ٣ ص ١٧٩ و ج ٥ ص ١٨٢، المعجم الكبير ج ٣ ص ٤٠ و ج ٥ ص ١٨٤، صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤٣٤، المعجم الصغير ج ٢ ص ٣، تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٤٤، أحكام القرآن الجصاص ج ١ ص ٥٧١ و ج ٢ ص ٥٠٨، شواهد التنزيل ج ٢ ص ٤٤، تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ١٤٤ و ١٥٨، تهذيب الكمال ج ٢ ص ٣٥٩ و ج ١٣ ص ١١٣، سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٢٥ و ج ٣ ص ٢٥٨، البداية والنهاية ج ٨ ص ٤٠، ينابيع المودة ج ١ ص ١١٣ و ٣٢٣ و ج ٢ ص ٣٤ و ٥٣ و ١٢٠ و ٢٢٨ و ج ٣ ص ١٤٠ و... ومصادر أخرى للعامة
روضة الواعظين ص ١٥٨، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ١٥٦ و...، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٥٩ باب ٣١ ح ٢٣٣، شرح الأخبار ج ٢ ص ٥١٤ و ٦٠٨ و ج ٣ ص ١٣ و ٥١٨، العمدة ص ٥١ و ٣٢١، الطرائف ص ١٣١، تفسير فرات الكوفي ص ٣٣٨ و ٣٣٩، المناقب ص ١٥٠، الإعتقادات ص ١٠٥، الأمالي للطوسي ٣٣٦ المجلس الثاني عشر ح ٢٠، كشف الغمة ج ١ ص ٩٥ ومصادر أخرى للخاصة.

مختصرٌ من حياة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

ولد عليه السلام بعد عام الفيل بثلاثين سنة، وكانت ولادته في يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلةً خلت من رجب، في البيت الحرام الذي جعله الله قبلةً للأنام. وقال علي بن محمّد المالكي: ولم يولد في البيت الحرام قبله أحدٌ سواه، وهي فضيلة خصّه الله تعالى بها إجلالاً له، وإعلاماً لمرتبته، وإظهاراً لتكريمته^(١).

وقبض عليه السلام في شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، وله يومئذ ثلاث وستون سنة. وروى في الكافي «لما كان اليوم الذي قبض فيه أمير المؤمنين، ارتجّ الموضع بالبكاء، ودهش الناس كيوم قبض النبي صلى الله عليه وآله، وجاء رجل باكياً وهو مسرع مسترجع، وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة حتى وقف على باب البيت الذي فيه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال:

رحمك الله يا أبا الحسن، كنت أوّل القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدّهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم عناءً، وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وآله، وآمنهم على أصحابه، وأفضلهم مناقب، وأكرمهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله، أشبههم به هدياً وخُلُقاً وسمتاً وفعلاً، وأشرفهم منزلةً، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً.

(١) الفصول المهمة ص ٣٠.

قويت حين ضعف أصحابه، وبرزت حين استكانوا، ونهضت حين وهنوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ همَّ أصحابه، [و] كنت خليفته حقاً، لم تنزع ولم تضرع برغم المناققين وغيض الكافرين وكره الحاسدين، وصغر [ضغن] الفاسقين، فقامت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تتعتعوا، ومضيت بنور الله إذا [إذ] وقفوا، فاتبعوك فهدوا، وكنت أخفضهم صوتاً، وأعلاهم قنوتاً، وأقلهم كلاماً، وأصوبهم نطقاً، وأكبرهم رأياً، وأشجعهم قلباً، وأشدَّهم يقيناً، وأحسنهم عملاً، وأعرفهم بالأمر.

كنت والله يعسوباً للدين أولاً وآخراً، الأوَّل حين تفرَّق الناس، والآخِر حين فشلوا، كنت للمؤمنين أباً رحماً إذ صاروا عليك عيالاً، فحملت أثقال ماعنه ضعفوا، وحفظت ما أضعوا، ورعيت ما أهملوا، وشمرت إذ [إذا] اجتمعوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ أسرعوا، وأدركت أوتار ما طلبوا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا.

كنت على الكافرين عذاباً صيباً ونهباً، وللمؤمنين عمداً وحصناً، فطرت والله بنعائهم، وفرت بجبائهم، وأحرزت سوابقها، وذهبت بفضائلها، لم تغفل حجَّتك، ولم يزع قلبك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك ولم تخر [ولم تخل].

كنت كالجبل لا تحرّكه العواصف، وكنت كما قال أمن الناس في صحبتك وذات يدك، وكنت كما قال ضعيفاً في بدنك، قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، كبيراً في الأرض، جليلاً عند المؤمنين.

لم يكن لأحد فيك مهمز، ولا لقائل فيك مغمز، [ولا لأحد فيك مطمع] ولا لأحد عندك هواده، الضعيف الذليل عندك قويّ عزيز حتى تأخذ له بحقه، والقوي العزيز عندك ذليل حتى تأخذ منه الحقّ، والقريب والبعيد عندك

في ذلك سواء، شأنك الحق والصدق والرفق، وقولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم فيما فعلت، وقد نهج السبيل، وسهل العسير، وأطفئت النيران، واعتدل بك الدين، وقوي بك الإسلام فظهر أمر الله ولو كره الكافرون، وثبت بك الإسلام والمؤمنون، وسبقت سبقاً بعيداً، وأتعبت من بعدك تعباً شديداً، فجللت عن البكاء، وعظمت رزيتك في السماء، وهددت مصيبتك الأنام، فإننا لله وإننا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاة وسلمنا الله أمره، فوالله لن يصاب المسلمون بمثلك أبداً.

كنت للمؤمنين كهفاً وحصناً، وقنةً راسياً، وعلى الكافرين غلظةً وغيظاً، فألحقك الله بنبيّه، ولا أحرمنّا أجرك، ولا أضلنّا بعدك.

وسكت القوم حتى انقضى كلامه، وبكى وبكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم طلبوه فلم يصادفوه^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: لما قبض أمير المؤمنين قام الحسن بن علي عليه السلام في مسجد الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال:

أيها الناس إنه قد قبض في هذه الليلة رجل ما سبقه الأولون ولا يدركه الآخرون، إنه كان لصاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن يمينه جبرئيل، وعن يساره ميكائيل، لا ينثني حتى يفتح الله له، والله ما ترك بيضاء ولا حمراء إلا سبع مئة درهم فضلت عن عطائه، أراد أن يشتري بها خادماً لأهله، والله لقد قبض في الليلة التي فيها قبض وصي موسى يوشع بن نون، واللييلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، واللييلة التي نزل فيها القرآن^(٢).

(١) الكافي ج ١ ص ٤٥٤، باب مولد أمير المؤمنين عليه السلام ح ٤.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٥٧.

عبادته ﷺ

كان ﷺ أعبد أهل زمانه، وقد دخل ضرارين ضمرة الكناني على معاوية، فقال له: صِف لي علياً، فقال: أَوْتَعِفِينِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قال: لا أعفِيكَ، قال: أمّا إذا لا بدّ، فإنه كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلّب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشِب، كان والله كأحدنا، يدنينا إذا أتينا، ويحيينا إذا سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلّمه هيبةً له، فإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدين، ويحبّ المساكين، لا يطمع القويّ في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأشهد بالله لقد رأيتُه في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، يميل في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ تلمل السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأنّي أسمعُه الآن، وهو يقول: ياربنا، ياربنا، يتضرّع إليه، ثمّ يقول للدنيا: إليّ تغرّرت، إليّ تشوّقتِ؟! هيهات! هيهات! غريّ غيري، قد أبنتك ثلاثاً، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آه آه! من قلة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق.

فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمّه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن رحمه الله^(١).

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ٨٤، ذخائر العقبى ص ١٠٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٨

ودخل أبو جعفر عليه السلام على أبيه عليه السلام فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، فرآه قد اصفرّ لونه من السهر، ورمضت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته وانخرم أنفه من السجود، وورم ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة، قال أبو جعفر عليه السلام: فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء، فبكيته رحمةً له، وإذا هو يفكر، فالتفت إليّ بعد هنيئة من دخولي، وقال: يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب، فأعطيته فقراً منها شيئاً يسيراً، ثم تركها من يده تضرّجاً، وقال: من يقوى على عبادة عليّ عليه السلام (١)!

شجاعته عليه السلام

شجاعته عليه السلام أظهر من الشمس، هو الذي قتل في بدر ستة وثلاثين من أبطال المشركين، (٢) وأخذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من يده قبضة من حصباء الوادي ورمى بها في وجوه المشركين، وقال: شاهت الوجوه، فنزلت ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (٣) فأخذ الحصباء من يد علي، ونفي الله الرمي عن رسوله، وإثباته لنفسه، يكفي لبيان منزلة عليّ عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٤).

← ص ٢٢٥، نظم درر السمطين ص ١٣٥، الإستيعاب لابن عبد البرّ ج ٣ ص ١١٠٨، تاريخ مدينة دمشق ج ٢٤ ص ٤٠١، ينابيع المودة ج ٢ ص ١٨٩ ومصادر أخرى للعامة.

خصائص الأئمة ص ٧٠، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ٥٢، شرح الأخبار ج ٢ ص ٣٩١، كنز الفوائد ص ٢٧٠، كشف الغمّة ج ١ ص ٧٦، العمدة ص ١٦ بتفاوت يسير ومصادر أخرى للخاصة.

(١) الإرشاد ج ٢ ص ١٤٢، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٩٤، مكارم الأخلاق ص ٣١٨، الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٨٩١، كشف الغمّة ج ٢ ص ٢٩٧، إعلام الوري بأعلام الهدى ج ١ ص ٤٨٧، ينابيع المودة ج ١ ص ٤٤٦.

(٢) ينابيع المودة ج ١ ص ٤٥١، بحار الأنوار ج ٤١ ص ٦٥، ومصادر أخرى.

(٣) سورة الأنفال: ١٧.

(٤) مجمع الزوائد ج ٦ ص ٨٤، المعجم الكبير ج ١١ ص ٢٢٧، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٠٧، جامع البيان ←

وهو الذي نودي في غزوة أحد بمحصر الفتوة في شخصيته «لافتى إلا علي لاسيف إلا ذو الفقار»^(١) وهو الذي مبارزته في غزوة الخندق برز الإيمان كله إلى الشرك كله، وكفى في فضل مبارزته أنها أفضل من أعمال الأمة إلى يوم القيامة^(٢)، وبما أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، فالعمل الأفضل من أعمال هذه الأمة أفضل من أعمال جميع الأمم.

وهو الذي فتح خيبر بعدما رجح الأول والثاني خائبين، فقال الرسول ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه ليس بفرار^(٣)، فظهر للناس تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

← ج ٩ ص ٢٧١، الدر المنثور ج ٣ ص ١٧٥، زاد المسير ج ٣ ص ٢٢٦ ومصادر أخرى للعامة.
تفسير العياشي ج ٢ ص ٥٢، تفسير جوامع الجامع ج ٢ ص ١٣، تفسير الصافي ج ٢ ص ٢٨٧، مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٨٩، ومصادر أخرى للخاصة.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٩ وج ٢ ص ٢١١ وج ٧ ص ٢١٩ وج ١٠ ص ١٨٢ وج ١١ ص ٢١٧ وج ١٣ ص ٢٩٣ وج ١٤ ص ٢٥١، نظم درر السمطين ص ١٢٠، كنز العمال ج ٥ ص ٧٢٣، تاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٢٠١ وج ٤٢ ص ٧١، تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩٧، البداية والنهاية ج ٤ ص ٥٤ وج ٦ ص ٦ وج ٧ ص ٢٥٠ و ٢٩٣ و ٣٧٢، كتاب الهوائف ص ٢٢، عون المعبود ج ١٠ ص ٢٦٤، المعيار والموازنة ص ٩١ و ١٤٨، ينابيع المودة ج ١ ص ٢٤٠ و ٤٣٤ وج ٢ ص ٢٩١ وموارد أخرى من هذا الكتاب، وأتى بجزئه الأول في تحفة الأحوذني ج ٦ ص ١٨٢، فيض القدير ج ٦ ص ٥٥٣ ومصادر أخرى للعامة.

الكافي ج ٨ ص ١١٠، علل الشرائع ج ١ ص ١٦٠ باب ١٢٩ ح ٢، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ٤٩٥ وج ٢ ص ٥٣٦، شرح الأخبار ج ٢ ص ١٩٢ و ٣٨١، العمدة ص ٣٨٢، تفسير فرات الكوفي ص ٩٥ ومصادر أخرى للخاصة.

(٢) راجع صفحة ١٠٤.

(٣) الثقات لابن حبان ج ٢ ص ١٢، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٤٥، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام

وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ
لَوْمَةَ لَائِمٍ^(١) وقلع الباب الذي يقلعه عشرون رجلاً وينقله سبعون، وقد اعترف
المخالف والمؤلف بأن قلعه لم يكن ممكناً بالقوة الجسدانية^(٢).

قال الفخر الرازي: وذلك لأنّ علياً كرم الله وجهه في ذلك الوقت انقطع نظره
عن عالم الأجساد، وأشرقت الملائكة بأنوار عالم الكبرياء، فتقوى روحه وتشبّه
بجواهر الأرواح الملكية، وتطلّعت فيه أضواء عالم القدس والعظمة، فلا جرم
حصل له من القدرة ما قدر بها على ما لم يقدر عليه غيره^(٣).

وهو الذي بات على فراش النبي صلّى الله عليه وآله مبيتاً ينبئ عن علو شأنه، فقام جبرئيل
وهو ناموس الوحي والعلم عند رأسه، وميكائيل وهو خازن الأرزاق عند
رجليه، ونادى جبرئيل: **بِخِ بَخٍ مَنْ مِثْلِكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، يَبَاهِي اللَّهُ بِكَ [بِهِ]**
الْمَلَائِكَةُ^(٤)، وأنزل الله سبحانه: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ**

← ص ١١٦، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٨٩ و ٩٠، وبتفاوت في مصادر أخرى للعامة تقدم ذكرها في
صفحة: ١٦٦.

شرح الأخبار ج ١ ص ٣٠٢، الأربعون حديثاً ص ٥٦ وبتفاوت في مصادر أخرى للخاصة تقدم ذكرها
في صفحة: ١٦٦

(١) سورة المائدة: ٥٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٥ ص ٧ و ج ٢٠ ص ٣١٦، ومصادر أخرى للعامة.

الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٤٢، الأمالي للصدوق: ٦٠٤، روضة الواعظين ص ١٢٧، مناقب آل أبي
طالب ج ٢ ص ٢٣٩ ومصادر أخرى للخاصة.

(٣) التفسير الكبير ج ٢١ ص ٩١.

(٤) أسد الغابة ج ٤ ص ٢٥، ينابيع المودة ج ١ ص ٢٧٤، شواهد التنزيل ج ١ ص ١٢٣، تاريخ اليعقوبي ج ٢
ص ٣٩ ومصادر أخرى للعامة.

رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ^(١).

هذه شجاعته الصغرى، وأمّا شجاعته الكبرى في غلبته النفس والهوى فجفّ عنها القلم، وكلّ عنها البيان!

كرمه بأشياء

هو الذي كان يملك كنوز قيصر وكسرى، وخزائن البلاد، وكان إفطاره على خبز الشعير والملح^(٢)، وكان يستقي بيده لنخل قوم من اليهود، ثمّ يتصدّق بالأجرة، ويشدّ على بطنه حجراً^(٣).

وهو الذي ملك أربعة دراهم، فأنفق واحداً منها ليلاً، وآخر نهاراً، وواحداً سرّاً، وآخر علانيةً، فنزل في شأنه: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً»^(٤).

← المسترشد ص ٣٦١ و٤٣٤، الأماشي للطوسي ص ٤٦٩ المجلس السادس عشر ح ٣٧، الإحتجاج ج ١ ص ١٦٠ ومصادر أخرى للخاصّة.

(١) سورة البقرة: ٢٠٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٢٧٢.

(٣) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤٤.

(٤) سورة البقرة: ٢٧٤.

مجمع الزوائد ج ٦ ص ٣٢٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢١ و ج ١٣ ص ٢٧٦، نظم درر السمطين ص ٩٠، معاني القرآن ج ١ ص ٣٠٤، أسباب النزول للواحدي ص ٥٨، شواهد التنزيل ج ١ ص ١٤٠ و...، زاد المسير ج ١ ص ٢٨٦، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٣٣، البرهان للزركشي ج ١ ص ١٥٩، الدر المنثور ج ١ ص ٣٦٣، تفسير الشعالي ج ١ ص ٥٣٤، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٥٨، أسد الغابة ج ٤ ص ٢٥ ومصادر أخرى للعامة.

فصاحته وبلاغته عليه السلام

تجلّت فصاحته وبلاغته في خطبه وكتبه وكلماته القصار، وفي الأدعية المأثورة عنه، وقد عجز أساطين الحكمة وأعلام الفصاحة عن الإتيان بمثلها في فنون الكلام، مادّةً وهيئةً.

*

فالأمر يدور بين أن يقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله الجامع للمقامات المذكورة أو فاقدها، فإن كان الأوّل فقد تحقّق قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾^(١) وتجلّى قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾^(٢).

وإن كان الثاني فقد استخلفت الظلمات للنور، واستبدلت الهداية بالضلال ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾^(٣) فلا يحتاج إثبات خلافة علي عليه السلام للرسول صلى الله عليه وآله ونفيها عن غيره، إلى إقامة الدليل والبرهان.

**

قد تقدّم في مبحث الإمامة وجوه لإثبات إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام

← عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٦٢ باب ٣١ ح ٢٥٥، روضة الواعظين ص ١٠٥ و ٣٨٣، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ١٦٦ و ١٦٧ و ١٨٦، شرح الأخبار ج ٢ ص ٣٤٦، الفصول المختارة ص ١٤٠، الإختصاص ص ١٥٠، العمدة ص ٣٤٩ ومصادر أخرى للخاصة.

(١) سورة هود: ١٧.

(٢) سورة الشمس: ١-٢.

(٣) سورة الرعد: ١٦.

وخلافته بلا فصل لرسول الله ﷺ، ونذكر هنا ما يستفاد منه وجوه أخرى:
 هنا قضيتان: ثبوت خلافته ﷺ للرسول ﷺ، ونفيها عن غيره، والقضيتان
 لكل مسلم من القضايا التي لا تحتاج إلى الاستدلال، وإنما الحاجة إلى تذكّر أمور
 يستلزم تصوّرها التصديق بهما إيجاباً وسلباً:

الأول: إن الخليفة خَلَفَ للمستخلف عنه، يقوم مقامه، والبدل من كل شيء
 خلف منه، وحقيقة الخلافة تقتضي أن يقوم الخليفة مقام المستخلف عنه بتحمّل ما
 كان يتصدى له وما يتوقّع منه، فهو بدلٌ عنه، به يملأ خلاً فقدانه، لهذا فإنّ بديلية
 الخليفة عن المستخلف عنه وقيامه مقامه تستوجب تناسباً خاصاً بينهما، تدور
 الخلافة مداره وجوداً وعدماً، فلا يُستخلف الشمس إلاّ بالقمر الذي بنوره يسدّ
 خلاً ضيائها، ولا تكون الظلمة خليفة للنور، ولا الجاهل بدلاً عن العالم، ولا الفاقد
 قائماً مقام الواجد.

وعندما تحصل غيبة أو فقد لمن يكون في الذروة العليا من الحكمة النظرية
 والعملية، يقوم مقامه من يتلوّه في الحكمتين، لا من يكون فاقداً لهما، ولا من هو في
 المراتب النازلة منها.

الثاني: لا بدّ أن يتأمّل في أنّ المستخلف عنه، وهو الرسول الأعظم ﷺ من
 هو؟ وما هو الذي يترقّب منه بالنسبة إلى الأمة؟

إنّ رسول الله ﷺ هو الإنسان الكامل الذي فاق النبيّين والمرسلين في جميع
 ما أعطاهم الله من الكمالات العلمية والعملية، والآيات التدوينية والتكوينية.

والغرض من بعثته خروج استعداد نوع الإنسان للكمالات الممكنة له من
 القوّة إلى الفعل - حتّى يبلغ من الفضائل إلى مقامات يغبطه بها الملأ الأعلى، ويباهي
 الله به ملائكة السماء - وإحقاق الحق فيعطي كلّ ذي حقّ حقه وإقامة الناس

بالقسط بما أنزل إليه من الكتاب والميزان ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١)، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٢).

الثالث: خليفة الرسول صلى الله عليه وآله لا بد أن يكون هو المثل الأعلى لشخصيته علماً وخلقاً وعملاً، لكي يسدّ خلأ وجوده في تعليم الإنسان وتربيته، وتلاوة آيات الله عليه، وإرشاد الناس إلى تنزيلها وتأويلها، وظاهرها وباطنها، ومحكمها ومتشابهها، وعامها وخاصها، وناسخها ومنسوخها، وبيان أسرارها الممكنة، وجواهرها المخزونة في الحروف المقطّعة في أوائل سورها.

وبكلمة واحدة لا بد أن يكون عنده علم الكتاب، الذي فيه تفصيل كل شيء ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٣)، وأن يتكفل تزكية الناس من الوسوس الشيطانية والأهواء النفسانية والرذائل الخلقية والعملية، حتى تستعدّ عقولهم بالتصفية من تلك الكدورات لإشراق أنوار الكتاب الذي لا يناله إلا المطهرون، وتصير نفوسهم خزائن لجواهر الحكمة التي يؤتيها الله من يشاء.

فإذا كان الخليفة قائماً مقام الرسول صلى الله عليه وآله فيما ينتظر منه ويترقّب من وجوده لتعليم الأمة وتربيتها، فقد تحقّق الغرض من خاتمية الرسالة وأبدية الشريعة، وتحققت الغاية من البعثة ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٤).

(١) سورة المائدة: ١٥ و ١٦.

(٢) سورة الحديد: ٢٥.

(٣) سورة الأنعام: ٣٨.

(٤) سورة الجمعة: ٢.

فالنبوة وإن انتهت ببعثته ﷺ إلا أن الغرض منها وهو تزكية الأمة وتعليم الكتاب والحكمة باقٍ إلى يوم القيامة، ولا يمكن حصوله إلا بمن يقوم مقام الرسول ﷺ بما يقتضيه مفهوم الخلافة.

الرابع: من هو مصداق خليفة الرسول ﷺ بعده؟ هل هو عليٌّ أو غيره؟ فإن كان عليّاً فهو الذي تجلّى فيه فضائل النبي ﷺ، بحيث يراه من رآه بعين الإنصاف أنه المرآة التامة للرسول الأعظم، وتقتصر من تلك الفضائل على بعضها:

فهو الذي قام الإجماع والسنة على أنه وارث علم النبي ﷺ. أما الإجماع، فقد ادّعى الحاكم في المستدرك الإجماع على إثبات ذلك لعليٍّ، والنبي عن غيره^(١).

وأما السنة فنقتصر منها على قوله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»^(٢)، وقوله ﷺ: «أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها»^(٣).

(١) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٢٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٢٦، المعجم الكبير ج ١١ ص ٥٥، الفائق في غريب الحديث ج ٢ ص ١٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٧ ص ٢١٩، الجامع الصغير ج ١ ص ٤١٥، كنز العمال ج ١٣ ص ١٤٨، فيض القدير ج ١ ص ٤٩، وج ٣ ص ٦٠، شواهد التنزيل ج ١ ص ١٠٤... و٤٣٢، مفردات الراغب ص ٦٤، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٧٨... ومصادر أخرى للعامة. عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٦٦ باب ٣١ ح ٢٩٨، الخصال للشيخ الصدوق ص ٥٧٤، الأمالي للشيخ الصدوق ص ٤٢٥ و٦٥٥، تفسير فرات الكوفي ص ٦٤، التوحيد ص ٣٠٧، تحف العقول ص ٤٣٠، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ٥٥٨، شرح الأخبار ج ١ ص ٨٩، الإرشاد ج ١ ص ٣٣، الإختصاص ص ٢٣٨، الأمالي للمفيد ص ٧٧، كنز الفوائد ص ١٤٩، الإحتجاج ج ١ ص ١٠٢، الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٤٥ و٥٦٥ ومصادر أخرى للخاصة.

(٣) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٤، ذخائر العقبى ص ٧٧، تحفة الأحوذى ج ١٠ ص ١٥٥، الجامع الصغير ←

أمّا حديث أنا مدينة العلم فمن حيث السند غني عن التصحيح، فلو لم نقل بتواتره لفظاً أو معنىً، فهو متواتر إجمالاً.

وأما من حيث الدلالة فهو يدلّ على أنه باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وليس لأحد كائناً من كان أن يأتي هذه المدينة إلا من هذا الباب.

فبمنطقه تفتح مدينة علم الخاتم على أهل العالم، وبسكوته تنغلق.

وأما العلم الذي يكون النبيّ مدينته وعلي بابيه، فهو الذي استحقّ به آدم خلافة الله في الأرض، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ* وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١)، وقد علم الله الخاتم جميع

← ج ١ ص ٤١٥، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٧٨، ينابيع المودّة ج ١ ص ٢١٨ وج ٢ ص ٩٠ و ٣٩٣، فيض القدير ج ٣ ص ٦٠، ومصادر أخرى للعامة.

الأمالى للشيخ الصدوق: ٤٣٤، العمدة: ٢٩٥، ومصادر أخرى للخاصّة.

وقد وردت بلفظة أنا مدينة الحكمة وعلي بابها، وقريب منه في مصادر كثيرة للعامة وللخاصّة أيضاً. فيض القدير ج ٣ ص ٦٠، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٧٨، ينابيع المودّة ج ١ ص ٣٩٠ ومصادر أخرى للعامة.

روضة الواعظين ص ١٠٣ و ١١٩، الأمالى للصدوق ص ١٨٨، المجلس السادس والعشرون ح ٨ و ص ٣٤٢ المجلس الخامس والأربعون ح ١٨ و ص ٤٧٢ المجلس الحادي والستون ح ١١ و ص ٦١٩، المجلس التاسع والسبعون ح ١، كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٤١، شرح الأخبار ج ١ ص ٨٩، الأمالى للطوسي ص ٤٣١، المجلس الخامس عشر ح ٢١ و ص ٤٨٣ المجلس السابع عشر ح ٢٤، عوالي اللثالي ج ٤ ص ١٢٣ ومصادر أخرى للخاصّة.

(١) سورة البقرة: ٣٠، ٣١.

ما علمه لآدم ومن دونه من النبيين مضافاً إلى ما خصّه به، كما هو مقتضى الخاتمية، قال سبحانه وتعالى في شأن ما علمه لكليمه: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) وفي شأن ما علمه لحبيبه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢).
وأما حديث أنا دار الحكمة (أو مدينة الحكمة) وعلي بابها، فقد رواه جمع من أصحاب الحديث، على ما تقدّم.^(٣)

ودلالته واضحة على أن الدار لا تؤتى إلا من بابها، والحكمة التي رسول الله ﷺ مدينتها وعلي عليه السلام بابها، هي التي عدّها سبحانه وتعالى خيراً كثيراً خصّ الله بها من يشاء، بينما عدّ متاع الحياة الدنيا التي زين سماءها بزينة الكواكب مع شمسها وأقمارها ونجومها ومجراتها التي تحير العقول في عظمتها قليلاً، قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾^(٤)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٥).

وهذه الحكمة هي التي مبدؤها العليّ العظيم، ومجليها القرآن العظيم ﴿الرَّكْتُبُ أَحْكَمْتُ آيَتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^(٦).
فمن أراد هذه الحكمة التي هي ضالة كل مؤمن^(٧) وطلبة كل إنسان، فلا يمكنه أن يناها إلا من طريق علي عليه السلام.

(١) سورة الأعراف: ١٤٥.

(٢) سورة النحل: ٨٩.

(٣) راجع صفحه ٢٦٦.

(٤) سورة النساء: ٧٧.

(٥) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٦) سورة هود: ١.

(٧) إشارة إلى ما روي عنهم عليه السلام: الحكمة ضالة المؤمن. الكافي ج ١ ص ١٦٧.

وغير خفيّ على أهل النظر أنّ عظمة علم النبيّ وحكمته ﷺ فوق أن تدركها العقول، فإنه الإنسان الكامل على الإطلاق، ومقتضى البرهان صيرورة ما في نوع الإنسان من الاستعداد للكمال العلمي والعملي فعلياً في الفرد الكامل الذي لا أكمل منه، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(١).

فما عدّه العلي العظيم الذي لا حدّ لعظمته عظيماً، يكون أعظم من أن تصل إلى مبلغ عظمته الأفهام، وعليّ باب هذا العلم والحكمة، وبكلمة واحدة: باب علم الخاتم هو باب علم العالم!

وقد اتفق الفريقان على أنه قال: (سلوني قبل أن تفقدوني)^(٢)، وعدم تحديده لما يسأل عنه بحدّ يكشف أنّ المتكلّم بهذا الكلام باب العلم الذي يمدّه من لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة.

(١) سورة النساء: ١١٣.

(٢) نهج البلاغة كلام ١٨٩، بصائر الدرجات ص ٢٨٦ - الجزء السادس، باب ٢ في الأئمة عليهم السلام أنّهم يعرفون علم المنايا والبلايا...، مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٨ و ج ٢ ص ١٠٥، كامل الزيارات ص ١٥٥ باب ٢٣ ح ١٦، التوحيد ص ٩٢ و ٣٠٥، روضة الواعظين ص ٣٢ و ١١٨، شرح الأخبار ج ٢ ص ٣٩ و ٢٨٦ و ٣١١، الإرشاد ج ١ ص ٣٥ و ٣٣٠، الإختصاص ص ٢٣٥ و ٢٤٨ و ٢٧٩، الإحتجاج ج ١ ص ٣٨٤، الناقب في المناقب ص ١٢١، الخرائج والجرائح ج ٣ ص ١١٣٣، العمدة ص ٢٦١، الأمالي للشيخ الطوسي ص ٥٧ المجلس الثاني ح ٥٤، رسائل المرتضى ج ١ ص ٣٩١، الأمالي للشيخ الصدوق ص ١٩٦ المجلس الثامن والعشرون ح ١ و ص ٤٢٢ المجلس الخامس والخمسون ح ١ ومصادر أخرى للخاصّة.

المستدرك على الصحيحين ج ٢ ص ٣٥٢ و ص ٤٦٦، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٦ و ج ٦ ص ١٣٦، المعيار والموازنة ص ٨٢ و ٢٩٨، جامع البيان ج ١٣ ص ٢٨٩، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٩٧ و ٤٠٠، كنز العمال ج ١٣ ص ١٦٥ ومصادر أخرى للعامة.

هذه منزلته في العلم والحكمة، وقد اعترف به المؤلف والمخالف، قال معاوية لابن عباس: فما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال: رحم الله أبا الحسن كان والله علم الهدى، وكهف التقي، ومحل الحجى، وطود النهى، ونور السرى في ظلم الدجى، وداعياً إلى المحجة العظمى، عالماً بما في الصحف الأولى، وقائماً بالتأويل والذكرى، متعلقاً بأسباب الهدى، وتاركاً للجور والأذى، وحائداً عن طرقات الردى، وخير من آمن واتقى، وسيّد من تقمّص وارثدى، وأفضل من حجّ وسعى، وأسمح من عدل وسوى، إلى آخر ما قال»^(١).

وقالت عائشة: عليّ أعلم الناس بالسنة^(٢).

وقال عمر بن الخطّاب: أعود بالله من كل معضلة وليس لها أبو حسن^(٣)، وقد

(١) المعجم الكبير ج ١٠ ص ٢٣٩ وبتفاوت يسير في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٥٩، ينابيع المودة ج ٢ ص ١٧١ ومصادر أخرى للعامة.

المسترشد ص ٣٠٧، الطرائف ص ٥٠٧ وبتفاوت يسير في مصادر أخرى للخاصة.

(٢) التاريخ الكبير للبخاري ج ٢ ص ٢٥٥ و ج ٣ ص ٢٢٨، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤٠٨، ذخائر العقبى ص ٧٨، نظم درر السمطين ص ١٣٣، تفسير الثعالبي ج ١ ص ٥٢، ينابيع المودة ج ٢ ص ١٧١ ومصادر أخرى للعامة.

المناقب للخوارزمي ص ٩١، كشف الغمّة ج ١ ص ١١٧، شرح الأخبار ج ٢ ص ٣١٠ و ٥٦١، كشف اليقين ص ٥٧ ومصادر أخرى للخاصة.

(٣) الفائق في غريب الحديث ج ٢ ص ٣٧٥، وبتفاوت يسير في: ذخائر العقبى ص ٨٢، تأويل مختلف الحديث ص ١٥٢، نور الأبصار ص ٨٨، نظم درر السمطين ص ١٣١، كنز العمال ج ١٠ ص ٣٠٠، الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٣٩، تاريخ مدينة دمشق ج ٢٥ ص ٣٦٩ ج ٤٢ ص ٤٠٦، أسد الغابة ج ٤ ص ٢٣، تهذيب الكمال ج ٢٠ ص ٤٨٥، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٩٦، الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٤٦٧، أنساب الأشراف ص ١٠٠، ينابيع المودة ج ٢ ص ١٧٢ و ٤٠٥ و ج ٣ ص ١٤٧، البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٩٧، كفاية الطالب ص ٢١٧ باب ٥٧ حديث ٧٢٦ ومصادر أخرى للعامة.

اعترف بنجاته من الهلكات في المعضلات بعلم علي عليه السلام .
وقال معاوية: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة:
لا يسمع هذا منك أهل الشام. فقال له: دعني عنك^(١).
وبعد نص الرسول ﷺ الذي قال الله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾^(٢)،
وإجماع الأمة، والإعتراف حتى من أشدّ الخصام الذي أعدّ ما استطاع لإطفاء نوره
ومحو مناقبه، لا يبقى ريب في أنه عليه السلام هو البدر التام الذي يستخلف شمس سماء
النبوة، ويقوم مقام الرسول في إشراق أنوار الكتاب والحكمة، وينوب منابه في
الهداية والإمامة، ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾^(٣)

**

← شرح الأخبار ج ٢ ص ٣١٧ و ٥٦٥، دلائل الإمامة ص ٢٢، مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣١ و ٣٦٩،
العمدة ص ٢٥٧، الطرائف ص ٤٧٣ ومصادر أخرى للخاصة.

(١) الإستيعاب ج ٣ ص ١١٠٨، الإستيعاب بهامش الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٤٤، العدد القوية
ص ٢٥٠.

(٢) سورة الحشر: ٧.

(٣) سورة هود: ١٧.

الحكومة العلوية

وأما الحكومة العلوية المتشكّلة من الأركان الثلاثة، وهي الوالي والقاضي والعمّال المستعملين لتمشية الأمور، فقد قامت على الأصول التي بها تتحقّق المدينة الفاضلة بأرقى ما يتصوّر من صورها، التي تكون ضامنة لسعادة الأُمَّة الماديّة والمعنوية، نذكر قليلاً ممّا اعتبره عليه السلام في ولاية أمور الأُمَّة مع الإغماض عن شرحها على ما ينبغي، فإن كل جملة منها باب يفتح منه أبواب لأصحاب الحكمة العملية في السياسة المدنية والنفسية للإنسان الذي يحتاج في حياته إلى إعطاء كلّ قوّة من قواه الشهوية والغضبية والعقلية حقّها، حتّى تكون حياته حياة طيّبة في معاشه ومعاذه.

فمّمّا اعتبره في الوالي ما قاله عليه السلام:

«ثمّ اعلم يا مالك أنّي وجّهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك، من عدل وجور، وأنّ الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنّما يستدلّ على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحبّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك، وشحّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك، فإنّ الشحّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحبّبت أو كرهت، وأشعر قلبك الرحمة للرعيّة، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم

سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظيرُك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعظم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، والوالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك...»^(١).

فقد تبهّ عليه السلام بقوله: «قد جرت عليها دول قبلك...» إلى أنّ هذه الدولة كالدول الماضية، ظلّ زائل لا بقاء له ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٢)، فكما تنظر إلى أعمالهم وتقضي في حقهم بما صدر عنهم، كذلك ينظر الناس إلى أمورك، وما يجري على ألسنتهم ممّا يرون من أعمالك دليل على صلاحك وفسادك. والولاية همّهم في ولايتهم أن يجمعوا المال والذخائر، وأحبّ الذخائر إلى الوالي في حكومته عليه السلام، ذخيرة العمل الصالح.

*

وبيّن عليه السلام بقوله: «فاملِك هواك» أنّ من لا يملك هوى نفسه لا يستطيع أن يحكم بالحقّ، فإنّ اتباع الهوى يصدّ عن الحقّ، فلا بدّ أن يكون الوالي أشجع الرعية وأقدرهم، وأنّ «أشجع الناس من غلب هواه»^(٣).

*

وبأمّره عليه السلام بسخاء النفس، بيّن أنّ الوالي، لا بدّ وأن لا يخرجّه من الإنصاف من نفسه محبوب لنفسه ولا مكروه لها، ولا يخرجّه عن الاعتدال حبّ ولا بغض.

*

وبيّن عليه السلام بقوله: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية» وتعليله بأنّهم «صنفان إمّا أخ

(١) كتابه عليه السلام إلى مالك الأشتر النخعي، نهج البلاغة رقم ٥٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٠.

(٣) معاني الأخبار ص ١٩٥.

لك في الدين أو نظير لك في الخلق» أنّ الوالي فوق الرعية، فكما أنّ الله الذي هو فوقه وفوق من ولاّه يرى الزلل والعلل، ولا يمسك عن الرحمة والإحسان، فلا بدّ أن لا يصير تفوّق الوالي موجِباً لعدم الإغماض عن زلّات الرعية.

فكما ينتظر الوالي العفو من الله سبحانه والرحمة - مع ما يرى من نفسه من الزلل والعلل - كذلك عليه أن يعامل الرعية - مع ما يصدر منهم عمداً أو خطأً - بالعفو والصفح والمحبة والإحسان، وأنّ تعمّ رحمته وإحسانه كلّ من كان نظيره في الخلق وإن خالفه في الدين.

فالحكومة العلوية ظهور الرحمة الرحمانية الإلهية على المسلم والكافر، والبرّ والفاجر، وبها تتجلّى شمس الرسالة الخاتمة التي هي رحمة للعالمين.

*

وعلى الوالي أن لا يرى نفسه آمراً لا بدّ أن يطاع، فإنّ من رأى لنفسه حقّ الطاعة المطلقة إلا من عصمه الله جرّه ذلك إلى الشقاء كما قال عليه السلام: «ولا تقولن إنني مؤمّر أمر فأطاع، فإنّ ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين، وتقرب من الغير [الفتن فتعوذ بالله من درك الشقاء].»

ولا ريب أنّ آفة عقل الوالي التكبر الذي يحدث من سلطانه وملكه، فلا بدّ له عند ما حدث له أهبة أن يكون ناظراً إلى عظم ملك الذي وسع كرسيه السموات والأرض وقدرة القاهر على عباده الذي بيده ناصية كلّ شيء، وجبروت الذي بيده ملكوت كلّ شيء، فقال عليه السلام:

«وإذا حدث لك ما أنت فيه من سلطانك أهبة أو مخيلة، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإنّ ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكفّ عنك من غربك، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك. وإياك

ومساماة الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإن الله يذلّ كلَّ جبّار، ويهين كلَّ مختالٍ [فخور]». .

*

وقال عليه السلام: «وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحقّ، وأعمّها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية» فإنّ الأوسط في الحقّ هو أصل الحكمة في مقام النظر، والأعمّ في العدل هو فرع الحكمة في العمل، والشجرة التي يكون الأوسط في الحقّ أصلها، والأعمّ في العدل فرعها، تكون ثمرتها سعادة الفرد والمجتمع، ورضى الرعية.

*

ولا بدّ أن يكون الوالي ساتراً لعيوب أفراد الرعية، وحاللاً لعقد الأحقاد، قابلاً لعذر من اعتذر إليه، دارياً للحدود بالشبهات، ونعوذ بالله أن يكون آخذاً بالتهم، وهاتكاً للأعراض بالتوهّمات.

كما قال عليه السلام: «وليكن أبعد رعيّتك منك وأشناهم عندك أطلبهم لمعائب الناس، فإنّ في الناس عيوباً، الوالي أحقّ من سترها، فلا تكشفنّ عمّا غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحبّ ستره من رعيّتك [و] أطلق عن الناس عقدة كلّ حقد، واقطع عنك سبب كلّ وتر، [واقبل العذر، وادراً الحدود بالشبهات] ...».

*

وأما خاصّة الوالي وأصحابه في خلوته وملئه، فلا بدّ أن يكون ممّن لم يعاون ظلماً على ظلمه، ولا آثماً على إثمه، ويكون أقربهم منه، كما قال عليه السلام: «ثمّ ليكن آثرهم عندك، أقولهم بمرّ الحقّ لك، [وأحوظهم على الضعفاء بالإنصاف]، وأقلّهم مساعدة [لك مناظرة] فيما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك

حيث وقع، فإنهم يقفونك على الحق، ويبصرونك ما يعود عليك نفعه].
والصق بأهل الورع والصدق، [وذوي العقول والأحساب] ثم رضهم على ألا
يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو، وتدني من
العزة، [والإقرار بذلك يوجب المقْت من الله]...».

وإذا كان الوالي متصفاً بما تقدم من الصفات وكانت خاصته متصفاً بالعقل
والحسب والورع والصدق وعدم معاونة على ظلم ولا على إثم، وكان أقربهم إلى
الوالي أكثرهم قولاً بالحق الذي هو مرٌّ على سامعه، وأكثرهم احتياطاً بالإنصاف
على الضعفاء، وقد عودهم الوالي على عدم إطرائه ومدحه، كان أصل الحكومة
وفروعها ومنتها وحواشيها خلاصة من العقل والحق والعدل والإنصاف والورع
والصدق والرحمة والمحبة والإحسان.

وبذلك تنتشر أنوار المكارم من المركز إلى المحيط بمقتضى تبعية العامة
لأصحاب القدرة والشوكة، وبذلك يتحقق الغرض من إرسال الرسول وإنزال
الكتاب: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١).

هذه بعض ما اعتبره عليه السلام في الوالي، ولا يتسع المجال لعرض تمام ما أفاض عليه السلام
من صفات الوالي.

*

القاضي في الحكومة العلوية

إن إحقاق الحقوق مما يتوقف عليه نظام الدين والدنيا، كما قال عليه السلام: «فإن

(١) سورة الحديد: ٢٥.

الحكم في إنصاف المظلوم من الظالم، والأخذ للضعيف من القوي، وإقامة حدود الله على سنتها، ومنهجها، مما يصلح عباد الله وبلاده»، لذا اشترط عليه السلام في القاضي ما يتحقق به الغرض من القضاء الذي هو من مناصب الأنبياء والأوصياء، فقال عليه السلام: «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك [وأنفسهم للعلم والحلم والورع والسخاء]، ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في إثبات [الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم [الخصوم]، وأصبرهم على تكشّف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزهيه إطراء، ولا يستميله اغراء [اغراق]، ولا يصغي للتبليغ، فولّ قضاءك من كان كذلك [وهم] وأولئك قليل،...».

فإذا كان القاضي عالماً حليماً ورعاً سخيّاً، لا يؤثّر فيه تطميع، ولا يتأثر بتخويف، متوقفاً عند الشبهة، قاطعاً للخصومة عند اتضاح الحكم، لا يكتفي في الحكم إلا بأقصى مراتب الفهم لاستكشاف الحق، وكان أصبرهم على كشف الأمر، وإذا عرف الحق لا يصرفه عنه صارف بلع ما بلغ، فإن قضاء مثله يكون مصلحاً للعباد وعامراً للبلاد، وهو ما أراد الله من الأحكام من الحكم بالحق والعدل ﴿وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(١)، ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(٢).

*

(١) سورة النساء: ٥٨.

(٢) سورة ص: ٢٦.

العمال وأعوان الوالي على تقلد الأمور

قد وصفهم عليه السلام بقوله: ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة، وإدخال الضرورة على الناس، وليست تصلح الأمور بالإدغال، فاصطف لولاية أعمالك أهل العلم والورع والسياسة] وتوخَّ منهم أهل التجربة والحياء، من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصحَّ أعراضاً، وأقلَّ في المطامع إشراقاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً [من غيرهم، فليكونوا أعوانك على ما تقلدت]...».

وقد بين عليه السلام أنَّ تولية الأمور في الحكومة العلوية لا تكون بالميل والهوى، بل بالإستحقاق والإختبار والإصطفاء، وعلى أساس الورع والعلم والسياسة والتجربة والحياء، والنشأة في البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام.

فيدور تولي الأمور مدار الكفاية والأمانة، كما قال الله سبحانه: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٢).

والأمة التي يتّصف واليها بتلك الأوصاف، وقاضيها بتلك السمات، وعاملها بهذه المزايا، وتكون المراتب والمناصب فيها على أساس درجات العلم والإيمان والأمانة، تكون خير أمة أخرجت للناس^(٣)، وإمامهم لا محالة يكون أفضلهم، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ أُمَّ قوماً وفيهم مَنْ هو أعلم منه وأفقه لم يزل أمرهم إلى سفال

(١) سورة يوسف: ٥٥.

(٢) سورة القصص: ٢٦.

(٣) إشارة إلى الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

إلى يوم القيامة»^(١).

*

وقد اقتصرنا من هذا العهد على قليلٍ من كثير، ولم نستوف شرح لطائفه ودقائقه وحقائقه، فإنه جامع لأبواب سياسة النفس والمدينة، وتنظيم أمر طبقات الرعية، من الجنود، والكتّاب، والقضاة، والعَمّال، وأهل الجزية والخراج، والتجّار، وأهل الصناعات، وذوي الحاجة والمسكنة.

**

(١) ثواب الأعمال ص ٢٠٦، وبتفاوت يسير في علل الشرائع ص ٣٢٦ باب ٢٠ ح ٤ ومصادر أخرى للخاصة.

المغني لابن قدامة ج ٢ ص ٢٠: الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٨٢، كنز العمال ج ٧ ص ٥٩٠.

الصدّيقة الكبرى

فاطمة الزهراء سلام الله عليها

وهي إحدى المعصومين عليهم السلام، ولدت بمكة بعد النبوة بخمس سنين في العشرين من جمادى الآخرة، وأقامت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ثماني سنين، ثم هاجرت معه إلى المدينة، والأشهر في مدة عمرها أنّها كانت ثماني عشرة سنة، وقبضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه.

لها أسماء منها: فاطمة، والصدّيقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية، والمحدّثة، والزهراء، والبتول، والإنسية الحوراء.

فضائلها عليها السلام

وهي أكثر من أن تحصى، ونذكر بعضها ممّا ورد من روايات الفريقين:

١ - عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: رأيت أمّي فاطمة قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راکعة ساجدة حتّى اتّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بُنيّ الجار ثمّ الدار^(١).

(١) علل الشرائع ج ١ ص ١٨٢ باب ١٤٥، كشف الغمّة ج ١ ص ٤٦٨ في فضائل فاطمة عليها السلام، روضة الواعظين ص ٣٢٩، دلائل الإمامة ص ١٥٢.

٢- كان النبي ﷺ يبدأ في سفره بفاطمة ويختم بها^(١)، فجعلت وقتاً سترأ من كساء خيبريةً لقدوم أبيها وزوجها، فلما رآه النبي ﷺ تجاوز عنها، وقد عرف الغضب في وجهه حتى جلس عند المنبر، فنزعت قلادتها وقرطبيها ومسكتيها ونزعت الستر، فبعثت به إلى أبيها، وقالت: اجعل هذا في سبيل الله، فلما أتاه، قال ﷺ: قد فعلت فداها أبوها ثلاث مرّات، ما لآل محمد وللدنيا، فإنهم خلقوا للآخرة، وخلقوا الدنيا لغيرهم^(٢).

٣- رأى النبي ﷺ فاطمة عليها السلام وعليها كساء من أجلة الإبل وهي تطحن بيديها، وترضع ولدها، فدمعت عيننا رسول الله ﷺ، فقال: يا بنتاه تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت: يا رسول الله الحمد لله على نعمائه والشكر لله على آلائه، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(٣).

فمع ما أصابها من عبادة الله سبحانه من قيامها في المحراب ليلاً حتى تورّمت قدماها، ومع ما أصابها نهاراً من خدمة بيت ولي الله، وتربية أبناء رسول الله ﷺ،

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٨٦ و ص ٨٩، كشف الغمّة ج ١ ص ٤٥١ ومصادر أخرى للخاصّة. مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ٢٧٥، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٩١، السنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ٢٦، المعجم الكبير ج ٢ ص ١٠٣، نظم درر السمطين ص ١٧٧، الدر المنثور ج ٦ ص ٤٣، تفسير الثعالبي ج ٥ ص ٢٢١، سبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٨١ و ٤٢٧، ينابيع المودة ج ٢ ص ١٣٢ و ١٤٠، المستدرک علی الصحیحین ج ١ ص ٤٨٩ و ج ٣ ص ١٥٥ و ١٥٦ ومصادر أخرى للعامة.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٤٣ في سيرتها، وبتفاوت يسير في الأمالي للصدوق: ٣٠٥، روضة الواعظین ص ٤٤٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٤٢، مكارم الأخلاق ص ١١٧ و ٢٣٥، مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٨٢ ومصادر أخرى للخاصّة.

شواهد التنزيل ج ٢ ص ٤٤٥، فتح القدير ج ٥ ص ٤٦٠، كنز العمال ج ١٢ ص ٤٢٢، الدر المنثور ج ٦ ص ٣٦١ ومصادر أخرى للعامة.

حتى قال علي عليه السلام أصابها من الضرّ والضرر الشديد، لم تشتك ممّا جرى عليها، وتجاوزت عن مرتبة الصبر على تلك الشدائد إلى مرتبة الشكر عليها، فهي لم تر مصيبة حتى تصبر عليها، بل رأتها أظافاً إلهية ظاهرة، فقالت: الحمد لله على نعمائه، ومنناً باطنية فقالت: والشكر لله على آلائه، فرضيت عن الله تعالى وأرضاها الله بقوله تعالى لأبيه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(١)، وظهر وجه تسميتها بالراضية والمرضية.

٤- لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾^(٢) بكى صلى الله عليه وآله وسلم بكاءً شديداً، وبكى صحابته لبكائه، ولم يدروا ما نزل به جبرئيل عليه السلام، ولم يستطع أحد من أصحابه أن يكلمه، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى فاطمة فرح بها، فانطلق بعض أصحابه إلى باب بيتها وبين يديها شيء من شعير وهي تطحن وتقول: وما عند الله خير وأبقى، فسلم عليها وأخبرها بخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبكائه، فنهضت، والتفت بشملة لها خلقة، قد خيطت اثني عشر مكاناً بسعف النخل، فلما خرجت نظر سلمان الفارسي إلى الشملة، وبكى وقال: واحزنناه! إنّ قيصر وكسرى لفي السندس والحريز، وابنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليها شملة صوف [خلقة] قد خيطت في اثني عشر مكاناً، فلما دخلت فاطمة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: يارسول الله، إنّ سلمان تعجّب من لباسي، فوالذي بعثك بالحقّ مالي ولعليّ منذ خمس سنين إلاّ مسك كبش نعلف عليها بالنهار بغيرنا، فإذا كان الليل افترشناه، وإنّ مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ ابنتي لفي

(١) سورة الضحى آية ٥.

(٢) سورة الحجر: ٤٣ - ٤٤.

الخيال السوابق^(١).

ومن تأمل في زهدها وزهد بعلمها مما اتفقت عليه روايات الفريقين، رأى أن احتجاجها وتظلمها في قضية فذك لم يكن لحطام الدنيا.

ما تصنع بذك من تطعم الطعام على حبه مسكيناً ويتياً وأسيراً، وتصوم ثلاثة أيام على الماء، مع بعلمها وبنيتها، ويؤثرون على أنفسهم ويقولون: ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرُؤْجِهِ اللهُ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾^(٢)، ويكتفي بعلمها من الدنيا بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ويقول: ما أصنع بذك وغير فذك^(٣)!؟

وإنما كان تظلمها لأجل ما ترى من تضييع الحق بالباطل، بعدما قال الله تعالى: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾^(٤)، والآية مدنية كما نص عليه أبو السعود في تفسيره^(٥)، والنسفي في تفسيره^(٦)، والرازي في تفسيره^(٧) والزمخشري في الكشاف^(٨) وغيرهم^(٩)، وقد روى الفريقان عن النبي ﷺ أنه لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ فاطمة، فأعطاها فذكا^(١٠)، فكانت فذك هي الحق الذي أمر الله

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٨٧، الدرود الواقية ص ٢٧٤، وبتفاوت في تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢

ص ٣٧٦، النهاية في غريب الحديث ج ٤ ص ٣٣١.

(٢) سورة الإنسان: ٩، وراجع صفحة ٣٠٥.

(٣) نهج البلاغة، الرسالة رقم ٤٥، كتابه إلى عثمان بن حنيف.

(٤) سورة الإسراء: ٢٦.

(٥) تفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٥٤.

(٦) تفسير النسفي ج ٢ ص ٨٩٥.

(٧) التفسير الكبير ج ٢٠ ص ١٤٥.

(٨) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٦٤٦.

(٩) التسهيل في علوم التنزيل ج ١ ص ١٦٦، ومصادر أخرى.

(١٠) مسند أبي يعلى ج ٢ ص ٣٣٤، كنز العمال ج ٣ ص ٧٦٧، شواهد التنزيل ج ١ ص ٤٣٨ إلى

رسوله بإعطائها لذي الحقّ، فقامت عليها السلام لإحقاق حقّها معرفتها بعظمة الله وعظمة أمر الله، فإذا تخلّفوا - على مسند النبي صلى الله عليه وآله - عن الأمر الذي الآمر به هو الله، والمأمور به رسول الله، لا يبقى حرمة لأمر الله ونهيه، وقد بعث الله رسوله لإحقاق الحقّ وإبطال الباطل، ومع ضياع حقّ ابنته التي هي أحبّ الخلق إليه لا يبقى أمان لحقّ أحد من الأمة، فلم يكن تظلمها عليها السلام إلا لإحقاق حقّ الله بعدم انتهاك حرمة أمر الله، وإحقاق حقّ الناس.

إن التي يغضب الله لغضبها، ويرضى لرضاها بمقتضى إطلاق السنّة^(١) لا يمكن أن يكون رضاها وغضبها إلا تبعاً لرضا الله وغضبه.

ومع ما تقدّم لا بدّ من النظر إلى ما رواه إمام الحنابلة في مسنده^(٢)، والبيهقي في سننه^(٣)، ومسلم في صحيحه^(٤)، ونقتصر على ما رواه البخاري في صحيحه: فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى

← ص ٤٤٤ يذكر أكثر من عشرة طرق لهذا الحديث وص ٥٧٠، ينابيع المودة ج ١ ص ١٣٨، الدر المنثور ج ٤ ص ١٧٧، الكامل ج ٥ ص ١٩٠ ومصادر أخرى للعامة .
الكافي ج ١ ص ٥٤٣، دعائم الإسلام ج ١ ص ٣٨٥، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٢٣٣ باب ٢٣ ح ١، الأمالي للصدوق ص ٦١٩ المجلس التاسع والسبعون ح ١، تهذيب الأحكام ج ٤ ص ١٤٩، مناقب أمير المؤمنين ج ١ ص ١٥٩، المسترشد ص ٥٠١، شرح الأخبار ج ٣ ص ٢٧، تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٨٧، تفسير القمي ج ٢ ص ١٨، تفسير فرات الكوفي ص ٢٣٩ و ٣٢٢، تفسير التبيان ج ٦ ص ٤٦٩ وج ٨ ص ٢٥٣ ومصادر أخرى للخاصة .

(١) راجع صفحة: ١٩٣.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٦.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٠٠ و...

(٤) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٤.

توفيت^(١)، وأن فاطمة وجدت على أبي بكر فهجرتة فلم تكلمه حتى توفيت^(٢).
فأخذوا حقها استناداً إلى هذا الحديث «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول لا نورث ما تركنا صدقة»^(٣).

ولا يخفى أن للأنبياء وارثين، وارث روحاني وهو أمتهم، فإن النبي هو الأب الروحي لأمته، كما روي عنه ﷺ: أنا وعلي أبوا هذه الأمة^(٤) فنزلة النبي وخليفته القائم مقامه في تربية النفوس وتكميل العقول منزلة الأب، وما ترك لأمته هو الكتاب والحكمة والسنة والشريعة، كما أن العلماء ورثة الأنبياء^(٥)، ولم يرثوا منهم ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم.

ولهم وارث جسماني وروحاني، وهم أقرباؤهم الذين يرثون منهم العلم بنسبتهم الروحية، والمال بنسبتهم الجسمانية بمقتضى عمومات الكتاب والسنة. فلا بد من التأمل في أن مثل هذه الرواية هل تصلح لأن تكون مخصصة لقانون الإرث؟!

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤١، باب فرض الخمس.

(٢) صحيح البخاري ج ٥ ص ٨٢، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، وراجع صحيح ابن حبان ج ١١ ص ١٥٣ وج ١٤ ص ٥٧٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٧، كنز العمال ج ٧ ص ٢٤٢، الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣١٥، البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٠٦ المصنف لعبدالرزاق ج ٥ ص ٤٧٢ و مصادر أخرى للعامة.

(٣) مسند أحمد ج ١ ص ٤، صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٢، صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٣ و مصادر أخرى للعامة.

(٤) علل الشرايع ج ١ ص ١٢٧ باب ١٠٦ ح ٢، روضة الواعظين ص ٣٢٢، مفردات الراغب في كلمة الأب، ينابيع المودة ج ١ ص ٣٧٠ و مصادر أخرى للخاصة والعامة.

(٥) الكافي ج ١ ص ٣٢، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٨١ و مصادر أخرى للخاصة والعامة.

إن حجية الرواية وحكومتها على الأدلة الناهية عن القول والعمل بغير العلم،
والمانعة عن اتباع الظن تتوقف على تمامية الإقتضاء والشرائط لاعتبارها وانتفاء
الموانع عن حجيتها.

وهذه الرواية فاقدة لما يكون دخيلاً في الإعتماد عليها بوجه شتى، نشير إلى
بعضها:

الأول: أن راويها كذّبها بما جاء في الآثار، من أنه أوصى عائشة أن يدفن
جنب رسول الله صلّى الله عليه وآله (١)، فإنّ دار النبي مما تركه، وما تركه - على فرض صحة هذه
الرواية - صدقة، فكيف تصح هذه الوصية؟! وكيف يجوز هذا التصرف فيما هو
صدقة على من كان في زمانه من المسلمين بأجمعهم حتى القاصرين ومن لم يكن إلى
يوم القيامة؟!

فبأية ولاية على الحاضرين والغائبين، والموجودين والمعدومين عند الدفن،
صحّ هذا التصرف؟!

وهل رضي بالتصرف في هذه الصدقة علي وفاطمة وأولادهما عليهم السلام، وهم
- على ما زعموا - من مصارف هذه الصدقة؟!

الثاني: أنه كذّبها بعده من قام مقامه عملاً، حيث أوصى وقال: إذا أنا مت
فاجعلوني إلى باب بيت عائشة فقولوا لها هذا عمر بن الخطاب يقرؤك السلام،
ويقول أدخل أو أخرج، قال فسكنت ساعة ثم قالت أدخلوه، فادفنه... (٢).

فإن صحّ هذا الحديث يكون دفنها فيما هو صدقة على جميع الأمة بإذن عائشة

(١) الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٠٩، تاريخ مدينة دمشق ج ٣٠ ص ٤٤٦، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦١٤،

كنز العمال ج ١٢ ص ٥٣٧ ومصادر أخرى.

(٢) مسند أبي يعلى ج ٨ ص ٣٧٢، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٣ ومصادر أخرى.

وبقاء جثانها في هذه الدار مخالف لما هو من ضروريات الفقه لمن له أدنى مرتبة من الفقاهة.

الثالث: التبعض في صدقة النبي ﷺ والتخصيص في حكمها من دون مخصّص بين بنت النبي ﷺ وأزواجه، حيث أخذ أبو بكر الصدقة من بنت النبي ﷺ قهراً وأسكن بنته فيها، ولم يكتف بهذا، بل استأذنها، والإستيدان لا مصحح له إلا من المالك أو الوكيل أو الولي.

ثم كيف يرتفع التناقض بين عمله هذا، وقوله: هذا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله أحب الي أن أصل قرابتي^(١)، وقوله: والله لأن تفتقر عائشة أحب إليّ من أن تفتقرى^(٢)!

الرابع: أنه لو صحت هذه الرواية (إن لا نورث ما تركناه صدقة) من النبي ﷺ فهل يعقل أن يكتمها عن وصيه المتكفل لجميع شؤنه أمير المؤمنين عليه السلام، وعن أقرب الخلق إليه بضعته الصديقة الطاهرة عليها السلام، ويكون الذي بعثه الله لرفع المفسدة والإختلاف سبباً - بهذا الإخفاء - للإختلاف والمفسدة والشقاق بين الأمة؟!!

الخامس: أن فذكاً إن كانت صدقة على المسلمين، و لذلك منعت عن بنت رسول الله وأبناء الرسول ﷺ، فكيف أقطع عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم ما تصدق به رسول الله ﷺ بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهزور على المسلمين؟!^(٣)

(١) مسند أحمد ج ١ ص ٩، صحيح البخاري ج ٤ ص ٢١٠ باب مناقب قرابة رسول الله ، صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٤ ومصادر أخرى .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١٤ .

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٨، نيل الأوطار ج ٦ ص ٥١ .

السادس: أن حديث نبي التورث عن الأنبياء مخالف لكتاب الله، كما احتجت الصدّيقة الطاهرة عليها السلام بآيات الله الدالة على أن الأنبياء يورثون، وأولادهم منهم يرثون، وما خالف كتاب الله فهو زخرف وباطل.

ثم بعدما أخذت فدك من الصدّيقة الطاهرة عليها السلام، وآل الأمر إلى أن تلاعب بها أيدي العدوان، أقطع معاوية بن أبي سفيان مروان بن الحكم ثلثها، وأقطع عمرو بن عثمان ثلثها، واقطع يزيد بن معاوية ثلثها^(١)، فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلها لمروان بن الحكم أيام خلافته، فوهبها لعبد العزيز ابنه، ووهبها عبدالعزيز لابنه عمر بن عبدالعزيز، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة دعا الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وقيل بل دعا علي بن الحسين فردّها عليه.

فاعترفوا بأن اليد التي أخذتها من الصدّيقة الطاهرة عليها السلام كانت يد عدوان فسجّل التاريخ أن أوّل ظلامه ردّها عمر بن عبدالعزيز ردّها^(٢).

ثم بعده أخذت منهم، وتعاقت عليها الأيدي الغاصبة الى أن انتهى الأمر إلى المأمون، فرفع جماعة من ولد الحسن والحسين إلى المأمون يذكرونه أن فدكاً كان وهبها رسول الله لفاطمة، وأنها سألت أبا بكر دفعها إليها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فسألها أن تحضر على ما ادعت شهوداً، فأحضرت علياً والحسن والحسين وأم أيمن، فأحضر المأمون الفقهاء، فسألهم عن... [عماً] رويوا من أن فاطمة قد كانت قالت هذا، وشهد لها هؤلاء، وأن أبا بكر لم يجز شهادتهم.

فقال لهم المأمون: ما تقولون في أم أيمن؟ قالوا: امرأة شهد لها رسول الله بالجنة،

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢١٦، وبتفاوت في الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٣٨٨، تاريخ الطبري ج ٤

ص ١٧٣، وفاء الوفاء ج ٣ ص ١٠٠٠.

(٢) معجم البلدان ج ٤ ص ٢٣٩، وفاء الوفاء ج ٣ ص ١٠٠٠.

فتكلم المؤمن بهذا بكلام كثير، ونصّهم إلى أن قالوا: إن علياً والحسن والحسين لم يشهدوا إلا بحق، فلما اجمعوا على هذا، ردّها على ولد فاطمة، وكتب بذلك^(١).

فانعد إجماع الفقهاء على أن أبابكر حكم بالباطل، وقد قال الله تعالى ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٢).

والقضية من مسلمات التاريخ، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى تاريخ يعقوبي، وفتوح البلدان للبلاذري، وغيرهما.

وللبحث عما يتعلق بحديث نبي الميراث سنداً ودلالة، ودفنهما في بيت النبي ﷺ، واستيذانهما من عائشة وإذنها، على جميع فروض المسألة، سواء أكان ما تركه صدقة أم ميراثاً، وعلى فرض إرث الزوجة من العقار أو حرمانها، وما يتعلق بفدك من جهات شتى، مجال آخر، ويكفي لهذا المختصر أن يظهر ما جرى في هذه القضية من الظلم والجور على البيت الذي أنزل الله في أهله آية التطهير^(٣) وسورة الدهر^(٤)، وعلى الصديقة^(٥) التي لم يقصد الله بصيغة الجمع في آية المباهلة^(٥) من قوله «ونساءنا» إلا هذه الوجيئة عند الله لإجابة الدعاء، وأنزل في شأنها سورة الكوثر^(٦)، ودفن بها عن رسول الله قول الذي قال إنه أبتر.

(١) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٤٦٩، فتوح البلدان ج ١ ص ٣٧، معجم البلدان ج ٤ ص ٢٣٩ و ٢٤٠.

(٢) سورة النساء: ٥٨.

(٣) راجع صفحة: ٢٤٨.

(٤) راجع صفحة: ٣٠٥.

(٥) راجع صفحة: ٣٠٥.

(٦) التفسير الكبير ج ٣٢ ص ١٢٤، تفسير أبي السعود ج ٩ ص ٢٠٦، تفسير البيضاوي ج ٥ ص ٥٣٦، تفسير الكشاف ج ٤ ص ٨٠٧ ومصادر أخرى للعامة.

تفسير غريب القرآن ص ٢٧٥، مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٥٩، تفسير جوامع الجامع ج ٣ ص ٨٥٦، ومصادر أخرى للخاصة.

ولقد أقامت الصديقة الحجة القاطعة للعدر على حقّها على كل تقدير، فلمّا منعت عن فذك وقالت إنّها حقّها الذي أعطاه النبي صلى الله عليه وآله في حياته، طولبت بالبينة، مع أنّها كانت ذات يد على المدعى به، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: بلى كانت في أيدينا فذك من كل ما أظلمته السماء^(١)، وكان الخصم مدعياً، والبينة على المدعي الذي يخالف قوله قاعدة اليد.

ولو سلّم الموضوع لطلب البينة منها، فترتبة البينة متأخرة عن العلم والإستبانة، ولا يظن بمن كان له أدنى مرتبة من العلم والإيمان أن يحتمل في دعواها مخالفة الواقع، مع أنّها كما قالت عائشة: لم يكن أصدق لهجة منها إلاّ الذي ولدها^(٢)، وشهد الله بطهارتها عن مطلق الرجس، ونطق الكتاب والسنة بعصمتها^(٣). ثم إنّها جاءت بعلي عليه السلام وأمّ آيين للشهادة على حقّها، فإذا كانت المدعية مثل هذه الصديقة، والشاهد مثل هذا الصديق،^(٤) فهل يعقل عدم حصول العلم الذي

(١) نهج البلاغة، رقم ٤٥ من كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف.

(٢) ذخائر العقبى ص ٤٤، المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٦١ و في التلخیص أيضاً، نظم درر السمطين ص ١٨٢، سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٣١، حلية الأولياء ج ٢ ص ٤٢، سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٤٧ و مصادر أخرى للعامة.

بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٦٨.

(٣) راجع صفحة: ٢٤٩.

(٤) قد وصف عليه السلام بالصدیق الأكبر حسب الروایات الكثيرة الواردة عن الفريقين، نذكر بعضها:

سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٤، المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١١٢، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٩٨، الآحاد والمثاني ج ١ ص ١٤٨ و ١٥١، كتاب السنة ص ٥٨٤، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٠٧، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص ٤٦، المعجم الكبير ج ٦ ص ٢٦٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٠ و ج ١٣ ص ٢٠٠ و ٢٢٨ و ٢٤٠، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤١ و ٤٢ و

هو ميزان للقضاء بالحق والعدل والقسط؟!

وهل لا يحصل العلم من شهادة من شهد الله بأنه نفس الرسول^(١)، وشهد الرسول بأنه مع الحق والحق معه^(٢) وقال له (أنت مني وأنا منك)^(٣)، وأنه كنفسه أولى بالمؤمنين^(٤)، وأنه مولى كل مؤمن ومؤمنة؟!^(٥)

وأما أم أيمن فهي مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، وقد رووا في حقها - زائداً على صحبتها وقبول حديثها - مناقب، منها أنه كان رسول الله ﷺ يقول لأم أيمن: يا أمه^(٦) وكان إذا نظر إليها قال: هذه بقية أهل بيتي^(٧)، وقال رسول الله ﷺ من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن^(٨)، وهل يحتل في حق هذه

← مصادر أخرى كثيرة جداً للعامة.

بصائر الدرجات ص ٧٣ باب ٢٣ ح ٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٦ باب ٣٠ ح ١٣ ج ٢ ص ٤٨ باب ٣١ ح ١٨٩، الخصال ص ٤٠٢، الأماشي للصدوق ص ٢٧٤ المجلس السابع والثلاثون ح ٥ و ص ٢٨٥ و ٧٧٢، كفاية الأثر ص ٦ و ١٠١، تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٥٧، روضة الواعظين ص ١١٦، مناقب أمير المؤمنين ج ١ ص ١٥٢ و ٢٦٠ و ٢٦٧ و موارد أخرى من هذا الكتاب، المسترشد ص ٢١٥ و ٢٩١ و ٣٣٢ و مصادر أخرى كثيرة جداً للخاصة.

(١) إشارة إلى آية المباهلة راجع صفحة: ٣٠٥.

(٢) راجع صفحة: ٣٢٦.

(٣) راجع صفحة: ١٧٧.

(٤) راجع صفحة: ١٦٧ الحديث الثالث.

(٥) إشارة إلى حديث الغدير، راجع صفحة ١٦٨.

(٦) المستدرک علی الصحیحین ج ٤ ص ٦٣، الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٢٢٣، الإصابة ج ٨ ص ٣٥٩، تركة النبي ﷺ ص ١٠٩ ومصادر أخرى.

(٧) المستدرک علی الصحیحین ج ٤ ص ٦٣، الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٢٢٣، الإصابة ج ٨ ص ٣٥٩، البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٤٧، السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦٤٢، سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٢٤ ومصادر أخرى.

(٨) تاريخ مدينة دمشق ج ٤ ص ٣٠٣، الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٢٢٤، الإصابة ج ٨ ص ٣٥٩ ومصادر أخرى.

الجليلة الكذب في شهادتها؟!!

ثم بأي وجه لا تقوم دعوى الصدّيقة الطاهرة عليها السلام مع شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وأم أيمن الصحابية من أهل الجنة مقام دعوى جابر بن عبد الله؟ حيث قال الخليفة من كان له على النبي صلى الله عليه وآله دين أو كانت قبله عدة فليأتنا، قال جابر فقلت: وعدني رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا. فبسط يديه ثلاث مرات، قال جابر فعدّ في يدي خمسمائة ثم خمسمائة ثم خمسمائة^(١).

وترتيب أثر الواقع على دعوى من قام الحجّة الشرعية على خلافها من أصالة عدم تحقق الوعد من النبي صلى الله عليه وآله وأصالة براءة ذمته، ولم ينتظر لأن تستبين أو تقوم لها البيّنة، وعدم ترتيب الأثر على دعوى الصدّيقة الطاهرة عليها السلام مع قيام الحجّة الشرعية على وفاقها من قاعدة اليد، مع انضمام شهادة من هو بمقتضى السنة القطعية كان من رسول الله صلى الله عليه وآله كهارون من موسى^(٢)، ومن كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في شأنها: أم أيمن أمي بعد أمي^(٣)، وكان يزورها في بيتها^(٤) وشهد لها بالجنة، ليس إلا التناقض في العمل وترجيح المرجوح على الراجح المستقبح عقلاً والمردود شرعاً والمنافي لقاعدة العدل والإنصاف!

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٦٣ باب من أمر بانجاز الوعد، السنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ١٠٩، مجمع الزوائد ج ٦ ص ٣، المصنف لعبد الرزاق ج ٤ ص ٧٨ ومصادر أخرى.

(٢) راجع صفحة: ١٥٥.

(٣) فتح الباري ج ٧ ص ٧٠، تحفة الأحوذى ج ١٠ ص ٢١٧، الجامع الصغير ج ١ ص ٢٤٧، كنز العمال ج ١٢ ص ١٤٦، تاريخ مدينة دمشق ج ٨ ص ٥١، أسد الغابة ج ٥ ص ٥٦٧، تهذيب الكمال ج ٣٥ ص ٣٣٩، تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٠٨، الإصابة ج ٨ ص ٣٥٩ ومصادر أخرى للعامة.

(٤) أسد الغابة ج ٥ ص ٥٦٧، صحيح مسلم ج ٧ ص ١٤٤، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٢٤، مسند أبي يعلى ج ١ ص ٧١، تاريخ مدينة دمشق ج ٤ ص ٣٠٢، تهذيب الكمال ج ٣٥ ص ٣٣٠، ومصادر أخرى للعامة.

ثم بعد ذلك كله، والتنزل عن كون فدك نحلة لها من أبيها، ينتهي الأمر إلى أن تكون مما ترك أبوها، فالصديقة الطاهرة عليها السلام هي الوارثة التي لا وارث للنبي صلى الله عليه وآله نسباً غيرها في مرتبتها، فتمسكت عليها السلام بعموم الكتاب في الميراث، وخصوصه في ميراث الأنبياء عليهم السلام رداً على الرواية المردودة بعدم المقتضى لحجيتها ومعارضتها للكتاب.

ومن تأمل في احتجاجاتها يرى أنها دعت إلى الحق بالحكمة المشتملة على الدليل والبرهان للجاهلين، والموعظة الحسنة للغافلين، والجدال بالتي هي أحسن للمعاندين، حتى يحكم الله ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ (١).

*

أشعة من خطبتها عليها السلام

لما أجمع القوم على غصب الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام وغصب فدك من فاطمة عليها السلام، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت مجلبابها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيوها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر في مسجد النبي، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، فجلست ثم أنت أنتة أجهش القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله... وكان مما قالت (٢): «وأشهد أن

(١) سورة التين: ٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١١، بلاغات النساء ص ١٢، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ج ١ ص ١٥٥ ومصادر أخرى للعامّة.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأثار في التفكير معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كفيّته».

فبيّنت أنّ تأويل كلمة التوحيد هو الإخلاص، والإخلاص الذي هو تأويل كلمة التوحيد إخلاص في العلم والعمل.

أمّا الإخلاص علماً فبني الصفات الزائدة على الذات المستلزمة للتجزئة والتركيب والتثنية والحدّ والعدد، فهو الواحد الأحد، وتفسيره ما قاله علي عليه السلام: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزّاه ومن جزّاه فقد جهله»^(١).

وأمّا الإخلاص عملاً فبإتيان الأعمال الجوانحية والجوارحية خالصة لوجهه تعالى: «وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ»^(٢)، وهو مقام المقرّبين الذين يصلون بالنظر إلى ملكوت السماوات والأرض إلى مقام اليقين بأنه «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»^(٣)، «وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٤)، فيوجهون وجوههم إلى الذي «فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَيِّفًا»^(٥) ويعبدونه

← الإحتجاج ج ١ ص ١٣١، دلائل الإمامة ص ١١١، كشف الغمّة ج ١ ص ٤٨٠، الطرائف ص ٢٦٤ ومصادر أخرى للخاصّة.

(١) نهج البلاغة الخطبة الأولى.

(٢) سورة الليل: ١٩ - ٢٠.

(٣) سورة الحديد: ٣.

(٤) سورة التغابن: ١.

ويدعونه مخلصين له الدين، وبعد أن يصيروا مخلصين يصرف الله عنهم السوء والفحشاء، فيصرون من المخلصين الذين يعجز الشيطان عن الإستيلاء على نفوسهم، قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٦).

ثم بينت ﷺ ما يتعلق بالقلوب من تضمينها بموصول هذه الكلمة، وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٧)، وما يتعلق بالأفكار من إنارتها بمعقول هذه الكلمة، فإن الأفكار التي استنارت بمعقوها من حقيقة النبي والإثبات خرجت من الظلمات الى النور الذي قال سبحانه ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٨)، فوصلت الى مقام الشهود والشهادة، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾^(٩)، شهدوا بأنه الإله (الممتنع من الأبصار رؤيته) فهو قدوس عن الأشكال والأوضاع، «ومن الألسن صفته» لأنه ليس له حد محدود ولا نعت موجود، «ومن الأوهام كفيته» فإن الموهوم المصنوع للوهم لا يمكن أن يكون كفيته صانع الوهم، فلا يعلم ما هو إلا هو، ولا كيف هو إلا هو.

*

ثم قالت ﷺ بعد توحيد الإله وتنزيهه: «ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كوّنوا بقدرته، وذراها بمشيته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة في تصويرها إلا تثبيتاً لحكمته، وتنبهاً على طاعته، وإظهاراً لقدرته، وتعبداً لبريته، وإعزازاً لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع

(٥) سورة الأنعام: ٧٩.

(٦) سورة ص: ٨١-٨٢.

(٧) سورة لقمان: ٢٥.

(٨) سورة النور: ٣٥.

(٩) سورة آل عمران: ١٨.

العقاب على معصيته، زيادةً لعباده عن [من] نغمته، وحياشة لهم إلى جنّته». .
 نهت صلوات الله عليها على أقسام أفعاله من الإبداع والإنشاء والتكوين،
 وبيّنت مبدأ الخلق ومنتهاه، وسبب الإيجاد من القدرة والمشية، وغايتها من تشييت
 الحكمة، والبيّنة على الطاعة، وإظهار القدرة، وتعبد البرية، وإعزاز الدعوة، وعدم
 احتياجه إلى تكوينها، وعدم استفادته من تصويرها، وشرح كلّ كلمة من هذه
 الكلمات تحتاج إلى تفصيل لا يسعه المقام.

وأفادت عليها السلام في الإبداع لا من شيء، والإنشاء بلا مثال، وتكوين الكائنات
 بالقدرة، وذريتها بالمشية، أنه تعالى غنيّ في أفعاله عن المادّة والأسباب والأمثال
 والغاية، وأنّ الغرض من أفعاله ليس هو الحاجة، وغيره في فعله يحتاج إلى مادّة
 وسبب ومثال .

فكما أنه ليس له مثل في ذاته، ليس له مثيل في أفعاله، فصنع كلّ صانع امتثال،
 وهو الذي يصنع بغير مثال، وكما لا شريك له في ذاته لا شريك له في فعله، كوّن
 الكائنات بقدرته، وأنشأ الأشياء بمشيئته، «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ
 كُنْ فَيَكُونُ»^(١).

وفعل كلّ فاعل إمّا حاجة إلى الفعل أو لفائدة عائدة إليه مادّية أو معنوية،
 والغرض من أفعاله سبحانه لا يعود إليه وإمّا هو جود بالإيجاد لإيصال العباد إلى
 الكمال بالمعرفة والعبادة وإجابة الدعوة والإطاعة المنتهية إلى السعادة.

وبيّنت عليها السلام أنّ كلّ كائن من الكائنات وكل صورة من المخلوقات مثبت لحكمة
 الله، ومظهر لقدرة الله، ومنبّه على طاعة الله، وداعٍ إلى عبادة الله، وموجب لعزّة
 دعوة الدعاة إلى الله، لدلالته على صدق دعوتهم إلى أنه لا إله إلا الله «سُئِرِيهِمْ آيَاتِنَا

(١) سورة يس: ٨٢.

فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴿١﴾.

ثمَّ بَيَّنَّتْ ﷺ أَنَّ الثَّوَابَ عَلَى الطَّاعَةِ مَجْعُولٌ مِنْهُ تَعَالَى، وَالْعِقَابَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ مَوْضُوعٌ مِنْهُ تَعَالَى، وَحِكْمَةٌ جَعَلَ الثَّوَابَ عَلَى الطَّاعَةِ سَوْقَ الْعِبَادِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَحِكْمَةٌ وَضَعَ الْعِقَابَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ صِيَانَةَ الْعِبَادِ مِنَ النَّقْمَةِ، فَإِنَّ الْمَوْصِلَ إِلَى كُلِّ كَمَالٍ وَفَضِيلَةٍ وَالرَّادِعَ عَنِ كُلِّ مَنْقَصَةٍ وَرَذِيلَةٍ هُوَ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ، وَلَا يَتَحَقَّقَانِ إِلَّا بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

*

ثُمَّ قَالَتْ ﷺ: «وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، اخْتَارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ اجْتَبَلَهُ [اجْتَبَاهُ]، وَاصْطَفَاهُ قَبْلَ أَنْ ابْتَعَثَهُ، إِذِ الْخَلَائِقُ بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبَسْتَرِ الْأَحْوَالِ مَصُونَةٌ، وَبِنَهَايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عَلِمًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا يَلِ الْأُمُورَ، وَإِحَاطَةً بِحَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَوَاقِعِ الْمَقْدُورِ، ابْتَعَثَهُ اللَّهُ إِتِمَامًا لِأَمْرِهِ، وَعَزِيمَةً عَلَى إِمْضَاءِ حُكْمِهِ، وَإِنْفِذًا لِمَقَادِيرِ حُتْمِهِ، فَرَأَى الْأُمَّمَ فَرَقًا فِي أَدْيَانِهَا عَكْفًا عَلَى نِيرَانِهَا، عَابِدَةً لِأَوْثَانِهَا، مَنْكَرَةً لِلَّهِ مَعَ عِرْفَانِهَا، فَأَنَارَ اللَّهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ ﷺ ظِلْمَهَا، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بَهْمَهَا، وَجَلَّى عَنِ الْأَبْصَارِ غَمَمَهَا، وَقَامَ فِي النَّاسِ بِالْهِدَايَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَوَايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ الْعَمَايَةِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ».

بَعْدَ أَنْ شَهِدَتْ بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ حَقَّ الشَّهَادَةِ، شَهِدَتْ بِعِبُودِيَةِ أَبِيهَا اللَّهُ وَرِسَالَتِهِ، وَأَشَارَتْ إِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِأَشْرَفِ الْخَلَائِقِ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ ﷺ مِنْ بَدَأِ خَلْقَتِهِ إِلَى بَعْتِهِ، وَمَا اخْتَصَّ بِهِ مِنْ اخْتِيَارِ اللَّهِ لَهُ، وَاصْطِفَائِهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَحِكْمَةِ بَعْتِهِ، وَثَرَةِ رِسَالَتِهِ مِنْ إِنْقَاذِ الْأُمَّمِ الْمُتَفَرِّقَةِ فِي أَدْيَانِهِمْ بِتَوْحِيدِ الْكَلِمَةِ عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١)، وتطهيرهم من الرجس من الأوثان بعبادة الرحمن، وأخذ الإقرار بالله منهم بعد الإنكار مع عرفانهم بفطرتهم ﴿وَلَكِنَّ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾^(٢).

فأنار الله به عن العقول ظلم الأوهام، وكشف به عن القلوب بهم الشبهات، وجلى الغم والغشاوة عن الأبصار بما جاء به من البصائر من ربهم، فقام في الناس بالهداية التي قال الله تعالى: ﴿وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنِّي لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾^(٣)، وأنقذهم من الغواية التي قال الشيطان عنها ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٤)، وبصّرهم من العماية التي لا تعمي الأبصار ﴿وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٥)، وهداهم إلى الدين القويم بالعدل والقسط والحكمة، ودعاهم إلى الصراط المستقيم الذي هو طريقة المعتصمين بالله ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾^(٦).

وأشارت عليها السلام إلى بقيّة النبوة والرسالة بقولها عليها السلام: «كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضيء اللامع، بيّنة بصائر، منكشفة سرائره، منجلية [متجلية] ظواهره، مغتبط به أشياعه، قائد إلى الرضوان اتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيئاته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة».

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) سورة الزخرف: ٩.

(٣) سورة الحج: ٦٧.

(٤) سورة ص: ٨٢.

(٥) سورة الحج: ٤٦.

(٦) سورة آل عمران: ١٠١.

وبيانها ﷺ يكشف عن إحاطتها بما في القرآن الحكيم من ظاهره الأنيق إلى باطنه العميق، ولا يسعنا شرح كلماتها في الرسول ورسالته، والقرآن وهدايته، لاشتغالها على ما لا يدرك بعضه فضلاً عن كله، ونقتصر على التعرّض لمتن كلامها الذي أشارت به إلى جملة من الأسرار المكنونة في الشرائع المكتوبة في القرآن، قالت ﷺ: «فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً للفرقة [من الفرقة]، والجهد عزّاً للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنمأة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية».

والتأمل في هذه الكلمات يرشدنا إلى أنّ الشريعة التي يكمل بها الإنسان، وتضان بها العقول والنفوس والأعراض والأموال، وتضمن بها الحقوق، وتحفظ بها المصلحة العامة، وتدعو إلى الإيمان والعدل والتنزيه والتزكية والعزّ والعفة، وتسوق المجتمع إلى أحسن نظام بإمامة الأفضل في العلم والأخلاق والأعمال، إنّما هي شريعة الإسلام.

*

هذا ما ظهر ارتجالاً من علمها وحكمتها وفصاحتها وبلاغتها في مجلس واحد، مع المصائب التي صبّت عليها، من فقد أبيها، وتظاهر الزمان عليها، فهي المشكاة

التي «فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دريُّ يُوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور»^(١)، فهي مع اتصالها بنور السماوات والأرض باستغراقها في معرفة الله وعبادته، وانقطاعها بزهداها عن الدنيا وما فيها، لا تحتاج إلى اقتباس العلم بالتعلم.

*

وفي الصحيح عن أبي عبيدة قال: «سأل أبا عبد الله بعض أصحابنا عن الجفر، فقال: هو جلد ثور مملوء علماً، قال له: ما الجامعة؟ قال: تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم، مثل فخذ الفالج، فيها كل ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش.

قال: فمصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: فسكت طويلاً، ثم قال: إنكم لتبحثون عمّا تريدون وعمّا لا تريدون، إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوماً، وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام»^(٢).

إنّ النفس القدسية التي تستعدّ بعد انقطاع الوحي بختم النبوة، لأن تلاقي من يكون مقامه عند سدرة المنتهى، هي النفس التي تكون بضعة من العقل الكلّ، وبالجمادبية التي ورثتها من الحقيقة المحمّدية تجذب الذي هو شديد القوى من الأفق

(١) سورة النور: ٣٥.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٤١ كتاب الحجّة باب فيه ذكر الصحيفة ح ٥، وبصائر الدرجات ص ١٧٤ الجزء الثالث باب ١٤ ح ٦ وبتفاوت يسير. وفي بعض الروايات أنّ فيه علم ما يكون (الإيضاح للفضل بن شاذان ص ٤٦٢، الكافي ج ١ ص ٢٤٠ ح ٢، الخصال ص ٥٢٨ أبواب الثلاثين وما فوقه ح ١ ومصادر أخرى).

الأعلى لتسليتها، فيصير مصحفها الذي ألقاه الروح الأمين وكتبه أمير المؤمنين عليه السلام إحدى خزائن علوم الأئمة المعصومين عليهم السلام المشتملة على علم ما يكون.

وبالتأمل في هذه الصحيحة يظهر سرّ تسميتها بالمحدّثة، ولولا السخية مع الملائة على بلطفها روحها عن كدورات عالم المادة، لم يتيسّر لها مجالسة روح القدس، وهذا وجه تسميتها بالحوراء الإنسيّة.

ولا عجب من وصولها إلى هذه المقامات العالية، وطبيها درجات مرقاة الكمال، إلى أن وصلت إلى مرتبة توجب حيرة الكمل، فإنّ الإنسان يمتاز عن سائر الخلق بتركّبه من الشهوة والغضب، والعقل والإرادة، فإنّ صارت الإرادة مقهورة للشهوة والغضب يتنزل إلى مرتبة الحيوانية ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾^(١)، وإن صارت مقهورة للعقل صار الإنسان بالقوة إنساناً بالفعل، وبغلبة جنود العقل على جنود الجهل يتسلّط على نفسه، ويصعد بروحه من حضيض الأرض إلى ملكوت السماء.

والكمال كل الكمال أن تصير الإرادة مقهورة لأمر الله تعالى، والرضا والغضب تابعين لرضا الله وغضب الله تعالى، فإذا بلغ العبد إلى أن يرضى لرضا الرّب ويغضب لغضبه على الإطلاق، بحيث لا يتخلف رضاه وغضبه عن رضا الله وغضبه في حال من الأحوال، يصل إلى مرتبة العصمة المطلقة.

وقد صحّ عند العامة والخاصة أن النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: إن الله يغضب لغضبك ويرضا لرضاك^(٢)، فإذا كانت العصمة المطلقة المستلزمة لإمامة الناس أن يرضى العبد لرضى الرب ويغضب لغضبه بقول مطلق، فكيف تصل الأفكار إلى مقام

(١) سورة الأعراف: ١٧٩

(٢) راجع صفحة: ١٩٣.

الصدّيقة التي يرضى الرب لرضاها ويغضب لغضبها على الإطلاق، بإطلاق كلام الذي قال الله تعالى فيه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(١)

فكما لا تتخلف إرادتها عن إرادة الله، لا تتخلف إرادة الله عن إرادتها، وآية المباهلة تشهد على اتصال إرادتها بالأمر الذي قال سبحانه فيه ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).

وكفاها منزلة أن الله سبحانه وتعالى اصطفى من عباده أنبياءه، واصطفى منهم خاتمهم الذي أرسله رحمة للعالمين، وقال ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾^(٣) واختار فاطمة لأن يكون بها امتداد وجوده عليها السلام فأبقى بها نسله إلى يوم القيامة، وجعل حضنها مهدياً لأئمة الأمة، الذين بهم تمت نعمة بعثته، وكملت بهم شريعته ودينه، وطلعت من مشرق وجودها نجوم أضاءت بأنوارها العلمية والعملية أعين العقول، إلى أن يرفع الله حجاب الغيبة عن الغرة الحميدة والطلعة الرشيدة، التي وعد الله رسوله بظهوره، حتى يتحقق قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٤) وبهذا الكوكب الدرّي الذي هو خاتم المعصومين من ولدها يتجلى معنى قوله تعالى ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾^(٥).

ومن تأمل فيما تقدم يظهر له وجه تسميتها بالمباركة.

فحقيق بها أنها إذا دخلت على أبيها الذي يتشرف بزيارته الأنبياء والمرسلون

(١) سورة النجم: ٣

(٢) سورة يس: ٨٢.

(٣) سورة الفرقان: ١.

(٤) سورة التوبة: ٣٣.

(٥) سورة الزمر: ٦٩.

والملائكة المقربون، أن يرحبَ بها ويقبلَ يدها ويجلسها مكانه^(١). ولا يسع هذا المختصر بسط الكلام في مآثرها وآثارها، فإن عظمة ما كسبته في هذه الدنيا تظهر من عظمة جزائها يوم الجزاء، فمما اتفقت عليه روايات العامة والخاصة في كفيّة ورودها المحشر، ودخولها الجنة، أنه إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من وراء الحجاب: يا أهل الجمع غصّوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر^(٢).

وعن رسول الله ﷺ: «وأبعث على البراق، خطوها عند أقصى طرفها، وتبعث فاطمة أمامي»^(٣)، وكفى لها شرفاً أنّها أوّل من يدخل الجنة، فهي أُمّ إمام العالم وسيد بني آدم، وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ: أوّل شخص يدخل الجنة فاطمة^(٤).

وهذا جزاء جهادها في سبيل الله علماً وعملاً حتى بلغت مقام أن أذهب الله

(١) راجع صفحة: ٣٠٧.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٥٣، وبتفاوت يسير في المعجم الأوسط ج ٣ ص ٣٥، المعجم الكبير ج ١ ص ١٠٨ و ج ٢٢ ص ٤٠٠، نظم درر السمطين ص ١٨٢، الجامع الصغير ج ١ ص ١٢٧، أسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٣، ومصادر أخرى للعامة.

الأمالى للصدوق ص ٧٠ المجلس الخامس ح ٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٣٢ باب ٣١ ح ٥٥، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ٢٠٧، شرح الأخبار ج ٣ ص ٦٣ ومصادر أخرى للخاصة.

(٣) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٥٣، وبتفاوت يسير في الأمالى للمفيد ص ٢٧٢ المجلس الثاني والثلاثون ح ٣، والأمالى للطوسي ص ٣٥ المجلس الثاني ح ٤، الأمالى للصدوق ص ٢٧٥، المجلس السابع والثلاثون.

(٤) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٢٩، بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٧٠ و ج ٤٣ ص ٤٤ ومصادر أخرى للخاصة. ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦١٨، نظم درر السمطين ص ١٨٠، كنز العمال ج ١٢ ص ١١٠، لسان الميزان ج ٤ ص ١٦، سبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٣٨٦، ينابيع المودة ج ٢ ص ٣٢٢ ومصادر أخرى للعامة.

عنها الرجس وطهرها تطهيراً^(١)، واختارها للمباهلة^(٢)، وأنزل فيها ﴿وَسَاءَ تَأْوِيلُهَا﴾^(٣) ونزلت في شأنها سورة الدهر^(٤) بعملها لوجه الله، وصارت ثالث

(١) راجع صفحة: ٢٤٨

(٢) تحفة الأحوذى ج ٨ ص ٢٧٨، معرفة علوم الحديث ص ٥٠، نظم درر السمطين ص ١٠٨، فتح الباري ج ٧ ص ٦٠، جامع البيان ج ٣ ص ٤٠٨، الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ١٠٤، تفسير البغوي ج ١ ص ٣١٠، تفسير روح المعاني ج ٣ ص ١٨٨، تفسير أبي السعود ج ٢ ص ٤٦، تفسير النسفي ج ١ ص ٢٢٤، الدر المنثور ج ٢ ص ٣٩، شواهد التنزيل ج ١ ص ١٥٦ و... زاد المسير ج ١ ص ٣٣٩، تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٨٢، البداية والنهاية ج ٥ ص ٦٥ و ج ٧ ص ٣٧٦، السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٠٣، ينابيع المودة ج ١ ص ٤٣ و ١٣٦ و ١٦٥ و ج ٢ ص ٤٤٦ و ج ٣ ص ٣٦٨، احكام القرآن ج ٢ ص ١٨، أسباب نزول الآيات ص ٦٧، مسند أحمد ج ١ ص ١٨٥، صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢١، سنن الترمذي ج ٤ ص ٢٩٣ و ج ٥ ص ٣٠٢، المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٥٠ وفي التلخيص أيضاً، السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٦٣، مسند سعد بن أبي وقاص ص ٥١، أسد الغابة ج ٤ ص ٢٦، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٦ و ١١٢، تاريخ المدينة ج ٢ ص ٥٨٣، فتوح البلدان ج ١ ص ٧٧، الإصابة ج ٤ ص ٤٦٨ ومصادر أخرى للعامة كثيرة جداً.

عيون اخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٨٥ باب ٧ ح ٩ و ج ١ ص ٢٣١ باب ٢٣ ح ١، الخصال للصدوق ص ٥٧٦ أبواب السبعين ح ١، الأمالي للصدوق ص ٦١٨ المجلس التاسع والسبعون ح ١، تحف العقول ص ٤٢٩، روضة الواعظين ص ١٦٤، شرح الأخبار ج ٢ ص ٣٤٠ و ج ٣ ص ٩٤، الفصول المختارة ص ٣٨، تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام ص ٢١، الإرشاد ج ١ ص ١٦٧، الأمالي للطوسي ص ٢٧١ المجلس العاشر ح ٤٥ و ٣٠٧ و ٣٣٤ المجلس الثاني عشر ح ١٠ و ص ٥٦٤ المجلس الحادي عشر ح ١، الإحتجاج ج ١ ص ١٦٢ و ج ٢ ص ١٦٥، دعائم الاسلام ج ١ ص ١٨، مسار الشيعة ص ٤١، كنز الفوائد ص ١٦٧، العمدة ص ١٢٥ و ١٨٨ و...، تفسير فرات الكوفي ص ٨٥ و...، التبيان ج ٢ ص ٤٨٤، مجمع البيان ج ٢ ص ٣٠٩، تفسير العياشي ج ١ ص ١٧٧، حقائق التأويل ص ١١٢، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ٥٠٢، المناقب ص ١٠٨، كشف الغمة ج ١ ص ٣٠٨، كشف اليقين ص ٢٨٢ ومصادر أخرى كثيرة جداً للخاصة.

(٣) سورة آل عمران: ٦١.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٩١ باب ٤٥ ح ٢، الأمالي للصدوق ص ٣٣٣ المجلس الرابع ←

أصحاب الكساء^(١).

ولقد منَّ الله على المؤمنين بأن بعث الله فيهم أباهم، ومنَّ الله على أبيها بإعطائها له، فقال: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ* إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٢).
ومع ذلك كلُّه فقد فارقت الدنيا وكانت هذه وصيتها:

← والأربعون ح ١٣، روضة الواعظين ص ١٥٦ و١٦٣، الإرشاد ج ١ ص ١٧٨ و ج ٢ ص ٣٠، الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٨٩٠، العمدة ص ٣٤٦، الطرائف ص ١٠٨، تفسير فرات الكوفي ص ٥١٩ و٥٢٧، مجمع البيان ج ١٠ ص ٢٠٩، خصائص الوحي المبين ص ١٧٨، المناقب ص ٢٦٧ و٢٧١، كشف الغمّة ج ١ ص ٣٠٣، مناقب أمير المؤمنين ج ١ ص ١٨٣ و١٨٦، شرح الأخبار ج ٢ ص ١٩٣، الفصول المختارة ص ١٤٠، الإحتجاج ج ١ ص ١٦٥، تفسير القمي ج ٢ ص ٣٩٨ ومصادر أخرى كثيرة للخاصة.

شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢٧٦، الجامع لأحكام القرآن ج ١٩ ص ١٣١ و١٣٤، شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٩٧ و... و٤٠٢ و٤٠٥، أسد الغابة ج ٥ ص ٥٣٠، ينابيع المودة ج ١ ص ٢٧٩، أسباب النزول الواحدى ص ٢٩٦، وج ٦ ص ٢٩٩، نور الأبصار ص ١٢٤، البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٥١، الكشاف ج ٤ ص ٦٧٠ ذخاير العقبى ص ١٠٢، السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦٤٩، تفسير أبي السعود ٩ ص ٧٣، تفسير روح المعاني ج ٢٩ ص ١٥٧، تفسير البغوي ج ٤ ص ٤٢٨، تفسير النسفي ج ٣ ص ١٩٠٣ ومصادر أخرى كثيرة للعامة.

(١) مسند أحمد ج ٦ ص ٢٩٨ و٣٢٣، مسند أبي يعلى ج ١٢ ص ٣٤٤ و٤٥٦، المعجم الكبير ج ٣ ص ٥٣ و ج ٩ ص ٢٦ و ج ٢٣ ص ٣٣٥، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٩٣، تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ١٤٢، أسد الغابة ج ٢ ص ١٨، وج ٤ ص ٢٩، ترجمة الامام الحسين عليه السلام ص ٩٥ و١٠٤ ذخائر العقبى ص ٢٢، نيل الأوطار ج ٢ ص ٣٢٧، شواهد التنزيل ج ٢ ص ١١٠، ينابيع المودة ج ٢ ص ٢٢١ و٤٤٦ ومصادر أخرى للعامة.
علل الشرايع ج ١ ص ٢٢٦ باب ١٦٢ ح ١، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٨٥ باب ٧ ح ٩، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ٣٣٧ و ج ٢ ص ١٥٢، الإختصاص ص ٥٦، الإحتجاج ج ٢ ص ١٦٥، العمدة ص ٣٦، الطرائف ص ١١٠، تفسير فرات الكوفي ص ٣٣٥ ومصادر أخرى للخاصة.
هذه بعض المصادر للعامة والخاصة المذكور فيه (الكساء) وراجع أيضاً المصادر المذكورة في آية المبالهة. (صفحة: ٣٠٥) وآية التطهير (صفحة: ٢٤٨).

(٢) سورة الكوثر وراجع صفحة: ٢٩٠.

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله، أوصت وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الجنّة حقّ، والنار حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، يا علي أنا فاطمة بنت محمّد زوجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة، أنت أولى بي من غيري، حنّطني وغسّلتني وكفّني بالليل وصلّ عليّ وادفنيّ بالليل، ولا تُعلم أحداً، وأستودعك الله وأقرأ على ولدي السلام إلى يوم القيامة»^(١).

وفي الصحيح عن عائشة قالت: ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله صلّى الله عليه وآله وكانت إذا دخلت عليه رحّب بها وقام إليها فأخذ بيدها فقبّلها وأجلسها في مجلسه^(٢).

وفي الصحيح عن عائشة أنّ النبيّ قال وهو في مرضه: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء العالمين وسيّدة نساء المؤمنين وسيّدة نساء هذه الأمّة^(٣).

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢١٤.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٥٤ وفي التلخیص أيضاً، وج ٤ ص ٢٧٢، وبتفاوت في فضائل الصحابة ص ٧٨، سنن أبي داود ج ٢ ص ٥٢٢، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٦١، ذخائر العقبى ص ٤١، السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ١٠١، مسند ابن راهويه ج ٥ ص ٦ و٨، الأدب المفرد ص ٢٠٩، الآحاد والمثاني ج ٥ ص ٣٦٨، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٩٦ و٣٩٢، مسند أبي يعلى ج ١٢ ص ١١١، صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤٠٣، المعجم الأوسط ج ٤ ص ٢٤٢، نظم درر السمطين ص ١٧٩، سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٢٠ ومصادر أخرى للعامة.

الأمالی للطوسی ص ٤٠٠، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٣٣، كشف الغمّة ج ١ ص ٤٥٣ ومصادر أخرى للخاصّة.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٥١ وفي التلخیص أيضاً وص ١٥٤ وفي التلخیص أيضاً وص ١٥٦ وفي التلخیص أيضاً، وج ٤ ص ٤٤، فضائل الصحابة ص ٥٨ و٧٦ و٧٧، مسند أحمد ج ٣

← ص ٨٠ وج ٥ ص ٣٩١ وج ٦ ص ٢٨٢، صحيح البخاري ج ٤ ص ١٨٣ باب علامات النبوة في الإسلام
 وج ٤ ص ٢٠٩ باب مناقب قرابة رسول الله وج ٤ ص ٢١٩ باب مناقب فاطمة رضي الله عنها، صحيح
 مسلم ج ٧ ص ١٤٣ و ١٤٤، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٥١٨، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٢٦ و ٣٦٩، مجمع
 الزوائد ج ٩ ص ٢٠١ مسند أبي داود الطيالسي ص ١٩٧، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥٢٧، مسند ابن
 راهويه ج ٥ ص ٧، الآحاد والمثاني ج ٥ ص ٣٦٥ و... السنن الكبرى للنسائي ج ٤ ص ٢٥٢ وج ٥
 ص ٨١ و ٩٥ و ٩٦ و ١٤٥ و... خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص ١١٦ و...، مسند أبي يعلى ج ٢
 ص ٣٩٥ وج ١٢ ص ١١١ و ١١٢ و ٣١٣، صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤٠٢، حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٩،
 كتاب الأوائل ص ٨٤، المعجم الكبير ج ١١ ص ٢٩٤ وج ٢٢ ص ٤٠٣ و ٤١٧ و...، الفائق في غريب
 الحديث ج ١ ص ٢٤٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٠ وج ٢ ص ٢٨٧ وج ٩ ص ١٧٤
 وص ١٩٣ وج ١٠ ص ٢٦٥ و ٢٦٦ وج ١٣ ص ١٠٨ وموارد أخرى من هذا الكتاب، نظم درر السمطين
 ص ١٧٨ و... و ٢١٣، كنز العمال ج ١١ ص ٦٠٥ وج ١٢ ص ٩٦ و ١٠٢ و ١٠٧ و... جامع البيان ج ٣
 ص ٣٥٩، الدر المنثور ج ٢ ص ٢٣، الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٤٨ وج ٨ ص ٢٧، التاريخ الكبير ج ١
 ص ٢٣٢، تاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ١٥٥ وج ١٢ ص ٢٦٩ وج ١٣ ص ٢٠٧ وج ١٤ ص ١٣٤ و ١٧٣
 وج ٤٢ ص ١٣٤ وج ٤٧ ص ٤٨٢، أسد الغابة ج ٢ ص ٩ و ١٨ وج ٤ ص ١٦ وج ٥ ص ٥١٩ و ٥٢٢ و ٥٢٣
 و ٥٧٤، سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٢٠ و ١٢٣ و ١٢٦ و ١٣٠، الإصابة ج ٨ ص ١٠٢ و ٢٦٥، تاريخ
 الطبري ج ٦ ص ١٩٦، البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٦ وج ٦ ص ٢٢٤، ينابيع المودة ج ٢ ص ٣٦ و ٥٣ و...
 ومصادر أخرى كثيرة جداً للعامة.

الكافي ج ١ ص ٤٥٩، الاختصاص ص ٩١ و ١٨٣، الإحتجاج ج ١ ص ١٩٠ و ١٩٥ و ٢١٩، مناقب آل
 أبي طالب ج ٣ ص ١٤٤، علل الشرائع ج ١ ص ١٨٢ باب ١٤٦ ح ١، الخصال ص ٥٥٩ و ٥٧٣، الأمالي
 للصدوق ص ٧٧ المجلس السابع ح ٢ وج ٣ ص ١١٢ ح ١٠ ص ١٧٥ و ١٨٧ و ٣٧٤ و ٥٥٤ و ٥٦٠
 و ٥٧٥ و ٦٩٢ و ٧٠٢، كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٥٧ و ٢٦٠ و ٢٦٣، معاني الأخبار ص ١٠٧
 و ١٢٤، كفاية الأثر ص ٣٧ و ٩٨ و ١٢٤، روضة الواعظين ص ١٠٠ و ١٠٢ و ١١١ و ١٤٩ و ١٥٠، مناقب
 أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ٣٢٧ و ٥٤٦ وج ٢ ص ١٩٣ و ١٩٧ و ٢٥٧ و ٢٥٩ و ٤٢٢ و ٥١٣ و ٥١٥،
 دلائل الإمامة ص ٨١ و ١٣٨ و ١٤٩ و ١٥٢، شرح الأخبار ج ١ ص ١٢١ و ٢٠٧ وج ٣ ص ٢٤ و ٢٥

وفي الصحيح عن عائشة قالت: إنا كنا أزواج النبيّ عنده جميعاً لم تغادر منّا واحدة، فأقبلت فاطمة عليها السلام تمشي لا والله ما تخفي مشيتها من مشية رسول الله فلما رآها رحّب بها وقال: مرحباً بابنتي، ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثمّ ساّرها فبكت بكاءً شديداً، فلما رأى حزنها ساّرها الثانية، فإذا هي تضحك، فقلت لها أنا من بين نساءه: خصّك رسول الله بالسّرّ من بيننا، ثمّ أنتِ تبكين، فلما قام رسول الله سألتها عمّا سارك، قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله سرّه، فلما توفّي قلت لها عزمت عليك بما لي عليك من الحقّ لما أخبرتني. قالت: أمّا الآن فنعم فأخبرتني، قالت أمّا حين ساّرتني في الأمر الأوّل فإنه أخبرني عن جبرئيل كان يعارضه بالقرآن كلّ سنة مرّة، وأنه قد عارضني به العام مرّتين، ولا أرى الأجل إلاّ قد اقترب فاتقي الله واصبري فإنّي نعم السلف أنا لك، قالت فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي ساّرتني الثانية قال: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين أو سيّدة نساء هذه الأمة^(١).

وفي فضائل الصحابة: ... حتّى إذا قبض سألتها فقالت إنه كان حدّثني قال: كان جبرئيل يعارضني كلّ عام مرّة، وإنه عارضني العام مرّتين ولا أراني إلاّ وقد حضر أجلي وأنك أوّل أهلي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك، فبكيت، ثمّ إنه ساّرتني ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين أو نساء هذه الأمة، قالت فضحكت لذلك^(٢).

← ٥٦، الإرشاد ج ١ ص ٣٧ و ٣٥٣، الأمالي للمفيد ص ٢٣ و ١١٦، الأمالي للطوسي ص ٨٥ و ٢٤٨ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٥٤٦ و ٥٥٥ و ٥٥٨ و ٥٦٨ و ٦٣٣، مكارم الأخلاق ص ٩٣، الخرائج والجرائح ج ١ ص ٢٠٩، العمدة ص ٣٨٤ و ٣٨٦ و... ومصادر أخرى كثيرة للخاصّة.

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ١٤١ كتاب الاستيذان، باب من ناجى بين يدي الناس...، خصائص أمير

المؤمنين عليها السلام ص ١١٩، المعجم الكبير ج ٢٢ ص ٤١٩.

(٢) فضائل الصحابة ص ٧٧.

وقد اعترفوا أيضاً بما عن عائشة قالت: دفنت فاطمة ليلاً، دفنها عليّ ولم يشعر بها أبو بكر حتى دفنت. (١)

*

وعلى كلِّ مسلمٍ مؤمن بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ - مع ملاحظة قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (٢) ومع ملاحظة قول النبي ﷺ: «فإنما هي فاطمة بضعة مني يربيني ما أربأها، ويؤذيني ما آذاها» (٣) - أن ينظر فيما جرى عليها بعد أبيها حتى أوصت بدفنها في الليل، ولم تسمح بأن يشهد جنازتها أحد! وبذلك حرمت الأمة التي لم تشيع جنازة أبيها عن إدراك تشييع جنازتها، ولذلك خفي على الأمة قبرها، حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.

**

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ٨٢ كتاب المغازي باب غزوة خيبر، صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٤، المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ١٦٢ وفي التلخيص أيضاً، وبتفاوت في: الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٢٩، السنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٢٩ و ٣١، مصنف ابن أبي شيبة ج ٣ ص ٢٢٦ وج ٨ ص ٦٢، الآحاد والمثاني ج ٥ ص ٣٥٥، شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢٨٠ و...، تاريخ المدينة ج ١ ص ١١٠ و...، المصنف لعبدالرزاق ج ٣ ص ٥٢١، صحيح ابن حبان ج ١١ ص ١٥٣ وج ١٤ ص ٥٧٣، مسند الشاميين ج ٤ ص ١٩٨، البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٠٧ ومصادر أخرى للعامة.

(٢) سورة الشورى: ٢٣.

(٣) فضائل الصحابة ص ٧٨، مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٢٨، صحيح البخاري ج ٦ ص ١٥٨ باب ذنب الرجل عن ابنته في الغيرة، وج ٤ ص ٢١٠ باب مناقب قرابة رسول الله ، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٩٧، المعجم الكبير ج ٢٢ ص ٤٠٤، تاريخ مدينة دمشق ج ٥٨ ص ١٥٩، صحيح مسلم ج ٧ ص ١٤٠، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٤٤، سنن أبي داود ج ١ ص ٤٦٠، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٥٩ ومصادر أخرى للعامة. مناقب أمير المؤمنين ج ٢ ص ٢١١، شرح الأخبار ج ٣ ص ٦٠، مناقب أبي طالب ج ٣ ص ٣٣٢، العمدة ص ٣٨٥ الطرائف ص ٢٦٢، الأمالي للصدوق المجلس ٧٣ ح ١٨، ومصادر أخرى للخاصة.

الإمام الثاني

الحسن بن علي عليه السلام

ولد عليه السلام في شهر رمضان، والأشهر أن ولادته يوم الثلاثاء، منتصف شهر رمضان، في سنة اثنتين من الهجرة، وقبض في شهر صفر من سنة تسع وأربعين، فعمره سبع وأربعون سنة وأشهر.

كنيته والقابه

سماه الله الحسن، وكنيته أبو محمد، وألقابه السيد، والسبط الأول، والأمين، والحجة، والبر، والتقي، والأثير، والزكي، والمجتبي، والزاهد.

مناقبه عليه السلام

وهي أكثر من أن تستوفي في هذا المختصر، وقد كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلقاً وهدياً وسؤداً.

أتت فاطمة عليها السلام بابنهما الحسن والحسين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شكواه التي توفى فيها، فقالت: يارسول الله، هذان ابناك، فورثهما شيئاً، فقال: أمّا الحسن فإن له هديي وسؤدي، وأمّا الحسين فإن له جودي وشجاعتي^(١).

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٧، وقريب منه في الخصال ص ٧٧، وفي دلائل الإمامة ص ٦٩، وفي شرح الأخبار ←

ويكفي في جلالته مقامه ما ورد من طرق العامة بأسناد متعدّدة، عن النبي ﷺ: اللهم إني أحبه، فأحبه وأحب من يحبه^(١).

وكفاه منزلة أنه حبيب الله، وحبيب رسول الله ﷺ، وحبّه براءة من النار، وجواز دخول الجنّة، وإذا كان محبّه محبوباً لله تعالى فهو في مقام ومنزلة عند الله دونه كلّ مقام ومنزلة، لأنه ﷺ بإفئائه حبّه في ذات الله وإفئائه رضاه في رضوان الله، صار حبّه إكسيراً يقلب الحديد إلى الكبريت الأحمر، فيصير محبّه محبوباً لله تعالى. ولقد خاب من يدّعي حبّه ومع ذلك يحبّ عدوّه، فكيف يجتمع الضّدان؟!

وكفاه منقبة أنه ريحانة رسول الله في عالم الملك^(٢)، يستشّم منه رائحة الملكوت، وأنه هو الذي سمّاه سيّد العالم سيّداً^(٣)، وهذا بيان لإمامته، لأنّ السيادة

← ج ٣ ص ١٠٠ ومصادر أخرى للخاصّة.

الآحاد والمثاني ج ١ ص ٢٩٩ وج ٥ ص ٣٧٠، أسد الغابة ج ٥ ص ٤٦٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ١٠، نظم درر السمطين ص ٢١٢ ومصادر أخرى للعامة.

(١) فضائل الصحابة ص ١٩، مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٢٤٩ و ٣٣١ و ٥٣٢ وج ٤ ص ٢٨٤ صحيح البخاري ج ٤ ص ٢١٧ وج ٧ ص ٥٥، صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٩، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥١، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٢٧، المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ١٦٩ وفي التلخيص أيضاً و ص ١٧٧ وفي التلخيص أيضاً، البداية والنهاية ج ٨ ص ٣٨ و ٣٩، مسند الحميدي ج ٢ ص ٤٥٠، مسند ابن الجعد ص ٢٩٥، الأدب المفرد ص ٢٥٢، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٤٩، مسند أبي يعلى ج ١١ ص ٢٧٩، صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤١٧، المعجم الكبير ج ٣ ص ٣٢، نظم درر السمطين ص ١٩٨، تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٩، تاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ١٧٦ و ١٨٦ و... تهذيب الكمال ج ٦ ص ٢٢٦ و ٢٢٧، سير اعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٥٠، تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٥٨، ذخائر العقبى ص ١٢١ ومصادر أخرى كثيرة للعامة.

مناقب أمير المؤمنين ﷺ ج ٢ ص ٢٣٧ و ٢٤٤، شرح الأخبار ج ٣ ص ١٠٦، الأمالي للطوسي ص ٢٤٩، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٥، العمدة ص ٣٩٨ و ٤٠٣ ومصادر أخرى للخاصّة.

(٢) راجع صفحة: ٣٢٠.

(٣) راجع صفحة: ٣١٨.

عنوان إضافي، فهو سيّد من سواه من الأمّة، فإنّ الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا^(١).

كان عليه السلام إذا توضأ ارتعدت مفاصله واصفرّ لونه، فقيل له في ذلك. فقال: حقّ على كلّ من وقف بين يدي ربّ العرش أن يصفرّ لونه، وترتعد مفاصله^(٢).
وعن محمّد بن علي عليه السلام قال: قال الحسن عليه السلام: إنّي لأستحيي من ربّي أن ألقاه، ولم أمش إلى بيته، فمشى عشرين مرّة من المدينة على رجله^(٣).
وعن علي بن زيد بن جذعان، قال: «خرج الحسن بن علي من ماله مرّتين، وقاسم الله ثلاث مرّات»^(٤).

وعن الصادق عليه السلام قال: حدّثني أبي عن أبيه عليه السلام أنّ الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام كان أعبد الناس في زمانه، وأزهدهم وأفضلهم، وكان إذا حجّ حجّ ماشياً، وربّما مشى حافياً، وكان إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذا ذكر الممرّ على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكره

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٦٧، علل الشرايع ج ١ ص ٢١١ باب ١٥٩ ح ٢، الطرائف ص ١٩٦ دعائم الإسلام ج ١ ص ٣٧، كفاية الأثر ص ٣٨ و ١١٧، الفصول المختارة ص ٣٠٣ الإرشاد ج ٢ ص ٣٠، كشف الغمّة ج ١ ص ٥٣٣، روضة الواعظين ص ١٥٦ ومصادر أخرى.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٤ في مكارم أخلاقه.

(٣) ذخائر العقبى ص ١٣٧، البداية والنهاية ج ٨ ص ٤٢، نظم درر السمطين ص ١٩٦، تاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ٢٤٢، أسد الغابة ج ٢ ص ١٣ ومصادر أخرى للعامة.

مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٤، ومصادر أخرى للخاصّة.

(٤) البداية والنهاية ج ٨ ص ٤٢، المجموع ج ٧ ص ٩١، السنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣٣١، أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٣٠٣ ومصادر أخرى للعامة.

عوالي اللثالي ج ٢ ص ٨٨، كشف الغمّة ج ٢ ص ١٩٠، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٤ ومصادر أخرى للخاصّة.

شهو شهقة يغشى عليه منها، وكان إذا قام في صلاته ترتعد فرائضه بين يدي ربّه عزّ وجلّ، وكان إذا ذكر الجنّة والنار اضطرب اضطراب السليم، وسأل الله تعالى الجنّة، وتعوّذ به من النار، وكان عليه السلام لا يقرأ من كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿يا أيّها الذين آمنوا﴾ إلا قال: لبّيك اللهمّ لبّيك، ولم ير في شيء من أحواله إلا ذكراً لله سبحانه، وكان أصدق الناس لهجة وأفصحهم منطقاً^(١).

هذه معاملته مع الله، وأمّا معاملته مع خلقه فقد كان مازاً في بعض حيّطان المدينة، فرأى أسود بيده رغيف يأكل ويطعم الكلب لقمة، إلى أن شاطره الرغيف، فقال له الحسن عليه السلام: ما حملك على أن شاطرتَه ولم تغابنه فيه بشيء، فقال: استحت عينا من عينيه أن أغابنه. فقال له: غلام من أنت؟ فقال: غلام أبان بن عثمان، فقال: والحائط؟ قال: لأبان بن عثمان. فقال له الحسن عليه السلام: أقسمت عليك، لا برحت حتى أعود عليك، فمّر واشترى الغلام والحائط، وجاء إلى الغلام، فقال: يا غلام قد اشتريتك، قال: فقام قائماً، فقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي، قال: وقد اشتريت الحائط، وأنت حرّ لوجه الله، والحائط هبة مني إليك، فقال الغلام: يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبتني له^(٢).

هذه معاملته مع الضعيف مع قبض يده، فكيف كان الأمر لو كانت يده مبسوطتين.

وأما معاملته لعدوّه، فقد قال لأخيه الحسين عليه السلام عند وفاته: وإنّي لعارف لمن سقاني ومن أين دُهِيت، فأنا أخاصمه إلى الله عزّ وجلّ، فبحقّي عليك إن تكلمت في ذلك بشيء^(٣).

(١) الأماي للصدوق ص ٢٤٤، المجلس الثالث والثلاثون ح ١٠.

(٢) تاريخ بغداد ج ٦ ص ٣٣، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ابن عساكر ص ١٤٨، تاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ٢٤٦، البداية والنهاية ج ٨ ص ٤٢ ومصادر أخرى.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٤٢، إعلام الوری ج ١ ص ٤١٤، كشف الغمّة ج ٢ ص ٢٠٨، الإرشاد ج ٢ ص ١٧.

فهو الذي تخلّق بأخلاق الله، وتجلّت فيه أسماء الله، بغفرانه الذنوب، وستره العيوب، وظهور الرحمة العامّة والمخاصة من حضرته.

وقد أمره أمير المؤمنين عليه السلام يوماً أن يخطب، فقام فقال: «الحمد لله الواحد بغير تشبيهه، الدائم بغير تكوين، القائم بغير كلفة، الخالق بغير منسبة، الموصوف بغير غاية، المعروف بغير محدودية، العزيز لم يزل قديماً في القدم، ردعت القلوب لهيبته، وذهلت العقول لعزّته، وخضعت الرقاب لقدرته، فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته، ولا يبلغ الناس كنه جلاله، ولا يفصح الواصفون منهم لكنه عظمته، ولا تبلغه العلماء بأبوابها، ولا أهل التفكّر بتدبير أمورها، أعلم خلقه به الذي بالحدّ لا يصفه، يدرك الأبصار، ولا تدركه الأبصار، وهو اللطيف الخبير.

أمّا بعد، فإنّ عليّاً باب من دخله كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم».

فقام علي بن أبي طالب وقبّل بين عينيه، ثمّ قال: «ذريّة بعضها من بعض والله سمیعٌ عليم»^(١).

فقد جمع عليه السلام في هذه الخطبة القصيرة جميع ما يتعلّق بالمعارف الإلهية، ممّا يتعلّق بذاته تعالى وصفاته وأفعاله.

وقد اشتمل قوله عليه السلام: «الحمد لله الواحد بغير تشبيهه» في بدء خطبته على الإثبات والنفي، أي حقيقة التوحيد، وإخراج العقول عن حدّ التعطيل والتشبيه. وفي قوله عليه السلام في ختامها: «أعلم خلقه به الذي بالحدّ لا يصفه» إبطال التفكّر في ذاته وصفاته، وأن كل وصف إلا ما وصف الله به نفسه ينتهي إلى التحديد، وهو

(١) تفسير فترات الكوفي ص ٧٩ ذيل آية ٣٤ سورة آل عمران، ترجمة الامام الحسن عليه السلام لابن عساكر

التثنية التي تبطل بواحديته بغير تشبيهه، «سُبْحَنَهُ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُصِفُونَ»^(١) في كل جملة منها مجمل من مفضّل، لا يصل إليه إلاّ الراسخون في الحكمة الإلهية.

وقد سأل أعرابي أبا بكر، فقال: إنّي أصبت بيض نعام فشويته وأكلته وأنا محرّم، فما يجب عليّ؟ فقال له: يا أعرابي أشكلت عليّ في قضيتك، فدله على عمر، ودله عمر على عبد الرحمن، فلمّا عجزوا قالوا: عليك بالأصلح، فقال أمير المؤمنين: سلّ أيّ الغلامين شئت. فقال الحسن: يا أعرابي ألك إبل؟ قال: نعم، قال: فاعمد إلى عدد ما أكلت من البيض نوقاً فاضربهنّ بالفحول، فما فضل منها فاهده إلى بيت الله العتيق الذي حججت إليه، فقال أمير المؤمنين: إنّ من النوق السلوب ومنها ما يزلق، فقال: إن يكن من النوق السلوب وما يزلق، فإنّ من البيض ما يمرق، قال: فسمع صوت: معاشر الناس، إنّ الذي فهم هذا الغلام هو الذي فهمها سليمان بن داود^(٢).

وفي الموثّق عن محمّد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر وأبا عبد الله يقولان: بينا الحسن بن عليّ عليه السلام في مجلس أمير المؤمنين صلوات الله عليه إذ أقبل قوم، فقالوا: يا أبا محمّد أردنا أمير المؤمنين. قال: وما حاجتكم؟ قالوا: أردنا أن نسأله عن مسألة، قال: وما هي تخبرونا بها، فقالوا: امرأة جامعها زوجها، فلمّا قام عنها، قامت بمحومتها، فوقعت على جارية بكر فساقتها، فألقت النطفة فيها، فحملت، فما تقول في هذا؟ فقال الحسن: معضلة وأبو الحسن لها، وأقول: فإن أصبت فمن الله، ثمّ من أمير المؤمنين، وإن أخطأت فمن نفسي، فأرجو أن لا أخطئ إن شاء الله: يعمد إلى

(١) سورة انعام: ١٠٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٠.

المرأة، فيؤخذ منها مهر الجارية البكر في أول وهلة، لأن الولد لا يخرج منها حتى تشق فتذهب عذرتها، ثم ترجم المرأة لأنها محصنة، وينتظر بالجارية حتى تضع ما في بطنها ويرد إلى أبيه صاحب النطفة، ثم تجلد الجارية الحد، قال: فانصرف القوم من عند الحسن فلقوا أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ما قلتم لأبي محمد، وما قال لكم، فأخبروه، فقال: لو أنني المسؤول ما كان عندي فيها أكثر مما قال ابني^(١).

ولما أحاط أصحاب الجمل براية الطغيان على خليفة الرحمن، وعجز عن مقابلتهم الفرسان، دعا أمير المؤمنين عليه السلام محمد بن الحنفية فأعطاه رمحه وقال له: اقصد بهذا الرمح قصد الجمل، فذهب فنعوه بنوضبة فلما رجع إلى والده انتزع الحسن رمحه من يده، وقصد قصد الجمل، وطعنه برمحه ورجع إلى والده، وعلى رمحه أثر الدم، فتمغر وجه محمد من ذلك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تأنف فإنه ابن النبي وأنت ابن علي^(٢).

وقد شبيبت هذه الشجاعة في نفسه القدسية بالحلم، ذلك الحلم الذي روى فيه المبرد وابن عائشة أن شامياً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن لا يرد، فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام وضحك، فقال: أيها الشيخ أظنك غريباً ولعلك شبهت، فلو استعبتنا أعبتناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا وكنت ضيفاً إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأن لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً.

(١) الكافي ج ٧ ص ٢٠٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢١.

فلما سمع الرجل كلامه بكى، ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ، والآن أنت أحب خلق الله إليّ، وحوّل رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبتهم^(١).
ولما مات عليه السلام أخرجوا جنازته، فحمل مروان بن الحكم سريره، فقال له الحسين عليه السلام: أتحمل سريره؟ أما والله لقد كنت تجرّعه الغيظ، فقال مروان: إني كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال^(٢).

ولقد ساد الخلائق في الفضائل، من العلم والحلم والمعرفة والعبادة والفصاحة والسماحة والجود والشجاعة والعفو والرحمة، فهو السيّد على الإطلاق كما سماه جدّه^(٣) وأمضاه الله سبحانه وقال: «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ»^(٤).

ولا بدّ من التأمل في سبب انتهاء أمر الأُمّة إلى نقض بيعة هذا السيد ابن السيد، والدخول إلى بيعة ذلك الطليق بن الطليق، وهل كان مبدأ هذا المنتهى إلاّ تمهيداً للحكومة في الشورى لبني أمية وأبناء الطلقاء؟!

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٩.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٤٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ١٣، بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٤٥.

(٣) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٦٩، وج ٤ ص ١٨٤، وج ٨ ص ٩٩، فضائل الصحابة ص ٤٩، مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ٤٩ و ٥١، سنن أبي داود ج ٢ ص ٤٠٥، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٢٣ و ٣٢٦، المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ١٧٥ ومصادر أخرى للعامة.

التايب في المناقب ص ٣٠٧، العمدة ص ٣٩٦ و ٤٣٧، الطرائف ص ١٩٩، عوالي اللئالي ج ١ ص ١٠٢ و ٢٢٥، ومصادر أخرى للخاصة.

(٤) سورة الحشر: ٧.

كراماته عليه السلام

ومن كراماته عليه السلام ما عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خرج الحسن بن علي في بعض عمره، ومعه رجل من ولد الزبير، كان يقول بإمامته، فنزلوا من تلك المناهل تحت نخل يابس قد يبس من العطش، ففرش للحسن عليه السلام تحت نخلة، ولزبيري تحت أخرى، فقال الزبيري: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه. فقال له الحسن عليه السلام: وإنك لتشتهي الرطب، فقال الزبيري: نعم، فرفع يده إلى السماء فدعا بكلام لم أفهمه، فاخضرت النخلة، ثم صارت إلى حالها، وأورقت، وحملت رطباً، فقال الجمال الذي اکتروا منه: سحرٌ والله. فقال له الحسن عليه السلام: ويملك ليس بسحر، ولكن دعوة ابن نبي مستجابة، قال: فصعدوا، وصرموا ما كان في النخلة وكفاهم^(١).

والعجب من قوم اعترفوا بأنّ الحسن والحسين عليهما السلام ممّن نزلت فيهم آية التطهير^(٢)، وأنّهما اللذان أرادهما الله من كلمة الجمع في أبنائنا^(٣)، واختارهما للمباهلة التي هي من أعظم الآيات لإبطال النصرانية، وإحقاق الإسلام، ومن أظهر البيّنات لإثبات من يكون وجيهاً عند الله بإجابة الدعاء، وأنّهما من آل محمّد الذين يصلّى عليهم في كلّ الصلوات، وأنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة^(٤)، وأنّهما بضعة

(١) الكافي ج ١ ص ٤٦٢، وبتفاوت يسير في الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٧١، بصائر الدرجات ص ٢٧٦، الجزء الخامس باب ١٣ ح ١٠.

(٢) راجع صفحة: ٢٤٨.

(٣) راجع صفحة: ٣٠٥.

(٤) راجع صفحة: ٣٢٩.

من رسول الله^(١)، وأتمها ريجاننا رسول الله^(٢)، وأتمها أحب أهل بيت رسول الله^(٣) إليه، وأن الله زين الجنة بهما^(٤)، وأتمها خير الناس جدًّا وجدًّا وأبًّا وأمًّا^(٥)، وأتمها

(١) مسند أحمد ج ٦ ص ٣٤٠، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٢٩٣، المعجم الكبير ج ٣ ص ٢٣، أسد الغابة ج ٢ ص ١٠، الإصابة ج ٥ ص ٣٢٠، ترجمة الامام الحسن عليه السلام ص ١٣٧ و تاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ٢٣٩ ومصادر أخرى للعامة.

بحار الانوار ج ٤٣ ص ٢٤٢، كشف الغمة ج ٢ ص ٥٢٣، العدد القوية ص ٣٥ ومصادر أخرى للخاصة.
(٢) فضائل الصحابة ص ٢٠، صحيح البخارى ج ٤ ص ٢١٧ باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما وج ٧ ص ٧٤ باب رحمة الولد وتقبيله ومعانفته، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٢٢، سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٨١، الإصابة ج ٢ ص ٦٨، مسند أحمد ج ٢ ص ٨٥ و ٩٣ و ١١٤ و ١٥٣ و ج ٥ ص ٥١، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٥، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٤٩ و ١٥٠، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص ١٢٤، صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤١٩ و ٤٢٦، المعجم الكبير ج ٣ ص ٣٤، نظم درر السمطين ص ١٩٩، كنز العمال ج ١٢ ص ١٢٣ و ج ١٣ ص ٦٦٧، تاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ١٧٦ و ٢٠٢ و ٢٣٦ و ٢٣٧، ومصادر أخرى للعامة.

الكافي ج ٦ ص ٢، الأمالي للصدوق ص ٢٠٧ المجلس التاسع والعشرون ح ١٢، روضة الواعظين ص ١٥٧، شرح الأخبار ج ٣ ص ١١٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢٧ باب ٣١ ح ٨، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٥ ومصادر أخرى للخاصة.

(٣) الجامع الصغير ج ١ ص ٣٧، ذخائر العقبى ص ١٢٢، مسند أبي يعلى ج ٧ ص ٢٧٤، نظم درر السمطين ص ٢٠٩، كنز العمال ج ١٢ ص ١١٦، التاريخ الكبير ج ٨ ص ٣٧٨، تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ١٥٣ الصواعق المحرقة ص ١٣٧ ومصادر أخرى للعامة.

شرح الأخبار ج ٣ ص ١١٣، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٨٢ ومصادر أخرى للخاصة.
(٤) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٨٤، المعجم الأوسط ج ١ ص ١٠٨ و ج ٧ ص ١٤٨، كنز العمال ج ١٢ ص ١٢١، تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٣٥، تاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ٢٢٨، أسد الغابة ج ١ ص ١٧٨، ترجمة الامام الحسن عليه السلام ص ١١٩ ومصادر أخرى للعامة.

روضة الواعظين ص ١٦٦، شرح الأخبار ج ٣ ص ١١٢، الإرشاد ج ٢ ص ١٢٧، الأمالي للطوسي ص ٤٠٦ ومصادر أخرى للخاصة.

(٥) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٨٤، المعجم الأوسط ج ٦ ص ٢٩٨، المعجم الكبير ج ٣ ص ٦٧، ←

سبوا هذه الأمة^(١)، وأنّ النبي ورثها سيادته وجوده وشجاعته^(٢)، وغير ذلك ممّا جاء في مناقبها من الفضائل الخلقية والخلقية والعلمية والعملية، ممّا ملأت كتب التفسير والحديث والرجال والتاريخ، ومع ذلك جوّزوا استبدال الحسن بمعاوية، والحسين بيزيد بملاك بيعة الأكثرية الذين لا يعقلون!

لقد أخذوا ما استندوا إليه عن معاوية، حيث قال للحسن بن علي عليه السلام: أنا خيرٌ منك يا حسن، قال: وكيف ذلك يا ابن هند، قال: لأنّ الناس قد أجمعوا عليّ ولم يجمعوا عليك. قال: هيهات، هيهات، لشرّ ما علوت يا ابن آكلة الأكباد، المجتمعون عليك رجلان، بين مطيع ومكره، فالطائع لك عاصٍ لله، والمكره معذور بكتاب الله، وحاش لله أن أقول: أنا خيرٌ منك، فلا خير فيك، ولكن الله برّأني من الرذائل كما برّأك من الفضائل^(٣).

ونقل ابن أبي الحديد عن أبي الفرج: خطب معاوية بالكوفة حين دخلها، والحسن والحسين عليهما السلام جالسان تحت المنبر، فذكر عليّاً عليه السلام، فقال منه، ثمّ نال من الحسن عليه السلام، فقام الحسين ليردّ عليه، فأخذه الحسن بيده فأجلسه، ثمّ قام فقال: أيّها الذاكر عليّاً، أنا الحسن وأبي عليّ، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمّي فاطمة

← نظم درر السمطين ص ٢١٣، كنز العمال ج ١٢ ص ١١٨، تايخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ٢٢٩، ينابيع المودة ج ٢ ص ٢٢٠ وج ٣ ص ٣٨ ومصادر أخرى للعامة .
الأمالي للصدوق ص ٥٢٢ المجلس السابع والستون ح ٢، كفاية الأثر ص ٩٨، روضة الواعظين ص ١٢٢، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ٤١١ و ٥٩٣، شرح الأخبار ج ١ ص ١١٩ ومصادر أخرى للخاصة.

(١) راجع صفحة: ٣٢٨.

(٢) راجع صفحة: ٣١١.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٢.

وأُمَّك هند، وجدِّي رسول الله، وجدِّك عتبة بن ربيعة، وجدَّتِي خديجة وجدَّتكَ قتيلة. فلعن الله أحمِلنا ذكراً وألْمنا حسباً، وشرْنَا قديماً وحديثاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً.

فقال طوائف من أهل المسجد: آمين. قال الفضل: قال يحيى بن معين وأنا أقول آمين.

قال أبو الفرج قال أبو عبيد قال الفضل وأنا أقول آمين، ويقول علي بن الحسين الاصفهاني آمين، قلت: ويقول عبد الحميد بن أبي الحديد مصنّف هذا الكتاب آمين^(١).

*

صلحه ﷺ مع معاوية بن أبي سفيان

لابدّ من التعرّف على طرفي هذا العقد، ونفس العقد، ولا مجال إلا للإشارة إلى الثلاثة.

أمّا معاوية فالكتب مملوءة من ارتكابه الكبائر الموبقة، منها البغي، قال الله سبحانه: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَبْغِيَ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّ فَاتَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢).

مع أنّ علياً ﷺ كان خليفة بإجماع الأمة، وكان ما استدلّ به على استحقاق

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٤٧، مقاتل الطالبين ص ٤٦، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٦، الإرشاد ج ٢ ص ١٥ و مصادر أخرى للعامة والخاصة.

(٢) سورة الحجرات: ٩.

الخلافة والإمامة - من الكتاب والسنة والإجماع - منطبقاً عليه، خرج معاوية عليه وفارق الجماعة، فانطبق الباغي عليه، والبغي على عمله لا يحتاج إلى بيان. وقد نصّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على بغيه، ونقتصر على ما رووا عن عبارة بن خزيمة بن ثابت، قال: شهد خزيمة بن ثابت الجمل، وهو لا يسلّ سيفاً، وشهد صفين، قال: أنا لا أضلّ أبداً بقتل عمّار، فانظر من يقتله، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: تقتلك الفئة الباغية.

قال: فلما قتل عمّار، قال خزيمة: قد حانت له الضلالة، ثم اقترب في المصدر اقرب، وكان الذي قتل عمّاراً أبو غادية المزني طعنه بالرمح، فسقط، فقاتل حتى قُتل، وكان يومئذ يقاتل وهو ابن أربع وتسعين. فلما وقع كبّ عليه رجل آخر، فاجتزأ رأسه، فأقبلا يختصمان كلّ منهما يقول: أنا قتلته، فقال عمرو بن العاص: والله إن يختصمان إلا في النار، فقال عمرو: هو والله ذاك والله إنك لتعلمه، ولوددت إنّي مت قبل هذا بعشرين سنة^(١).

(١) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٣٨٥، وقد ذكر في هذا الكتاب أكثر من عشرين حديثاً تُدلُّ على كون عمار على الحق وأن قاتله الفئة الباغية و... وقد صحح كثيراً منها الذهبي في تلخيصه، وقد وردت الأحاديث الدالة على هذا الأمر في كثير من كتب العامة والخاصة نذكر بعضها: المستدرك على الصحيحين ج ٢ ص ١٤٨ و ١٥٥ و...، الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٤١ و ج ٣ ص ٢٥٩ و ٢٤٨، مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٤٢ و ج ٩ ص ٢٩٥، المعجم الكبير ج ١ ص ٣٢٠، شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١٠، كنز العمال ج ١١ ص ١٩٨ و ٧٢١، تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٨٨، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤٧٢ و ج ٤٣ ص ٤٠٤ و ٤٠٦ و ٤١٢ و... البداية والنهاية ج ٦ ص ٢٣٩ و ج ٧ ص ٣٠٠، فضائل الصحابة ص ٥١، مسند أحمد ج ٢ ص ١٦١ و ١٦٤ و ٢٠٦ و ج ٣ ص ٢٢ و ٢٨ و ٩١ و ج ٤ ص ١٩٧ و ١٩٩ و ج ٥ ص ٢١٤ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ج ٦ ص ٣٠٠ و ٣١١ و ٣١٥، صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٠٧، صحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٦، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٣٣، السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٨٩، مسند أبي داود الطيالسي

فما يقال في الرجل الذي شقَّ عصا المسلمين، وفارق الجماعة وخالف الكتاب
والسنة والعقل وإجماع الأمة؟!

وهو مهدور الدم بحكم الله في القرآن ﴿فَقَتَلُوا الَّذِينَ تَبَغَّيْتُمْ حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ
اللَّهِ﴾^(١) وهو الذي أسس الفئة الباغية التي إحدى سيئاتها قتل عمّار الذي روى في
الصحيح عن النبي ﷺ في حقه: مرحباً بالطيب المطيب^(٢)، وفي الصحيح أن
رسول الله ﷺ مرَّ بعمّار وأهله، وهم يعدّون، فقال: أبشروا آل عمّار وآل ياسر فإنّ

← ص ٨٤ و ٩٠ و ٢٢٣ و ٢٨٨، المصنف لعبد الرزاق ج ١١ ص ٢٤٠، مسند ابن الجعد ص ١٨٢ و ٢٤٦،
مسند ابن راهويه ج ٤ ص ١١١ و ١٤٦، بغية الباحث ص ٣٠٣، مسند أبي يعلى ج ٣ ص ١٨٩ و ٢٠٩
وج ٧ ص ١٩٥ وج ١١ ص ٤٠٣ وج ١٢ ص ٤٢٤، الآحاد والمثاني ج ٣ ص ٤٣٦ وج ٥ ص ١٧٢، السنن
الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٧٥ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص ١٣٢ و...، صحيح
ابن حبان ج ١٥ ص ١٣١ و ٥٥٣ و...، المعجم الصغير ج ١ ص ١٨٧، المعجم الأوسط ج ٦ ص ٢٤٩ وج ٧
ص ٢٩١ وج ٨ ص ٤٤ و ٢٥٢، المعجم الكبير ج ١ ص ٣٢٠ وج ٤ ص ٨٥ و ١٦٨ وج ٥ ص ٢٢١ و ٢٦٦
وج ١٩ ص ١٧٠ و ٣٣١ و ٣٩٦ وج ٢٣ ص ٣٦٣ و...، ومصادر أخرى للعامة كثيرة جداً.
الإقتصاد ص ١٨١، عيون أخبار الرضا ج ٢ باب ٣١ ح ٢٦٩، كمال الدين وتمام النعمة ص ٥٣١، معاني
الأخبار ص ٣٥، كفاية الأثر ص ١٢١، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ٥١٥ وج ٢ ص ٣٥٠ و...،
المسترشد ص ٦٥٧ و ٦٥٨، شرح الأخبار ج ١ ص ٤٠٧... وج ٢ ص ١٥ و ١٩ وموارد أخرى من هذا
الكتاب، الاختصاص ص ١٤، الإحتجاج ج ١ ص ٢٦٧ و... ومصادر أخرى للخاصة كثيرة جداً.

(١) سورة الحجرات: ٩.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ٣٨٨، وفي التلخیص أيضاً، مسند أحمد ج ١ ص ١٠٠ و ١٢٦
و ١٣٠، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٥٢، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٣٢، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٢١٧ و ٥٢٤،
الأدب المفرد ص ٢٢١، مسند أبي يعلى ج ١ ص ٣٢٤ و...، صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٥٥١، المعجم الصغير
ج ١ ص ٨٧، المعجم الأوسط ج ٥ ص ١٠٢، التاريخ الكبير ج ٨ ص ٢٢٩، تاريخ بغداد ج ١ ص ١٦٢ وج ٦
ص ١٥٣ وج ١٣ ص ٣١٦، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٣ ص ٣٨٦ و...، أسد الغابة ج ٤ ص ٤٥، تهذيب الكمال
ج ٢١ ص ٢٢٢، سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٤١٣، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٥٨ ومصادر أخرى كثيرة للعامة.
المسترشد ص ٦٥٦، شرح الأخبار ج ١ ص ٤١١، الإحتجاج ج ١ ص ٢٦٧ ومصادر أخرى للخاصة.

مواعدكم الجنة^(١)، وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وآله: من يسب عمّاراً يسبه الله، ومن يعاد عمّاراً يعاده الله^(٢).

ومن كبائر معاوية التي ثقلت في السماوات والأرض سبه أمير المؤمنين عليه السلام.
وقد رووا في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله: من سب علياً فقد سبني^(٣)، وفي آخر: من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله تعالى^(٤).

(١) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ٣٨٣ و ٣٨٨، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٣، المعجم الأوسط ج ٢ ص ١٤١، المعجم الكبير ج ٢٤ ص ٣٠٣، شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢٥٥ و ج ٢٠ ص ٢٦، كنز العمال ج ١١ ص ٧٢٧ و... الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٤٩ و ج ٤ ص ١٣٧، تاريخ بغداد ج ١ ص ١٦١ و ج ١١ ص ٣٤٢، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٣ ص ٣٦٠ و ٣٦٨ و... أسد الغابة ج ٤ ص ٤٤ و ج ٥ ص ٩٩ ومصادر أخرى للعامة. الإحتجاج ج ١ ص ٢٦٦، بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢١٠ ومصادر أخرى للخاصة.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ٣٨٩، وفي التلخيص أيضاً و ص ٣٩٠، فضائل الصحابة ص ٥٠، مسند أحمد ج ٤ ص ٩٠، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٧٤، كنز العمال ج ١١ ص ٧٢٦، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٣ ص ٣٩٩، تهذيب الكمال ج ٢٥ ص ٦٥٢، سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٤١٥ و ج ٩ ص ٣٦٧ ومصادر أخرى للعامة.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج ٦ ص ٣٢٣، المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٢١، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٠، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٣٣، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص ٩٩، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٦٦ ومصادر أخرى للعامة.

الأمالي للطوسي ص ٨٦ المجلس الثالث ج ٣٩، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ٥٩٨ ومصادر أخرى للخاصة.

(٤) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٢١، نظم درر السمطين ص ١٠٥، الجامع الصغير ج ٢ ص ٦٠٨، تاريخ مدينة دمشق ج ٤ ص ١٣٢ و ج ٣٠ ص ١٧٩ و ج ٤٢ ص ٥٣٣، ذخائر العقبى ص ٦٦، كنز العمال ج ١١ ص ٥٧٣ و ٦٠٢، فيض القدير ج ٦ ص ١٩٠ ومصادر أخرى للعامة.
عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٦٧ باب ٣١ ح ٣٠٨، الأمالي للصدوق ص ١٥٧ المجلس الحادي والعشرون ج ٢، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ٦٠٠، شرح الأخبار ج ١ ص ١٥٥ و ١٥٦ و ١٦٧ و ١٧١، الإحتجاج ج ١ ص ٢٠٥ و ٤٢٠ ومصادر أخرى للخاصة.

ومن كان له أدنى معرفة بمبادئ الفقهانية يعلم أنّ مقتضى التنزيل في الموضوع التوسّع في دائرة الأحكام المترتبة على المنزل عليه بالنسبة إلى المنزل، إلا أن تقوم حجة على تقييد إطلاق التنزيل، ولم يقيم في المقام من كتاب ولا سنة ولا إجماع مقيّد لهذا التنزيل، ومن أحكام سبّ النبي ﷺ وسبّ الله تعالى هو الإرتداد والكفر^(١). ولا تعارض بين هذه الرواية وما عن أبي برزة، قال: أغلظ رجل لأبي بكر رضي الله عنه، فقلت: يا خليفة رسول الله ألا أقتله، فقال: ليس هذا إلا لمن شتم النبي ﷺ^(٢)، لاستحالة التعارض بين الحاكم والمحكوم، فإنّ هذه الرواية تثبت القتل لشم النبي ﷺ وتلك الرواية تثبت أن شتم عليّ عليه السلام هو شتم النبي ﷺ. نعم هذه الرواية حجة قاطعة على عدم جواز قتل أحد لسبّ أبي بكر وعمر وعثمان، وبطلان قول من حكم بجواز قتل سبّ الثلاثة، ولو تنزلنا عمّا ذكرنا فلاريب في أنّ سبّ عليّ عليه السلام بمقتضى الكتاب والسنة من أعظم الكبائر، فكيف لا يسقطون أمانة معاوية عن الإعتبار، ويمنعون عن ذكره بسوء، مع أنه من أكبر الفساق والفسّار.

ويكفي في شأنه ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام المضمون عصمته من الله بآية التطهير^(٣)، ومن النبي ﷺ بقوله: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ^(٤)، ونقتصر من جميع

(١) الشرح الكبير للمغني ج ١٠ ص ٧٤ و ٧٥، حاشية ردّ المختار ج ٤ ص ٤١٦، المجموع ج ١٩ ص ٤٢٧، كشف القناع ج ٦ ص ٢١٤، نيل الأوطار ج ١ ص ٣٦٨ ومصادر أخرى للعامة.

الخلاف ج ٥ ص ٣٤٠، شرح الأخبار ج ١ ص ١٥٥ ومصادر أخرى للخاصة.

(٢) المستدرک على الصحيحين ج ٤ ص ٣٥٥، المحلّي لابن حزم ج ١١ ص ٤١٠.

(٣) راجع ص ٢٤٨.

(٤) تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٢٢ في ترجمة يوسف بن محمد المؤدّب، تاريخ مدينة دمشق ج ٢٠

ما قاله عليه السلام بما كتبه إلى أهل العراق: (فانتهاوا بأجمعكم، وأجمعوا على حقكم، وتجردوا لحرب عدوكم، وقد أبدت الرغوة عن الصريح، وبين الصبح لذي عينين، إنما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء، وأولي الجفاء، ومن أسلم كرهاً وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله أنف الإسلام كله حرباً، أعداء الله والسنة والقرآن، وأهل البدع والأحداث، ومن كانت بوائقه تتقى، وكان علي [عن] الإسلام مخوفاً [منحرفاً]، أكلة الرشا وعبدة الدنيا^(١).
هذا معاوية ابن أبي سفيان من وراء الظلمات التي بعضها فوق بعض.

*

وأما الحسن بن علي عليه السلام فهو الذي حبّه حبّ الرسول صلى الله عليه وآله وبغضه بغضه وحبّ الرسول وبغضه حبّ الله وبغضه، وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه الحسن والحسين هذا على عاتقه وهذا على عاتقه وهو يلثم هذا مرّة وهذا مرّة حتى انتهى إلينا فقال له رجل: يارسول الله إنك تحبّهما؟ فقال: نعم، من أحبّهما فقد أحبّني ومن أبغضهما فقد أبغضني^(٢).

← ص ٣٦١ وج ٤٢ ص ٤١٩ و ٤٤٩، ينابيع المودة ج ١ ص ١٧٣، المعيار والموازنة ص ٢٨ و ٣٥ و ١١٩ وموارد أخرى، شواهد التنزيل ج ٢ ص ٤٨١، شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٩٧ وج ١٨ ص ٧٢ ومصادر أخرى للعامة.

الخصال ص ٤٩٦ و ٥٥٩، الأمالي للصدوق ص ٨٣ المجلس الثامن ح ٤ ص ١٥٠ المجلس العشرون ح ١، كفاية الأثر ص ١٨ و ٢٠ و ١١٧ و...، روضة الواعظين ص ١٠٠، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ٣٦٩ و ٤٢٢.. وج ٢ ص ٥٣٠، المسترشد ص ٢٩٧ و ٤٧٩، شرح الأخبار ج ١ ص ٢٠٧ وج ٢ ص ٦٠ و ٦٧ و ١١٩ و ٥٢٥، الفصول المختارة ص ٩٧ و ١٣٥ و ٢١١ و... الأمالي للطوسي ص ٥٤٨ و ٧٣١، الإحتجاج ج ١ ص ٩٧ و ١١٦ و ٢١٥ ومصادر أخرى للخاصة.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ٩٩، الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٧٨، كشف المحجّة ص ١٨٦، بحار الأنوار ج ٣ ص ٣٠ و ٢٤ ومصادر أخرى للعامة والخاصة.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٦٦، وفي التلخیص أيضاً و ص ١٧١، مسند أحمد ج ٢ ص ٢٨٨ ←

وهو الذي أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً^(١)، والتدبّر في إطلاق الرجس الذي أذهب الله عنه، والطهارة التي طهره بها يغني عن كل منقبة. وقد اختاره الله للمباهلة^(٢) التي هي منزلة من تستجاب دعوته، ولا تردّ طلبته، وهو رابع أهل الكساء^(٣)، وثالث من نزلت في شأنه سورة هل أتى^(٤)، وممن جعل الله مودّته أجر الرسالة العظمى^(٥)، وهو ممن يصلي عليه كل مصلّ في كل صلاة في كل غداة وعشا^(٦)، وهو ممن قال الرسول ﷺ في حقهم: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم^(٧)، وهو وأخوه سبطا هذه الأمة^(٨)، وسيدا شباب أهل

← و٤٤٠ و٥٣١، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٩، تهذيب الكمال ج ٦ ص ٢٢٨، الإصابة ج ٢ ص ٦٢، سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٧٧، فضائل الصحابة ص ٢٠، السنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٢٩، المصنف لعبد الرزاق ج ٣ ص ٤٧٢، مسند ابن راهويه ج ١ ص ٢٤٨، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٤٩، المعجم الكبير ج ٣ ص ٤٨ و ٥٠، نظم درر السمطين ص ٢٠٥ و ٢٠٩ و...، تاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٩٤ و ج ١٤ ص ١٣٢ و ١٥٢ و ١٥٦ ومصادر أخرى كثيرة للعامة. مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢٨٢، بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٠٦ و ج ٤٣ ص ٢٨١، روضة الواعظين ص ١٦٦، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ٢٢٢ و ٢٣٥ و ٢٤٣ و ٢٤٦ و... شرح الأخبار ج ٣ ص ١٠٩ و ٥٣١، الإرشاد ج ٢ ص ٢٨ ومصادر أخرى للخاصة.

(١) راجع صفحة: ٢٤٨.

(٢) راجع صفحة: ٣٠٥.

(٣) راجع صفحة: ٣٠٦.

(٤) راجع صفحة: ٣٠٥.

(٥) إشارة إلى الآية الشريفة ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ سورة الشورى: ٢٣.

(٦) راجع صفحة: ٢٤٣.

(٧) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٤٩، مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٤٤٢، وراجع صفحة: ٢٥٤.

(٨) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٨١، المعجم الصغير ج ١ ص ٣٧، المعجم الأوسط ج ٦ ص ٣٢٧، المعجم

الجنة^(١)، وكيف تحصى فضائله وقد شهد سيّد ولد آدم بسيادته بقوله: إنَّ ابني هذا سيّد^(٢).

← الكبير ج ٣ ص ٢٣ و ٥٨ و ٦٠ و ج ٢٢ ص ٢٧٤، ينابيع المودة ج ٢ ص ٢١٠ و ج ٣ ص ٢٦٤ و ٢٦٩ و ٣٨٩، ذخائر العقبى ص ٤٤ مسند الشاميين ج ٣ ص ١٨٤، الجامع الصغير ج ١ ص ٥٧٥، التاريخ الكبير ج ٨ ص ٤١٥، تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ١٤٩، النهاية في غريب الحديث في كلمة سبط، كنز العمال ج ١٢ ص ١١٦ و ١١٩ و ١٢٩ و ج ١٣ ص ٦٦٢ ومصادر أخرى للعامة.

الخصال ص ٤١٢ باب الثمانية ح ١٦ و ص ٥٥٥، كفاية الأثر ص ٦٣، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ٣٨٩ و ج ٢ ص ٢٣١، الإرشاد ج ١ ص ٣٧، الطرائف ص ٤١٢، المناقب ص ٣١٤، المسترشد ص ٥٨٠ و ٦١٣ و...، شرح الأخبار ج ١ ص ١١٨ و ١٢٣ و ج ٢ ص ٥١٠، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢٦٨ باب ٦٨، عمدة الطالب ص ٦٨، الأمالي للطوسي ص ١٥٥ المجلس السادس ح ٨ و ص ٣٣٣، المجلس الثاني عشر ح ٧، الاحتجاج ج ١ ص ١٩٠، العمدة ص ٢٦٧، ومصادر أخرى للخاصة.

(١) فضائل الصحابة ص ٥٨ و ٧٦، مسند أحمد ج ٣ ص ٣ و ٦٢ و ٦٤ و ٨٢ و ج ٥ ص ٣٩١ و ٣٩٢، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٢١ و ٣٢٦، المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ١٦٧ وفي التلخيص أيضاً و ص ٣٨١، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠١، المعيار والموازنة ص ١٥١ و ٢٠٦ و ٣٢٣، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥١٢، بغية الباحث ص ٢٩٧، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٥٠ و ٨١ و ٩٥ و ١٤٥ و...، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص ١١٨ و...، مسند أبي يعلى ج ٢ ص ٣٩٥، المعجم الأوسط ج ٢ ص ٣٤٧ و ج ٤ ص ٣٢٥ و ج ٥ ص ٢٤٣ و ج ٦ ص ١٠ و ٢٣٨ و ٣٢٧، المعجم الكبير ج ٣ ص ٣٥، تاريخ بغداد ج ١ ص ١٥٠ و ج ٣ ص ١٨١ و ج ٦ ص ٣٦٩ و... مصادر أخرى للعامة كثيرة جداً.

علل الشرائع ج ١ ص ٢٠٩ باب ١٥٦ ح ١٢، الخصال ص ٣٢٠ و ٥٥١ و ٥٧٥، الأمالي للصدوق ص ٧٤ المجلس السادس ح ٥، و ص ١١٢ و ١٨٧ و ٥٢٤ و ٥٦٠ و ٥٧٥ و ٦٥٢، كمال الدين وتمام النعمة ص ٦٠ و ٢٥٨ و ٢٦٣ و ٦٦٩، معاني الأخبار ص ١٢٤، كفاية الأثر ص ٣٨ و ١٠٠ و ١٠٢ و ١٢٤ و ١٤٤ روضة الواعظين ص ٩٨ و ١٥٧، الأمالي للمفيد ص ٢٣، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ٥٤٣ و ج ٢ ص ٢٢٢ ومصادر أخرى للخاصة كثيرة جداً.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ٣٨ و ٤٤ وموارد أخرى منه، صحيح البخاري ج ٣ ص ١٦٩ باب الصلح مع المشركين و ج ٤ ص ١٨٤ و ج ٨ ص ٩٩، المستدرک ج ٣ ص ١٧٥، السنن الكبرى للبيهقي

هذه أشعة من أنوار المصباح الذي حياته نور على نور.
وأما عقد الصلح فلا بد من النظر إلى ما وقع عليه العقد وسببه، وما ترتب
عليه، ونقتصر على إشارة إجمالية إلى الجهات الثلاث:

الجهة الأولى: مما وقع عليه العقد: أن الإمام عليه السلام لا يسمي معاوية بأمر
المؤمنين، ولا يقيم عنده شهادة، وعلى أن لا يتعقب على شيعة علي عليه السلام شيئاً، وعلى
أن يفرق في أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل وأولاد من قتل مع أبيه بصفين ألف
ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار أجرد^(١).

وبالجملة الأولى أبطل أمارته للمؤمنين، فإنه الذي لا أمارة له من الله ولا من
رسوله ولا من المؤمنين، حتى على القول بانعقاد الإمامة ببيعة أهل الحل والعقد
فإنه لا بد من الأهلية المستتبعة لشروط، منها العدالة بالضرورة، فلا يمكن عقلاً ولا
شرعاً إمامة الفاسق على المؤمنين، «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ»^(٢)
وأي فسق أعظم من سب من سب الله، والبغي على خليفة رسول الله، وإراقة
دماء من تولى ولي الله، والمخالفة لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبالجملة الثانية أثبت عدم لياقته للحكم في حق الله وحق الناس، مع أن الله
سبحانه قال: «وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»^(٣).

← ج ٨ ص ١٧٣، صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤١٩، سنن أبي داود ج ٢ ص ٤٠٥، سنن الترمذي ج ٥
ص ٣٢٣، عون المعبود ج ١١ ص ١٢٧ و ٢٥٠، سنن النسائي ج ٣ ص ١٠٧ ومصادر أخرى للعامة.
التاقب في المناقب ص ٣٠٦، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٠ فصل في سيادته عليه السلام، العمدة
٣٩٦ و ٤٣٧، الطرائف ص ١٩٩ ومصادر أخرى للخاصة.

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣، علل الشرائع ج ١ ص ٢١٠ باب ١٥٩ العلة التي من أجلها صالح الحسن بن
علي صلوات الله عليه، ح ٢.

(٢) سورة السجدة: ١٨.

(٣) سورة الطلاق: ٢.

وبالجملة الثالثة أتمّ الحجّة على كلّ مسلم، بأن شرط على معاوية أن لا يتعقّب على شيعة علي عليه السلام شيئاً، وقد ظهر منه نقض العهد على رؤس الأشهاد بسفك الدماء المعصومة من العبّاد والزهاد من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن جنى جناية ليست فوقها جناية حيث صار سبباً لقتل ریحانة الرسول وسيّد شباب أهل الجنّة، وقد روى أعيان أهل الحديث من العامّة بأنّ ابنة الأشعث بن قيس سمّت الحسن بن علي عليه السلام ورشيت على ذلك^(١)، وتظافرت أقوال أعيان التاريخ والحديث على أنّ الراشي كان معاوية، منهم الزمخشري، قال: جعل معاوية لمعدة بنت الأشعث امرأة الحسن مئة ألف درهم حتى سمّته^(٢).

ومع ذلك كلّه يمسكون عن إحقاق الحقّ وإبطال الباطل، والدفاع عن الظلم الذي جرى على رسول الله صلى الله عليه وآله في ابنه الذي رووا في الصحيح أنه أو أخيه ركب ظهره في حال السجود فلم يرفع رأسه، ولما سألوه وقالوا: يا رسول الله لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، أفشيء أمرت به أو كان يوحى إليك؟ قال: كلّ ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته^(٣).

(١) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٧٦، وتلخيص الذهبي ج ٣ ص ١٧٦، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ص ٢١٠.
 (٢) ربيع الأبرار للزمخشري ج ٤ ص ٢٠٨ وراجع أيضاً: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ١١ و ٢١ و ٢٩ و ٤٩، تهذيب الكمال ج ٦ ص ٢٥٢ و ٢٥٣، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ابن عساكر ص ٢٠٩، مقاتل الطالبين ص ٤٨، تاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ٢٨٤، ومصادر أخرى.
 (٣) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٦٦، مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٤٩٤ و ج ٦ ص ٤٦٧، سنن النسائي ج ٢ ص ٢٣٠، السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٢٦٣، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥١٤، الآحاد والمثاني ج ٢ ص ١٨٨، السنن الكبرى للنسائي ج ١ ص ٢٤٣، المعجم الكبير ج ٧ ص ٢٧١، كنز العمال ج ١٢ ص ١٢٤ و ج ١٣ ص ٦٦٨، تاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ٢١٦ و ج ١٤ ص ١٦٠ و...، أسد الغابة ج ٢ ص ٣٨٩، تهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٠٢، تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٩٩ ومصادر أخرى للعامّة.

وروا في الصحيح عندهم عن أبي هريرة قال: كُنَّا نَصَلِّي العشاء مع النبي ﷺ فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره وإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعا رفيقا، فإذا عاد عادا، فلما صلى جعل واحدا هاهنا وواحدا هاهنا، فقلت يا رسول الله ألا أذهب بهما إلى أمهما؟ قال: لا، فبرقت برقة فقال ألحقا بأمكما فما زالا يعيشان في ضوئها حتى دخلا^(١).

*

وأما الجهة الثانية: وهي سبب الصلح، والجهة الثالثة وهي ما ترتب عليه فتظهران مما يأتي: فإن السنة الإلهية في الإمامة المجعولة لأئمة الهدى هي الصبر على ما ابتلوا به، قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾^(٢)، ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(٣).

وإن إمامة أئمة هذه الأمة بمقتضى خلافتهم لمقام الرسالة الخاتمة أرفع درجات الإمامة، فلا محالة تقتضي الإشتراط بأعلى مراتب الصبر على البلاء والزهد في زخارف الدنيا (اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك، إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم الذي

← علل الشرائع ج ١ ص ١٧٤ باب ١٣٩ ح ١، شرح الأخبار ج ٣ ص ١١٧، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٤ ومصادر أخرى للخاصة.

(١) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٦٧ وفي التلخيص أيضاً، ذخائر العقبى ص ١٣١، المعجم الكبير ج ٣ ص ٥٢، البداية والنهاية ج ٦ ص ١٦٨، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ص ٨٨ و... ومصادر أخرى للعامة.

مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ٢٧٧، الناقب في المناقب ص ٩٩ ومصادر أخرى للخاصة.

(٢) سورة السجدة: ٢٤.

(٣) سورة البقرة: ١٢٤.

لازوال له ولا اضمحلال بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات [ذخارف] هذه
الدُّنيا الدنيَّة^(١).

ويظهر ذلك لمن تأمّل في حياة الأئمّة المعصومين عليهم السلام وابتلائهم بطواغيت
الزمان، والمصائب التي جرت عليهم وعلى أولادهم ومن اختصّ بهم.
وقد ابتلي السبط الأكبر بمصيبة تظهر عظمتها من مقايسة أصحابه بأصحاب
أخيه الحسين عليه السلام، لما قام الحسين خطيباً في أصحابه، وقال: فإنّي لا أرى الموت إلا
سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً، قال زهير بن القين: ولو كانت الدُّنيا لنا باقية
وكنا فيها مخلّدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها.
وقال هلال بن نافع البجلي: والله ما كرهننا لقاء ربّنا، وإنّا على نياتنا وبصائرنا،
نوالي من والاك ونُعادي من عاداك.

وقال برير بن خضير: والله يا ابن رسول الله لقد منّ الله بك علينا أن نقاتل بين
يديك فتقطع فيك أعضاؤنا ثمّ يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة^(٢).
وفي الصحيح عن عليّ بن الحسين عليهما السلام: كنت مع أبي في الليلة التي قتل في
صبيحتها، فقال لأصحابه: هذا الليل فاتّخذوه جُنّة، فإنّ القوم إنّما يريدوني،
ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم، وأنتم في حلّ وسعة، فقالوا: والله لا يكون هذا أبداً،
فقال: إنكم تُقتلون غداً كلّكم، ولا يفلت منكم رجل، قالوا: الحمد لله الذي شرفنا
بالقتل معك^(٣).

وأما الحسن عليه السلام فنخطب بعد وفاة أبيه، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أما والله
ما ثنّنا عن قتال أهل الشام ذلّة ولا قلة، ولكن كنّا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فشيّب

(١) المزار للمشهدي ص ٥٧٤.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف ص ٤٨، بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٨١.

(٣) الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٨٤٧.

السلامة بالعداوة والصبر بالجزع، وكنتم تتوجهون معنا ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم، وكنا لكم وكنتم لنا، وقد صرتم اليوم علينا. ثم أصبحتم تصدون [تعدون] قتيلين: قتيلاً بصقين تبكون عليهم، وقتيلاً بالنهروان تطلبون بثأرهم، فأما الباكي فخاذل، وأما الطالب فثائر. وإن معاوية قد دعا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الحياة قبلناه منه، وأغضضنا عن القذى، وإن أردتم الموت بذلناه في ذات الله وحاكمناه إلى الله. فنادى القوم بأجمعهم: بل البقية والحياة^(١).

ولما وجه إلى معاوية قائداً في أربعة آلاف، وكان من كندة، وأمره أن يعسكر بالأنبار، كتب إليه معاوية: إن أقبلت إليّ ولّيتك بعض كور الشام، أو الجزيرة، غير منفس عليك، وأرسل إليه بمخمسة ألاف درهم، فقبض الكندي المال وقلب على الحسن عليه السلام، وصار إلى معاوية في مائتي رجل من خاصته وأهل بيته. فبلغ ذلك الحسن عليه السلام فقام خطيباً وقال: هذا الكندي توجه إلى معاوية وغدر بي وبكم، وقد أخبرتكم مرة بعد أخرى أنه لا وفاء لكم، أنتم عبيد الدنيا، وأنا موجه رجلاً آخر مكانه، وأنا أعلم أنه سيفعل بي وبكم ما فعل صاحبه، لا يراقب الله في ولا فيكم.

فبعث إليه رجلاً من مراد في أربعة آلاف، وتقدم إليه بمشهد من الناس، وتوكد عليه، وأخبره أنه سيغدر كما غدر الكندي، فحلف له بالأيمان التي لا تقوم لها الجبال أنه لا يفعل. فقال الحسن عليه السلام: إنه سيغدر. فلما توجه إلى الأنبار، أرسل معاوية إليه رسلاً، وكتب إليه بمثل ما كتب إلى

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢١ و بتفاوت في الطرائف ص ١٩٨، تاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ٢٦٨، أسد الغابة ج ٢ ص ١٣، سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٦٩، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ص ١٧٩ ومصادر أخرى للخاصة والعامة.

صاحبه وبعث إليه بخمسمائة ألف درهم، ومناه أي ولاية أحب من كور الشام، أو الجزيرة، فقلب على الحسن عليه السلام وأخذ طريقه إلى معاوية، ولم يحفظ ما أخذ عليه من العهود، وبلغ الحسن عليه السلام ما فعل المرادي....^(١).

وكتب أكثر أهل الكوفة إلى معاوية، فإننا معك، وإن شئت أخذنا الحسن وبعثناه إليك، ثم أغاروا على فسطاطه وضربوه بحربة، فأخذ مجروحاً ثم كتب جواباً لمعاوية: إنما هذا الأمر لي، والخلافة لي ولأهل بيتي، وإنها لمحرمة عليك وعلى أهل بيتك، سمعته من رسول الله ﷺ، والله لو وجدت صابرين عارفين بحقي غير منكربين ما سلمت لك ولا أعطيتك ما تريد^(٢).

فكما أنه قال عليه السلام: فإن أردتم الموت بذلناه في ذات الله، وحاكمناه إلى الله، لو كان له أصحاب مثل ما كان لأخيه لكان له يوم كيوم الحسين عليه السلام، ولكن الذين كانوا حوله كانت قلوبهم مع معاوية، ولو قام لم يتيسر له مراده من بذل نفسه في ذات الله، بل تحقق ما أراه معاوية وهو أن يحو العفو والكرامة التي ظهرت من جدّه رحمة الله على العالمين، عليه وعلى أبيه من المشركين، حيث قال ﷺ: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء^(٣)، وأن يزيل عار الطليق ابن الطليق عن نفسه وعن أبيه بالسيطرة على الإمام فيمنّ على رسول الله وأوصيائه المعصومين عليه السلام بالعفو عنه عليه السلام، ويجعل عار الطليق على سيّد الأحرار فيصير صاحب النية فيئاً، وكان هذا

(١) الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٧٥.

(٢) الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٧٦.

(٣) فيض القدير ج ٥ ص ٢١٨، فتح القدير ج ٢ ص ٦٠، الثقات ج ٢ ص ٥٦، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٣٧.

البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٤٤، سبل السلام ج ٤ ص ٤٥ ومصادر أخرى للعمامة.

الكافي ج ٣ ص ٥١٣، تهذيب الأحكام ج ٤ ص ٣٨، بحار الانوار ج ٢١ ص ١٠٦ ومصادر أخرى للخاصة.

هواناً وذللاً على الرسول وأوصيائه وعلى عليّ وأولاده عليهم السلام إلى يوم القيامة.
ومعاوية هو الذي كتب عنه أمير المؤمنين عليه السلام إلى زياد بن أبيه: إن معاوية
كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله،
فاحذره، ثم احذره، والسلام^(١).

إلا أن الذي كان ينظر بنور الله، وينطق بحكمة الله، ويفعل بإرادة الله، بقعوده
عن القتال أبطل الباطل، وأحقّ الحقّ، وحفظ عزّة الرسول، ومقام الرسالة، وحرمة
الوصيّ، ومنصب الإمامة، ومنع من إراقة دماء الأمة، وصان كيان الإسلام، لكيلا
يترصد الكفار لاغتنام الفرصة من تشتت المسلمين.

عن سدير قال: قال أبو جعفر عليه السلام ومعنا ابني: يا سدير اذكر لنا أمرك الذي أنت
عليه، فإن كان فيه إغراق كففناك عنه، وإن كان مقصراً أرشدناك. قال: فذهبت أن
أتكلّم فقال أبو جعفر عليه السلام: أمسك حتى أكفيك، إن العلم الذي وضع رسول الله صلى الله عليه وآله
عند عليّ من عرفه كان مؤمناً ومن جحده كان كافراً، ثم كان من بعده الحسن عليه السلام، قلت:
كيف يكون بذلك [بتلك] المنزلة وقد كان منه ما كان دفعها إلى معاوية؟ فقال:
اسكت، فإنه أعلم بما صنع، لولا ما صنع لكان أمرٌ عظيم^(٢).

وما أضمره معاوية واضح لمن كان من أهل المعرفة بالتاريخ، ومع ذلك قد
بيّنه عليه السلام كما في رواية الجهني عنه عليه السلام: والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى
يدفعوني إليه سلماً، فوالله لئن أسالته وأنا عزيز، خيرٌ من أن يقتلني وأنا أسير، أو
يمنّ عليّ فتكون سبّة على بني هاشم إلى آخر الدهر، ومعاوية لا يزال يمنّ بها وعقبه

(١) بحار الأنوار ج ٣٣ ص ٥١٩، الغارات ج ٢ ص ٩٢٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦
ص ١٨٢ ومصادر أخرى.

(٢) علل الشرائع ج ١ ص ٢١٠، باب ١٥٩ العلة التي من أجلها صالح الحسن صلوات الله عليه ح ١.

على الحيّ منّا والميّت^(١).

هذا بعض ما ظهر من حكمة قعوده عن قتال معاوية، وما خفي أكثر.

وعن أبي سعيد قال: قلت للحسن بن علي بن أبي طالب: يا ابن رسول الله لمّ داهنت معاوية وصالحته، وقد علمت أنّ الحقّ لك دونه، وأنّ معاوية ضالّ باع؟ فقال: يا أبا سعيد ألسنت حجّة الله تعالى ذكره على خلقه، وإماماً عليهم بعد أبي؟ قلت: بلى. قال: ألسنتُ الذي قال رسول الله لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قلت: بلى، قال: فأنا إذن إمام لو قمت، وأنا إمام إذ لو قعدت، يا أبا سعيد علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله لبني ضمرة وبني أشجع، ولأهل مكّة حين انصرف من الحديبية، أولئك كفّارٌ بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفّارٌ بالتأويل، يا أبا سعيد إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفّه رأيي فيما أتيت من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيت ملتبساً، ألا ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار سخط موسى فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه، حتّى أخبره، فرضي، هكذا أنا، سخطتم عليّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه، ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قُتل^(٢).

وفي الرواية نكات لا بدّ من التأمل فيها:

الأولى: إرشاده عليه السلام إلى حكم العقل والكتاب والسنة، فإنّ الإمام من الله على خلقه - لعلمه وعصمته - إمام على العقول والأفكار، ولا يمكن أن يجعل الحكيم اللطيف الخبير من يحتاج إلى الإرشاد مرشداً، ولا من لم يكن معصوماً عن الخطأ والإعوجاج هادياً إلى الصراط المستقيم، وعاصماً للأمة على الدين القويم، فاتباع

(١) الإحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ١٠.

(٢) علل الشرائع ج ١ ص ٢١٠، باب ١٥٩ العلّة التي من أجلها صالح الحسن صلوات الله عليه ح ٢.

من جعله الله حجّة وإماماً ضرورة عقلية، لأنه يهدي بأمر الله، وقد حكم الكتاب بالردّ إليه، وقرن الردّ إليه بالردّ إلى الرسول ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (١).

فمن يكون بحكم الله مردوداً إليه كيف يجوز الردّ عليه، فإنّ الرادّ عليه رادّ على الرسول، والرادّ على الرسول ﷺ رادّ على الله تعالى، وقد نصّ الرسول على إمامته قام أو قعد، فإنّ الإمامة الإلهية لا تدور مدار القيام بالأمر.

الثانية: احتجّ على صلحه بصلح الرسول ﷺ، وأنه تأسّى بالرسول ﷺ وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٢).

الثالثة: أنه ﷺ صالح الكفّار بالتأويل، والرسول صالح الكفّار بالتنزيل، فإذا وجب الصلح من الرسول مع الكافر ظاهراً وباطناً عند اقتضاء المصلحة، فالصلح مع الكافر باطناً والمسلم ظاهراً تجب بالأولوية القطعية، وقد صحّ في روايات العامة ما أشار إليه ﷺ: فعن أبي سعيد قال: كنا مع رسول الله ﷺ فانقطعت نعله فتخلف عليّ يخصفها فشى قليلاً، ثمّ قال: إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فاستشرف له القوم وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا. قال عمر: أنا هو؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل يعني عليّاً فأتينا فبشّرناه، فلم يرفع به رأسه، كأنه قد سمعه من رسول الله ﷺ (٣).

(١) سورة النساء: ٨٣.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٢٣ وفي التلخیص أيضاً، وبتفاوت يسير في مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٣٣ و ٨٢، وسنن الترمذي ج ٥ ص ٢٩٨ رقم ٣٧٩٩، مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٨٦ و ج ٩ ص ١٣٣، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٩٧، السنن الكبرى للسنائي ج ٥ ص ١٢٨ و ص ١٥٤، صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٣٨٥ ومصادر أخرى للعامة.

الرابعة: أنه استدلل على سد باب الاعتراض على عمل الإمام بما جرى بين موسى والخضر، فإن الله سبحانه وتعالى عبر عما علمه الخضر بصيغة النكرة، وقال: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾^(١)، ومع ذلك قال لموسى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(٢)، فلما بين له الحكمة في عمله، قال ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^(٣).

وهو عليه السلام إمام من الله، قائم مقام الذي ينزل الله عليه الكتاب تبياناً لكل شيء، فهو عالم بما في هذا الكتاب، فإذا كان خرق السفينة في البحر ممن علمه الله علماً مقروناً بالحكمة، فكيف بالصلح الذي صدر ممن عنده علم الكتاب.

الخامسة: بين عليه السلام وجهاً من وجوه صلحه بقوله: «ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قُتل» وشيعته الذين حقن دماءهم بصلحه، هم الذين استفاضت روايات العامة على أنهم خير البرية، وقد قال الهيثمي^(٤) - مع أنه يسعى لهدم مباني الشيعة - من الآيات النازلة في شأن علي عليه السلام ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٥) وقال: أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس: إن هذه الآية لما نزلت قال عليه السلام لعلِّي هو أنت وشيعتك، تأتي يوم القيامة أنت وشيعتك [يوم القيامة] راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين. فقال: يا

← الكافي ج ٥ ص ١١ وبتفاوت يسير في الخصال ص ٢٧٦ باب الخمسة ح ١٨، تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٢٤ شرح الأخبار ج ١ ص ٣٢١، ومصادر أخرى للخاصة.

(١) سورة الكهف: ٦٥.

(٢) سورة الكهف: ٧٥.

(٣) سورة الكهف: ٨٢.

(٤) الصواعق المحرقة ص ١٦٦.

(٥) سورة البينة: ٧.

رسول الله ومن عدوي؟ قال: من تبرأ منك ولعنك^(١).

هؤلاء شيعة عليؑ، وقد كتب معاوية إلى جميع البلدان: انظروا من قبلكم من شيعة عليؑ واتهموه مجبه واقتلوه، وإن لم تقم عليه البيئنة، فاقتلوه على التهمة والظنّة والشبهة^(٢).

هذا مختصر مما صالح عليه الحسنؑ، وما كان سبب صلحه، وما ترتب على صلحه. ومن تأمل في صلح الحسنؑ وحرب الحسينؑ ظهر له معنى ما قاله الرسول ﷺ: إن الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا^(٣).

شهادتهؑ

استشهد عليؑ - بعدما جاهد في الله حق جهاده، ومضت أيام حياته في طاعة الله وعبادته - بالسّم الذي دس معاوية إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس . وعندما كان يجود بنفسه، قال له جنادة بن أبي أمية: يا مولاي ما لك لا تعالج نفسك؟ فقال: يا عبد الله بماذا أعالج الموت؟ قلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. ثمّ التفت إليّ وقال: والله إنه لعهد عهده إلينا رسول الله ﷺ، أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد عليؑ وفاطمةؑ، ما منّا إلا مسموم أو مقتول...

فقلت: عظمي يا ابن رسول الله. قال: نعم، استعد لسفرك، وحصل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت

(١) نظم درر السمطين ص ٩٢، جامع البيان ج ٣٠ ص ٣٣٥، ينابيع المودة ج ٢ ص ٣٥٧ و ٤٥٢، شواهد التنزيل ج ٢ ص ٤٦٠ وموارد أخرى من هذا الكتاب، وقريب منه في الدر المنثور ج ٦ ص ٣٧٩، فتح القدير ج ٥ ص ٤٧٧ ومصادر أخرى .

(٢) الإحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ١٨، وقريب منه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١١ ص ٤٤ ومصادر أخرى للخاصة والعامة.

(٣) راجع صفحة: ٣٣٧.

على يومك الذي أنت فيه، واعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك، واعلم أن في حلالها حساباً، وفي حرامها عقاباً، وفي الشبهات عتاب [عتاباً]، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة، خذ منها ما يكفيك، فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزرٌ، فأخذت كما أخذت من الميتة، وإن كان العتاب فإن العتاب يسير.

واعمل لديك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، وإذا أردت عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عز وجل، وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، وإن قلت صدق قولك، وإن صلت شد صولك، وإن مددت يدك بفضل مدّها، وإن بدت منك ثلثة سدّها وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتدأك، وإن نزلت بك أحد [أحدى] الملمات أسألك [ساءك] من لا يأتيك منه البوائق ولا يختلف عليك منه الطوائق [الطرائق]، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منفساً [منقسماً] آثرك.

قال: ثم انقطع نفسه، واصفرّ لونه حتى خشيت عليه^(١).

هكذا انقطع نفسه في الدعوة إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأذهب عن كل من عمل بهذه الكلمات حسرة الفوت وسكرة الموت، وأحيا بمماته كل نفس بحياة طيبة.

وقال لأخيه: ولقد عرفت من دهاني، ومن أين أتيت، فما أنت صانع به يا أخي؟ فقال الحسين عليه السلام: اقتله والله. قال: فلا أخبرك به أبداً حتى نلقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن اكتب: هذا ما أوصى به الحسن بن علي إلى أخيه الحسين بن علي، أوصى أنه

(١) كفاية الأثر ص ٢٢٧.

يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنه يعبده حقَّ عبادته، لا شريك له في الملك، ولا وليَّ له من الدلِّ، وأنه خلق كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديراً، وأنه أولىَّ مَنْ عُبِدَ، وأحقُّ مَنْ حُمِدَ، مَنْ أطاعه رشد، ومن عصاه غوى، ومن تاب إليه اهتدى، فأني أوصيك يا حسين بمن خلفت من أهلي وولدي وأهل بيتك، أن تصفح عن مسيئتهم، وتقبل من محسنهم، وتكون لهم خلفاً ووالداً، وأن تدفني مع جدِّي رسول الله ﷺ فأني أحمق به وببيته ممَّن أدخل بيته بغير إذنه، ولا كتاب جاءهم من بعده، قال الله (تعالى) فيما أنزله على نبيِّه ﷺ في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾^(١)، فوالله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه، ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته، ونحن مأذونٌ لنا في التصرف فيما ورثناه من بعده، فإن أبت عليك الإمراة فأنشدك بالقرابة التي قرب الله منك، والرحم الماسة من رسول الله ﷺ أن لاتهريق في محجمة من دم حتى نلقى رسول الله ﷺ فنختصم إليه، ونخبره بما كان من الناس إلينا بعده، ثم قبض ﷺ^(٢).

ومن رزقه الله دراية الروايات، وتدبر في قراءة أوراق حياة هذا القرآن الناطق، من اصفرار لونه بالنظر إلى أبواب المساجد، باتصال روحه إلى نور عظمة الله، وتحمله أثقال المصائب التي رآها من أصحابه وأعدائه لحفظ أمانة الله، وتأمل في معاملته لخلق الله، من عدم مؤاخذه قاتله في بيته بشيء، لأنَّها كانت قبل الجنائية، وكتمانه عليه بعدها، وإيكال الأمر إلى الله، يعلم أن مثله يقدر أن يقول: أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنه يعبده حقَّ عبادته.

**

(١) سورة الأحزاب: ٥٣.

(٢) الأمالي للطوسي ص ١٥٩، المجلس السادس ح ١٩.

الإمام الثالث

الحسين بن عليّ عليهما السلام

ولد عام الخندق بالمدينة، والأشهر أنه ولد لثلاث خلون من شعبان، وشهادته يوم العاشر من محرّم سنة إحدى وستين، وعمره ست وخمسون سنة وشهوراً.

كنيته وألقابه عليهما السلام

كنيته أبو عبدالله، وألقابه كثيرة، منها: الشهيد السعيد، والسبط الثاني، والرشيد، والطيب، والوفي، والسيد، والزكي، والمبارك، والتابع لمرضاة الله، والدليل على ذات الله عزّ وجلّ.

فضائله عليهما السلام

وهي أكثر من أن يسعها هذا المختصر، ونذكر بعضها من روايات العامة والخاصة:

كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،^(١) وكان يقعد في المكان المظلم فيمتهدي إليه

(١) ذخائر العقبى ص ١٢٨، مسند احمد ج ٣ ص ٢٦١، صحيح البخاري ج ٤ ص ٢١٦ باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ومصادر أخرى.

ببياض جبينه ونحره^(١).

قال رسول الله ﷺ: «حسينٌ منِّي وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبِّ حسيناً، حسيناً، حسين سبط من الأسباط»^(٢).

وخرج النبي ﷺ من بيت عائشة، فرز على بيت فاطمة عليها السلام، فسمع حسيناً يبكي، فقال: «ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «وأما الحسين فإنَّ له جُودي وشجاعتِي»^(٤).

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٧٥، شرح الأخبار ج ٣ ص ١١٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ١٧٢، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥١، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٢٤، المستدرک علی الصحيحین ج ٣ ص ١٧٧، وفي التلخیص أيضاً، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٨١، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥١٥، الأدب المفرد ص ٨٥، صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤٢٨، المعجم الكبير ج ٣ ص ٣٢ و ٣٣ و ٢٢ ص ٢٧٤، مسند الشاميين ج ٣ ص ١٨٤، نظم درر السمطين ص ٢٠٨، الجامع الصغير ج ١ ص ٥٧٥، كنز العمال ج ١٢ ص ١١٥ و...، التاريخ الكبير ج ٨ ص ٤١٥، تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ١٤٩ و ١٥٠ و ٦٤ ص ٣٥، أسد الغابة ج ٢ ص ١٩، تهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٠٢ و ١٠ ص ٤٢٧، ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٣٥، تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٩٩ ومصادر أخرى للعامة. شرح الأخبار ج ٣ ص ٨٨ و ١١٢، الإرشاد ج ٢ ص ١٢٧، العمدة ص ٤٠٦، كامل الزيارات ص ١١٦ ومصادر أخرى للخاصة.

(٣) ذخائر العقبى ص ١٤٣، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠١، المعجم الكبير ج ٣ ص ١١٦، تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ١٧١، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ص ١٩٠، سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٧٣، ومصادر أخرى للعامة.

مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٧١، كشف الغمة ج ٢ ص ٦٠ ومصادر أخرى للخاصة.

(٤) الإرشاد ج ٢ ص ٧، وقريب منه في الخصال ص ٧٧، ودلائل الإمامة ص ٦٩، وشرح الأخبار ج ٣ ص ١٠٠، والخرائج والجرائح ج ١ ص ٨٨٩، وكشف الغمة ج ١ ص ٥١٦ ومصادر أخرى للخاصة. وفي مصادر العامة: «و أما الحسين فله جرأتي وجودي» وقريب منه في الآحاد والمثاني ج ١ ص ٢٩٩ و ٥ ص ٣٧٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ١٠، نظم درر السمطين

وكان النبي ﷺ إذا رأى الحسين مقبلاً قبله ورشف ثناياه، وقال: «فديت من فديته بابني إبراهيم»^(١).

وكفى في مقامه أن رسول الله ﷺ الذي اختاره الله من الأولين والآخرين فداه بنفسه، وأن الله تعالى خيرّه بينه وبين ابنه إبراهيم، فاختره عليه وفداه بابنه إبراهيم! فكان ذلك جزاءً للحسين الذي قدّم كل ما أعطاه الله لإبقاء ثمرة حياة الرسول ﷺ وما أرسل به وما أنزل عليه.

مكارمه عليه السلام

من مكارمه أنه عليه السلام حجّ خمساً وعشرين حجّة، ونجائبه تقاد معه، وهو ماش على قدميه^(٢).

وقد جنى غلام له جنابة توجب العقوبة، فأمر به أن يضرب، فقال: يا مولاي والكاظمين الغيظ، فقال: خلّوا عنه، فقال: يا مولاي والعافين عن الناس، فقال: قد عفوت عنك، فقال: يا مولاي والله يحبّ المحسنين، قال: وأنت حرّ لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك^(٣).

← ص ٢١٢ وكنز العمال ج ١٣ ص ٦٧٠، تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ١٢٨ و ١٢٩، أسد الغابة ج ٥ ص ٤٦٧، ومصادر أخرى للعمامة.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٨١، الطرائف ٢٠٢، كشف اليقين ص ٣٢٢ ومصادر أخرى للخاصة.

(٢) نظم درر السمطين ص ٢٠٨، تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ١٨٠، سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٨٧

البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٢٦، تهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٠٦، ومصادر أخرى للعمامة.

كشف الغمّة ج ٢ ص ٢٣ ومصادر أخرى للخاصة.

(٣) كشف الغمّة ج ٢ ص ٣١.

مرّ بمساكين قد بسطوا كساءً لهم وألقوا عليه كسراً، فقالوا: هلمّ يا ابن رسول الله، فتنى وركه فأكل معهم، ثمّ تلى إن الله لا يحبّ المستكبرين، ثمّ قال: أجبتكم فأجيبوني قالوا: نعم يا ابن رسول الله [و تعمى عين]، فقاموا معه حتّى أتوا منزله، فقال للرباب [للجارية]: اخرجي ما كنت تدّخرين^(١).

دخل على أسامة بن زيد وهو مريض، وهو يقول: واغصاه، فقال له الحسين عليه السلام: وما غمك يا أخي؟ قال: ديّني، هو ستون ألف درهم. فقال الحسين عليه السلام: هو عليّ. قال: إنني أخشى أن أموت، فقال الحسين عليه السلام: لن تموت حتّى أقضيها عنك، قال: فقضاه قبل موته^(٢).

رأى غلاماً يواكل كلباً، ولما سأله، قال: يا ابن رسول الله إنني مغموم، أطلب سروراً بسروره، لأنّ صاحبي يهودي أريد أفارقه، فأتى الحسين عليه السلام إلى صاحبه بمأتي دينار ثمناً له، وقال اليهودي: الغلام فداء لحطاك، وهذا البستان له ورددت عليك المال، فقال عليه السلام: قد وهبت لك المال، قال: قبلت المال ووهبته للغلام. فقال الحسين عليه السلام: أعتقت الغلام، ووهبته له جميعاً. فقالت امرأته: قد أسلمت ووهبت زوجي مهري. فقال اليهودي: وأنا أيضاً أسلمت وأعطيتها الدار^(٣).

وعن أنس قال: كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جارية، فحيّته بطاقة ريجان فقال لها: أنت حرّة لوجه الله. فقلت: تحييك بطاقة ريجان لا خطر لها، فتعتقها؟ فقال: كذا أدبنا الله. قال: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ

(١) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٥٧، تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ١٨١، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ص ٢١٨،

التواضع والخمول ص ١٤٢، تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ١٨١ ومصادر أخرى للخاصّة والعامة.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٦٥، العوالم للإمام الحسين عليه السلام ص ٦٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٧٥، مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٣٩٨.

رُدُّوَهَا^(١)، وقال: أحسن منها عتقها^(٢).

و من يرى أنّ الأحسن من التحية بطاقة ريحان عتق الجارية من قيد الرقية، لا يرى أحسن من قطرة دمع في مصيبتته إلا العتق من النار.

حكمه ومواعظه عليه السلام

منها: روي أنّ الحسين بن علي عليه السلام جاءه رجل وقال: أنا رجل عاصٍ ولا أصبر عن المعصية فعظني بموعظة، فقال عليه السلام: إفعل خمسة أشياء وأذنب ما شئت: فأول ذلك لا تأكل رزق الله وأذنب ما شئت، والثاني اخرج من ولاية الله وأذنب ما شئت، والثالث اطلب موضعاً لا يراك الله وأذنب ما شئت، والرابع إذا جاءك ملك الموت لقبض روحك فادفعه عن نفسك وأذنب ما شئت، والخامس إذا أدخلك مالك في النار فلا تدخل في النار وأذنب ما شئت^(٣).

ومنها: عن الصادق عليه السلام، حدّثني أبي عن أبي عبد الله عليه السلام: أنّ رجلاً من أهل الكوفة كتب إلى الحسين بن علي عليه السلام: يا سيّدي أخبرني بخير الدُّنيا والآخرة. فكتب عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد، فإنّه من طلب رضا الله بسخط الناس، كفاه الله أمور الناس، ومن طلب رضا الناس بسخط الله وكّله الله إلى الناس، والسلام^(٤).

ومنها: عن الصادق عن أبيه عن جدّه عليه السلام، قال: قيل للحسين بن علي: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال: أصبحت ولي ربّ فوقي، والنار أمامي،

(١) سورة النساء: ٨٦.

(٢) كشف الغمّة ج ٢ ص ٣١، العوالم للإمام الحسين عليه السلام ص ٦٤.

(٣) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٢٦ عن جامع الأخبار فصل ٨٩.

(٤) الأمالي للصدوق، المجلس السادس والثلاثون ح ١٤، ص ٢٦٨، الاختصاص ص ٢٢٥.

والموت يطلبني ، والحساب محقق بي، وأنا مرتهن بعلمي ، لا أجد ما أحبّ، ولا أدفع ما أكره، والأمور بيد غيري ، فإن شاء عذّبتني ، وإن شاء عفا عنيّ ، فأنيّ فقير أفقر منّي^(١) .

ومنها: ما قاله عليه السلام يوماً لابن عباس : لا تتكلّمن فيما لا يعنك ، فإنني أخاف عليك فيه الوزر ، ولا تتكلّمن فيما يعنك حتّى ترى للكلام موضعاً ، فربّ متكلّم قد تكلمّ بالحقّ فعيب ، ولا تمارينّ حليماً ولا سفيهاً ، فإنّ الحليم يقلبك والسفيه يؤذيك [يردي بك] ، ولا تقولنّ في أخيك المؤمن إذا توارى عنك إلا مثل [مثال] ما تحبّ أن يقول فيك إذا تواريت عنه ، واعمل عمل رجل يعلم أنه مأخوذ بالإجرام مجزي بالإحسان ، والسلام^(٢) .

ومنها: ما روي عنه عندما عزم على الخروج إلى العراق : ... أيّها الناس من جاد ساد ، ومن بخل رذل ، وإنّ أجود الناس من أعطى من لا يرجو ، وإنّ أعمى الناس من عفى عن قدرة ، وإنّ أوصل الناس من وصل من قطعه ، والأصول على مغارسها بفروعها تسمو ، فمن تعجّل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه غداً ، ومن أراد الله تبارك وتعالى بالصنيعة إلى أخيه كافأه بها في وقت حاجته ، وصرف عنه من بلاء الدُّنيا ما هو أكثر منه ، ومن نفّس كربة مؤمن فرّج الله عنه كرب الدُّنيا والآخرة ، ومن أحسن أحسن الله إليه ، والله يحبّ المحسنين...^(٣) .

ومنها: ما قاله لابنه علي بن الحسين عليه السلام : يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله^(٤) .

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٢٨٩ ، الأمالي للصدوق ص ٧٠٧ المجلس التاسع والثمانون ح ٣ .

(٢) كنز الفوائد ص ١٩٤ .

(٣) كشف الغمّة ج ٢ ص ٣٠ .

(٤) الكافي ج ٢ ص ٣٣١ .

ومنها: أنه جاءه رجل من الأنصار يريد أن يسأله حاجة، فقال عليه السلام: يا أخا الأنصار صن وجهك عن بذلة المسألة، وارفع حاجتك في رقعة، فإني آت فيها ما سأرك إن شاء الله، فكتب: يا أبا عبد الله إن لفلان عليّ خمسمائة دينار، وقد ألحّ بي فكلمه ينظرني إلى ميسرة، فلما قرأ الحسين عليه السلام الرقعة دخل إلى منزله فأخرج صرة فيها ألف دينار، وقال عليه السلام له: أمّا خمسمائة فاقض بها دينك، وأمّا خمسمائة فاستعن بها على دهرك، ولا ترفع حاجتك إلا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مروّة، أو حسب، وأمّا ذو الدين فيصون دينه، وأمّا ذو المروّة فإنه يستحي لمروّته، وأمّا ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك أن يردّك بغير قضاء حاجتك^(١).

هذا قليل من كثير يجد من أمعن النظر فيه جميع ما يضمن سعادة الإنسان في معاملته مع الخالق والخلق، وما يصرف الإنسان عن كلّ شرّ وسيئة، ويوصله إلى كلّ خير وإحسان.

وقد بين عليه السلام بعمله في قضاء حاجة رجل من الأنصار مبلغ كرامة الإنسان، وجمع في وصيته لابن عباس جميع مدارج الكمال، ويتجلّى في كلامه وعمله عليه السلام «كلامكم نور، وأمركم رشد، ووصيتكم التقوى، وفعلكم الخير، وعادتكم الإحسان»^(٢).

كراماته عليه السلام

من كراماته ما نقل عن يحيى بن أمّ الطويل قال: كنّا عند الحسين عليه السلام إذ دخل

(١) تحف العقول: قصار هذه المعاني منه عليه السلام ص ٢٤٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٣٧٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢٧٧ باب ٦٨ ح ١.

عليه شابٌ يبكي، فقال له الحسين: ما يُبكيك؟ قال: إنَّ والدتي توفيت في هذه الساعة ولم توص، ولها مال وكانت قد أمرتني أن لا أحدث في أمرها شيئاً حتى أعلمك خبرها، فقال الحسين عليه السلام: قوموا بنا حتى نصير إلى هذه الحرّة، فقمنا معه حتى انتهينا إلى باب البيت الذي فيه المرأة [وهي] مسجّاة فأشرف على البيت، ودعا الله ليحييها حتى توفي بما تحبّ من وصيتها فأحياها الله، وإذا المرأة جلست وهي تتشهد، ثم نظرت إلى الحسين عليه السلام فقالت: ادخل البيت يا مولاي ومرني بأمرك، فدخل وجلس على مخدّة ثم قال لها: وصي، يرحمك الله.

فقالت: يا ابن رسول الله [إنَّ] لي من المال كذا وكذا، في مكان كذا وكذا، وقد جعلت ثلثه إليك لتضعه حيث شئت من أوليائك، والثلثان لابني هذا إن علمت أنه من مواليك وأوليائك، وإن كان مخالفاً فخذهُ إليك، فلا حقّ للمخالفين في أموال المؤمنين.

ثمّ سألته أن يصليّ عليها وأن يتولّى أمرها، ثمّ صارت المرأة ميّتة كما كانت ^(١). ولا عجب من إحياء الموتي بدعائه عليه السلام، وقد اختاره الله ليستجيب دعوته في المباهلة، وقد أحيا به الإسلام والإيمان ومعالم الدين، وما أنزل على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

فلولا شهادته لانهدم ببيان الوحي والتنزيل بحكومة آل أبي سفيان، التي بنيت على الفكرة التي أبداهها يزيد بن معاوية بقوله:

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌّ نزل ^(٢)

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٢٤٥.

(٢) تاريخ الطبري ج ٨ ص ١٨٧ وغيره من مصادر العامّة، روضة الواعظين ص ١٩١ وغيرها من مصادر الخاصّة.

وبعد ما قبض رسول الله ﷺ جرى ما جرى من تصدّي أمر الدين والدنيا من اعترف على نفسه بقوله: «أقبلوني ولست بخيركم»^(١). ولا ريب في أنه إن كان المقام حقه فلا يجوز الإستقالة، وإن لم يكن حقه فلا موضوع للإستقالة، ومع اعترافه بأنه ليس خيراً منهم فولايته ترجيح بلا مرجح، وهو باطل عقلاً وشرعاً. فليتأمل فيما قاله من تقمّص الخلافة بعده: «بيعة أبي بكر فلتة وقي الله الأمة شرّها»^(٢)، فالبيعة التي كانت فلتة وكانت شرّاً، كيف يمكن الإيمان بها، و ترتيب

(١) سر العالمين ص ٢٢، تذكرة الخواص ص ٦٥، وجاء بلفظ «وليت» أو «وليتكم» في كثير من مصادر العامة والخاصة منها: المصنف لعبدالرزاق ج ١١ ص ٣٣٦، المعيار والموازنة ص ٣٩، شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٦٨ وج ١٧ ص ١٥٧، الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٢٧٢، كنز العمال ج ٥ ص ٥٩٩ و ٦٠١ و ٦٠٧، الثقات ابن حبان ج ٢ ص ١٥٧، تاريخ مدينة دمشق ج ٣٠ ص ٣٠١ و ٣٠٢، تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٢٧، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٥٠، البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٦٩ ومصادر أخرى للعامة.

عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٨٧ باب ٤٥ ح ٢، الإيضاح ص ١٢٩، المسترشد ص ١٣٦ و ٢٤١، الإحتجاج ج ٢ ص ١٥٢ وج ١ ص ١٠٤، الطرائف ص ٤٠٢ و ٤٩٧، الرسائل العشر للطوسي ص ١٢٣، دعائم الإسلام ج ١ ص ٨٥، ومصادر أخرى للخاصة.

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٦ كتاب المحاربين من أهل الكفر والرذّة، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، الفايق في غريب الحديث ج ٣ ص ٥٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٦ و ٢٩ وموارد أخرى من هذا الكتاب، البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٦٦، تاريخ الخلفاء ص ٦٧، غريب الحديث ج ٣ ص ٣٥٥، النهاية في غريب الحديث ج ٣ ص ٤٦٧، المعيار والموازنة ص ٣٨ و ٢٣١، الثقات ابن حبان ج ٢ ص ١٥٣ و ١٥٦، تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٥٨، سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٢٧، مسند أحمد ج ١ ص ٥٥، المصنف لعبدالرزاق ج ٥ ص ٤٤١ و ٤٤٥، السنن الكبرى للنسائي ج ٤ ص ٢٧٢ و ٢٧٣، صحيح ابن حبان ج ٢ ص ١٤٨ و ١٥٥ و ١٥٧ و...، تاريخ مدينة دمشق ج ٣٠ ص ٢٨٣، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٤٦، السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٨٧ ومصادر أخرى للعامة. الإحتجاج ج ٢ ص ١٥٣ و ٢٣٥، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٥، الإيضاح ص ١٣٤ و ٥١٦، المسترشد ص ٢١٣ و ٢٤٤، شرح الأخبار ج ٢ ص ٢٣٤ ومصادر أخرى للخاصة.

الأثر عليها؟ وهل يجوز لمن يعتقد بالكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم أن يدخل في الفلته ويستبدل الخير بالشر؟!

وتأويل هذا الكلام وصرفه عن ظاهره مخالف لحجية الظهور التي تدور مدارها الإفادة والإستفادة والإحتجاج والإعذار، ولولا حجية الظواهر لاعتذر كل ملحد عن ظاهر كلامه بما يتخلص به عن المؤاخذة.

والبيعة الثانية كانت مبنية على الأولى، وهل يكون المبنى على الفلته والشرّ حقاً وخيراً!

والثالثة بنيت على الثانية مع أنّها جعلت في الشورى المركبة من الستة المخالفة لإجماع الأمة من أنّ الخلافة إمّا بالنصّ وإمّا بانتخاب الأمة.

وقد أمر - مع الإختلاف - بتقديم ما مال إليه عبد الرحمن بن عوف^(١)، وبذلك أنهى أمر الإسلام والمسلمين إلى حكومة شخص لم يقم دليل على حجّية قوله بانفراده في الدعوى على درهم عند الحاكم، فكيف على الخلافة التي تدور عليها رحي أحكام الإسلام وأمور المسلمين!؟

وقد كانت نتيجة الشورى التي أعطى فيها حق النقض لعبد الرحمن بن عوف انتقال خلافة سيّد المرسلين إلى الأمويين، ثم آل الأمر إلى ابن أبي سفيان، وأخذ البيعة لشارب الخمر وصاحب الكلب وناكح المحرمات، فاستخلف الكفر والطغيان والبغي والعدوان عن الإسلام والقرآن والعدل والإحسان، ولم يبق من يخاف من سطوته إلاّ الحسين عليه السلام.

(١) شرح نهج البلاغة ج ٩ ص ٥٠، تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ٢١٠ ومصادر أخرى.

كتب معاوية إلى الحسين عليه السلام: أما بعد فقد انتهت إليّ أمور عنك، إن كان حقاً فقد أظنك تركتها رغبةً فدعها، ولعمر الله إن من أعطى الله عهده وميثاقه لمجدير بالوفاء، وإن كان الذي بلغني باطلاً فإنك أنت أعدل الناس لذلك، وعظ نفسك، فاذكره ولعهد الله [وبعهد الله] أوف، فإنك متى تنكرني أنكرك، ومتى تكديني أكدك، فاتق شقك [شق] عصا هذه الأمة، وأن يردهم الله على يدك في فتنة، فقد عرفت الناس وبلوتهم فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد ﷺ ولا يستخفّنك السفهاء والذين لا يعلمون.

فلما وصل الكتاب إلى الحسين عليه السلام كتب إليه: أما بعد، فقد بلغني كتابك، تذكر أنه قد بلغك عني أمور، أنت لي عنها راغب، وأنا لغيرها [بغيرها] عندك جدير، فإن الحسنات لا يهدي لها ولا يرد [يسدد] إليها إلا الله، وأما ما ذكرت أنه انتهى إليك عني، فإنه إن ما رقاها إليك الملاقون المشاؤون بالنميم، وما أريد لك حرباً، ولا عليك خلافاً، وأيم الله، إنني لخائف لله في ترك ذلك، وما أظن الله راضياً بترك ذلك وعاذراً بدون الإعذار فيه إليك، وفي أوليائك القاسطين الملحدين، حزب الظلمة وأولياء الشياطين.

ألست القاتل حجرين عدي أحا كندة، والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم، ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم، ثم قتلتم ظلماً وعدواناً من بعدما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة، والمواثيق المؤكدة، [و] لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا بإحنة تجدها في نفسك.

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه، وصفرت لونه بعدما آمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه، ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جرأةً على ربك، واستخفافاً بذلك العهد.

أولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنة رسول الله تعمداً، وتبعت هواك بغير هدى من الله، ثم سلطته على العراقيين، يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم ويسمل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك.

أولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم كانوا على دين عليّ عليه السلام، فكتبت [فكتب] إليه أن أقتل كل من كان على دين عليّ، فقتلهم ومثل بهم بأمرك [ومثلهم]، ودين عليّ سرّ الله [والله] الذي كان يضرب عليه أباك، ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي جلست، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين. وقلت فيما قلت: أنظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد ﷺ واتق شق عصا هذه الأمة، وأن تردهم إلى فتنة، وإنّي لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني، ولأمة محمد ﷺ وعلينا أفضل من أن أجاهدك، فإن فعلت فإنه قرابة إلى الله، وإن تركته فإنّي أستغفر الله لذنبي [لديني]، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري.

وقلت فيما قلت: إنّي إن أنكرتك تنكرني وإن أكدك تكديني، فكديني ما بدا لك، فإنّي أرجو أن لا يضرنني كيدك فيّ، وأن لا يكون على أحد أضرّ منه على نفسك [لأنك] على أنك قد ركبت بجهلك [جهلك] وتحرضت [وتحرضت] على نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقنا، فقتلتهم مخافة أمر، لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدركوا، فأبشر يا معاوية بالقصاص

واستيقن بالحساب، واعلم أن الله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وليس الله بناس لأخذك بالظنّة، وقتلك أولياءه على التّهم، ونقل [ونفيك] أوليائه من دورهم إلى دار الغربية، وأخذك للناس ببيعة ابنك غلام حدث يشرب الخمر ويلعب بالكلاب، لا أعلمك إلا وقد خسرت نفسك وتبرت دينك، وغششت رعيتك [وأخزيت] أخربت أمانتك، وسمعت مقالة السفية الجاهل، وأخفت الورع التقوي لأجلهم، والسلام^(١).

ولما قرأ معاوية الكتاب أشار من حوله إليه بأن يجيبه بما يصغر إليه نفسه، قال: وما عسيت أن أعيب حسيناً، والله ما أرى للعب فيه موضعاً. ومن تأمل هذا الجواب يعلم ما معنى قوله ﷺ: «وأنا من حسين». وكتب عليه السلام في وصيته إلى أخيه: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه [محمّد] المعروف بابن الحنفية، إنّ الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عند الحقّ، وأنّ الجنّة والنار حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي ﷺ أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قلني بقبول الحقّ، فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ، وهو خير الحاكمين^(٢). وفي وصيته هذه عليه السلام دقائق ولطائف، نشير إلى بعضها:

(١) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج ١ ص ٢٥٢ رقم ٩٨ و ٩٩ في ترجمة عمرو بن الحمق،

الإحتجاج ج ٢ ص ٢١ بتفاوت.

(٢) العوالم، للإمام الحسين عليه السلام، ص ١٧٩، وبتفاوت في مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٨٩.

منها: أنّ مبدأ الوجود هو الحقّ ومعاد الوجود إلى الحقّ، والوسط بين المبدأ والمنتهى وهو صراط الله المستقيم الذي جاء به عبده ورسوله هو الحقّ، فلا مناص للإنسان إلاّ من قبول الحقّ، فإن قبل فالله أولى بالحقّ، وإن ردّ فيقضي الله عليه بالحقّ.

فقد أفاد بهذا البيان أنّ مسيره عليه السلام من الحقّ للحقّ إلى الحقّ، وأنّ ما يصدر ممّن غلب هواه على عقله، إمّا من الشهوة التي حاصلها الأثر والبطر، وإمّا من الغضب الذي غايته الإفساد والظلم، والأُمَّة التي وصفها الله سبحانه بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١)، تتبدّل بهاتين الآفتين إلى شرّ الأمم، فلا بدّ من الخروج لطلب الإصلاح، ولا إصلاح إلاّ بقول وعمل، والقول هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بنطاقهما الواسع لكلّ ما عرفه وأنكره العقل والوحي، والعمل هو سيرة أشرف الأنبياء وسيّد الأوصياء صلوات الله عليهما.

*

وقال عليه السلام لأصحابه: «قد نزل ما ترون من الأمر، وأنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكرت وأدبر معروفها، واستمرأت [واستمرت] حتّى لم يبق منها إلاّ كصبابة الإناء وإلاّ خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحقّ لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه فليرغب المؤمنون في لقاء الله عزّوجلّ، فاني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين الباغين إلاّ برما»^(٢).

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

(٢) شرح الأخبار ج ٣ ص ١٥٠، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٦٨ ومصادر أخرى للخاصّة. وبتفاوت في المعجم الكبير ج ٣ ص ١١٥، تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ٢١٧ وغيرها من مصادر العامّة.

ونحن قاصرون عن إدراك تلك الشخصية التي تجلّت معرفته بالله في أدعيته وعبادته لله، باستمهاله العدو ليلة عاشوراء لإحيائها بقراءة القرآن وإقامة الصلاة. تلك الليلة التي أحاطته البلية من كلّ جانب، ورأى بعينه الناظرة بنور الله ما يجري عليه وعلى أهل بيته وأصحابه، ومع ذلك كان يتكلّم مع ربّه بصلاته أو يتكلّم ربّه معه بكتابه، وله ولأصحابه المستضيئين بنوره دويّ كدويّ النحل.

ومن كلامه المرويّ في تلك الليلة: «أثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء، اللهمّ إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، ربّنا فاجعلنا من الشاكرين»^(١).

لقد بلغ عليه السلام من الصبر الذي جعله الله سبحانه وتعالى ملاكاً لمقام الإمامة، وقال: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا»^(٢) مرتبةً تعجّبت منها ملائكة السماوات.^(٣)

وبلغ من الشكر مرتبةً بحيث لم ير ما نزل عليه مصيبة، بل يرى كلّ ما ورد عليه من المصائب نعمة، فهو يثني على الله في أشدّ البلاء أحسن الثناء، ويرى الضراء رحمة من الله كالسراء فيحمده عليهما، ولا ينظر إلى ما ابتلاه الله به، بل نظره مقصور على ما أكرمه الله به، وآخر دعواه ربّنا فاجعلنا من الشاكرين.

وإنّ البيان ليقلّ واللسان ليكلّ عن بيان شهادته التي عظمت رزيتها في الآفاق والأنفس.

ومقتضى العدل والحكمة أن تكون الدرجات على وزان الأعمال ﴿وَلِكُلِّ

(١) روضة الواعظين ص ١٨٣، الإرشاد ج ٢ ص ٩١، تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣١٧ بتفاوت يسير.

(٢) سورة السجدة: ٢٤.

(٣) المزار ص ٥٠٣.

دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا^(١)، «وَلِيُوقِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»^(٢).

واختلاف الأعمال يدور مدار اختلاف مراتب العلم والإيمان «يَرَفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»^(٣).

ولابد في معرفة كل عمل اختياري من النظر إلى ما ينشأ منه، وإلى ما يترتب عليه، وإلى نفس العمل وخصائصه التي يكون العمل متصفاً بها، ولذلك تختلف الأعمال باختلاف أنفسها وعللها ومعلولاتها.

أما منشأ هذه الشهادة فهو العرفان والإيمان الذي ظهرت منها أشعة في دعائه يوم عرفة في عرفات^(٤)، فإنه ﷺ بعدما خاطب ربه سبعة وعشرين مرة بكلمة الخطاب التي تدل على أنه كان في مقام الحضور عند مليك مقتدر ليس بينه وبين عبده حجاب، وبدأ بقوله ﷺ: «يا مولاي أنت الذي مننت» وختم بقوله ﷺ: «أنت الذي أكرمت تباركت ربنا إربي [وتعاليت]» وبعدهما بين ما هو حق الرب بنعمه ومنه، وما يستحقه العبد بقصوره وتقصيره، خاطب الله سبحانه بالتهليل اليونسي، الذي هو منتهى سير الكمل من الأولياء الذين وصلوا إلى معرفة الله، ومعرفة النفس، فقال: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» وعقب هذا التهليل بقوله ﷺ: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من المستغفرين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الموحدين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الخائفين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الوجلين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الراجين، لا إله إلا أنت

(١) سورة الأنعام: ١٣٢.

(٢) سورة الأحقاف: ١٩.

(٣) سورة المجادلة: ١١.

(٤) المصباح للكفعمي ص ٣٦٢.

سبحانك إنّي كنت من الراغبين، لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من المهملين، لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من السائلين، لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من المسبّحين، لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من المكبّرين، لا إله إلا أنت سبحانك ربّي وربّ آبائي الأوّلين».

وافتح هذه التهليلات بـ«لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين» بيان لما هو من نفسه، واختتامها بـ«لا إله إلا أنت سبحانك ربّي وربّ آبائي الأوّلين» بيان لما هو من ربّه، من التربية التكوينية والتشريعية له ولآبائه، وأمّا استغفاره عليه السلام فهو من حسنات الأبرار التي هي سيئات المقرّبين.

وتوحيده لله سبحانه توحيده في الأحادية والألوهية والربوبية إلى آخر مراتب التوحيد، وهو التوحيد في محبة الله الذي ظهر منه عليه السلام حيث بذل مهجته في الله.

وفي كلّ تهليل من خوفه، ووجله، ورغبته، وسؤاله، وتسبيحه، وتكبيره ما يليق من تلك المعاني بالحَيِّ القيوم العليّ العظيم، الذي هو بكلّ شيءٍ عليم، وعلى كلّ شيءٍ قدير، وهو ربّ العرش العظيم.

وتهليلاته على عدد الشهور التي هي عند الله اثنا عشر شهراً^(١)، ومجموع التهليلات والتسبيحات أربع وعشرون بعدد ساعات الليل والنهار، ويظهر من كلّ جملة من هذا الدعاء من العلم والعرفان والإيمان والعمل ما هو أعلى وأجلّ من البيان.

فبدأ عمله ومنشأ شهادته، وما ظهر منه في يوم ليس كيومه يوم^(٢) هو العلم والإيمان اللذان رفعه الله بهما إلى مقام الحرية عن كلّ ما سوى الله، والعبودية لله

(١) إشارة الى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ سورة التوبة: ٣٦.

(٢) الأماي للصدوق ص ١٧٧ المجلس الرابع والعشرون ح ٣.

تعالى، كما ورد عنه: (إِنَّ قَوْمًا عَبْدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتَلَّكَ عِبَادَةَ التَّجَارِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبْدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتَلَّكَ عِبَادَةَ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبْدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَتَلَّكَ عِبَادَةَ الْأَحْرَارِ، وَهِيَ أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ) (١).

وعنه عليه السلام: (أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحّدوك، وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك، ولم يلجؤوا إلى غيرك) (٢).

فهو الراغب الذي لا يرغب إلا إلى القرب من الله، والراهب الذي لا يرهب إلا البعد من الله، وهو الحرّ الذي أعتق نفسه عن كلّ تعلّق، وبذل مهجته باسم الله وبالله وفي سبيل الله، شكراً لله ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ (٣).

وأما ثمرة شهادته عليه السلام فهو إبقاء ما خلق لأجله الإنسان، وهو عبادة الرحمن، والبيّنات التي أرسل رسله بها، وما أنزل الله معهم من الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط.

وكفاه شرفاً أنّ بعثه جدّه علّة محدثة لما يتعلّق بالله من توحيده وتسيبحة وتكبيره وعبادته ولما يتعلّق بالناس من القيام بالحقّ والقسط، وشهادته صارت علّة مبقية له.

وأما عمله فكفي فيه ما ورد في زيارته المأثورة (مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيتها في الإسلام وفي جميع السماوات والأرض) (٤).

(١) تحف العقول من قصار هذه المعاني لحسين بن عليّ عليه السلام ص ٢٤٦.

(٢) بحار الأنوار ج ٩٥ ص ٢١٦.

(٣) سورة الإسراء: ٨٤.

(٤) مصباح المتهدّد ص ٧٧٥ زيارة يوم عاشوراء.

وأما ما جعل الله جزاء لعمله، فنه أنه جعل الأئمة عليهم السلام من ذريته، وإجابة الدعاء تحت قبته، والشفاء في تربته^(١)، وتقتصر على بعض ما جزاه الله في تربته: فقد روى شيخ الطائفة عن معاوية بن عمّار، قال: كان لأبي عبد الله عليه السلام خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله عليه السلام، فكان إذا حضرته الصلاة صبّه على سجادته وسجد عليه، ثم قال عليه السلام: إن السجود على تربة أبي عبد الله عليه السلام يخرق الحجب السابع^(٢).

وسند الحديث - مع أنّ الشيخ عليه السلام أخبر برواية معاوية - صحيح، يشتمل على أئمة الحديث، وبعض أصحاب الإجماع. وأما فقه الحديث فلا مجال إلا للإشارة إليه، فإنّ السجود أعظم عبادة أمر الله سبحانه ونبيه ﷺ به للإقتراب إليه ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^(٣)، والإمام المعصوم يتوسّل في سجوده الذي هو نهاية تقربه بتراب الحسين عليه السلام، لأن يخرق به الحجب السابع.

فماذا يمكن أن يُقال في شأن دمٍ صار ذلك التراب بإضافته إليه خارقاً للحجاب بين العبد وربّه، وموصلاً لعباد الله إلى منتهى كرامة الله. وفي الصحيح عن أبي الحسن عليه السلام: إنّ النبيّ لما أُسري به إلى السماء، قطع سبعة [سبع] حجب، فكبر عند كلّ حجاب تكبيرة، فأوصله الله عزّ وجلّ بذلك إلى منتهى الكرامة^(٤).

(١) الأماي للطوسي ص ٣١٧، المجلس الحادي عشر ح ٩١.

(٢) مصباح المتجهّد ص ٧٣٣.

(٣) سورة العلق: ١٩.

(٤) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٩٩ باب وصف الصلاة من فاتحتها إلى خاتمتها ح ٤.

ومما لا بدّ من التأمل فيه أنّ افتتاح الصلاة بسبع تكبيرات - تقوم مقام التكبيرات السبع التي كبرّها رسول الله ﷺ فرفعت له بها الحجب السبعة ليلة الإسراء، قد صار سنّة بلسان الحسين عليه السلام، ففي الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ رسول الله ﷺ كان في الصلاة وإلى جانبه الحسين بن عليّ، فكبر رسول الله ﷺ فلم يحرّ الحسين بالتكبير، ثمّ كبر رسول الله ﷺ فلم يحرّ الحسين التكبير، ولم يزل رسول الله ﷺ يكبر ويعالج الحسين التكبير فلم يحرّ، حتّى أكمل سبع تكبيرات، فأحار الحسين عليه السلام التكبير في السابعة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: فصارت سنّة (١).

فقطع الحجاب بين العباد وربّ الأرباب في أوّل العروج إلى الله، وهو أوّل الركعة، بلسان الحسين عليه السلام، وخرق الحجاب في آخر الركعة وهو السجود بتربة الحسين عليه السلام.

وفي الصحيح عن إسحاق بن عمّار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ لموضع قبر الحسين بن عليّ عليه السلام حرمة معلومة من عرفها واستجار بها أجبر، قلت: فصف لي موضعها جعلت فداك. قال: امسح من موضع قبره اليوم، فامسح خمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رجله، وخمسة وعشرين ذراعاً من خلفه، وخمسة وعشرين ذراعاً ممّا يلي وجهه، وخمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رأسه، وموضع قبره منذ يوم دفن روضة من رياض الجنّة، ومنه معراج يعرج فيه بأعمال زوّاره إلى السماء، فليس ملك ولا نبيّ في السماوات إلّا وهم يسألون الله أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام ففوج ينزل وفوج يعرج (٢).

(١) تهذيب الاحكام ج ٢ ص ٦٧.

(٢) كامل الزيارات ص ٥٧٤ ح ٤ من باب ٨٩ فضل الحائر وحرمته، تهذيب الاحكام ج ٦ ص ٧١، الكافي

ومع أنّ العالِي لا يميل إلى السافل، ومن في الملكوت لا يلتفت إلى عالم الملك فقد انقلب قبره بمجاورة جسده الشريف، فصار أرفع من السماوات ومقامات الملائ الأعلى، ولهذا يقول الإمام عليه السلام: ليس من ملك حتى الكروبيين، ولا من نبي حتى أولي العزم من المرسلين إلا ويسألون الله الإذن في زيارة قبره عليه السلام، فهم ينالون في زيارة هذا القبر ما لا يمكن وصفه إلا بما روي عن زيد الشحام قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما لمن زار الحسين عليه السلام؟ قال: كان كمن زار الله في عرشه، قال قلت: ما لمن زار أحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله ﷺ (١).

فإن كان أثر عمله في ترتيبه أن يصير معراج القرب إلى الله، وفي قبره أن يصير عرش الله، فماذا يكون أثره في دمه؟!
فمن جهة أنّ بين النفس والبدن تفاعلاً متقابلاً يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر منه، فدمه عليه السلام ينبعث عن القلب المتعلق بالنفس المستغرقة في أسماء الله الجلالية والجمالية والكمالية.

وكل شيء يعرف بأصله وفرعه، وأصله برهانه، وفرعه دليله، فلا يعرف هذا الدم إلا بمعرفة النفس التي هي في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، وبالقلب الذي هو عرش الرحمن، وبالصدر الذي هو خزينة أسرار رب العالمين، ولا يعرف إلا بمعرفة فرعه وأثره وهو إحياء الحق الذي جاء من عند الحق لإقامة العدل والحق.

ولقد فضّل الله هذا الدم على دم يحيى بن زكريا الذي قال الله تعالى في حقه: ﴿سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٢).

فعن ابن عباس، قال: أوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ إني قتلت بيحيى بن زكريا

(١) كامل الزيارات، ص ٢٧٨ باب ٥٩ ح ١.

(٢) سورة مريم: ١٥.

سبعين ألفاً، وإني قاتل بابين بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً^(١).

وقد بعث الله أشرف أنبيائه لالتقاط هذا الدم من الأرض والصعود به إلى الرفيق الأعلى.

عن ابن عباس، قال: رأيت النبي فيما يرى النائم نصف النهار أشعث أغبر، معه قارورة فيها دم، فقلت: يا نبي الله ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم^(٢).

هذا بعض ما ورد من طرق العامة، وأمّا ما ورد من طرق الخاصة فنقتصر على ما في الزيارة التي اكتفى بها الصدوق في من لا يحضره الفقيه، وقال: «إنّها أصحّ الروايات عندي من طريق الرواية، وفيها بلاغ وكفاية» والسند معتبر عن الصادق عليه السلام:

(١) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٧٨، وفي التلخيص أيضاً، كنز العمال ج ١٢ ص ١٢٧، الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٢١٩، الدر المنثور ج ٤ ص ٢٦٤، تاريخ بغداد ج ١ ص ١٥٢، تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ٢٢٥ و ج ٦٤ ص ٢١٦، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ص ٣٥٢، سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٤٢، تهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٣١، ذخائر العقبى ص ١٥٠، تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٠٥، ومصادر أخرى للعامة.

كشف الغمّة ج ٢ ص ٦٣، شرح الأخبار ج ٣ ص ١٦٨، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٨١، الطرائف ص ٢٠٢، إعلام الوري ج ١ ص ٤٢٩، كشف اليقين ص ٣٠٦ ومصادر أخرى للخاصة.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج ٤ ص ٣٩٨، وبتفاوت يسير في مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٤٢ و ٢٨٣، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٤، البداية والنهاية ج ٦ ص ٢٥٨ و ج ٨ ص ٢١٨، سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣١٥، منتخب مسند عبد بن حميد ص ٢٣٥، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ص ٣٨٦، المعجم الكبير ج ٣ ص ١١٠ و ج ١٢ ص ١٤٤، نظم درر السمطين ص ٢١٨ تاريخ بغداد ج ١ ص ١٥٢، تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ٢٣٧. تهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٣٩، تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٠٦، الإصابة ج ٢ ص ٧١ ومصادر أخرى كثيرة للعامة.

كشف الغمّة ج ٢ ص ٥٦، بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢٣٢، ومصادر أخرى للخاصة.

«أشهد أن دمك سكن في الخلد، واقتشعرت له أظلة العرش، وبكى له جميع الخلائق، وبكت له السماوات السبع والأرضون، وما فيهن وما بينهن، ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا، وما يرى وما لا يرى»^(١). ولا مقام أرفع من هذا المقام، فإن سكنى دمه الذي هو من عالم الدنيا ودار الفناء في دار البقاء وجنة الخلد، يكشف عن انقلاب الدم الذي هو من عالم الملك بمجاورة روحه إلى عالم الملكوت، وأنه بلغ من الطيب والطهارة إلى مرتبة قال الله سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾^(٢).

فما أعظم شأن دم عظمت رزقته على جميع الخلائق من الماديات والمجردات. هذا ما يتعلّق بدمه، ولقد جفّ القلم ممّا يتعلّق بروحه، وقد قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾^(٣).

وقد جعله الله خازن وحيه وأكرمه بالشهادة، وختم له بالسعادة، وهو أفضل من استشهاد وأرفع الشهداء درجة^(٤)، وهو ثار الله وابن ثاره، وخاتم أهل المباهلة وخامس أهل الكساء، وفتاح أبواب الهداية والعلم والعبادة بالتسعة الذين بهم قام الدين والدنيا، وبالثاسع من ولده يُحيي الله الأرض بعد موتها ويملاً الله الأرض به قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

والسلام عليه يوم ولد ويوم استشهاد ويوم يُبعث حياً.

**

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٣٥٩، الكافي ج ٤ ص ٥٧٦.

(٢) سورة فاطر: ١٠.

(٣) سورة الفجر: ٢٧، ٢٨ وراجع: تفسير القمي ج ٢ ص ٤٢٢.

(٤) إشارة إلى ما ورد في حديث اللوح، الكافي ج ١ ص ٥٢٧.

الإمام الرابع

عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام

وأُمّه عليها السلام شاهزنان بنت يزدجرد، ولد بالمدينة خامس شعبان سنة ثمان وثلاثين، وقبض يوم السبت ثاني عشر محرّم سنة خمس وتسعين، وعمره سبع وخمسون سنة.

كنيته وألقابه عليه السلام

كنيته أبو الحسن، وأبو محمّد، وأبو القاسم.

وألقابه: زين العابدين، وسيّد العابدين، وزين الصالحين، ووارث علم النبيّين، ووصي الوصيّين، وخازن وصايا المرسلين، وإمام المؤمنين، ومنار القانطين، والخاشع، والمتهجّد، والزاهد، والعابد، والعدل، والبكّاء، والسجّاد، وذو الثفّنات، وإمام الأئمّة، وأبو الأئمّة.

فضائله ومناقبه عليه السلام

وكتب العامة والخاصّة مشحونة بفضائله ومناقبه عليه السلام:

قال الزمخشري: روي عن النبيّ أنه قال: [الله] من عباده خيرتان، فخيرته من العرب قريش، ومن العجم فارس، وكان يقال لعليّ بن الحسين بن الخيرتين^(١).

(١) ربيع الأبرار ج ١ ص ٤٠٢، وقد روي في مصادر الخاصة أيضاً: الكافي ج ١ ص ٤٦٦ وغيره.

وروي أن أبا الأسود الدؤلي قال فيه:

وإنَّ غلاماً بين كسرى وهاشمٍ لأكرم من نيّطت عليه التمام^(١)
قال ابن طلحة: هذا زين العابدين، قدوة الزاهدين، وسيّد المتّقين، وإمام
المؤمنين، سمّته تشهد أنه من سلالة رسول الله، وسمّته تثبت مقام قربه من الله زلفى،
وثفّناته تسجل بكثرة صلّاته وتهجّده، وإعراضه عن متاع الدُّنيا ينطق بزهده
فيها، درّت له أخلاف التقوى فتفوقها، وأشرقت لديه أنوار التأييد فاهتدى بها،
وألفته أورد العباداة فأنس بصحبته، وحالفته وظائف الطاعة فتحلّى بحليتها،
طالما اتّخذ الليل مطيّة فركبها لقطع طريق الآخرة، وظمأ الهواجر دليلاً استرشد به
في مفازة المسافرة، وله من الخوارق والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة، وثبت
بالآثار المتواترة، وشهد أنه من ملوك الآخرة^(٢).

وكان عليه السلام إذا توجّأ للصلاة يصفّر لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك
عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟
وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته الرعدة، فيقول لمن يسأله: أريد أن أقوم بين
يدي ربّي وأناجيّه^(٣).

ووقع الحريق والنار في البيت الذي هو فيه، وكان ساجداً في صلّاته، فجعلوا
يقولون: يا ابن رسول الله! يا ابن رسول الله! النار النار، فما رفع رأسه حتّى أطفئت،
ف قيل له: ما الذي أهلك عنها؟ فقال: نار الآخرة^(٤).

(١) الكافي ج ١ ص ٤٦٧، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٦٧.

(٢) مطالب السؤل: ٧٧.

(٣) كشف الغمّة ج ٢ ص ٧٤، وبتفاوت في البداية والنهاية ج ٩ ص ١٢٣، تاريخ مدينة دمشق ج ٤١ ص ٣٧٨.

(٤) كشف الغمّة ج ٢ ص ٧٤، وبتفاوت في البداية والنهاية ج ٩ ص ١٢٣.

وعن زرارة بن أعين قال: سمع سائل في جوف الليل، وهو يقول: أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة، فهتف به هاتف من ناحية البقيع يسمع صوته ولا يرى شخصه: كان ذلك [ذاك] علي بن الحسين^(١).

عن الزهري قال: دخلت مع علي بن الحسين عليه السلام على عبد الملك بن مروان قال: فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين، فقال: يا أبا محمد لقد بان [بين] عليك الإجهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقریب النسب وكيد السبب، وإِنَّكَ لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك، ولقد أوتيت من العلم والفضل والورع [الفضل والعلم والدين والورع] ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك، إلا من مضى من سلفك، وأقبل يثني عليه ويطريه، قال: فقال علي بن الحسين: كلما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه، فأين شكره على ما أنعم، إلى أن قال: والله لو تقطعت أعضائي وسالت مقلتي على صدري لن أقوم لله جل جلاله [عزوجل] بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون، ولا يبلغ حد نعمة منها علي جميع حمد الحامدين، لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ولا سر ولا علانية، ولولا أن لأهلي علي حقاً ولسائر الناس من خاصهم [وعامهم] علي حقوقاً لا يسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم، لرميت بطرفي إلى السماء وبقلبي إلى الله، ثم لم أردهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين، وبكى عليه السلام وبكى عبد الملك...^(٢).

هذه قطرة من بحر عرفانه بربه وعبادته لإلهه، ولا بد لأهل الفضل من النظر في صحيفته السجادية التي هي زبور آل محمد صلى الله عليه وآله ومعراج الأولياء ومنهاج

(١) روضة الواعظين ص ١٩٩، الإرشاد ج ٢ ص ١٤٤، كشف الغمّة ج ٢ ص ٨٦.

(٢) فتح الأبواب ص ١٧٠.

الأصفياء التي عجزت عن إدراك دقائقها عقول الحكماء، واندھشت من لطائفها قلوب العرفاء، ولم تصل إلى حقائقها إلا الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم.

في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حجّ علي بن الحسين على راحلة عشر حجج، ما قرعها بسوط، ولقد بركت به سنة من سنواته فما قرعها بسوط^(١).

وكان عنده قوم أضياف فاستعجل خادماً بشواء كان في التنور، فأقبل به الخادم مسرعاً، فسقط السفود منه على رأس بني [ابن] علي بن الحسين عليه السلام تحت الدرجة، فأصاب رأسه فقتله، فقال علي عليه السلام للغلام وقد تحير الغلام واضطرب: أنت حرّ، فإنك لم تتعمّده، وأخذ في جهاز ابنه ودفنه^(٢).

ودخل على محمد بن أسامة بن زيد [زيد بن أسامة بن زيد] فجعل محمد يبكي، فقال له علي عليه السلام: ما شأنك؟ قال: دين، فقال: كم هو؟ فقال: خمسة عشر ألف دينار، فقال علي بن الحسين عليه السلام: هو عليّ فالترمه عنه^(٣).

وكان له ابن عم يأتيه بالليل متنكراً فيناوله شيئاً من الدنانير، فيقول: لكن علي بن الحسين لا يواصلني لا جزاه الله عنيّ خيراً. فيسمع ذلك يتحمله [ويحتمله] ويصبر عليه، ولا يعرفه بنفسه، فلما مات [علي بن الحسين عليه السلام] فقدّها، فحينئذ علم أنه هو كان، فجاء إلى قبره وبكى عليه^(٤).

لما مات علي بن الحسين عليه السلام وجدوه يقوت مئة بيت من أهل المدينة كان يحمل إليهم ما يحتاجون إليه^(٥).

(١) المحاسن ج ٢ ص ٣٦١، وبتفاوت في الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٨٦.

(٢) كشف الغمّة ج ٢ ص ٨١.

(٣) كشف الغمّة ج ٢ ص ٨٧، الإرشاد ج ٢ ص ١٤٩.

(٤) كشف الغمّة ج ٢ ص ١٠٧.

(٥) الإرشاد ج ٢ ص ١٤٩، كشف الغمّة ج ٢ ص ٧٧.

وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين عليه السلام فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل^(١).

وقد روت الخاصة والعامة ما روي من آثار سواد في ظهره من حمل جرب الدقيق على ظهره ليلاً، وإبصا لها إلى فقراء المدينة سرّاً^(٢).

إن من شغله اضطراب خادمه في قتل ولده عن مصابه بابنه فأسكن روعته بتسليته، واعتذر عنه بأنك لم تكن متعمداً وأعتقه، والذي لم يتحمل أن يرى عيناً باكية من هم الدين، فجعل دينه على نفسه، والذي ينفق على من يشتمه ولا يعرفه بنفسه لكيلا يرى ذل الانكسار في وجه شاتمته، والذي يحمل على ظهره الدقيق والحطب للأيتام والمساكين، ويبسط رحمته على الإنسان والحيوان، ويموت وعلى جبهته وظهره الثغفات التي تكشف عن إفناء نفسه في عبادة الله، والإحسان إلى عيال الله، يليق بأن يطلق عليه إمام الإنسان وحنة الله على الإنس والجان. والذي يحير العقول في عظمتته عليه السلام أنه مع استغراقه في معرفة الرب بأدعيته، وانشغاله في عبادته بإحياء الليل وصيام النهار، وأداء حقوق الخلق على ما في رسالته في الحقوق التي أعطت كل ذي حق حقه، يقول: وأما رحمة الله فإن الله تعالى يقول: إنها قريبة من المحسنين، ولا أعلم أنني محسن^(٣).

كان يعظ الناس في كل جمعة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويقول:

أيها الناس إتقوا الله واعلموا أنكم إليه ترجعون، فتجد كل نفس ما عملت في

(١) كشف الغمّة ج ٢ ص ٧٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٥٤، كشف الغمّة ج ٢ ص ٧٧، البداية والنهاية ج ٩ ص ١٣٣.

(٣) كشف الغمّة ج ٢ ص ١٠٨.

هذه الدنيا من خير محضراً، وما عملت من سوء توذّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه.

ويحك ابن آدم الغافل وليس بمغفول عنك، [يا] ابن آدم، إنّ أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك ويوشك أن يدركك، وكأنّ قد أوفيت أجلك، وقبض الملك روحك، وصرت إلى قبرك وحيداً، فردّ إليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكان، ناكر ونكير، لمسائلتك وشديد امتحانك، ألا وإنّ أوّل ما يسألانك عن ربّك الذي كنت تعبه، وعن نبيّك الذي أرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذي كنت تتولّاه، ثمّ عن عمرك فيما [كنت] أفيت، ومالك من أين اكتسبته وفيما [أنت] أنفقت، فخذ حذرك، وانظر لنفسك، وأعدّ الجواب قبل الإمتحان والمسألة والإختبار...^(١).

حكمه عليه السلام

من حكمه عليه السلام:

اتّقوا الكذب الصغير منه والكبير في كلّ جدّ وهزل، فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير^(٢).

الخير كلّه صيانة الإنسان نفسه^(٣).

إنّ أحبّكم إلى الله أحسنكم عملاً، وإنّ أعظمكم عند الله [عملاً] أعظمكم فيما عند الله رغبة، وإنّ أنجاكم من عذاب الله أشدّكم خشية [لله]، وإنّ أقربكم من الله [عند الله] أوسعكم

(١) الكافي ج ٨ ص ٧٢، الأملّي للصدوق المجلس السادس والسبعون ح ١ ص ٥٩٣ بتفاوت يسير.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٣٣٨.

(٣) تحف العقول، في قصار هذه المعاني عن عليّ بن الحسين عليه السلام ص ٢٧٨.

خلقاً، وإن أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم لله^(١).
إن المعرفة بكمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه، وقلة مرأته، وحلمه،
وصبره، وحسن خلقه^(٢).

ثلاث من كنّ فيه من المؤمنين كان في كنف الله، وأظله الله يوم القيامة في ظلّ
عرشه، وآمنه من فزع اليوم الأكبر: من أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه،
ورجل لم يقدم يداً ولا رجلاً حتى يعلم أنه في طاعة الله قدمها أو في معصيته،
ورجل لم يعب أخاه بعيب حتى يترك ذلك العيب من نفسه^(٣).

وقال عليه السلام لبعض بنيه: يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم
في طريق، فقال: يا أبة من هم؟ قال عليه السلام: إياك ومصاحبة الكذّاب، فإنه بمنزلة
السراب يقرب لك البعيد ويباعد لك القريب؛ وإياك ومصاحبة الفاسق فإنه بائعك
بأكلة أو أقل من ذلك؛ وإياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون
إليه؛ وإياك ومصاحبة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك؛ وإياك ومصاحبة القاطع
لرحمه، فأني وجدته ملعوناً في كتاب الله^(٤).

وقال لابنه محمد عليه السلام: [يا بني] فعل الخير إلى كل من طلبه منك، فإن كان أهله
فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن بأهل كنت أنت أهله؛ وإن شتمك رجل عن
يمينك، ثم تحوّل إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره^(٥).

وقال عليه السلام: يقول الله: يا ابن آدم إرض بما آتيتك تكن من أزهد الناس، ابن آدم

(١) الكافي ج ٨ ص ٦٩.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٤٠.

(٣) تحف العقول: في قصار هذه المعاني عن علي بن الحسين عليه السلام ص ٢٨٢.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٣٧٦.

(٥) الكافي ج ٨ ص ١٥٣.

اعمل بما افترضت عليك تكن من أعبد الناس، ابن آدم، اجتنب ما حرّمت عليك تكن من أروع الناس^(١).

وقال عليه السلام: خمس لو رحلتم فيهنّ [إليه] لأنضيتموهن وما قدرتم على مثلهن، لا يخاف عبد إلا ذنبه، ولا يرجو إلا ربّه، ولا يستحي الجاهل إذا سأل عمّا لا يعلم أن يتعلّم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له^(٢).
إنّها كلمات منيرة، قصيرة لفظاً، بعيدة المدى معني، يضمن تعلّمها والعمل بها سعادة الفرد والمجتمع.

كراماته عليه السلام

ونقتصر من كراماته عل ما رواه أبو نعيم وابن حجر وغيرهما من العامّة، وصاحب كشف الغمّة وغيره من الخاصّة:

عن ابن شهاب الزهري قال: شهدت علي بن الحسين يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام، فأثقله حديداً ووكل به حفاظاً في عدّة وجمع، فاستأذنتهم في التسليم عليه والتوديع له، فأذّنوا لي، فدخلت عليه، وهو في قبّة والأقياد في رجله، والغلّ في يديه، فبكيت وقلت: وددت أنّي في مكانك وأنت سالم، فقال لي: يا زهري، أوتظنّ هذا ممّا ترى عليّ وفي عنقي ممّا يكريني؟ أمالو شئت ما كان، وأنه إن بلغ بك وبأمثالك غمر ليدكّر عذاب الله، ثمّ أخرج يده من الغلّ ورجليه من القيد، ثمّ قال: يا زهري لا جزت معهم ذا منزلتين من المدينة، قال: فما لبثنا إلا أربع ليال، حتّى قدم الموكلون به يطلبونه من المدينة، فما وجدوه،

(١) تحف العقول: في قصار هذه المعاني عن علي بن الحسين عليه السلام ص ٢٨١.

(٢) تحف العقول: في قصار هذه المعاني عن علي بن الحسين عليه السلام ص ٢٨١.

فكنت فيمن سأهم عنه، فقال لي بعضهم: إنّنا نراه متبوعاً، إنه لنازل ونحن حوله، لا ننام نرصده، إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمله إلا حديدة.

قال الزهري: قدمت بعد ذلك على عبد الملك بن مروان، فسألني عن علي بن الحسين، فأخبرته، فقال لي: إنه جاءني في يوم فقدته الأعوان، فدخل عليّ، فقال: ما أنا وأنت، فقلت: أقم عندي، فقال: لا أحبّ، ثمّ خرج، فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفةً.

قال الزهري: فقلت: يا أمير المؤمنين ليس علي بن الحسين حيث تظنّ، إنه مشغول برّبّه، فقال: حبذا شغل مثله، فنعم ما شغل به^(١).

**

(١) حلية الأولياء ج ٣ ص ١٣٥ رقم ٢٢٩ زين العابدين علي بن الحسين، الصواعق المحرقة ص ٢٠٠، تاريخ مدينة دمشق ج ٤١ ص ٣٧٢، كشف الغمّة ج ٢ ص ٧٦، نوادر المعجزات ص ١٢٧.

الإمام الخامس

محمد بن عليّ بن الحسين عليه السلام

ولد بالمدينة ثالث صفر أو غرّة رجب سنة سبع وخمسين، وقبض سنة أربع عشرة ومئة سابع ذي الحجّة، وكان عمره سبعمائة وخمسين سنة.
وأُمّه أمّ عبدالله بنت الحسن بن عليّ عليه السلام، فهو ابن الحسن والحسين عليه السلام.
وعن الصادق عليه السلام: وكانت أمّه صديقة لم تدرك في آل الحسن مثلها^(١).
وعن الباقر عليه السلام: كانت أمّي قاعدة عند جدار فتصدّع الجدار، وسمعنا هدة شديدة، فقالت بيدها: لا وحقّ المصطفى، ما أذن لك في السقوط، فبقي معلقاً في الجوّ حتى جازته^(٢).

كنيته وألقابه عليه السلام

وكنيته أبو جعفر، وألقابه: باقر العلم، والشاكر، والهادي.

مناقبه عليه السلام

انتشرت عنه أنوار العلوم والمعارف، واعترف بمناقبه المؤلف والمخالف.

(١) الكافي ج ١ ص ٤٦٩.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٦٩.

وفي الصحاح: كان يقال لمحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام:
الباقر لتبقره في العلم.

في القاموس، بقره كمنعه، شقّه، ووسعه، والباقر محمد بن علي بن الحسين،
لتبخره في العلم.

قال ابن حجر: وارثه منهم عبادة وعلماً وزهادة أبو جعفر محمد الباقر، سمي
بذلك من بقر الأرض أي شققها وأثار محباتها ومكामنها، فلذلك هو أظهر من
مخبات كنوز المعارف، وحقائق الأحكام، والحكم واللطائف، ما لا يخفى إلا على
منطمس البصيرة، أو فاسد الطوية والسريرة، ومن ثم قيل فيه هو باقر العلم
وجامعه وشاهر علمه ورافعه، صفي قلبه، وزكى علمه وعمله، وطهرت نفسه،
وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة الله، وله من الرسوم في مقامات العارفين
ما تكلم عنه السنة الواصفين^(١).

وقال ابن طلحة: هو باقر العلم وجامعه، وشاهر علمه ورافعه، ومتفوق دَرّه
وراضعه، ومنمق دُرّه وراضفه، صفي قلبه، وزكى عمله، وطهرت نفسه، وشرف
أخلاقه، وعمرت بطاعة الله أوقاته، ورسخت في مقام التقوى قدمه، وظهرت
عليه سمات الإزدلاف وطهارة الإجتباء، فالمناقب تسبق إليه، والصفات تتشرف
به^(٢).

وقد روت الخاصة والعامّة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبلغه السلام بواسطة جابر
بن عبد الله الأنصاري.

وفي الصحيح عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: إنّ رسول الله قال ذات يوم

(١) الصواعق المحرقة ص ٢٠١.

(٢) مطالب السؤل ص ٨٠.

لجابر بن عبد الله الأنصاري: يا جابر إنك ستبقى حتى تلقى ولدي محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف في التوراة بالباقر، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام، فدخل جابر إلى علي بن الحسين عليه السلام فوجد محمد بن علي عليه السلام عنده غلاماً، فقال له: يا غلام أقبل، فأقبل، ثم قال: أدبر، فأدبر، فقال جابر: شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله ورب الكعبة، ثم أقبل على علي بن الحسين، فقال له: من هذا؟ قال: هذا ابني وصاحب الأمر بعدي، محمد الباقر، فقام جابر فوق على قدميه يقبلهما، ويقول: نفسي لنفسك الفداء يا ابن رسول الله، أقبل سلام أبيك، إن رسول الله يقرأ عليك السلام، قال: فدمعت عينا أبي جعفر عليه السلام، ثم قال: يا جابر، على أبي رسول الله السلام ما دامت السماوات والأرض، وعليك السلام يا جابر بما بلغت^(١).

قدم وفد من فلسطين على الباقر عليه السلام، فسألوه عن مسائل، فأجابهم، ثم سألوه عن الصمد، فقال: تفسير الصمد فيه خمسة أحرف، فالألف دليل على إنيته، وهو قوله: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس، واللام دليل على إلهيته [بلطفه] بأنه هو الله، والألف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان ولا يقعان في السمع، ويظهران في الكتابة دليلان على أن إلهيته خافية لا تدرك بالحواس ولا يقع في لسان واصف ولا أذن سامع، لأن تفسير الإله هو الذي أله الخلق عن درك ما يتيته وكيفيته بحس أو بوهم، لابل هو مبدع الأوهام وخالق الحواس، وإنما يظهر ذلك عند الكتابة فهو دليل على أن الله سبحانه [أظهر] ربوبيته في إبداع الخلق وتركيب أرواحهم اللطيفة في أجسادهم الكثيفة، فإذا نظر عبد إلى نفسه لم ير

(١) الأماشي للصدوق المجلس السادس والخمسون ح ٩، روضة الواعظين ص ٢٠٢، وبتفاوت في الصواعق المحرقة ص ٢٠١، مطالب السؤل ص ٨١، يتابع المودة ج ٣ ص ٥٢ ومصادر أخرى.

روحه، كما أنّ لام الصمد لا تتبيّن، ولا تدخل في حاسّة من الحواس الخمس، فإذا نظر إلى الكتابة ظهر له ما خفي ولطف، فمتى تفكّر العبد في ماهيته الباري وكيفيته أله فيه وتحيرّ ولم تحط فكرته بشيء يتصوّر له، لأنّه عزّ وجلّ خالق الصور، فإذا نظر إلى خلقه ثبت له أنه خالقهم ومركب أرواحهم في أجسادهم.

وأما الصاد فدلّيل على أنه عزّ وجلّ صادق وقوله صادق وكلامه صادق، ودعا عباده إلى اتباع الصدق بالصدق، ووعده بالصدق دار الصدق.

وأما الميم فدلّيل على ملكه، وأنه [عزّ وجلّ] الملك الحقّ لم يزل ولا يزال ولا يزول ملكه. وأما الدال فدلّيل على دوام ملكه وأنه عزّ وجلّ دائم تعالى عن الكون والزوال، بل هو [الله] عزّ وجلّ مكوّن الكائنات الذي كان بتكوينه كلّ كائن.

ثمّ قال: لو وجدت لعلمي الذي أتاني الله حملة لنشرت التوحيد والإسلام والدين والشرايع من الصمد^(١).

وعن داود بن القاسم الجعفري، قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك ما الصمد؟ قال: السيّد المصمود إليه في القليل والكثير^(٢).

وقال: حدّثني أبي زين العابدين عن أبيه الحسين بن عثلي عليه السلام أنه قال: الصمد الذي لا جوف له، والصمد الذي به انتهى سوّده، والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب، والصمد الذي لا ينام، والصمد الذي لم يزل ولا يزال^(٣).

وكما يستخرج عليه السلام جواهر العرفان من الكلمات وحروف القرآن، كان يرشد الإنسان إلى ما يحتاج إليه في المعاش والمعاد.

(١) معاني الأخبار ص ٧ باب معنى الصمد، التوحيد للصدوق ص ٩٢.

(٢) معاني الأخبار ص ٦.

(٣) معاني الأخبار ص ٧.

حكّمه ومواعظه عليه السلام

ونقتصر على قليل من كثير من حكمه ومواعظه :

تعلموا العلم، فإنّ تعلمه حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، والعلم ثمار الجنة وأنس في الوحشة، وصاحب في العربة، ورفيق في الخلوة، ودليل على السراء، وعون على الضراء، ودين [زين] عند الأخلاء، وسلاح عند الأعداء، يرفع الله به قوماً فيجعلهم في الخير سادة، وللناس أئمة يُقتدى بفعالهم ويقتص آثارهم^(١) ...

وورد أنه قال لبعض شيعته وقد أراد سفراً، فقال له أوصني، فقال: لا تسيرن سيراً وأنت حاف، ولا تنزلن عن دابّتك ليلاً إلا ورجلاك في خفّ، ولا تبولن في نفق، ولا تذوقن بقلة، ولا تشمّها حتى تعلم ماهي، ولا تشرب من سقاء حتى تعرف ما فيه، ولا تسيرن إلا مع من تعرف، واحذر من لا تعرف^(٢).

وقيل له: من أعظم الناس قدراً؟ فقال: من لا يرى الدنيا لنفسه قدراً^(٣).

ما يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر ممّا يأخذ الظالم من دنيا المظلوم^(٤).

أربع من كنوز البرّ: كتمان الحاجة، وكتمان الصدقة، وكتمان الوجع،

وكتمان المصيبة^(٥).

(١) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٨٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٨٩.

(٣) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٨٨.

(٤) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٨٨.

(٥) تحف العقول في قصار هذه المعاني عنه عليه السلام، ص ٢٩٥.

من صدق لسانه زكى عمله، ومن حسنت نيته زيد في رزقه، ومن حسن برّه بأهله زيد في عمره^(١).

البشر الحسن وطلاقة الوجه مكسبة للمحبة، وقربة من [إلى] الله، وعبوس الوجه وسوء البشر مكسبة للمقت، وبُعد من الله^(٢).

عليكم بالورع، والإجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم عليها برّاً كان أو فاجراً، فلو أن قاتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ائتمني على أمانة لأديتها إليه^(٣).

لو يعلم السائل ما في المسألة ما سأل أحدٌ أحداً، ولو يعلم المسؤول ما في المنع ما منع أحدٌ أحداً^(٤).

ثلاث درجات، وثلاث كفّارات، وثلاث موبقات، وثلاث منجيات:

فأمّا الدرجات فإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام.
وأمّا الكفّارات فإسباغ الوضوء في السبرات والمشى في النهار إلى الجماعات [الصلوات]، والمحافظة على الصلوات [الجماعات].

وأمّا الموبقات فشح مطاع، وهوى متبّع، وإعجاب المرء بنفسه.

وأمّا المنجيات فخوف الله في السرّ والعلانية، والتصد في الغنى والفقر، وكلمة العدل في الرضا والسخط^(٥).

(١) تحف العقول ص ٢٩٥.

(٢) تحف العقول ص ٢٦٩.

(٣) تحف العقول ص ٢٩٩.

(٤) تحف العقول ص ١٠٠.

(٥) الخصال للصدوق ص ٨٤.

عن جابر، قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام ونحن جماعة بعدما قضينا نسكننا، فودّعنا، وقلنا له: أوصنا يا ابن رسول الله، فقال: ليعن قلوبكم [على] ضعيفكم، وليعطف غنيكم على فقيركم، ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه، واكتموا أسرارنا، ولا تحملوا الناس على أعناقنا، وانظروا أمرنا، وما جاءكم عنا، فإن وجدتموه للقرآن موافقاً فخذوا به وإن لم تجدوه موافقاً فردّوه، وإن اشتبه الأمر عليكم فقفوا عنده، وردّوه إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا.

فإذا كنتم كما أوصيناكم لم تعدوا إلى غيره، فمات منكم ميت قبل أن يخرج قائمنا كان شهيداً، وإن [ومن] أدرك منكم قائمنا فقتل معه كان له أجر شهيدين، ومن قتل بين يديه عدواً لنا كان له أجر عشرين شهيداً^(١).

إن الله خبأ ثلاثة في ثلاثة: خبأ رضاه في طاعته فلا تحقرن من الطاعة شيئاً فلعل رضاه فيه، وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئاً، فلعل سخطه فيه، وخبأ أوليائه في خلقه، فلا تحقرن أحداً فلعله الولي^(٢).

كراماته عليه السلام

وهي أكثر من أن تذكر في هذا المختصر، ونكتفي بما يلي:
في الصحيح عن أبي بصير، قال: دخلت على أبي عبد الله وأبي جعفر عليه السلام، فقلت لهما: أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: نعم، قلت: فرسول الله وارث الأنبياء، علم كل ما علموا، فقال لي: نعم.

(١) الأماي للطوسي ص ٢٣٢ المجلس التاسع ح ٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٨٨، كشف الغمة ج ٢ ص ١٤٨.

فقلت: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص؟ فقال لي: نعم، بإذن الله.

ثم قال: ادن مني يا أبا محمد، فمسح يده على عيني ووجهي، فأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكل شيء في الدار، قال: أتحب أن تكون هكذا، ولك ما للناس، وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصاً؟ قلت: أعود كما كنت، قال: فمسح على عيني، فعدت كما كنت^(١).

وعن أبي بصير قال: كنت مع الباقر عليه السلام في مسجد رسول الله قاعداً حدثان ما مات علي بن الحسين عليه السلام إذ دخل المنصور وداود بن سليمان قبل أن أفضى الملك إلى ولد العباس، وما قعد إلا داود إلى الباقر عليه السلام، فقال: ما منع الدوانقي أن يأتي، قال: فيه جفاء. قال الباقر عليه السلام: لا تذهب الأيام حتى يلي أمر هذا الخلق فيطأ أعناق الرجال، ويملك شرقها وغربها، ويطول عمره فيها حتى يجمع من كنوز الأموال ما لم يجتمع لأحد قبله، فقام داود وأخبر الدوانقي بذلك، فأقبل إليه الدوانقي، وقال: ما منعي من الجلوس إليك إلا إجلالك، فما الذي أخبرني به داود؟ قال: هو كائن. قال: وملكننا قبل ملككم؟ قال: نعم، قال: ويملك بعدي أحد من ولدي؟ قال: نعم، قال: فمدّة بني أمية أكثر أم مدّتنا؟ قال: مدّتكم أطول، ويتلفنّ هذا الملك صبيانكم، ويلعبون به كما يلعبون بالكرة، هذا ما عهده إليّ أبي. فلما ملك الدوانقي تعجّب من قول الباقر عليه السلام^(٢).

**

(١) بصائر الدرجات الجزء السادس باب ٣، ما في الأئمة عليهم السلام أنهم يحيون الموتى ص ٢٨٩، وبتفاوت

يسير في الكافي ج ١ ص ٤٧٠، كشف الغمة ج ٢ ص ١٤٣.

(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ١٤٢، الخرائج والجرائح ج ١ ص ٢٧٣.

الإمام السادس

جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

ولد بالمدينة سبع عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين، وقبض بها في شوال سنة ثمان وأربعين ومئة، وله خمس وستون سنة.
وأمه أم فروة بنت القاسم.

كنيته وألقابه عليه السلام

كنيته أبو عبد الله، وألقابه: الصادق، والفاضل، والكامل، والصابر، والطاهر، والقاهر، والباقي، والمنجي، وأشهرها ما سمّاه به رسول الله صلى الله عليه وآله وهو الصادق.

فضائله ومناقبه عليه السلام

اعترف العامة والخاصة له بالعلم وإجابة الدعوة اللذين بهما يعرف الإمام. (١)
قال ابن طلحة: هو من عظماء أهل البيت وساداتهم، ذو علوم جمّة، وعبادة موفورة [موفرة]، وأوراد متواصلة، وزهادة بيّنة، وتلاوة كثيرة، يتتبع معاني القرآن

(١) إشارة الى ما في عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢٠٠ ب ٤٦ ح ١.

الكريم، ويستخرج من بحره جواهره، ويستنتج عجائبه .

ويقسّم أوقاته على أنواع الطاعات، بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكّر بالآخرة، واستماع كلامه يزهد في الدنيا، والإقتداء بهديه يورث الجنّة، نور قسماته شاهد أنه من سلالة النبوّة، وطهارة أفعاله تصدع بأنه من ذرية الرسالة، نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من أعيان الأئمّة وأعلامهم، إلى أن قال :
وأما مناقبه وصفاته فتكاد تفوق عدد الحاصر، ويحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر، حتّى أنه من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى صارت الأحكام التي لا تدرك عللها، والعلوم التي تقصر الأفهام عن الإحاطة بحكمها، تضاف إليه، وتروى عنه^(١).

قال ابن حجر: أخرج أبو القاسم الطبري من طريق ابن وهب، قال: سمعت الليث بن سعد، يقول: حججت سنة ثلاث عشرة ومئة، فلما صلّيت العصر في المسجد، رقيت أبا قبيس، فإذا رجل جالس يدعو، فقال: ياربّ ياربّ حتّى انقطع نفسه، ثمّ قال: يا حيّ يا حيّ حتّى انقطع نفسه، ثمّ قال: إنّي أشتهي العنب فأطعمنيه، وأن بردي قد خلّقنا فاكسني، قال الليث: فوالله ما استتم كلامه حتّى نظرت إلى سلّة مملوءة عنباً، وليس على الأرض يومئذ عنب، فإذا بردان موضوعان لم أر مثلهما في الدنيا، فأراد أن يأكل فقلت: أنا شريكك، فقال: لهم؟ فقلت: لأنك دعوت وكنتم أوّمن، فقال: تقدّم وكل، فتقدّمت وأكلت عنباً لم آكل مثله قط، وما كان له عجم، فأكلنا حتّى شبعنا ولم تتغيّر السلّة، فقال: لا تدّخر ولا تخبّي منه شيئاً، ثمّ أخذ أحد البردين ودفع إليّ الآخر، فقلت: أنا في غنى عنه، فائتزر بأحدهما وارتندي بالآخر، ثمّ أخذ برديه الخلقين فنزل وهما بيده، ولقيه رجل بالمسعى، فقال:

(١) مطالب السؤل ص ٨١.

اكسني يا ابن رسول الله مما كساك الله، فأبني عريان، فدفعتها إليه، فقلت: من هذا؟ قال: جعفر الصادق، فطلبته بعد ذلك لأسمع منه شيئاً فلم أقدر عليه^(١).

وعن مالك بن أنس فقيه المدينة: ما رأيت عيني أفضل من جعفر بن محمد فضلاً وعلماً وورعاً، وكان لا يخلو من إحدى ثلاث خصال، إما صائماً، وإما قائماً، وإما ذاكراً، وكان من عظماء البلاد، وأكابر الزهاد الذين يخشون الله عز وجل، وكان كثير الحديث، طيب المجالسة، كثير الفوائد، فإذا قال: قال رسول الله اخضر مرة واصفر أخرى حتى لينكره من لا يعرفه^(٢).

وكيف لا يكون كذلك وهو إمام العارفين، إنه الإمام الذي بعمله يعلمنا ما هي معرفة الله التي تنبعث منها هذه الخشية لله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣)، ويقول يعرف من هو العارف بالله، وقد روي عنه عليه السلام أنه قال: العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، لو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه، والعارف أمين ودائع الله، وكنز أسرارته، ومعدن أنواره، ودليل رحمته على خلقه، ومطيبة علومه، وميزان فضله وعدله، قد غنى عن الخلق والمراد والدنيا، ولا مونس له سوى الله ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلا بالله و[الله] ومن الله ومع الله، فهو في رياض قدسه متردد، ومن لطائف فضله [إليه] متزود، والمعرفة أصل وفرعه الإيمان^(٤).

ومن نظر في آلاف الروايات الواردة عنه في أصول الدين من المبدأ إلى المعاد، وفي فروع الدين من الطهارة إلى الديات، وما روي عنه في المواعظ والأخلاق، وما

(١) الصواعق المحرقة ص ٢٠٣، وبتفاوت يسير في كشف الغمّة ج ٢ ص ١٦٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٧٥.

(٣) سورة فاطر: ٢٨.

(٤) مصباح الشريعة ص ١٩١.

حفظ عنه في العشرة والحقوق والآداب يُدرك ما في زيارة الجامعة: وبموالاتكم علمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما كان فسد من دنيانا.

ومن تأمل فيما صدر عنه في المعرفة والعبادة يؤمن بأنه يحقّ له أن يقول: بنا عرف الله، بنا عبد الله، نحن الأدلاء على الله، لولانا ما عبد الله^(١).

قال الحسن بن زياد: سمعت أبا حنيفة وقد سُئِلَ: مَنْ أفقه من رأيت؟ قال: جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور بعث إليّ، فقال: يا أبا حنيفة، إنّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهبّء له من مسائلك الشداد، فهبّأت له أربعين مسألة، ثمّ بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحيرة، فأتيته ودخلت عليه وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلمت عليه، فأوما إليّ، فجلست ثمّ التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة، قال: نعم أعرفه، ثمّ التفت إليّ فقال: يا أبا حنيفة ألق على أبي عبد الله من مسائلك، فجعلت ألق عليه فيجيبني، فيقول: أنتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا... حتى أتيت على الأربعين [مسألة]، فما أخلّ بشيء، ثمّ قال أبو حنيفة: أليس أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟!^(٢)

قال ابن قتيبة في أدب الكاتب: وكتاب الجفر جلد كتبه الإمام جعفر بن محمد الصادق بن محمد الباقر، وفيه كلّ ما يحتاجون إلى علمه إلى يوم القيامة^(٣).

وقال الشبلنجي الشافعي في نور الأبصار: ومناقبه كثيرة تفوق عدد الحاسب

(١) التوحيد للصدوق ص ١٥٢، باب ١٢ ح ٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٥٥ وغيره من كتب الخاصّة، وبتفاوت يسير في: الكامل في ضعفاء

الرجال ج ٢ ص ١٣٢، تهذيب الكمال ج ٥ ص ٧٩، سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٥٧.

(٣) حياة الحيوان ج ١ ص ٢٧٩، نور الأبصار ص ١٦٠، وقيل العبارة غير موجودة في أدب الكاتب وان

نقل عنه الدميري، لكنها موجودة في تأويل مختلف الحديث.

ويحار في أنواعها فهم اليقظ الكاتب^(١).

مكارمه عليه السلام

وهي أكثر من أن تحصى :

منها: أنه كان للصادق ابنٌ، فبينما هو يمشي بين يديه، إذ غصَّ فمات، فبكى، وقال: لئن أخذت لقد بقيت، ولئن ابتليت لقد عافيت، ثمَّ حمله إلى النساء فلما رأيته صرخن، فأقسم عليهنَّ أن لا يصرخن، فلما أخرجته للدفن، قال: سبحان من يقتل أولادنا، ولا نزداد له إلاَّ حبًّا، فلما دفنه، قال: يا بنيَّ وسع الله في ضريحك، وجمع بينك وبين نبيِّك^(٢).

وقال عليه السلام: إنا قوم نسأل الله ما نحبَّ فيمن نحبَّ، فيعطينا، فإذا أحبَّ ما نكره فيمن نحبَّ رضينا.

في هذا الحديث الشريف تنبيه على أن جميع ما أعطاه الله العباد إنما هو ابتداء بالنعم بلا استحقاق، فما أخذه مع إبقاء نعمه التي لا تعدُّ ولا تحصى، وما ابتلى به مع العافية عن سائر أنواع البلاء، ومع أن البلاء للولاء ليس إلاَّ عناية ورحمة ونهاية اللطف من المولى.

ثمَّ أُرشد عليه السلام إلى أن مقتضى التعامل بين ما أحبَّ العبد وما أحبَّ الربَّ ليس إلاَّ التسليم والرضا، فباشتداد البلاء يزداد حبُّ الأولياء لله تعالى.

دخل سفيان الثوري على الصادق عليه السلام فرآه متغيَّر اللون، فسأله عن ذلك، فقال: كنت نهييت أن يصعدوا فوق البيت، فدخلت فإذا جارية من جواري ممَّن ترَّبِّي

(١) نور الأبصار ص ١٦٠.

(٢) الدعوات ص ٢٨٦.

بعض ولدي قد صعدت في سلّم، والصبي معها، فلما بصرت بي ارتعدت وتحيرت وسقط الصبي إلى الأرض فمات، فما تغير لوني لموت الصبي، وإنما تغير لوني لما أدخلت عليها من الرعب، قال لها: أنتِ حرّة لوجه الله، لا بأس عليك، مرّتين^(١).

فمع أنه ﷺ نهاهم وخالفته الأمة وعصته وعصت الله سبحانه، وارتعدت برؤيتها له، وكانت هي السبب في ذلك كله، ولكنّه لم يتغيّر لونه لموت فلذة كبده، وإنما تغير لاضطراب قلب الجارية، وأسكن اضطرابها بعنقها وآمنها بنفي البأس عليها عن مؤاخذة الدنيا وعذاب الآخرة! وبذلك أظهر ﷺ بموت ولده بأمر الخالق منتهى الرضا لله، وأظهر بموت ولده بفعل الخلق منتهى الرحمة لخلق الله، فالله أعلم حيث يجعل خلافته.

وفي الصحيح عن هشام بن سالم، قال: كان أبو عبدالله إذا أتمّ وذهب من الليل شطره، أخذ جراباً فيه خبز ولحم والدرهم، فحمله على عنقه، ثمّ ذهب به إلى أهل الحاجة من أهل المدينة، فقسّمه فيهم ولا يعرفونه، فلما مضى أبو عبدالله فقدوا إذا [ذلك] فعلوا أنه كان أبا عبدالله^(٢).

حكّمه ومواعظه ﷺ

ومن حكّمه ومواعظه ما عن بعض أصحابه ﷺ، قال: دخلت عليه وموسى بين يديه، وهو يوصيه بهذه الوصية، فكان ممّا حفظت منها، أن قال: يا بنيّ اقبل وصيّي، واحفظ مقالتي، فإنك إن حفظتها تعش سعيداً وتمت حميداً، يا بنيّ من قنع

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٧٤.

(٢) الكافي ج ٤ ص ٨.

بما قسم له استغنى، ومن مدّ عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلّة غيره استعظم زلّة نفسه، ومن استصغر زلّة نفسه استعظم زلّة غيره.

يا بنيّ من كشف عن حجاب غيره تكشّفت عورات بيته، ومن سلّ سيف البغي قُتل به، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها، ومن داخل السفهاء حُقر، ومن خالط العلماء وُقِر، ومن دخل مداخل السوء اتهم.

يا بنيّ إياك أن تزري بالرجال فيزرى بك، وإياك والدخول فيما لا يعينك فتذلّ.
يا بنيّ قل الحقّ لك وعليك تستشار من بين أقرانك.

يا بنيّ كن لكتاب الله تالياً وللإسلام فاشياً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولمن قطعك واصلاً، ولمن سكت مبتدئاً، ولمن سألك معطياً، وإياك والتميمة فإنّها تزرع الشحنة في قلوب الرجال، وإياك والتعرّض لعيوب الناس، فمنزلة المعترض لعيوب الناس كمنزلة الهدف.

يا بنيّ إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه، فإنّ للجود معادن، وللمعادن أصولاً وللأصول فروعاً، وللفروع ثمرات، ولا يطيب ثمر إلا بفرع، ولا فرع إلا بأصل، ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب.

يا بنيّ إذا زرت فزر الأخيار ولا تزر الفجار، فإنهم صخرة لا يتفجّر ماؤها، وشجرة لا يخضّر ورقها، وأرض لا يظهر عشبها.

قال عليّ بن موسى: فما ترك أبي الوصية إلى أن توفي^(١).

وفي كلّ عبارة من كلمات هذه الوصية إشارات ولطائف ودقائق وحقائق، فمن تأمل في كلمة منها وهي قوله عليه السلام: قل الحقّ لك وعليك، يرى أنّ قيام السماوات

(١) كشف الغمّة ج ٢ ص ١٨٤، تهذيب الكمال ج ٥ ص ٨٩، سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٦٣.

والأرض بالحقّ، ولا يمكن تحقّق ما في تصوّر الحكماء من المدينة الفاضلة إلاّ بإحقاق الحقّ، ولا يصل كلّ إنسان إلى الكمال المطلوب له من خلقه إلاّ بالتخلية عن الباطل، والتخلية بالحقّ.

وكلّ ما يتعلّق بالإنسان إمّا له وإمّا عليه، فإذا دار فيها مدار الحقّ يرضى عنه الخالق والخلق، فإذا قال الحقّ له وعليه، فأوّل ما يستفيد منه أن النفوس المفطورة على محبة الحقّ والتنفّر عن الباطل تطمئن إليه وتحبّه، ويصير قسطاساً مستقيماً لا يميل إلى الإفراط والتفريط، فتستمدّ منه العقول، ويكون مستشاراً بين الأقران.

فلو عمل بهذه الكلمة أفراد المجتمع من أدناهم إلى أعلاهم، لتحقق فيه الاطمئنان النفسي والثقة التي يقوم بها المجتمع.

ككيف إذا كان مع ذلك تالياً للكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم، وناشراً للإسلام الذي هو تسليم المسلم لله، وسلامة المسلمين من يده ولسانه، وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، عالماً بما يأمر وما ينهى، وعادلاً فيما يأمر وينهى، ورفيقاً بمن يأمر وينهى، وعاملاً بما يأمر به وتاركاً لما ينهى عنه، ثمّ اتّعظ بسائر المواعظ التي تضمن المحافظة عليها سلامة الحياة ومحمّدة الممات.

وقال عليه السلام: إذا بلغك عن أخيك شيء يسوؤك فلا تغتمّ به، فإنه إن كان كما يقول كانت عقوبة عجلت، وإن كان على غير ما يقول كانت حسنة لم تعملها^(١).

وقال عليه السلام: وإن خير العباد من يجتمع فيه خمس خصال: إذا أحسن استبشر، وإذا أساء استغفر، وإذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا ظلم غفر^(٢).

(١) كشف الغمّة ج ٢ ص ١٨٦، تهذيب الكمال ج ٥ ص ٩٣.

(٢) كشف الغمّة ج ٢ ص ٢٠٦.

كراماته عليه السلام

ومن كراماته عليه السلام ما في الصحيح عن جعفر بن محمد بن الأشعث قال: وقال لي: أتدري ما كان سبب دخولنا في هذا الأمر ومعرفتنا به؟ وما كان عندنا منه ذكر ولا معرفة شيء مما عند الناس؟ قال: قلت له: وما ذاك؟ قال: إن أبا جعفر - يعني أبا الدوانيق - قال لأبي محمد بن الأشعث: يا محمد ابغ لي رجلاً له عقل يؤدّي عني، فقال له أبي: قد أصبته لك، هذا فلان ابن مهاجر خالي. قال: فأتني به، قال: فأتيته بجالي، فقال له أبو جعفر: يا ابن مهاجر خذ هذا المال وائت المدينة وائت عبد الله بن الحسن بن الحسن، وعدة من أهل بيته فيهم جعفر بن محمد، فقل لهم: إنّي رجل غريب من أهل خراسان وبها شيعة من شيعتكم وجّهوا إليكم بهذا المال، وادفع إلى كلّ واحد منهم على شرط كذا وكذا، فإذا قبضوا المال فقل: إنّي رسول وأحبّ أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم، فأخذ المال وأتى المدينة فرجع إلى أبي الدوانيق ومحمد بن الأشعث عنده، فقال له أبو الدوانيق: ما وراءك؟ قال: أتيت القوم وهذه خطوطهم بقبضهم المال، خلا جعفر بن محمد، فإنّي أتيتته وهو يصلي في مسجد الرسول ﷺ فجلست خلفه، وقلت حتى ينصرف فأذكر له ما ذكرت لأصحابه، فعجل وانصرف، ثمّ التفت إليّ فقال: يا هذا اتق الله ولا تغرّ أهل بيت محمد فإنهم قريبوا العهد بدولة بني مروان وكلّهم محتاج، فقلت: وما ذاك أصلحك الله؟ قال: فأدنى رأسه منّي وأخبرني بجميع ما جرى بيني وبينك حتى كأنه كان ثالثنا، قال: فقال له أبو جعفر: يا ابن مهاجر اعلم أنه ليس من أهل بيت نبوة إلا وفيه محدّث، وأنّ جعفر بن محمد محدّثنا اليوم، وكانت هذه الدلالة سبب قولنا بهذه المقالة^(١).

(١) الكافي ج ١ ص ٤٧٥.

ولا عجب أن يعترف إمام المالكية بأنه ما رأت عينه أفضل من جعفر بن محمد، وإمام الحنفية بأنه أعلم الأُمَّة، وأن يعترف أعدى أعدائه ومن توسل بكل وسيلة لإطفاء نوره، بأنه الواسطة بين عالم الغيب والشهود!

وعن أبي بصير أنه قال: كان لي جار يتبع السلطان، فأصاب مالاً فأعدّ قياناً، وكان يجمع الجميع إليه ويشرب المسكر ويؤذيني، فشكوته إلى نفسه غير مرّة فلم ينته، فلما أن ألححت عليه، فقال لي: يا هذا أنا رجل مبتلى، وأنت رجل معافى، فلو عرضتني لصاحبك رجوت أن ينقذني الله بك، فوقع ذلك في قلبي، فلما صرت إلى أبي عبدالله عليه السلام ذكرت له حاله، فقال لي: إذا رجعت إلى الكوفة سيأتيك، فقل له: يقول لك جعفر بن محمد، دع ما أنت عليه وأضمن لك على الله الجنة.

فلما رجعت إلى الكوفة أتاني فيمن أتى فاحتبسته عندي حتى خلا منزلي، ثم قلت له: يا هذا إنّي ذكرتك لأبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فقال لي: إذا رجعت إلى الكوفة سيأتيك، فقل له: يقول لك جعفر بن محمد دع ما أنت عليه وأضمن لك على الله الجنة، قال: فبكى، ثم قال لي: الله لقد قال لك أبو عبدالله هذا؟ قال: فحلفت له أنه قد قال لي ما قلت. فقال لي: حسبك ومضى، فلما كان بعد أيام بعث إليّ فدعاني، فإذا هو خلف داره عريان، فقال لي: يا أبا بصير لا والله ما بقي في منزلي شيء إلا وقد أخرجته، وأنا كما ترى، قال: فضيبت إلى إخواننا، فجمعت له ماكسوته به، ثم لم تأت عليه [إلا] أيام يسيرة حتى بعث إليّ عليل فأتني، فجعلت أختلف إليه، وأعالجه حتى نزل به الموت، فكنت عنده جالساً وهو يوجد بنفسه، فغشي عليه غشية ثم أفاق، فقال لي: يا أبا بصير قد وفي صاحبك لنا، ثم قبض رحمه الله [رحمة الله عليه]، فلما حججت أتيت أبا عبدالله عليه السلام فاستأذنت عليه فلما دخلت، قال لي ابتداءً من داخل البيت وإحدى رجلي في الصحن والأخرى في دهليز داره:

يا أبا بصير قد وفينا لصاحبك^(١).

وعلى رغم اتفاق حكّام الجور مع أئمة الضلال وخدام السلطنة والمال وسعيهم لمنع انتشار أضواء علومه وأنوار كمالاته، فقد ظهر منه ما يجير العقول في العلوم والفنون المختلفة، فيما يتعلّق بالمبدأ والمعاد، والنبوّات، والتكوين، والتشريع في العبادات والمعاملات وعامة الأحكام، وروي عنه من الحكمة والموعظة الحسنة، والمجدال والتي هي أحسن الذي ظهر منه في الإحتجاجات ما ملئت منه الأصول والمصنّفات، مع كثرة ما ضاع من آثاره وأخباره بسبب الخوف وحوادث الزمان، وإنّ ما ظهر منه عليه السلام في السنين القليلة من أيام إمامته، مع شدّة رقابة طاغية عصره عليه وعلى أصحابه شاهد على مبلغ حرمان البشر من كمالات الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، فلو تبيت لهم الوسادة وجلسوا في مجلس الرسول صلى الله عليه وآله وفسّروا الكتاب الذي فيه تبيان كلّ شيء، وفتحوا باب مدينة العلم والحكمة، وأقاموا الناس بالقسط بما أنزل الله من الكتاب والميزان، لظهر ما أراد الرسول صلى الله عليه وآله من قوله: لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما^(٢)، ولتبيّن ما في قوله صلى الله عليه وآله: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق^(٣).

**

(١) الكافي ج ١ ص ٤٧٤ ح ٥ في مولد أبي عبد الله عليه السلام.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ج ٨ ص ١٠٧٥، أصول السرخسي ج ١ ص ٣١٤، أنساب الأشراف ص ١١١، المنقح ص ٢٥، ينابيع المودّة ج ١ ص ١٠٩ وموارد أخرى من هذا الكتاب ومصادر أخرى للعامة.

الإحتجاج ج ١ ص ٨٢ و ١٩١، الكافي ج ٢ ص ٤١٥، كفاية الأثر ص ١٣٧، روضة الواعظين ص ٩٨، كتاب الغيبة ص ٧٣ ومصادر أخرى للخاصّة.

(٣) راجع صفحة: ٢٤٤.

الإمام السابع

موسى بن جعفر عليه السلام

ولد لسبع خلون من صفر سنة ثمان وعشرين ومئة، وقبض لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومئة، وله خمس وخمسون سنة، وكانت مدة إمامته خمساً وثلاثين سنة.

كنيته وألقابه عليه السلام

كنيته أبو الحسن، وأبو إبراهيم، وأبو علي؛ وألقابه: العبد الصالح، والنفس الزكية، وزين المجتهدين، والوفى، والصابر، والأمين، والزاهر، والكاظم.

فضائله ومناقبه عليه السلام

اعترف الفريقان بفضائله ومناقبه التي استحق بها الإمامة والخلافة: قال ابن طلحة: هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكثير التهجد، الجاد في الاجتهاد، المشهود له بالكرامات، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات، يبىء الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدّقاً وصائماً، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دُعي كاظماً، كان يجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقابل الجاني عليه بعفوه عنه، ولكثرة عباداته كان يسمّى بالعبد الصالح، ويُعرف بالعراق بباب

الحوائج إلى الله، لنجح المتوسّلين إلى الله تعالى به، كراماته تحار منها العقول، وتقضي بأن له عند الله قدم صدقٍ لا تزول ولا تزول^(١).

وقال ابن حجر: وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم^(٢).

عن أحمد بن عبد الله عن أبيه، قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح، فقال لي: أشرف على هذا البيت وانظر ما ترى؟ فقلت: ثوباً مطروحاً، فقال: انظر حسناً، فتأمّلت فقلت: رجل ساجد، فقال لي تعرفه؟ هو موسى بن جعفر، أتفقده الليل والنهار فلم أجده في وقت من الأوقات إلا على هذه الحالة، إنه يصليّ الفجر فيعقب إلى أن تطلع الشمس، ثمّ يسجد سجدة، فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس، وقد وكلّ من يترصد أوقات الصلاة، فإذا أخبره وثب يصليّ من غير تجديد وضوء، وهو دأبه، فإذا صلى العتمة أفطر، ثمّ يجدد الوضوء ثمّ يسجد فلا يزال يصليّ في جوف الليل حتى يطلع الفجر، وقال بعض عيونه: كنت أسمعه كثيراً يقول في دعائه: اللهمّ إنني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، اللهمّ وقد فعلت فلك الحمد^(٣).

وكان عليه السلام يقول في سجوده: قبح الذنب من عبدك فليحسن العفو والتجاوز من عندك^(٤).

(١) مطالب السؤل ص ٨٣، كشف الغمّة ج ٢ ص ٢١٢ بتفاوت يسير.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢٠٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٨، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٠٧، باب ٨ ح ١٠.

(٤) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٨، إعلام الوري ج ٢ ص ٢٥، وبتفاوت في كشف الغمّة ج ٢ ص ٢٢٨ ومصادر أخرى للخاصّة.

ومن دعائه عليه السلام: اللهم إني أسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب^(١).
 وكان عليه السلام يتفقّد فقراء أهل المدينة فيحمل إليهم في الليل العين والورق وغير ذلك، فيوصله إليهم وهم لا يعلمون من أيّ جهة هو^(٢).
 وكان عليه السلام يصل بالمأتي دينار إلى الثلاثمائة دينار، وكانت صرار موسى مثلاً^(٣).
 وشكا محمد البكري إليه فمدّ يده إليه فرجع إلى صرّة فيها ثلاثمائة دينار^(٤).
 وكان يستغفر في كلّ يوم خمسة آلاف مرّة^(٥).
 وقال أبو حنيفة: رأيت موسى بن جعفر وهو صغير السنّ في دهليز أبيه فقلت: أين يحدث الغريب منكم إذا أراد ذلك؟ فنظر إليّ ثمّ قال: يتوارى خلف الجدار ويتوقّى أعين الجار، ويتجنّب شطوط الأنهار، ومساقط الثمار، وأفنية الدور والطرق النافذة، والمساجد، ولا يستقبل القبلة، ولا يستدبرها، ويرفع ويضع بعد ذلك حيث شاء.

قال: فلما سمعت هذا القول منه، نبّلت في عيني، وعظم في قلبي، فقلت له: جُعلت فداك: بمنّ المعصية؟ فنظر إليّ ثمّ قال: اجلس حتّى أخبرك، فجلست فقال:

← وقريب منه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ١٩١، تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٩، تهذيب الكمال ج ٢٩ ص ٤٤، ومصادر أخرى للعامة.

- (١) الكافي ج ٣ ص ٣٢٣، تهذيب الأحكام ج ٢ ص ٣٠٠، كشف الغمّة ج ٢ ص ٢٢٨.
- (٢) الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٨٩٦، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٨، كشف الغمّة ج ٢ ص ٢٢٨.
- (٣) كشف الغمّة ج ٢ ص ٢٢٩، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٨، وقريب بهذا المضمون في تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٨، تهذيب الكمال ج ٢٩ ص ٤٥ ومصادر أخرى للخاصّة والعامة.
- (٤) روضة الواعظين ص ٢١٥، دلائل الإمامة ص ٣١٠، كشف الغمّة ج ٢ ص ٢٢٨، تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٩ ومصادر أخرى.
- (٥) كتاب الزهد ص ٧٤ رقم ١٩٩، وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٨٦، كتاب جهاد النفس باب ٩٢ ح ٨.

إِنَّ الْمَعْصِيَةَ لَأَبَدٌ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْعَبْدِ أَوْ مِنْ رَبِّهِ أَوْ مِنْهُمَا جَمِيعاً، فَإِنْ كَانَتْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ أَعْدَلُ وَأَنْصَفُ مَنْ أَنْ يَظْلِمَ عَبْدَهُ وَيَأْخُذَهُ بِمَا لَمْ يَفْعَلْهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْهُمَا فَهُوَ شَرِيكُهُ وَالْقَوِيُّ أَوْلَى بِإِنْصَافِ الضَّعِيفِ، وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْعَبْدِ وَحْدَهُ فَعَلَيْهِ وَقَعَ الْأَمْرُ، وَإِلَيْهِ تَوَجَّهَ النَّهْيُ، وَلَهُ حَقُّ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَوَجِبَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقُلْتُ: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾^(١) الْآيَةَ^(٢).

وهو الذي قال في حقه هارون الرشيد الذي قتله وسعى بكل ما استطاع لإطفاء نوره، لولده المأمون عند ما سأله: يا أمير المؤمنين لقد رأيتك عملت بهذا الرجل شيئاً ما رأيتك فعلته بأحد من أبناء المهاجرين والأنصار، ولا بني هاشم، فمن هذا الرجل؟ فقال: يا بُنَيَّ هذا وارث علم النبيين، هذا موسى بن جعفر بن محمد، إن أردت العلم الصحيح فعند هذا، قال المأمون، فحينئذ انغرس في قلبي محبتهم^(٣).

وقال المطران، وهو أعلم العرب والعجم بالنصرانية لعالم نصراني، سأله عن الأعلام: «إن كنت تريد علم الإسلام، وعلم التوراة، وعلم الإنجيل، وعلم الزبور، وكتاب هود، وكل ما أنزل على نبي من الأنبياء في دهرك ودهر غيرك، وما أنزل من السماء من خبر، فعلمه أحدٌ أو لم يعلم به أحد، فيه تبيان كل شيء، وشفاء للعالمين، وروح لمن استروح إليه، وبصيرة لمن أراد الله به خيراً، وأنس إلى الحق فأرشدك إليه» فأرشده إلى موسى بن جعفر^(٤).

(١) سورة آل عمران: ٣٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٤، وبتفاوت يسير روضة الواعظين ص ٣٩، دلائل الإمامة ص ٢٢.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٩٣ باب ٧ حديث ١٢، الأمالي للشيخ الصدوق ص ٤٥٨ المجلس

الستون ح ١، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٠ وبتفاوت يسير في ينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٥.

(٤) الكافي ج ١ ص ٤٧٨ باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ح ٤.

وما جاء عنه في العلوم والمعارف من معرفة الله وأحكامه، وما يرشد الإنسان إلى سعادة الدارين لا يسعه هذا المختصر.

ولمّا كان العقل هو ما به الإنسان إنسان، وبه تعلّم الأسماء وأسرار الوجود، وصار معلّم الملائكة، ومسحّر ما في السماوات والأرض، فلا بدّ للإنسان من معرفة العقل وما يصلحه وما يفسده، وما يكمله وما ينقصه، لذا أوصى عليه السلام هشام بن الحكم بوصيّة في العقل، من تدبّر في كلّ جملة منها انفتحت عليه أبواب من الحكمة، ونقتصر بذكر بعضها، ولا مجال لشرحها:

«يا هشام، ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلاّ ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

يا هشام، إنّ الله على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة وحجّة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول.

يا هشام، إنّ العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب الحرام صبره.
يا هشام، من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكّره بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه.

يا هشام، نصب الحقّ لطاعة الله، ولا نجاة إلاّ بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلّم، والتعلّم بالعقل يعتقد، ولا علم إلاّ من عالم ربّاني، ومعرفة العلم بالعقل.
يا هشام، إنّ العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب، وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من القرض.

يا هشام، إنّ العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها فعلم أنّها لا تنال إلاّ بالمشقّة، ونظر

إلى الآخرة فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة، فطلب بالمشقة أبقاهما.
يا هشام، إنَّ العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة، لأنَّهم علموا أنَّ الدنيا
طالبة ومطلوبة، والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتَّى
يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت، فيفسد عليه
دنياه وآخرته.

يا هشام، من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين
فليتضرَّع إلى الله عزَّ وجلَّ في مسأله بأن يكملَّ عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه،
ومن قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً.

يا هشام، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما عبد الله بشيء أفضل من العقل،
وما تمَّ عقل امرئ حتَّى يكون فيه خصال شتى: الكفر والشر منه مأمونان، والرشد
والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، ونصيبه من الدنيا
القوت، لا يشبع من العلم دهره، الذلُّ أحبُّ إليه مع الله من العزِّ مع غيره، والتواضع
أحبُّ إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقلُّ كثير المعروف من
نفسه، ويرى الناس كلَّهم خيراً منه، وأنه شرَّهم في نفسه، وهو تمام الأمر.

يا هشام، إنَّ العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه.

يا هشام، إنَّ العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه،
ولا يعد ما لا يقدر عليه، ولا يرجو ما يعنّف برجائه، ولا يقدم على ما يخاف فوته
بالعجز عنه»^(١).

وبالتأمل في هذا الحديث يعلم أنَّ أساس الدين هو العقل والعلم، فالعلم
بنواميس الكون، والقوانين الحاكمة على الموجودات، والسنن الجارية على أعظم

(١) الكافي ج ١ ص ١٦ إلى ٢٠.

الكائنات إلى أصغر الذرّات، والتعقّل فيها يرشد إلى أنه لا يمكن أن تكون المادّة والقوّة الفاقدتان للعلم والإدراك مبدأ العالم بنظامه الحاكم على كلّ جزء من أجزائه، وعلى كلّ هذه الأجزاء، وعلى التفاعل والتأثير والتأثر المتقابل بينهما بميزان وحساب، ولا يمكن أن تكون الحياة منتهية إلى الميّت بالذات، بل كلّ موجود محتاج بافتقار وجوده إلى الغني بالذات، وبتبدّله وتغيّره بلا اختيار من حال إلى حال، مقهور لمن هو محوّل الأحوال.

فلا ينفك العقل والعلم عن الإيّمان، وبكمال العقل يصل الإنسان إلى مقام يكون جوهر نفسه منزهاً عن كدورة الكفر والشرّ، ومنوراً بنور الرشد والخير، و﴿الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾^(١).

العاقل ينفق فضل ماله، بفضل ماله يسدّ لأرباب الحاجة ضرورات حياتهم، فيكون إنفاقه سبباً لطهارة نفسه من البخل، وصيانة للمجتمع من الطغيان. ويمسك فضل كلامه، وبهذا الإمساك يحفظ قوّة جسمه وروحه، ويتنزّه عن اللغو والباطل، وبما أنّ الحكمة التي هي كمال العقل تقتضي إعطاء كلّ ذي حقّ حقه، فحاجة الجسم المخلوق للفناء محدودة بالقوت والزائد عليه ليس له، وإمّا هو لغيره فنصيبه من الدُّنيا القوت، وحاجة الروح المخلوق للبقاء إلى العلم الذي لا حدّ له، فلا يميل من طلب العلم طول دهره.^(٢)

وعندما يرى العاقل أنّ غير الله ذليل لله ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^(٣) و﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٤) يكون الذلّ مع الله أحبّ إليه من العزّ مع غيره.

(١) سورة الأعراف: ٥٨.

(٢) إشارة إلى ما في تحف العقول ص ٤٤٣، من قصار هذه المعاني عن علي بن موسى الرضا عليه السلام.

(٣) سورة مريم: ٩٣.

(٤) سورة يونس: ٦٥.

وعندما يرى أنّ ما به من نعمة فمن الله، وأنّ الذي منه ليس إلاّ القصور أو التقصير، فيكون التواضع أحبّ إليه من الشرف.

وعندما يصل إليه المعروف من غيره يرى عدم استحقاقه لذلك، لهوان نفسه عليه، فيكون القليل عنده كثيراً.

وحيثما يصل منه معروف إلى غيره، يرى كرامة الغير فيرى الكثير قليلاً في مقابل كرامة الإنسان.

وعندما ينظر إلى نفسه يعلم مساويها فيكون على يقين منها، ولا يعلم لنفسه محاسن، لأنّ غضب الله مخفي في معاصيه، فلعلّ سيئة من سيئاته تمحو جميع حسناته.

أمّا إذا نظر إلى غيره فلا يكون على يقين من مساويه لحفاء رضا الله سبحانه في طاعته، فلعلّ بينه وبين الله حسنة تمحو سيئاته، فتأمّر أن يرى الناس كلّهم خيراً منه، وأنه شرّهم في نفسه.

ولا مجال لاستخراج جواهر المعرفة من كلمات معدن العلم والحكمة، وما قيل أو يقال فإنّما هو غرفة من البحر أو رشحة من الدير، ففي كلّ خطاب منه «يا هشام» باب يفتح منه أبواب.

كراماته ﷺ

ومن كراماته مآراوه العامّة والخاصّة:

ما عن شقيق البلخي، قال: خرجت حاجاً في سنة تسع وأربعين ومئة فنزلت القادسية، فبينما أنا أنظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم، فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة ضعيف، فوق ثيابه ثوب من صوف مشتمل بشملة، في

رجليه نعلان وقد جلس منفرداً، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس في طريقهم، والله لأمضين إليه ولأوبخنّه، فدنوت منه، فلما رأيته مقبلاً قال: يا شقيق ﴿جَنَّبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾^(١) ثم تركني ومضى، فقلت في نفسي إن هذا الأمر عظيم قد تكلم بما في نفسي ونطق باسمي، وما هذا إلا عبد صالح لأحقته ولأسألته أن يخالني فأسرعت في أثره فلم ألقه وغاب عن عيني، فلما نزلنا واقصة وإذا به يصلي وأعضاؤه تضرب ودموعه تجري، فقلت: هذا صاحبي أمضي إليه وأستحلّه، فصبرت حتى جلس، وأقبلت نحوه فلما رأيته مقبلاً قال: يا شقيق اتل ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٢) ثم تركني ومضى فقلت: إن هذا الفتى لمن الأبدال، قد تكلم على سرّي مرّتين، فلما نزلنا زبالته إذا بالفتى قائم على البئر وبیده ركوة يريد أن يستقي ماء فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر إليه، فرأيت قد رمق السماء وسمعته يقول:

أنت ربّي إذا ظممت إلى الماء ء وقوتي إذا أردت الطعاما

اللهم سيدي مالي غيرها فلا تعدمنيها، قال شقيق: فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فمدّ يده وأخذ الركوة وملاها ماء فتوضأ وصلّى أربع ركعات، ثم مال إلى كتيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويحركه ويشرب، فأقبلت إليه وسلّمت عليه فردّ عليّ السلام، فقلت: أطمعني من فضل ما أنعم الله عليك، قال: يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك، ثم ناولني الركوة فشربت منها فإذا هو سويق وسكر، فوالله ما شربت قط الذم منه ولا أطيب ريحاً، فشبعت ورويت، وأقت أياً ما لا أشتهي طعاماً ولا شراباً.

(١) سورة الحجرات: ١٢.

(٢) سورة طه: ٨٢.

ثمّ لم أره حتّى دخلنا مكّة، فرأيتُه ليلةً إلى جنب قبة الميزاب في نصف الليل قائماً يصليّ بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتّى ذهب الليل، فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسيّح ثمّ قام فصلّى الغداة، وطاف بالبيت أسبوعاً وخرج فتبعته وإذا له غاشية وموال، وهو على خلاف ما رأيتُه في الطريق، ودار به الناس من حوله يسلمون عليه، فقلت لبعض من رأيتُه يقرب منه: من هذا الفتى؟ فقال: موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلاّ لمثل هذا السيّد ^(١).

وفي المناقب: حكى أنه مغص بعض الخلفاء فعجز بختيشوع النصراني عن دوائه، وأخذ جليداً فأذابه بدواء ثمّ أخذ ماءً وعقده بدواء وقال هذا الطب، إلاّ أن يكون مستجاب دعاء ذا منزلة عند الله يدعو لك، فقال الخليفة: عليّ بموسى بن جعفر، فأُتي به فسمع في الطريق أنينه، فدعا الله سبحانه، وزال مغص الخليفة فقال له: بحقّ جدّك المصطفى أن تقول بجمّ دعوت لي؟ فقال عليه السلام: قلت: اللهمّ كما أريته ذلّ معصيته، فأره عزّ طاعتي، فشفاه الله من ساعته ^(٢).

وفي الصحيح: قال حمّاد بن عيسى: دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام بالبصرة فقلت له: جعلت فداك ادع الله تعالى أن يرزقني داراً، وزوجة، وولداً، وخادماً، والحجّ في كلّ سنة، قال: فرفع يده ثمّ قال: اللهمّ صلّ على محمد وآل محمد وارزق حمّاد بن عيسى داراً وزوجة وولداً وخادماً والحجّ خمسين سنة، قال حمّاد: فلما اشترط خمسين سنة علمت أنّي لا أحجّ أكثر من خمسين سنة، قال

(١) مطالب السؤل ص ٨٣ وبتفاوت في نوادر المعجزات ص ١٥٩، دلائل الإمامة ص ٣١٧، كشف الغمّة

ج ٢ ص ٢١٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٠٥.

حمّاد: وقد حججت ثمانية وأربعين سنة، وهذه داري قد رزقتها، وهذه زوجتي وراء الستر تسمع كلامي، وهذا ابني، وهذا خادمي وقد رزقت كلّ ذلك، فحجّ بعد هذا الكلام حجّتين تمام الخمسين، ثمّ خرج بعد الخمسين حاجّاً فزامل أبا العباس النوفلي فلمّا صار في موضع الإحرام دخل يغتسل فجاء الوادي فحمّله فغرق، فمات رحماً لله وإياه قبل أن يحجّ زيادةً على الخمسين وقبره بسيالة^(١).

وفي الصحيح، قال عبدالله بن مغيرة: مرّ العبد الصالح بامرأة بنى وهي تبكي وصبيانها حولها يبكون، وقد ماتت لها بقرة، فدنا منها ثمّ قال لها: ما يبكيك يا أمة الله؟ قالت: يا عبدالله إنّ لنا صبياناً يتامى وكانت لي بقرة معيشتي ومعيشة صبياني كان منها، وقد ماتت وبقيت منقطعاً بي وبولدي لا حيلة لنا، فقال: يا أمة الله هل لك أن أحييها لك، فأهمت أن قالت: نعم يا عبد الله، فتنحّى وصلى ركعتين، ثمّ رفع يده هنيئة وحرّك شفّتيه، ثمّ قام فصوّت بالبقرة فنخسها نخسة أو ضربها برجله، فاستوت على الأرض قائمة! فلمّا نظرت المرأة إلى البقرة صاحت وقالت: عيسى بن مريم وربّ الكعبة، فخالط الناس وصار بينهم ومضى عليه السلام^(٢).

وفي الصحيح، قال علي بن يقطين: استدعى الرشيد رجلاً يُبطل به أمر أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ويقطعه ويخجله في المجلس فانتدب له رجل معزّم، فلمّا أحضرت المائدة عمل ناموساً على الخبز، فكان كلّما رام خادم أبي الحسن عليه السلام تناول رغيف من الخبز طار من بين يديه، واستفرّ هارون الفرح والضحك لذلك، فلم يلبث أبو الحسن عليه السلام أن رفع رأسه إلى أسد مصوّر على بعض الستور فقال له: يا أسد الله خذ عدوّ الله، قال: فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع،

(١) قرب الاسناد ص ٣١٠، وبتفاوت في دلالات الإمامة ص ٣٢٨.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٨٤.

فافترت ذلك المعزم فخرَّ هارون وندماؤه على وجوههم مغشياً عليهم وطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوه، فلما أفاقوا من ذلك بعد حين، قال هارون لأبي الحسن عليه السلام: أسألك بحقِّي عليك لما سألت الصورة أن تردَّ الرجل، فقال: إن كانت عصا موسى ردّت ما ابتلعته من حبال القوم وعصيَّهم، فإنَّ هذه الصورة تردّ ما ابتلعته من هذا الرجل»^(١).

**

(١) الأمايلي للصدوق ص ٢١٢ المجلس التاسع والعشرون حديث ١٩، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٦٥ باب ٨ حديث ١.

الإمام الثامن

عليّ بن موسى الرضا عليه السلام

ولد على الأشهر لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، وقال في الكافي: ولد سنة ثمان وأربعين ومئة، وقبض في صفر من سنة ثلاث ومائتين، وهو ابن خمس وخمسين سنة، وقد اختلف في تاريخه، إلا أنّ هذا التاريخ هو أقصد إن شاء الله (١).

كنيته وألقابه عليه السلام

كنيته أبو الحسن، ومن ألقابه: الرضا، والصابر، والرضي، والوفي، والصادق، والصدّيق، وقرّة أعين المؤمنين، وغيض الملحدين، وسراج الله، ونور الهدى، وكافي الخلق، وربّ السرير.

فضائله ومناقبه عليه السلام

وهي أكثر من أن تحصى، وقد اشتملت كتب العامّة والخاصّة على ما أثره: قال ابن طلحة: وكانت مناقبه عليّة، وصفاته الشريفة سنيّة، ومكارمه

(١) الكافي ج ١ ص ٤٨٦.

حاتمية، وشنشتته أخزمية، وأخلاقه عربية، ونفسه الشريفة هاشمية، وارومته الكريمة نبوية، فهما عدّ من مزاياه كان ﷺ أعظم منه، ومهما فصل من مناقبه كان أعلى رتبة منه^(١).

عن أحمد بن علي الأنصاري قال: سمعت رجاء بن أبي الضحّاك يقول: بعثني المأمون في إشخاص عليّ بن موسى الرضا ﷺ من المدينة وأمرني أن آخذ به على طريق البصرة والأهواز وفارس، ولا آخذ به على طريق قم، وأمرني أن أحفظه بنفسي بالليل والنهار حتى أقدم به عليه، فكنت معه من المدينة إلى مرو، فوالله ما رأيت رجلاً كان أتقى لله منه، ولا أكثر ذكراً له في جميع أوقاته منه، ولا أشدّ خوفاً لله عزّ وجلّ.

وكان إذا أصبح صلى الغداة، فإذا سلم جلس في مصلاه يسبح الله ويحمده ويكبّره ويهلّله ويصلي على النبي وآله ﷺ حتى تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة يبقى فيها حتى يتعالى النهار، ثم أقبل على الناس يحدّثهم ويعظهم إلى قرب الزوال، ثم جدّد وضوءه وعاد إلى مصلاه، فإذا زالت الشمس قام وصلى ستّ ركعات يقرأ في الركعة الأولى الحمد وقل يا أيها الكافرون، وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد، ويقرأ في الأربع في كلّ ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد، ويسلم في كلّ ركعتين، ويقنت فيهما في الثانية قبل الركوع وبعد القراءة، ثم يؤذّن ثم يصلي ركعتين، ثم يقيم ويصلي الظهر، فإذا سلم سبح الله وحمده وكبره وهلّله ما شاء الله، ثم سجد سجدة الشكر يقول فيها مئة مرة شكراً لله، فإذا رفع رأسه قام، فصلى ست ركعات يقرأ في كلّ ركعة الحمد وقل هو الله أحد ويسلم في كلّ ركعتين ويقنت في الثانية كلّ ركعتين قبل الركوع وبعد القراءة، ثم يؤذّن ثم يصلي ركعتين ويقنت في الثانية، فإذا سلم قام

(١) مطالب السؤل ص ٨٤.

وصلى العصر، فإذا سلّم جلس في مصلاه يسبح الله ويحمده ويكبره ويهلله ما شاء الله، ثم سجد سجدة يقول فيها مئة مرة حمداً لله.

فإذا غابت الشمس توضأً وصلّى المغرب ثلاثاً بأذان وإقامة، وقنت في الثانية قبل الركوع وبعد القراءة، فإذا سلّم جلس في مصلاه يسبح الله ويحمده ويكبره ويهلله ما شاء الله، ثم يسجد سجدة الشكر، ثم رفع رأسه ولم يتكلّم حتى يقوم ويصلّي أربع ركعات بتسليمتين، يقنت في كلّ ركعتين في الثانية قبل الركوع وبعد القراءة، وكان يقرأ في الأولى من هذه الأربع الحمد وقل يا أيها الكافرون، وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد، ثم يجلس بعد التسليم في التعقيب ما شاء الله حتى يمسي ثم يفطر.

ثم يلبث حتى يمضي من الليل قريب من الثلث، ثم يقوم فيصلّي العشاء الآخرة أربع ركعات، ويقنت في الثانية قبل الركوع وبعد القراءة، فإذا سلّم جلس في مصلاه يذكر الله عزّ وجلّ ويسبحه ويحمده ويكبره ويهلله ما شاء الله، ويسجد بعد التعقيب سجدة الشكر، ثم يأوي إلى فراشه.

فإذا كان الثلث الأخير من الليل قام من فراشه بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والإستغفار، فاستاك ثم توضأً، ثم قام إلى صلاة الليل، فصلّى ثماني ركعات ويسلّم في كلّ ركعتين يقرأ في الأوليين منها في كلّ ركعة الحمد مرّة، وقل هو الله أحد ثلاثين مرّة، ويصلّي صلاة جعفر بن أبي طالب أربع ركعات، يسلّم في كلّ ركعتين، ويقنت في كلّ ركعتين في الثانية قبل الركوع وبعد التسبيح، ويحتسب بها من صلاة الليل، ثم يصلّي الركعتين الباقيتين يقرأ في الأولى الحمد وسورة الملك، وفي الثانية الحمد وهل أتى على الإنسان.

ثم يقوم فيصلّي ركعتي الشفع يقرأ في كلّ ركعة منها الحمد مرّة، وقل هو الله

أحد ثلاث مرّات، ويقنت في الثانية ثمّ يقوم فيصليّ الوتر ركعة يقرأ فيها الحمد وقل هو الله أحد ثلاث مرّات، وقل أعوذ بربّ الفلق مرّة واحدة، وقل أعوذ بربّ الناس مرّة واحدة، ويقنت فيها قبل الركوع وبعد القراءة، ويقول في قنوته: اللَّهُمَّ صلِّ على محمدٍ وآل محمد، اللَّهُمَّ اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت وتولّنا فيمن تولّيت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا شرّ ما قضيت، فإنّك تقضي ولا يُقضى عليك، إنه لا يذلُّ من واليت، ولا يعزُّ من عاديت، تباركت ربّنا وتعاليت. ثمّ يقول: أستغفر الله وأسأله التوبة سبعين مرّة، فإذا سلّم جلس في التعقيب ما شاء الله.

وإذا قرب الفجر قام فصلّى ركعتي الفجر، يقرأ في الأولى الحمد وقل يا أيّها الكافرون، وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد، فإذا طلع الفجر أذن وأقام وصلّى الغداة ركعتين، فإذا سلّم جلس في التعقيب، حتّى تطلع الشمس ثمّ سجد سجديّ الشكر حتّى يتعالى النهار.

وكانت قراءته في جميع المفروضات في الأولى الحمد وإنّا أنزلناه، وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد، إلّا في صلاة الغداة والظهر والعصر يوم الجمعة، فإنه كان يقرأ فيها بالحمد وسورة الجمعة والمنافقون، وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة في الأولى الحمد وسورة الجمعة، وفي الثانية الحمد وسبّح، وكان يقرأ في صلاة الغداة يوم الإثنين والخميس في الأولى الحمد وهل أتى على الإنسان، وفي الثانية الحمد وهل أتاك حديث الغاشية.

وكان يجهر بالقراءة في المغرب والعشاء وصلاة الليل والشفع والوتر والغداة ويخفي القراءة في الظهر والعصر، وكان يسبّح في الأخرابين يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر ثلاث مرّات وكان قنوته في جميع صلواته «ربّ اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعزُّ الأجلُّ الأكرم».

وكان إذا أقام في بلدة عشرة أيام صائماً لا يفطر، فإذا جنّ الليل بدأ بالصلاة قبل الإفطار، وكان في الطريق يصليّ فرائضه ركعتين ركعتين، إلا المغرب فإنه كان يصليها ثلاثاً، ولا يدع نافلتها، ولا يدع صلاة الليل والشفع والوتر وركعتي الفجر في سفر ولا حضر.

وكان لا يصليّ من نوافل النهار في السفر شيئاً، وكان يقول بعد كلّ صلاة يقصّها «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» ثلاثين مرّة، ويقول هذا لتمام الصلاة، وما رأيته صلى صلاة الضحى في سفر ولا حضر، وكان لا يصوم في السفر شيئاً، وكان يبدأ في دعائه بالصلاة على محمّد وآله، ويكثر من ذلك في الصلاة وغيرها.

وكان يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن، فإذا مرّ بآية فيها ذكر جنّة أو نار بكى، وسأل الله الجنّة وتعوّذ به من النار، وكان يجهر بسم الله الرحمن الرحيم في جميع صلواته بالليل والنهار، وكان إذا قرأ قل هو الله أحد قال سرّاً «الله أحد» فإذا فرغ منها قال: «كذلك الله ربنا» ثلاثاً، وكان إذا قرأ سورة المجدد قال في نفسه سرّاً «يا أيها الكافرون» فإذا فرغ منها قال: «ربّي الله وديني الإسلام» ثلاثاً، وكان إذا قرأ والتين والزيتون قال عند الفراغ منها: «بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» وكان إذا قرأ لا أقسم بيوم القيامة قال عند الفراغ منها: «سبحانك اللهم بلى» وكان يقرأ في سورة الجمعة ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(١).

وكان إذا فرغ من الفاتحة قال: «الحمد لله رب العالمين» وإذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى، قال سرّاً: «سبحان ربّي الأعلى» وإذا قرأ يا أيها الذين آمنوا قال: «لبّيك اللهم لبّيك» سرّاً.

(١) سورة الجمعة: ١١.

وكان لا ينزل بلداً إلا قصده الناس يستفتونه في معالم دينهم، فيجيبهم ويحدّثهم الكثير عن أبيه، عن آبائه عن عليّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلما وردت به على المأمون سألتني عن حاله في طريقه فأخبرته بما شاهدت منه في ليله ونهاره وطمعنه وإقامته، فقال: بلى [لي] يا ابن أبي الضحّاك هذا خير أهل الأرض، وأعلمهم وأعبدهم، فلا تخبر أحداً بما شهدت منه لئلا يظهر فضله إلا على لساني، وبالله أستعين على ما أقوى من الرفع منه والإساءة به ^(١).

وعن الهروي، قال: جئت إلى باب الدار التي حبس فيها الرضا عليه السلام بسر خس وقد قيّد، فاستأذنت عليه السجّان فقال: لا سبيل لك [لكم] إليه، فقلت: ولم؟ قال: لأنه ربّما صلّى في يومه وليلته ألف ركعة، وإنما يفتل من صلاته ساعة في صدر النهار، وقبل الزوال، وعند اصفرار الشمس، فهو في هذه الأوقات قاعد في مصلاه، يناجي ربّه، قال: فقلت له: فاطلب لي [منه] في هذه الأوقات إذناً [عليه]، فاستأذن لي عليه فدخلت عليه وهو قاعد في مصلاه متفكراً. الخبر ^(٢).

وكان إذا نصبت مائدته، أجلس على مائدته مما ليكه حتى البوّاب والسائس والحجّام، حتى يوم وفاته ^(٣) مع أنه كان يوم وفاته يتململ كتتململ السليم من أثر السمّ.

وفي الصحيح عن عبدالله بن الصلت، عن رجل من أهل بلخ، قال: كنت مع الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان، فدعا يوماً بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك لو عزلت هؤلاء مائدة، فقال: مه، إن

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٨٠، باب ٤٤ ح ٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٨٣، باب ٤٤ ح ٦.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٨٤، باب ٤٤ ح ٧، ج ٢ ص ١٥٩، باب ٤٠ ح ٢٤، ج ٢ ص ٢٤١، باب

الربّ تبارك وتعالى واحد، والأمّ واحدة والأب واحد، والجزء بالأعمال^(١).

مرّ رجل بأبي الحسن الرضا عليه السلام فقال: أعطني على قدر مروّتك، قال: لا يسعني ذلك، فقال: على قدر مروّتي، قال: أمّا إذا فنعم، ثمّ قال: يا غلام أعطه مأتي دينار^(٢).
 عن اليسع بن حمزة، قال: كنت أنا في مجلس أبي الحسن الرضا عليه السلام أحدثه وقد اجتمع إليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام، إذ دخل عليه رجل طوال آدم، فقال له: السلام عليك يا ابن رسول الله، رجل من محبيك ومحبي آبائك وأجدادك، مصدري من الحجّ وقد افتقدت نفقتي، وما معي ما أبلغ به مرحلة، فإن رأيت أن تنهضني إلى بلدي، والله عليّ نعمة، فإذا بلغت بلدي تصدّقت بالذي توليني عنك فلست موضع صدقة. فقال له: اجلس رحمك الله، وأقبل على الناس يحدّثهم حتّى تفرّقوا وبقي هو وسليمان الجعفري وخيثة وأنا، فقال: أتأذنون لي في الدخول؟ فقال له سليمان: قدم الله أمرك، فقام فدخل الحجره وبقي ساعة ثمّ خرج وردّ الباب، وأخرج يده من أعلى الباب، وقال: أين الخراساني؟ فقال: ها أنا ذا. فقال: خذ هذه المائتي دينار، [واستن] واستعمل بها في مؤنتك ونفقتك وتبرك بها، ولا تصدق بها عني، وأخرج فلا أراك ولا تراني. ثمّ خرج، فقال سليمان: جعلت فداك لقد أجزلت ورحمت فلماذا سترت وجهك عنه؟ فقال: مخافة أن أرى ذلّ السؤل في وجهه لقضائي حاجته...^(٣).

ومن هذه سيرته في عبادته للخالق ومعاشرته للخلق، لو صار الأمر إليه فتح على الناس باب معرفة الله في عبادته، ولو صلوا بالإقتداء به إلى اتّقاء الله حقّ تقاته،

(١) الكافي ج ٨ ص ٢٣٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٦٠.

(٣) الكافي ج ٤ ص ٢٣.

وبلغ الإنسان إلى حدِّ كرامته، وتحقق ما قال الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١).

حكمه ومواعظه ﷺ

نذكر بعضها:

لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى تكون فيه ثلاث خصال، سنّة من ربّه، وسنّة من نبيّه، وسنّة من وليّه، فأما السنّة من ربّه فكتمان السرّ، وأما السنّة من نبيّه فمداواة الناس، وأما السنّة من وليّه فالصبر في البأساء والضراء^(٢).

الإيمان أربعة أركان: التوكّل على الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله، وقال العبد الصالح: وأفوض أمري إلى الله، فوفاه الله سيئات ما مكروا^(٣).

لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتّى تكون فيه خصال ثلاث: التفقّه في الدين، وحسن التقدير في المعيشة، والصبر على الرزايا^(٤).

ليس لبخيل راحة، ولا لحسود لذة، ولا لملوك وفاء، ولا لكذوب مروّة^(٥).
من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، وصديق الجاهل في تعب، وأفضل المال ما وقى به العرض، وأفضل العقل معرفة الإنسان نفسه، والمؤمن إذا غضب لم يخرج غضبه

(١) سورة الحج: ٤١.

(٢) كتاب التمهيد ص ٦٧، تحف العقول ص ٤٤٢ من قصار هذه المعاني لعليّ بن موسى ﷺ.

(٣) تحف العقول ص ٤٤٥.

(٤) تحف العقول ص ٤٤٦.

(٥) تحف العقول ص ٤٥٠.

عن حقّ، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا قدر لم يأخذ أكثر من حقّه^(١).
 الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى
 بدرجة، وما قسّم بين الناس [ولم يقسّم بين العباد] شيء أقلّ من اليقين^(٢).
 وقال له ابن السكيت: فما الحجّة على الخلق اليوم؟ فقال عليه السلام: العقل، يعرف به
 الصادق على الله فيصدّقه، والكاذب على الله فيكذّبه، قال: فقال ابن السكيت: هذا
 والله هو الجواب^(٣).

كراماته عليه السلام

ومن كراماته ما رواه في الإرشاد^(٤) والبصائر^(٥) والعيون^(٦)، عن مسافر، قال:
 كنت مع الرضا عليه السلام بنى فمرّ يحيى بن خالد مع قوم من آل برمك، فقال: مساكين
 هؤلاء، لا يدرون ما يحلّ بهم في هذه السنة، ثمّ قال: هاه! وأعجب من هذا،
 هارون وأنا كهاتين، وضمّ بإصبعيه، قال مسافر: فوالله ما عرفت معنى حديثه حتّى
 دفنناه معه.

ومما روته العامّة على ما في المناقب^(٧) عن سعد بن سعد أنه قال نظر الرضا
 إلى رجل فقال يا عبدالله أوص مما تريد واستعد لما لا بدّ منه، فمات الرجل بعد
 ثلاثة أيام.

(١) العدد القوية ص ٢٩٢.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٥١.

(٣) الكافي ج ١ ص ٢٥، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٨٦ باب ٣٢.

(٤) الإرشاد ج ٢ ص ٢٥٨.

(٥) بصائر الدرجات ص ٥٠٤، باب ٩ في الأئمة أنهم يعرفون متى يموتون ... ح ١٤.

(٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢٢٥ باب ٥٠ حديث ٢، وفي الكافي بتفاوت يسير ج ١ ص ٤٩١.

(٧) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٤١.

والخاصة كما في العيون^(١) وإعلام الوري^(٢) وغيرها^(٣) باختلاف يسير: «عن الحسن بن علي الوشاء، قال: شخصت إلى خراسان ومعني حبل وشيء للتجارة فوردت مدينة مرو ليلاً وكنت أقول بالوقف على موسى بن جعفر عليه السلام فوافق موضع نزولي غلام أسود كأنه من أهل المدينة، فقال لي: يقول لك سيدي: وجه إليّ بالخبرة التي معك لأكفّن بها مولى لنا قد توفي، فقلت له: ومن سيّدك؟ قال: علي بن موسى الرضا عليه السلام، فقلت: ما معي خبرة ولا حلّة إلا وقد بعتهما في الطريق، فمضى ثم عاد إليّ فقال لي: بلى قد بقيت الخبرة قبلك، فقلت له: إنّي ما أعلمها معي، فمضى وعاد الثالثة فقال: هي في عرض السفط الفلاني، فقلت في نفسي: إن صحّ قوله فهي دلالة، وكانت ابنتي قد دفعت إليّ خبرة وقالت: ابتع لي بثمانها شيئاً من الفيروزج والسبج [والسيح] من خراسان ونسيتها، فقلت لغلامي: هات هذا السفط الذي ذكره، فأخرجه إليّ وفتحته، فوجدت الخبرة في عرض ثياب فيه، فدفعتها إليه وقلت: لا آخذ لها ثمناً، فعاد إليّ وقال: تهدي ما ليس لك؟ دفعها إليك ابنتك فلانة، وسألتك بيعها وأن تبتاع لها بثمانها فيروزجاً وسبجاً [وسيحاً] فابتع لها بهذا ما سألت، ووجه مع الغلام الثمن الذي يساوي الخبرة بخراسان.

فعجبت ممّا ورد عليّ وقلت: والله لأكتبنّ له مسائل أنا شاكّ فيها، ولأمتحننّه بمسائل سئل أبوه عليه السلام عنها، فأثبتت تلك المسائل في درج وعدت إلى بابه والمسائل في كمي، ومعني صديق لي مخالف، لا يعلم شرح هذا الأمر.

فلما وافيت بابه [ببابه] رأيت العرب والقواد والجند يدخلون إليه، فجلست ناحية

(١) عيون المعجزات ص ٩٨.

(٢) إعلام الوري ج ٢ ص ٥٣.

(٣) كشف الغمّة ج ٢ ص ٣١٢، دلائل الإمامة ص ٣٧٤، الثاقب في المناقب ص ٤٨٠.

داره وقلت في نفسي: متى أنا أصل إلى هذا وأنا متفكّر، وقد طال قعودي وهممت بالانصراف إذ خرج خادم يتصفّح الوجوه، ويقول أين ابن ابنة إلياس؟ فقلت: ها أنا ذا فأخرج من كمّه درجاً وقال: هذا جواب مسألك وتفسيرها، ففتحتة وإذا فيه المسائل التي في كمّي وجوابها وتفسيرها، فقلت: أشهد الله ورسوله على نفسي أنك حجّة الله، وأستغفر الله وأتوب إليه، وقلت، فقال لي رفيقي: إلى أين تسرع؟ فقلت: قد قضيت حاجتي في هذا الوقت، وأنا أعود للقاءه بعد هذا».

وروى الخاصة والعامّة عن أبي حبيب النباجي [النباجي] أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، وقد وافا النباج [النباج]، ونزل بها في المسجد الذي ينزله الحاج [في] كل سنة، وكأني مضيت إليه وسلّمت عليه ووقفت بين يديه، ووجدت عنده طبقاً من خوص نخل المدينة، فيه تمر صيحاني، فكأنه قبض قبضة من ذلك التمر فناولني منه فعددته، فكان ثمانية عشر تمرة، فتأولت أيّ أعيش بعدد كل تمرة سنة. فلما كان بعد عشرين يوماً كنت في أرض تعمر بين يديّ للزراعة حتّى جاءني من أخبرني بقدم أبي الحسن الرضا عليه السلام من المدينة، ونزوله ذلك المسجد، ورأيت الناس يسعون إليه فمضيت نحوه فإذا هو جالس في الموضع الذي كنت رأيت فيه النبي صلى الله عليه وآله وتحتة حصير مثل ما كان تحتة، وبين يديه طبق خوص فيه تمر صيحاني فسلمت عليه، فردّ السلام عليّ واستدنانني فناولني قبضة من ذلك التمر، فعددته فإذا عدده مثل ذلك العدد الذي ناولني رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت له: زدني منه يا ابن رسول الله فقال: لو زادك رسول الله صلى الله عليه وآله لزدناك (١).

*

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢١٠، وبتفاوت في كشف الغمّة ج ٢ ص ٣١٣، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٤٢، ينابيع المودّة ج ٣ ص ١٢١.

وأما ما ظهر من كراماته من مشهده التي جمعها كتب مفصلة، فنقتصر على واحدة منها: روى الصدوق في العيون عن الهروي، قال: حضر المشهد رجل من أهل بلخ ومعه مملوك له، فزار هو ومملوكه الرضا عليه السلام، وقام الرجل عند رأسه يصلي ومملوكه يصلي عند رجليه، فلما فرغا من صلاتهما سجدا فأطالا سجودهما، فرفع الرجل رأسه من السجود قبل المملوك، ودعا بالمملوك، فرفع رأسه من السجود، وقال: لبيك يا مولاي فقال له: تريد الحرية؟ فقال: نعم، فقال: أنت حرٌّ لوجه الله تعالى ومملوكي فلانة ببلخ حرّة لوجه الله تعالى، وقد زوّجتها منك بكذا وكذا من الصداق، وضمنت لها ذلك عنك، وضيعتي الفلانة وقف عليكما وعلى أولادكما وأولاد أولادكما ما تناسلوا بشهادة هذا الإمام عليه السلام.

فبكى الغلام وحلف بالله تعالى وبالإمام عليه السلام أنه ما كان يسأل في سجوده إلا هذه الحاجة بعينها، وقد تعرّفت الإجابة من الله تعالى بهذه السرعة^(١).

ولاية عهده عليه السلام

لما استوى أمر المأمون بعد الأمين، كتب إلى الرضا عليه السلام، يستقدمه إلى خراسان، فاعتلّ عليه الرضا عليه السلام بعلل كثيرة، فما زال المأمون يكاثبه ويسأله حتى علم الرضا عليه السلام، أنه لا يكفّ عنه، فخرج وأبو جعفر عليه السلام له سبع سنين، فكتب إليه المأمون لا تأخذ على طريق الكوفة وقم، فحمل على طريق البصرة والأهواز وفارس، حتى وافى مرو، فلما وافى مرو عرض عليه المأمون أن يتقلّد الإمرة والخلافة، فأبى الرضا عليه السلام في ذلك، وجرت في هذا مخاطبات كثيرة، فبقوا في ذلك نحواً من شهرين^(٢).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢٨٢، باب ٦٩ ح ٧.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٤٩، باب ٤٠ ح ٢١.

وقد احتال المأمون هذه الحيلة لجهات شتى:

منها: إطفاء أنوار الفضائل التي كانت مشرقة من شمس الضحى في مدينة الرسول، التي كانت مزار العامّ والخاصّ، فكان المأمول والمسؤول لهم بعد زيارة الرسول صلى الله عليه وآله زيارة عالم آل محمد صلى الله عليهم، ولم يقدر أن يحبسه ويضيق عليه كما فعل هارون مع أبيه موسى بن جعفر عليه السلام، لتبدّل الظروف والأجواء، فأراد تبيعه وحبسه تحت إشرافه، ويظهر هذا من منعه أن يأخذ طريق الكوفة وقم، لئلا يلتقي مع شيعته في تلك البلاد.

ومنها: أن يسقطه عن أعين الناس بتقليده ولاية عهده حتى يغطي زهده في الدنيا واستغراقه في عبادة الله.

ومنها: أن يزيل عار قتل أخيه الأمين طلباً للملك بإظهار زهده في الخلافة بتقليدها للإمام عليه السلام.

ومنها: أن يمنع من خروج العلويين عليه في أكناف البلاد، ويستريح منهم بهذه الوسيلة.

ولا مجال لبسط الكلام في المقام، ونقتصر على ما جرى بينه وبين الإمام عليه السلام بما رواه الصدوق عن إبراهيم بن تاتانة، وهو من مشايخه الذين ترضى عنهم واعتمد عليه في الفقيه، عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن أبي الصلت الهروي الثقة، قال: إن المأمون قال للرضاء عليه السلام: يا ابن رسول الله قد عرفت علمك وفضلك وزهدك وورعك وعبادتك وأراك أحقّ بالخلافة مني، فقال الرضاء عليه السلام: بالعبودية لله عزّ وجلّ أفتخر وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شرّ الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عزّ وجلّ، فقال له المأمون: فإني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها

لك وأبايعك، فقال له الرضا عليه السلام: إن كانت هذه الخلافة لك والله جعلها لك، فلا يجوز لك أن تخلع لباساً ألبسك الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ماليس لك، فقال له المأمون: يا ابن رسول الله فلا بدّ لك من قبول هذا الأمر، فقال: لست أفعل ذلك طائعاً أبداً، فما زال يجهد به أياماً حتى يئس من قبوله فقال له: فإن لم تقبل الخلافة ولم تحب مبايعتي لك فكُن وليّ عهدي [له] تكون لك الخلافة بعدي، فقال الرضا عليه السلام: والله لقد حدّثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أتّي أخرج من الدنيا قبلك مسموماً مقتولاً بالسّمّ مظلوماً تبكي عليّ ملائكة السماء وملائكة الأرض، وأُدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد، فبكى المأمون، ثمّ قال له: يا ابن رسول الله ومن الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حيّ؟! فقال الرضا عليه السلام: أمّا إنّي لو أشاء أن أقول لقلت من [الذي] يقتلني، فقال المأمون: يا ابن رسول الله إنّما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك، ليقول الناس إنّك زاهد في الدنيا، فقال الرضا عليه السلام: والله ما كذبت منذ خلقتني ربّي عزّ وجلّ وما زهدت في الدُّنيا للدُّنيا، وإنّي لأعلم ما تريد، فقال المأمون: وما أريد؟ قال: الأمان على الصدق، قال: لك الأمان؛ قال: تريد بذلك أن يقول الناس إنّ عليّ بن موسى الرضا عليه السلام لم يزهد في الدُّنيا، بل زهدت الدُّنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة؟ فغضب المأمون ثمّ قال: إنّك تتلقّاني أبداً بما أكرهه وقد أمنت سطوتي فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلاّ أجبرتكَ على ذلك، فإن فعلت وإلاّ ضربت عنقك، فقال الرضا عليه السلام: قد نهاني الله تعالى أن أُلقي بيدي [إلى] التهلكة، فإن كان الأمر على هذا؛ فافعل ما بدا لك؛ وأنا أقبل [ذلك] على أنّي لا أُولي أحداً ولا أعزل أحداً ولا أنقض رسماً ولا سنّة وأكون في الأمر من بعيد مشيراً؛

فرضي منه بذلك وجعله وليّ عهده على كراهة منه عليه السلام بذلك^(١).
استدلّ عليه السلام على بطلان ما اقترحه بأنه إمّا أن تكون الخلافة لك، وإمّا أن لا تكون لك، ولا واسطة بين النفي والإثبات، وعلى التقديرين أنت محجوج.
فإن كانت لك فالخلافة الإلهية ليست سلطنة اعتبارية قابلة للنقل إلى الغير، والإختصاص بها بتخصيص من الله، ولا خيرة فيما يختاره الله، وما ألبسه الله لا يمكن خلعه، وإن كانت الخلافة ليست لك فالفاقد لا يكون معطياً.
وبعد ما صار المأمون محجوجاً في جعل الخلافة له اقترح ولاية العهد، ولم يدر أنه لا يعقل إمكان الفرع بعد استحالة الأصل.
ولمّا رأى عليه السلام عدم اقتناع المأمون بالبرهان أخبره بأنه لا يقدم على اللغو والعبث، فإنّ قبوله لولاية العهد متوقف على احتمال حياته بعد المأمون، وهو عالم بأنه يخرج من الدنيا قبله.
ولمّا رأى إصراره أخبره بأنه يعلم ما تخفي الصدور، بأنه يريد إسقاطه عن أعين الناس، بأنه عليه السلام لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، وبعد ذلك يقتله ظلماً، فلمّا خاب المأمون ولم يصل إلى ما نواه بالتطبيع توسّل بحجة التهديد، وقال: فإن فعلت وإلاّ ضربت عنقك.
لقد جمع عليه السلام بين الإنتهاء بنهي الله ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٢)، وبين القبول بولاية العهد قبولاً كان بعينه ردّها، حيث قال: وأنا أقبل على أن لا أولي أحداً، ولا أعزل أحداً، ولا أنقض رسماً ولا سنة.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٣٩ باب ٤٠ ح ٣، علل الشرائع باب ١٧٣ العلة التي من أجلها قبل

الرضا عليه السلام من المأمون ولاية العهد ح ١.

(٢) سورة البقرة: ١٩٥.

فإذالم يكن له عزل ولا نصب ولا تصرف في أمر كان قبوله كما قال عليه السلام: قد علم الله كراهتي لذلك، فلما خيّرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل، ويحهم أما علموا أن يوسف عليه السلام كان نبياً رسولاً، فلما دفعته الضرورة إلى تولي خزائن العزيز، قال له ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾^(١) ودفعني الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الإشراف على الهلاك، على أنني ما دخلت في هذا الأمر إلا دخول خارج منه، فإلى الله المشتكى وهو المستعان^(٢).

ومما يكشف عن نوايا المأمون وما كان عليه الإمام عليه السلام من الشدة والحرص، أنه بعدما كتب المأمون بذلك إلى البلدان، وضربت الدنانير والدرهم باسم الإمام عليه السلام، وخطب له على المنابر، حضر العيد، فبعث المأمون إلى الرضا عليه السلام يسأله أن يركب ويحضر العيد ويخطب ليطمئن قلوب الناس ويعرفوا فضله وتقرّ قلوبهم على هذه الدولة المباركة، فبعث إليه الرضا عليه السلام وقال: قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخولي في هذا الأمر، فقال المأمون: إنما أريد بهذا أن يرسخ في قلوب العامة والجند والشاكرية هذا الأمر فتطمئن قلوبهم ويقرّوا بما فضلك الله به، فلم يزل يرده الكلام في ذلك، فلما ألح عليه قال: يا أمير المؤمنين إن أعفيتني من ذلك فهو أحب إليّ، وإن لم تعفني خرجت كما كان يخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وكما خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال المأمون: اخرج كما تحبّ، وأمر المأمون القواد والناس أن ييكرروا إلى باب أبي الحسن الرضا عليه السلام، فقعد الناس لأبي الحسن الرضا عليه السلام في الطرقات والسطوح من الرجال والنساء والصبيان واجتمع القواد على

(١) سورة يوسف: ٥٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٣٩ باب ٤٠ ح ٢، علل الشرائع باب ١٧٣ العلة التي من أجلها قبلالرضا عليه السلام من المأمون ولاية العهد ح ٣.

باب الرضا عليه السلام، فلما طلعت الشمس قام الرضا عليه السلام، فاغتسل وتعمّم بعمامة بيضاء من قطن وألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفه وتشمّر، ثم قال لجميع مواليه: افعلوا مثل ما فعلت، ثم أخذ بيده عكّازة وخرج ونحن بين يديه وهو حاف قد شمّر سراويله إلى نصف الساق، وعليه ثياب مشمّرة، فلما قام ومشينا بين يديه رفع رأسه إلى السماء وكبّر أربع تكبيرات؛ فخيّل إلينا أنّ الهواء والحيطان تجاوبه، والقواد والناس على الباب قد تزيّنوا ولبسوا السلاح وتهيّؤوا بأحسن هيئة، فلما طلّعنا عليهم بهذه الصورة حفاة قد تشمّرنا وطلع الرضا عليه السلام وقف وقفه على الباب قال: الله أكبر الله أكبر الله أكبر على ما هدانا الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام والحمد لله على ما أبلانا، ورفع بذلك صوته ورفعنا أصواتنا فترعزت مرو من البكاء والصياح، فقاها ثلاث مرّات، فسقط القواد عن دوابهم ورموا بخفافهم لما نظروا إلى أبي الحسن عليه السلام وصارت مرو ضجّة واحدة ولم يتالك الناس من البكاء والضجيج، وكان أبو الحسن عليه السلام يمشي ويقف في كلّ عشر خطوات وقفه، فكبّر الله أربع مرّات فتخيّل إلينا أنّ السماء والأرض والحيطان تجاوبه، وبلغ المأمون ذلك، فقال له الفضل بن سهل ذو الرياستين: يا أمير المؤمنين إن بلغ الرضا المصلّى على هذا السبيل افتتن به الناس؛ فالرأي أن تسأله أن يرجع فبعث إليه المأمون، فسأله الرجوع، فدعا أبو الحسن عليه السلام بحفّقه فلبسه ورجع^(١).

وقد تحقّق أنه عليه السلام لم يقبل ولاية العهد، بل ردّها.

قال عليّ بن عيسى الثقة عند الفريقين في كشف الغمّة:

وفي سنة سبعين وستائة وصل من مشهده الشريف أحد قوّامه ومعه العهد الذي كتبه المأمون بخط يده وبين سطوره وفي ظهره بخط الإمام ما هو مسطور،

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٥٠ باب ٤٠ ح ٢١.

فقبّلت مواقع أقلامه وسرحت طرفي في رياض كلامه، وعددت الوقوف عليه من منن الله وأنعامه...^(١).

ويظهر من الكتاب شدة الأمر على الإمام عليه السلام، ولكنّه أظهر ما يمكن إظهاره بأوّل كلامه وآخر كلامه فكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الفعّال لما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا رادّ لقضائه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور...»^(٢).

فبيّن أنّ ما يشاء الله كائن لا ما يشاؤون، لا يعقب حكمه بما يحكمون، ولا يرّدّ قضاؤه بما يريدون، وأشار إلى الأعين الخائنة وما تخفي الصدور من طرح ولاية العهد إلى نهاية الأمر.

وأبطل كلّ ما احتاله المأمون بما كتب في آخر كتابه: «والجامعة والجفر يدلّان على ضدّ ذلك، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم، إن الحكم إلاّ لله يقضي بالحقّ وهو خير الفاصلين»^(٣).

وبعدما بيّن بالجامعة والجفر ما لا يعلمه إلاّ عالم الغيب الذي لا يظهر غيبه إلاّ لمن ارتضى، أشار إلى الظلم الذي جرى عليه، وأحال إحقاق الحقّ إلى محكمة يكون القاضي فيها هو الله.

وقد توّسل المأمون بكلّ وسيلة لحطّ مقامه عليه السلام وإطفاء أنوار فضائله، ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره، فعن الحسن بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون يوماً وعنده عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، وقد اجتمع الفقهاء، وأهل الكلام من الفرق

(١) كشف الغمّة ج ٢ ص ٣٣٣.

(٢) كشف الغمّة ج ٢ ص ٣٣٧.

(٣) كشف الغمّة ج ٢ ص ٣٣٧.

المختلفة، فسأله بعضهم، فقال له: يا ابن رسول الله بأي شيء تصح الإمامة مدّعياها؟ قال: بالنص والدليل، قال له: فدلالة الإمام ما هي؟ قال: في العلم واستجابة الدعوة^(١).. والحديث طويل مشتمل على مطالب شامخة تقتصر منها على الإشارة إلى ما أفاد عليه السلام فيما تثبت به الإمامة:

فإنّ الدليل لا بدّ من ارتباطه بالمدلول كارتباط المعلول بالعلّة، حتّى يكون إثباتاً لما هو في مقام الثبوت، والإمام كما في الصحيح: أمين الله في أرضه، وحقّته على عباده^(٢)، والأمانة عنوان إضافي متعلّق بالمستأمن والأمين، وإذا كان المستأمن هو الله سبحانه فالأمانة هي العلوم الإلهية، وكلمات الله التامّات، وما تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر من كلّ أمر، وحروف الاسم الأعظم الذي كان حرف منه عند آصف فجاء بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف، وما يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم، والإمام هو مختار الله لإكمال دينه وإتمام نعمته ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(٣).

والأمين يحتاج إلى سند من المستأمن لإثبات كونه أميناً له، ومن هذه الجهة صحّ عليه السلام دعوى الإمامة بالنصّ، ومن جهة أنّ الإمام حجّة الله على عباده صحّت دعوى الإمامة بدلالة العلم واستجابة الدعوة، فإنّ الحجّة من الله هو الإنسان الكامل، وكمال الإنسان بالعلم ونفوذ الإرادة.

والرياسة الإلهية في الدنيا لا تجتمع مع العجز والجهالة، فلا بدّ أن يكون خليفة الله في خلقه وحقّته على عباده لاستكمال العقول وتربية النفوس أعلم الناس،

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢٠٠ باب ٤٦ ح ١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٢١٨ باب ٢٠ ح ١.

(٣) سورة القصص: ٦٨.

ومستمدّاً من العليم الذي لا نفاذ لكلماته، وباستغراقه في طاعة الله واتباع إرادته لإرادة الله تكون إرادته نافذة، وقدرته قاهرة بإذن الله.

فدلالة الإمام هي العلم واستجابة الدعوة، وهذان الأمران يثبتان مقام الإنسان الكامل في العقل والإرادة الذي هو مربّي نوع الإنسان، وعندما ادعى عليه السلام الإمامة وقال في الملاء العام إنّ دلالتها العلم واستجابة الدعوة، وقد كانت السلطة الحاكمة وحواشيها مترصدين لإبطال دعواه ومع ذلك سكتوا عن مطالبته بإقامة الدليل على مدّعه فإن سكوتهم أقوى شاهد على عجزهم عن معارضته، واعترافهم بأنه العالم الذي عنده جواب كلّ مسألة، وأنه الوجيه عند الله الذي لا تردّ له كلّ طلبية.

ولما كانت سنة الله على إتمام حجّته وإعلاء كلمته أظهر علمه واستجابة دعائه باستدعاء من المأمون، وكذلك يتمّ الله نوره فيسخر المأمون الذي أراد إطفاء نور الامام عليه السلام ليجمع علماء الأمم وعظماء الملل لمناظرته:

لما قدم علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى المأمون أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات مثل الجاثليق، ورأس الجالوت، ورؤساء الصابئين، والهريرد الأكبر، وأصحاب زردهشت، وقسطاس الرومي، والمتكلمين يسمع كلامه وكلامهم، فجمعهم الفضل بن سهل، ثمّ أعلم المأمون باجتماعهم، فقال: أدخلهم عليّ، ففعل، فرحب بهم المأمون، ثمّ قال لهم: إني إنّما جمعتكم لخير، وأحببت أن تناظروا ابن عمّي هذا المدنيّ القادم عليّ، فإذا كان بكرة فاغدوا عليّ ولا يتخلف منكم أحد، فقالوا: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين نحن مبكّرون إن شاء الله.

قال الحسن بن محمّد النوفليّ: فبينما نحن في حديث لنا عند أبي الحسن الرضا عليه السلام إذ دخل علينا ياسر الخادم وكان يتولّى أمر أبي الحسن عليه السلام فقال:

ياسيدي إنّ أمير المؤمنين يقرؤك السلام فيقول: فداك أخوك إنه اجتمع إليّ أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلمون من جميع الملل فرأيتك في البكور علينا إن أحببت كلامهم وإن كرهت كلامهم فلا تتجشّم وإن أحببت أن نصير إليك خفّ ذلك علينا، فقال أبو الحسن عليه السلام: أبلغه السلام وقل له: قد علمت ما أردت، وأنا صائر إليك بكرة إن شاء الله.

قال الحسن بن محمد النوفلي: فلما مضى ياسر التفت إلينا، ثمّ قال لي: يانوفلي أنت عراقي ورقة العراقي غير غليظة فما عندك في جمع ابن عمك علينا أهل الشرك وأصحاب المقالات؟ فقلت: جعلت فداك يريد الإمتحان ويحبّ أن يعرف ما عندك، ولقد بنى على أساس غير وثيق البنيان وبئس والله ما بنى، فقال لي: وما بناؤه في هذا الباب؟ قلت: إنّ أصحاب البدع والكلام خلاف العلماء، وذلك أنّ العالم لا ينكر غير المنكر، وأصحاب المقالات والمتكلمون وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهنة، وإن احتججت عليهم أنّ الله واحد قالوا: صحّح وحدانيته، وإن قلت: إنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: أثبت رسالته، ثمّ يباهتون الرجل وهو يبطل عليهم بحجّته، ويغالطونه حتى يترك قوله، فاحذرهم جعلت فداك، قال: فتبسّم عليه السلام ثمّ قال: يانوفلي أتخاف أن يقطعوا عليّ حجّتي؟ قلت: لا والله ما خفت عليك قطّ وإني لأرجو أن يظفرك الله بهم إن شاء الله، فقال لي: يانوفلي أتحبّ أن تعلم متى يندم المأمون؟ قلت: نعم، قال: إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم، وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم، وعلى أهل الزبور بزبورهم، وعلى الصابئين بعبرائيّتهم، وعلى الهرايزة بفارسيّتهم، وعلى أهل الروم بروميّتهم، وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم، فإذا قطعت كلّ صنف ودحضت حجّته وترك مقالته ورجع إلى قولي علم المأمون أنّ الموضوع الذي هو بسبيله ليس هو بمستحقّ له، فعند ذلك تكون الندامة منه، ولا حول

ولاقوة الإله العلي العظيم...^(١)، هذا ما ظهر من علمه الذي هو دلالة الإمام. وظهرت إجابة دعائه عليه السلام حين احتبس المطر، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: اللهم يارب أنت عظمت حقنا أهل البيت، فتوسلوا بنا كما أمرت، وأملوا فضلك ورحمتك، وتوقعوا إحسانك ونعمتك، فاسقهم سقياً نافعاً عاماً غير رايت ولا ضائر، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم ومقارهم^(٢)، فاستجاب له ربه كما دعا.

*

وصدرت منه الآيات الباهرات التي أقر بها المؤمن والمنافق، وخضع لها المسلم والكافر.

في العيون عن عبدالله بن محمد الهاشمي، قال: دخلت على المأمون يوماً فأجلسني وأخرج من كان عنده، ثم دعا بالطعام فطعمنا، ثم طيّبنا، ثم أمر بستارة فضربت، ثم أقبل على بعض من كان في الستارة، فقال: بالله لما رثيت لنا من بطوس فأخذت تقول:

سقياً بطوس ومن أضحى بها قطننا من عترة المصطفى أبقى لنا حزنا
قال: ثم بكى، فقال لي: يا عبدالله؛ أيلومني أهل بيتي وأهل بيتك أن نصبت أبا
الحسن الرضا عليه السلام علماً، فوالله لأحدّثك بحديث تتعجب منه: جئته يوماً فقلت له:
جعلت فداك أن آباءك موسى بن جعفر، وجعفر بن محمد، ومحمد بن علي، وعلي بن
الحسين عليه السلام كان عندهم علم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، وأنت وصي
القوم ووارثهم، وعندك علمهم، وقد بدت لي إليك حاجة، قال: هاتها، فقلت: هذه

(١) التوحيد: ص ٤١٧.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٦٨، باب ٤١ ح ١.

الزاهريّة حظيتي [خطنتي] ولا أقدم عليها من جواربيّ قد حملت غير مرّة وأسقطت، وهي الآن حامل، فدلتني على ما نتعالج به فتسلم، فقال: لا تخف من إسقاطها فإنّها تسلم، وتلد غلاماً أشبه الناس بأُمّه، ويكون له خنصر زائدة في يده اليمنى ليست بالمدلاة، وفي رجله اليسرى خنصر زائدة ليست بالمدلاة، فقلت في نفسي أشهد أن الله على كلّ شيء قدير فولدت الزاهرية غلاماً أشبه الناس بأُمّه، وفي يده اليمنى خنصر زائدة ليست بالمدلاة، وفي رجله اليسرى خنصر زائدة ليست بالمدلاة، على ما كان وصفه لي الرضا عليه السلام، فمن يلومني على نصبي إياه علماً^(١).

**

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢٢٣، الباب ٤٧ ح ٤٣، الخرائج و الجرائع ج ٢ ص ٦٦٠.

الإمام التاسع

محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام

ولد في شهر رمضان أو شهر رجب سنة خمس وتسعين ومئة، وقبض سنة عشرين ومائتين في آخر ذي القعدة، وكانت مدة إمامته من بعد أبيه سبع عشرة سنة، وهو المولود الذي لم يولد مولود أعظم بركةً على الشيعة منه^(١).

كنيته وألقابه عليه السلام

كنيته أبو جعفر، وأبو علي، ومن ألقابه: التقي، والمنتجب، والجواد، والمرضى، والمختار، والمتوكل، والمتقي، والزكي، والقانع، والعالم.

مكارمه وكراماته عليه السلام

مكارمه وكراماته مسطورة في كتب الخاصّة والعامة، نذكر بعضها: منها: في الصحيح عن محمد بن حسان عن علي بن خالد، وكان زيدياً، قال: كنت في العسكر فبلغني أنّ هناك رجلاً محبوساً أتى به من ناحية الشام مكبولاً، وقالوا: إنه تنبأ، قال عليّ: فداريت القوادين والحجب، حتى وصلت إليه

(١) الكافي ج ١ ص ٣٢١.

فإذا رجل له فهم .

فقلت له : يا هذا ما قصّتك وما أمرك؟ فقال لي : كنت رجلاً بالشام أعبد الله عند رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فبينما أنا في عبادتي [إذ أنا] إذ أتاني شخص فقال قم بنا، قال فقمتم معه، قال فبينما أنا معه في مسجد الكوفة، فقال لي : تعرف هذا المسجد؟ قلت : نعم، هذا مسجد الكوفة قال : فصلّى وصلّيت معه، فبينما أنا معه [إذ أنا] في مسجد المدينة قال : فصلّى وصلّيت، وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله، ودعا له فبينما أنا معه إذا أنا بموضعي الذي كنت أعبد الله فيه بالشام. قال : ومضى الرجل . قال : فلما كان عام قابل في أيام الموسم إذا أنا به وفعل بي مثل فعلته الأولى، فلما فرغنا من مناسكنا وردّني إلى الشام وهمّ بمفارقتي قلت له : سألتك بحقّ الذي أقدرك على ما رأيت، إلا أخبرتني من أنت؟ قال : فأطرق طويلاً ثمّ نظر إليّ فقال : أنا محمّد بن عليّ بن موسى .

فتراقى الخبر إلى محمّد بن عبد الملك الزيّات، قال : فبعث إليّ فأخذني وكبّلني في الحديد، وحملني إلى العراق وحبسني كما ترى .

قال قلت له : ارفع قصّتك إلى محمّد بن عبد الملك؟ فقال : ومن لي يأتيه بالقصّة؟ قال : فأتيته بقرطاس ودواة فكتب قصّته إلى محمّد بن عبد الملك فذكر في قصّته ما كان، قال : فوقع في القصّة: قل للذي أخرجك في ليلة من الشام إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى المدينة، ومن المدينة إلى المكان أن يخرجك من حبسك . قال عليّ: فغمّني أمره ورققت له، وأمرته بالعزاء، قال : ثمّ بكّرت عليه يوماً فإذا الجند، وصاحب الحرس، وصاحب السجن، وخلق عظيم، يتفحّصون حاله قال فقلت : ما هذا؟ قالوا: المحمول من الشام الذي تنبأ افتقد البارحة، لاندرى خسف به الأرض، أو اختطفه الطير في الهواء.

وكان علي بن خالد هذا زيدياً فقال بالإمامة بعد ذلك، وحسن اعتقاده»^(١).
ومنها: ما رواه المفيد^(٢) وعلي بن إبراهيم^(٣) والطبرسي^(٤)، ورواه العامة^(٥)
أيضاً باختلاف في الإجمال والتفصيل، ونقله من الإحتجاج:
عن الريان بن شبيب قال: لما أراد المأمون أن يزوّج ابنته أمّ الفضل أبا جعفر
محمد بن علي عليه السلام بلغ ذلك العبّاسيين فغلظ ذلك عليهم [عليهم ذلك]، واستنكروه
منه، وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا عليه السلام، فخاضوا في ذلك
واجتمع منهم أهل بيته الأذنون منه، فقالوا: ننشدك الله يا أميرالمؤمنين أن تقيم
على هذا الأمر الذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا عليه السلام فإننا نخاف أن تخرج
[يخرج] به عنّا أمراً [أمر] قد ملكناه الله عزّ وجلّ، تنزع [ينزع] منّا عزّاً [عزّ] قد
ألبسنا الله عزّ وجلّ، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان
عليه الخلفاء الراشدون قبلك، من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنّا في وهلة من
عملك مع الرضا ما عملت فكفانا الله المهمّ من ذلك، فالله الله أن تردّنا إلى غمّ قد
انحسر عنّا، واصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح
لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون: أمّا ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه، ولو
أنصفتهم القوم لكانوا أولى بكم، وأمّا ما كان يفعله من قبلي بهم، فقد كان به قاطعاً

(١) بصائر الدرجات الجزء الثامن باب ١٣، ح ١، ص ٤٢٢، وبتفاوت في الكافي ج ١ ص ٤٩٢ وكشف

الغمّة ج ٢ ص ٣٥٩، الخرائج والجرائح ج ١ ص ٣٨٠.

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٢٨١.

(٣) تفسير القمي ج ١ ص ١٨٢.

(٤) الإحتجاج ج ٢ ص ٢٤٠.

(٥) الصواعق المحرقة ص ٢٠٦.

للرحم، وأعوذ بالله من ذلك، ووالله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا ولقد سألته أن يقوم بالأمر وأنزعه عن [من] نفسي فأبى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وأما أبو جعفر محمد بن علي فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل، مع صغر سنه، والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلموا أنّ الرأي ما رأيت.

فقالوا: إنّ هذا الفتى وإن راقك منه هديه فإنه صبي لا معرفة له ولا فقه، فأمله ليتأدّب ثم اصنع ما تراه بعد ذلك، فقال لهم: ويحكم إني أعرف بهذا الفتى منكم، وإنّ هذا من أهل بيت علمهم من الله تعالى ومواده وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت لكم من حاله.

قالوا: [لقد] قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحاننا، فخلّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بمحضرتك عن شيء من فقه الشريعة، فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره، وظهر للخاصّة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين فيه، وإن عجز عن ذلك فقد كفيينا الخطب في معناه فقال لهم المأمون: شأنكم وذلك متى أردتم.

فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم، وهو يومئذ قاضي الزمان، على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعادوا إلى المأمون فسأله أن يختار لهم يوماً للإجتاع، فأجابهم إلى ذلك.

فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه وحضر معهم يحيى بن أكثم، وأمر المأمون

أن يفرش لأبي جعفر دست ويجعل له فيه مسورتان ففعل ذلك، وخرج أبو جعفر عليه السلام وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر فجلس بين المسورتين، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام الناس في مراتبهم والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر عليه السلام.

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر عن مسألة؟ فقال المأمون: استأذنه في ذلك فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: سل إن شئت.

قال يحيى: ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيداً؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: قتله في حل، أو حرم، عالماً كان المحرم، أو جاهلاً، قتله عمداً أو خطأ، حرّاً كان المحرم أم عبداً، صغيراً كان أم كبيراً، مبتدئاً بالقتل أو معيداً، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد أم من كبارها، مصرّاً على ما فعل أو نادماً، في الليل كان قتله للصيد أم في النهار، محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ كان محرماً؟

فتحير يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والإنقطاع ولجلج [تلجلج]، حتى عرف جماعة أهل المجلس عجزه.

فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثمّ نظر إلى أهل بيته فقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟ ثمّ أقبل على [إلى] أبي جعفر عليه السلام فقال له: أتخطب يا أبا جعفر؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال له المأمون: أخطب لنفسك جعلت فداك فقد رضيتك لنفسي وأنا مزوّجك أمّ الفضل ابنتي، وإن رغم أنوف قوم لذلك.

فقال أبو جعفر عليه السلام: الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحديته

وصلَّى اللهُ على [محمَّد] سيِّد بريِّته، والأصفياء من عترته .

أما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام، أن أغناهم بالحلال عن الحرام، فقال سبحانه: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

ثم إنَّ محمَّد بن علي بن موسى يخطب أمَّ الفضل بنت عبد الله المأمون، وقد بذل لها من الصداق مهر جدِّته فاطمة بنت محمَّد عليها السلام وهو خمسمائة درهم جياداً، فهل زوّجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟

قال المأمون: نعم، قد زوّجتك يا أبا جعفر أمَّ الفضل ابنتي على الصداق المذكور، فهل قبلت النكاح؟ قال أبو جعفر عليه السلام: نعم قد قبلت ذلك ورضيت به . فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم من الخاصّة والعامة .

قال الريّان: ولم نلبث أن سمعنا أصواتاً تشبه [أصوات] الملاحين في محاوراتهم فإذا الخدم يجرون سفينة مصنوعة من فضّة تشدّ بالحبال من الإبريسم على عجل مملوّة من الغالية، فأمر المأمون أن تخضب لحاء [الحى] الخاصّة من تلك الغالية ثمّ مدت إلى دار العامة فتطيبوا منها، ووضعت الموائد فأكل الناس، وخرجت الجوائز إلى كلّ قوم على قدرهم .

فلما تفرّق الناس وبقي من الخاصّة من بقي، قال المأمون لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك إن رأيت أن تذكر الفقه [الذي] فيما فصلته من وجوه قتل المحرم لنعلمه ونستفيده .

فقال أبو جعفر عليه السلام: نعم، إنَّ المحرم إذا قتل صيداً في الحلّ وكان الصيد من ذوات الطير، وكان من كبارها، فعليه شاة، فإن [وإن] أصابه في الحرم فعليه الجزاء

(١) سورة النور: ٣٢.

مضاعفاً، وإذا قتل فرحاً في الحلّ فعليه حمل قد فطم من اللبن، فإذا قتل في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، فإذا كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظيباً فعليه شاة، وإن كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة.

وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه، وكان إحرامه بالحجّ [للحج] نحره بمنى، وإن كان إحرامه بالعمرة نحره بمكة.

وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد عليه المأثم وهو موضوع عنه في الخطأ.

والكفارة على الحرّ في نفسه، وعلى السيّد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط ندمه عنه عقاب الآخرة، والمصرّ يجب عليه العقاب في الآخرة.

فقال [له] المأمون: أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك فقال أبو جعفر عليه السلام ليحيى: أسألك؟ قال: ذلك إليك جعلت فداك، فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفدته منك.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلّت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلّت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل وقت العشاء الآخرة حلّت له، فلما كان وقت انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلّت له، ما حال هذه المرأة وبماذا حلّت له وحرمت عليه؟

فقال له يحيى بن أكثم: لا والله لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف

الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدناه.

فقال أبو جعفر عليه السلام: هذه أمة لرجل من الناس، نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاه فحلّت له، فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوّجها فحلّت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كَفَّر عن الظهار فحلّت له، فلما كان في نصف الليل طلقها تطليقة واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلّت له.

قال: فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم من يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب، أو يعرف القول فيما تقدّم من السؤال؟ قالوا: لا والله، إن أمير المؤمنين أعلم بما رأى، فقال: ويحكم إن أهل هذا البيت خصّوا من الخلق بما ترون من الفضل، وإن صغر السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال...»^(١).

حكمه ومواعظه عليه السلام

ومن حكمه ومواعظه عليه السلام:

«كيف يضيع من الله كافله، وكيف ينجو من الله طالبه، ومن انقطع إلى غير الله وكله الله إليه، ومن عمل على غير علم كان ما أفسد أكثر ممّا يصلح»^(٢).

الضياع إمّا من جهل الكفيل وإمّا من عجزه وإمّا من سفاهته، فلا ضياع إذا كان الكفيل عالماً قادراً حكماً، فكيف يضيع من الله كافله.

(١) الإحتجاج ج ٢ ص ٢٤٠، باب احتجاج الجواد عليه السلام، الإرشاد ج ٢ ص ٢٨١.

(٢) كشف الغمّة ج ٢ ص ٣٦٨، بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٦٤.

ونجاة المطلوب إنما تكون من الطالب الذي يمكن الفرار منه، وكيف يمكن الفرار ممن هو معكم أينما كنتم، لا بمعية مكاتبة، بل بمعية قيومية، وليس الفرار منه إلا إليه، فكيف ينجو من الله طالبه؟

إن من انقطع إلى غير الله يطلب بانقطاعه إليه التوكل عليه، فإذا وكله الله إليه أجاب دعوته، ولم يرد طلبته، سبحانه من هو جواد في كل ما يفعل بالعباد، فمن انقطع إلى غير الله وكله الله إليه إجابةً لدعوته.

كل عمل من كل عامل سواء أكان للدنيا أو للآخرة، وكان للفرد أو المجتمع لا بد أن يكون عن علم، والعلم هو الذي لا يحتمل الخلاف، وإلا كان العمل عن جهل حتى لو كان عن ظن، فإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، فيكون لا محالة ما يفسده أكثر مما يصلحه.

وقال عليه السلام: «من أطاع هواه أعطى عدوه مناه»^(١).

إن الهوى يهوي بمن اتبعه إلى مهالك الدنيا والآخرة، ويوجب العقل عن إدراك الحسن والقبح، والخير والشر، فيصدّه عن الحق، فيضل عن سبيل الله، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟! قال الله تعالى: «وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا»^(٢) فأعدى عدوك هي نفسك التي بين جنبيك، فمن أطاع هواه فقد أعطى عدوه مناه.

وقال عليه السلام: «قد عاداك من ستر عنك الرشد اتباعاً لما تهواه»^(٣).

وقال عليه السلام: «إياك ومصاحبة الشرير، فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره، ويقبح أثره»^(٤).

(١) و (٣) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٦٤.

(٢) سورة الكهف: ٢٨.

(٤) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٦٤.

إن أصحاب النفوس الشريرة يخفون شرهم وراء القول والعمل الكاذب، ويظهر شرهم عند ما يصدر منهم، كما يظهر أثر السيف المسلول إذا ضرب به.
وقال عليه السلام: «من لم يعرف الموارد أعيته المصادر»^(١).

جمع عليه السلام في هذه الجملة ما يوجب السعادة والشقاء، فإن من لم يعرف ما يرد عليه من قول وعمل، لا يعلم المصالح والمفاسد، والمضار والمنافع التي تصدر من الموارد، كمن يمشي في ظلمات لا يدري ما يضع قدمه عليه، وأما من عرف الموارد فهو على بصيرة واستعداد للمصادر.

وقال عليه السلام: «لا تكن ولياً لله في العلانية، عدوّاً له في السر»^(٢).
فإن من أصلح ظاهره عند الخلق وأفسد باطنه عند الخالق، فقد عظم الخلق وحقّر الخالق، وهو أسوأ حالاً ممن كان عدوّاً لله في السرّ والعلانية، فإنه قد أمن الناس من نفاقه.

وقال عليه السلام: «عزّ المؤمن في غناه عن الناس»^(٣).
إن الإستهغاء عن الناس والافتقار إلى الله عزّ وجلّ شرف الدنيا والآخرة.
وقال عليه السلام: «القصدي إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من اتعاب الجوارح بالأعمال»^(٤).
من عرف منزلة النفس من البدن، ومرتبة القصد من العمل، أدرك معنى قوله عليه السلام.

وقال عليه السلام: «الثقة بالله ثمن لكلّ غال، وسلّم إلى كلّ عال»^(٥).

(١) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٦٤.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٦٥.

(٣) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٦٥.

(٤) نزهة الناظر ص ١٣٤، كشف الغمّة ج ٢ ص ٣٦٨، بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٦٤.

(٥) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٦٤.

إنّ الإنسان مفطور على حبّ الكمال، فهتمته تحصيل ما هو غال، والوصول إلى ما هو عال، والطبقة النازلة من الناس اعتمادهم على المال والمنال، والطبقة المتوسطة ثقهم بقوة نفوسهم لما يرونه من قدرتها العجيبة إذا جمعت قواها، فهم يرون أنّ العقد العضال تنحلّ بإرادتها القوية بالرياضة، وأنه بهمم الرجال تزول الجبال.

وأمّا الطبقة العالية فتري أنّ قدرة ما ومن هو غير الله كلّها محدودة وبالعرض، والمحدود لا يتجاوز عن حدّه، وما هو بالعرض مقهور لما هو بالذات، فليس الثمن لكلّ غال والسلم إلى كلّ عالٍ إلاّ الثقة بالله المتعال.

**

الإمام العاشر

عليّ بن محمّد بن عليّ النقيّ عليه السلام

قيل ولد للنصف من ذي الحجّة سنة اثنتي عشرة ومأّتين، وروي أنه ولد في رجب سنة أربع عشرة ومأّتين، وقبض لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومأّتين، وروي أنه قبض عليه السلام سنة أربع وخمسين ومأّتين، وعمره على القول الأوّل في مولده إحدى وأربعون سنة وستّة أشهر، وعلى المروي أربعون سنة^(١).

كنيته وألقابه عليه السلام

كنيته أبو الحسن، وألقابه: الهادي، والنجيب، والمرضى، والتقيّ، والعالم، والفقيه، والأمين، والمؤتمن، والناصح، والمفتاح، والطيب، والمتوكّل، والعسكري. وفي الصحيح عن إسماعيل بن مهران، قال: لما خرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى من خرجتيه، قلت له عند خروجه: جعلت فداك، إنّي أخاف عليك في هذا الوجه، فإلى من الأمر بعدك؟ فكرّ بوجهه إليّ ضاحكاً، وقال: ليس حيث ظننت في هذه السنة.

(١) الكافي ج ١ ص ٤٩٧.

فلما استدعني به إلى المعتصم، صرت إليه، فقلت له: جعلت فداك، فأنت خارج، فإلى من هذا الأمر من بعدك؟ فبكي حتى اخضلت لحيته، ثم التفت إليّ، فقال: عند هذه يخاف عليّ، الأمر من بعدي إلى ابني علي^(١).

كراماته عليه السلام

وهي أكثر من أن يحويها هذا المختصر، ونقتصر على بعضها:

١- عن أبي هاشم الجعفري، قال: كنت بالمدينة حين مرّ بنا [بغا] أيام الواثق في طلب الأعراب فقال أبو الحسن: اخرجوا بنا حتى ننظر إلى تعبئة هذا التركي، فخرجنا فوقفنا فرّت بنا تعبئته، فرّ بنا تركي، فكلّمه أبو الحسن عليه السلام بالتركي، فنزل عن فرسه فقبل حافر فرس الإمام عليه السلام، فحلّفت التركي، فقلت له: ما قال لك الرجل؟ قال: هذا نبيّ؟! قلت: ليس هو نبيّ. قال: دعاني باسم سمّيت به في صغري في بلاد الترك، ما علمه أحدٌ إلى الساعة^(٢).

٢- عن صالح بن سعيد، قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام، فقلت له: جعلت فداك، في كلّ الأمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك، فقال: هاهنا أنت يا ابن سعيد، ثمّ أوماً بيده، فقال: انظر، فنظرت، فإذا بروضات آنفات، وروضات ناظرات، فبهنّ خيرات عطرات، وولدان كأنهنّ اللؤلؤ المكنون، وأطيّار، وظباء، وأنهار تفور، فحار بصري وحسرت عيني، فقال: حيث كنّا فهذا لنا عتيد، ولسنا في خان الصعاليك^(٣).

(١) الكافي ج ١ ص ٣٢٣، الإرشاد ج ٢ ص ٢٩٨.

(٢) الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٦٧٤، وبتفاوت يسير في الثاقب في المناقب ص ٥٣٩، إعلام الوری ج ٢ ص ١١٧، كشف العمّة ج ٢ ص ٣٩٧، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٤٠٨.

(٣) الكافي ج ١ ص ٤٩٨، وبتفاوت يسير في بصائر الدرجات الجزء الثامن باب ١٣ ح ٧، ص ٤٠٦، ←

٣- حدّث جماعة من أهل إصفهان، منهم أبو العباس أحمد بن النضر وأبو جعفر محمد بن علوية قالوا: كان بإصفهان رجل يقال له: عبد الرحمن وكان شيعياً، قيل له: ما السبب الذي أوجب عليك به القول بإمامة عليّ النقيّ دون غيره من أهل الزمان؟

قال: شاهدت ما أوجب ذلك عليّ، وذلك أنّي كنت رجلاً فقيراً وكان لي لسان وجرأة، فأخرجني أهل إصفهان سنة من السنين مع قوم آخرين إلى باب المتوكّل متظلمين، فكنا بباب المتوكّل يوماً إذ خرج الأمر بإحضار علي بن محمد ابن الرضا عليه السلام فقلت لبعض من حضر: من هذا الرجل الذي قد أمر بإحضاره؟ فقيل: هذا رجل علويّ تقول الرافضة بإمامته. ثمّ قيل: ويقدّر أنّ المتوكّل يحضره للقتل. فقلت: لا أبرح من هاهنا حتّى أنظر إلى هذا الرجل أيّ رجل هو؟ قال: فأقبل راكباً على فرس، وقد قام الناس يمينة الطريق ويسرته صفين ينظرون إليه، فلما رأيتّه وقع حبّه في قلبي فجعلت أدعو له في نفسي بأن يدفع الله عنه شرّ المتوكّل، فأقبل يسير بين الناس وهو ينظر إلى عرف دابّته لا ينظر يمينة ولا يسرة، وأنا دائم الدعاء له، فلما صار بإزائي أقبل إليّ بوجهه، وقال: استجاب الله دعاءك، وطوّل عمرك، وكثّر مالك وولدك.

قال: فارتعدت [من هيبتته] ووقعت بين أصحابي، فسألوني وهم يقولون: ما شأنك؟ فقلت: خير، ولم أخبرهم بذلك.

فانصرفنا بعد ذلك إلى إصفهان، ففتح الله عليّ [الخير بدعائه، و] وجوهاً من المال حتّى أنا اليوم أغلق بابي على ما قيمته ألف ألف درهم، سوى مالي خارج

← الناقد في المناقب ص ٥٤٢، الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٦٨٠، إعلام الوری ج ٢ ص ١٢٦، كشف الغمّة ج ٢ ص ٣٨٣، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٤١١ ومصادر أخرى.

داري، ورزقت عشرة من الأولاد، وقد بلغت الآن من عمري نيفاً وسبعين سنة وأنا أقول بإمامة هذا الذي علم ما في قلبي واستجاب الله دعاءه في ولي^(١).

٤- قال هبة الله بن أبي منصور الموصلية: كان بديار ربيعة كاتب نصراني وكان من أهل كفر توثا، يسمّى يوسف بن يعقوب، وكان بينه وبين والدي صداقة، قال: فوافانا فنزل عند والدي فقال له والدي: ما شأنك قدمت في هذا الوقت؟ قال: قد دعيت إلى حضرة المتوكل، ولا أدري ما يراد مني، إلا أنني اشتريت نفسي من الله بمائة دينار، وقد حملتها لعلي بن محمد بن الرضا عليه السلام معي. فقال له والدي: قد وُقِّت في هذا.

قال: وخرج إلى حضرة المتوكل وانصرف إلينا بعد أيام قلائل فرحاً مستبشراً. فقال له والدي: حدّثني حديثك.

قال: صرت إلى سرّ من رأى وما دخلتها قطّ، فنزلت في دار وقلت: أحبّ أن أوصل المائة إلى ابن الرضا عليه السلام قبل مصيري إلى باب المتوكل، وقبل أن يعرف أحد قدومي. قال: فعرفت أنّ المتوكل قد منعه من الركوب، وأنه ملازم لداره فقلت: كيف أصنع؟ رجل نصراني يسأل عن دار ابن الرضا؟! لا آمن أن ينذر بي فيكون ذلك زيادة فيما أحاذره.

قال: ففكرت ساعة في ذلك، فوقع في قلبي أن أركب حماري وأخرج في البلد، فلا أمنعه من حيث يذهب، لعلّي أقف على معرفة داره من غير أن أسأل أحداً.

قال: فجعلت الدنانير في كاغدة، وجعلتها في كمّي، وركبت فكان الحمار

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٣٩٢، وبتفاوت يسير في الثاقب في المناقب ص ٥٥٠، كشف الغمّة ج ٢

يخترق الشوارع والأسواق يمرّ حيث يشاء إلى أن صرت إلى باب دار، فوقف الحمار فجهدت أن يزول فلم يزل، فقلت للغلام: سل لمن هذه الدار؟
 فقيل: هذه دار [علي بن محمد] ابن الرضا! فقلت: الله أكبر دلالة والله مقنعة.
 قال: وإذا خادم أسود قد خرج [من الدار] فقال: أنت يوسف بن يعقوب؟
 قلت: نعم. قال: انزل. فنزلت فأقعدني في الدهليز ودخل، فقلت في نفسي: وهذه دلالة أخرى من أين عرف هذا الخادم اسمي [واسم أبي]، وليس في هذا البلد من يعرفني، ولا دخلته قط؟!!

قال: فخرج الخادم فقال: المائة الدينار التي في كمّك في الكاغدة هاتها؟!
 فناولته إيّاها، فقلت: وهذه ثالثة، ثمّ رجع إليّ، فقال: ادخل.
 فدخلت إليه وهو في مجلسه وحده فقال: يا يوسف أما آن لك أن تسلم؟
 فقلت: يا مولاي قد بان [لي من البرهان] ما فيه كفاية لمن اكتفى.
 فقال: هيهات أمّا إنك لا تسلم، ولكن سيسلم ولدك فلان، وهو من شيعتنا.
 [فقال:] يا يوسف إن أقواماً يزعمون أنّ ولايتنا لا تنفع أمثالك، كذبوا والله إنّها لتنفع أمثالك، امض فيما وافيت له، فإنك ستري ما تحبّ [وسيو ولدك ولد مبارك].
 قال: فضييت إلى باب المتوكّل فقلت كلّ ما أردت فانصرفت.

قال هبة الله: فلقيت ابنه بعد [موت أبيه] وهو مسلم حسن التشيع، فأخبرني أن أباه مات على النصرانية، وأنه أسلم بعد موت والده. وكان يقول: أنا بشارة مولاي عليه السلام (١).

٥- عن زرارة [زرارة] قال: أراد المتوكّل أن يمشي عليّ بن محمد بن الرضا عليه السلام يوم السلام، فقال له وزيره: إنّ في هذا شناعة عليك وسوء مقالة فلا تفعل. قال:

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٣٩٦، وبتفاوت يسير في كشف الغمّة ج ٢ ص ٣٩٢.

لابد من هذا.

قال: فإن لم يكن بد من هذا فتقدم بأن يمشي القواد والأشراف كلهم، حتى لا يظن الناس أنك قصدته بهذا دون غيره، ففعل ومشى عليه السلام وكان الصيف، فوافي الدهليز وقد عرق.

قال: فلقيته فأجلسته في الدهليز ومسحت وجهه بمنديل وقلت: إن ابن عمك لم يقصدك بهذا دون غيرك، فلا تجد عليه في قلبك.

فقال: إيهأ عنك ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرٍ مَكْدُوبٍ﴾ (١).

قال زرافة: وكان عندي معلّم يتشيع وكنت كثيراً أمازحه بالرافضي فانصرفت إلى منزلي وقت العشاء وقلت: تعال يا رافضي حتى أحدثك بشيء سمعته اليوم من إمامكم. قال: وما سمعت؟ فأخبرته بما قال.

قال: يا حاجب أنت سمعت هذا من علي بن محمد عليه السلام؟ قلت: نعم. قال: فحقك عليّ واجب بحق خدمتي لك، فاقبل نصيحتي، قلت: هاتها. قال: إن كان علي بن محمد قد قال ما قلت فاحترز واخزن كل ما تملكه، فإن المتوكل يموت أو يُقتل بعد ثلاثة أيام، فغضبت عليه وشتمته وطرده من بين يدي، فخرج.

فلما خلوت بنفسي، تفكرت وقلت: ما يضرني أن آخذ بالحزم، فإن كان من هذا شيء كنت قد أخذت بالحزم، وإن لم يكن لم يضرني ذلك، قال: فركبت إلى دار المتوكل فأخرجت كل ما كان لي فيها، وفرقت كل ما كان في داري إلى عند أقوام أثق بهم، ولم أترك في داري إلا حصيراً أقعد عليه.

فلما كانت الليلة الرابعة قتل المتوكل وسلمت أنا ومالي، فتشيعت عند ذلك

(١) سورة هود: ٦٥.

وصرت إليه، ولزمت خدمته، وسألته أن يدعو لي وتولّيته حقّ الولاية^(١).
 وغير خفيّ أنّ ما ناله الرجل من الأمن في الدنيا والأمان في الآخرة ببركة
 خدمته للإمام عليه السلام بمسح عرق وجهه، فطوبى لمن أحيا أمرهم بما أقدره الله عليه،
 فإنّ ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(٢).

حكّمه ومواعظه عليه السلام

ومن حكّمه ومواعظه عليه السلام :

من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه^(٣).
 الغنى قلّة تمنّيك، والرضا بما يكفيك^(٤).
 الناس في الدنيا بالأموال، وفي الآخرة بالأعمال^(٥).
 المصيبة للصابر واحدة، وللجاذع اثنتان^(٦).
 الحسد ماحي الحسنات، والدهر جالب المقت، والعجب صارف عن طلب
 العلم، داع إلى الغمط، والجهل والبخل أذمّ الأخلاق، والطمع سجيّة سيّئة، والهزء
 فكاهة السفهاء وصناعة الجهّال، والعقوق يعقب القلّة ويؤدّي إلى الذلّة^(٧).
 اذكر مصرعك بين يدي أهلك، ولا طيب يمنعك، ولا حبيب ينفعك^(٨).

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٤٠١.

(٢) سورة النحل: ٩٦.

(٣) و(٤) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ص ١٣٨، بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٦٨.

(٥) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ص ١٣٩، بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٦٩.

(٦) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ص ١٤٠، بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٦٩.

(٧) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٦٩.

(٨) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ص ١٤١، بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٧٠.

خير من الخير فاعله، وأجمل من الجميل قائله، وأرجح من العلم حامله، وشرّ من الشرّ جالبه، وأهول من الهول راكبه^(١).

إذا كان زمان العدل فيه أغلب من الجور، فحرام أن يظنّ بأحد سوء حتى يعلم ذلك منه، وإذا كان زمان الجور أغلب فيه من العدل، فليس لأحد أن يظنّ بأحد خيراً ما لم يعلم ذلك منه^(٢).

إيّاك والحسد، فإنه يبين فيك، ولا يعمل في عدوك^(٣).

المراء يفسد الصداقة القديمة، ويحلّل العقدة الوثيقة، وأقلّ ما فيه أن تكون فيه المغالبة، والمغالبة أس أساس القطيعة^(٤).

وفي كشف الغمّة من كتاب الدلائل، عن فتح بن يزيد الجرجاني قال:

ضمّني وأبا الحسن الطريق حين منصرفي من مكّة إلى خراسان وهو صائر إلى العراق؛ فسمعتَه وهو يقول: من اتقى الله يتقى، ومن أطاع الله يطاع، قال: فتلطّفت في الوصول إليه فسلمت عليه، فردّ عليّ السلام وأمرني بالجلوس، وأوّل ما ابتدأني به أن قال:

يا فتح من أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوق؛ ومن أسخط الخالق فأيقن أن يحلّ به الخالق سخط المخلوق، وإنّ الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأنّي يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلّ عمّا يصفه الواصفون، وتعالى عمّا ينعتّه

(١) نزهة الناظر وتنبية خاطر ص ١٤٢، بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٧٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٧٠.

(٣) نزهة الناظر وتنبية خاطر ص ١٤٢، بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٧٠.

(٤) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٦٩، وبتفاوت في نزهة الناظر وتنبية خاطر ص ١٣٩.

الناعتون؛ نأى في قربه، وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد، كيف
 كيف فلا يقال كيف، وأين الأين فلا يقال أين، إذ هو منقطع الكيفية والأينية؛ هو
 الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فجّل جلاله، أم كيف
 يوصف بكنهه محمد صلى الله عليه وآله وقد قرنه الجليل باسمه، وشركه في عطائه، وأوجب لمن
 أطاعه جزاء طاعته إذ يقول: ﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١) وقال
 يحكي قول من ترك طاعته وهو يعدّبه بين أطباق نيرانها وسراويل قطرانها: ﴿يَا لَيْتَنَا
 أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾^(٢) أم كيف يوصف بكنهه من قرن الجليل طاعتهم بطاعة
 رسوله حيث قال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣) وقال: ﴿وَلَوْ
 رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾^(٤) وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ
 إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(٥)، وقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٦).^(٧)

والرواية مفصلة، تنفتح منها أبواب من الحكمة والمعرفة، ولا مجال للتعمق
 فيها، لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله.

قوله عليه السلام: «من اتقى يتقى»

فإن من علم وآمن بأن كل شيء كائن بإرادة الله ومقهور لقدرته، وتلاهاتين
 الآيتين حقّ تلاوتهما: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٨) ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ

(١) سورة التوبة: ٧٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٦.

(٣) سورة النساء: ٥٩.

(٤) سورة النساء: ٨٣.

(٥) سورة النساء: ٥٨.

(٦) سورة النحل: ٤٣.

(٧) كشف الغمّة ج ٢ ص ٣٨٦.

(٨) يس: ٨٢.

فَوْقَ عِبَادِهِ^(١) لَا يَخَافُ وَلَا يَخْشَى إِلَّا اللَّهَ ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)
 ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣)، و«من خاف الله أخاف الله منه كل شيء». ^(٤)

قوله ﷺ: «من أطاع الله يُطاع»

فإنّ المطيع لله بتبعيّة إرادته لأمر الله تكون إرادته التكوينيّة فانية في الإرادة التشريعية، فتصير نافذة فيما أراد، فإنّ جزاء من استجاب لدعوة الله إجابة دعوته، ومن لم يردّ طلبه الله لا تردّ طلبته، كما تُدين تدان، هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان، وفي الحديث القدسي: يا ابن آدم، أنا حيّ لا أموت، أتعني فيما أمرتك حتى أجعلك حيّاً لا تموت، يا ابن آدم، أنا أقول للشيء كن فيكون، أتعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون^(٥).

قوله ﷺ: «من أرضى الخالق لم يبال بسخط المخلوق، ومن أسخط الخالق فقمن أن يسلّط الله عليه سخط المخلوق»^(٦).

إنّ من عرف الخالق يعلم أنّ من وجده لا يفقد شيئاً، ومن فقدّه لا يجد شيئاً، ومن عرف المخلوق يعلم أنّ حدوده وبقائه وإيجاده وإعدامه بمشيئة الخالق، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فإذا أرضى الله بتسليمه لأمر الله ورضاه بقضاء الله الملازم لرضا الله عنه، لا يبالي بسخط المخلوق، فمن رضي عنه المالك لا يبالي بسخط المملوك، كما أنّ من أسخط الخالق يحلّ به

(١) سورة الأنعام: ١٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٧٥.

(٣) سورة الفاطر: ٢٨.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٦٨.

(٥) ارشاد القلوب ج ١ ص ١٥٦.

(٦) الكافي ج ١ ص ١٣٨.

سخط المخلوق الذي أسلم لله تعالى طوعاً وكرهاً.

قوله عليه السلام: «إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه»

إنما يكون الوصف بعد الإدراك، وما يدرك به الإنسان إما الحس، وإما الخيال، وإما الوهم، وإما العقل، وكل واحد منها عاجز عن إدراكه عز وجل لوجوه خاصة بكل واحد منها، ووجوه عامة لجمعها.

منها: أن الإدراك لا يتحقق إلا بإحاطة المدرك بما أدركه، وما لا حد له لا يمكن الإحاطة به، فلا يمكن إدراكه، وكل مدرك وما يدرك به مخلوق لله سبحانه ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾^(١) بالإحاطة القيومية، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٢) وبالإحاطة العلمية ﴿أَخَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٣)، ولو أدركته الحواس والأوهام والعقول صار المحيط محاطاً، وهو محال، سبحانه من أظلم بظلمته كل نور^(٤).

قوله عليه السلام: «نأى في قربه» لأنه قدّوس عن الإدراك، وسبوح عما تتصف به

الممكنات.

قوله عليه السلام: «وقرب في نأيه» لأنه قيوم الأرضين والسموات، والماديات،

والمجردات، ولا أقرب من القيوم إلى ما يقوم به.

فهو قريب من خلقه لأنه مُشَيء كل شيء وقيومه، فهو أقرب إلى الشيء من

نفسه، لأن شبيته الشيء وإتيته ونفسيته إنما هي بمشيته وقيوميته.

ونأى في قربه لبعده عن نيل الحس والخيال والوهم والعقل، ولقدسه عن

(١) سورة البروج: ٢٠.

(٢) سورة الحديد: ٤.

(٣) سورة الطلاق: ١٢.

(٤) إشارة الى ما في نهج البلاغة الخطبة ١٨٢: فلا إله إلا هو أضاء بنوره كل ظلام، وأظلم بظلمته كل نور.

الإِتِّصاف بأوصاف الممكنات، وتنزُّهه عن مجانسة المخلوقات، فكما أن خالقَيْتِه وربوبيَّتِه وقيوميَّتِه توجب قربَه، كذلك توجب بعده، فنأى في قربِه، وقرب في نأيه .

قوله عليه السلام: «وكَيْفَ الكيف فلا كيف له» فإنه سبحانه خالق الكيف والأين، والمخلوق فقير بذاته إلى خالقه، والمخالق غني بذاته عن مخلوقه، فلا يمكن اتِّصاف الغني بالذات بالفقير بالذات .

قوله عليه السلام: «هو الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» لما بيَّن عليه السلام أنه تعالى جلَّ علماً يصفه الواصفون، وصفه بما وصف به نفسه من الأوصاف الستَّة، وفي جمعه أوصاف الله الكمالية في الثلاثة الإيجابية، وهي الواحد والأحد والصمد، وأوصافه الجلالية في الثلاثة السلبية، وهي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، أودع جواهر من المعرفة والحكمة لأهلها، من استخراج جميع أسماء الله الحسنی منها، واستنباط ما يتعلَّق بالتحميد من الثلاثة الأولى، وما يتعلَّق بالتسبيح من الثلاثة الثانية، وبالتأمُّل فيما ذكره يظهر تفريعه عليه السلام: «فجَلَّ جلاله» .

قوله عليه السلام: «أم كيف يوصف كنه محمد»

فرَّق عليه السلام بين وصف الله ووصف رسوله بنفي الوصف عن الله بإطلاقه، وعن الرسول بكنهه، تنبيهاً على الفرق بين الله ورسوله، وفي التفریق بهذا البيان وجوه دقيقة لمن تأمَّل .

وبيَّن عليه السلام سبب عدم وصف الرسول بكنهه، بأن الله سبحانه قرن محمداً باسمه، ورفع ذكره إلى أن صار اسمه قريناً لاسم الله الذي قال في شأنه ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(١) فصارت الشهادة برسالته في كلِّ أذان وإقامة وصلاة قرينة

(١) سورة الرحمن: ٧٨ .

للمشاهدة بوحدانية الله تعالى ، والله الذي لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله اختصَّ محمداً عليه السلام بأن جعله شريكاً في عطائه ﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١) فأسند إغناءهم من فضله إلى نفسه، والتشريك في العطاء مستوجب للتشريك في الشكر .

وأوجب لمن أطاع الرسول جزاء طاعته، فصار ترك طاعة الرسول عدلاً لترك طاعة الله سبحانه في استحقاق العقاب ﴿يَا لَيْتِنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾^(٢) فكيف يمكن معرفة الرسول بكنهه مع العجز عن إدراك الإجلال الذي جلَّ الله به رسوله، والإكرام الذي أكرم به نبيه عليه السلام .

وأما وليّ الأمر فقد قرن الجليل طاعته بطاعة الرسول، حيث قال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣) وبالمقارنة بين الطاعتين في وجوبهما بأمر واحد، ثبت أنّ أمر وليّ الأمر قرين أمر الرسول، ولو لم يكن الأمر معصوماً بعصمة الرسول لاستحالت المقارنة بين الأمرين، فإنّ الأمر بالباطل لا يمكن أن يكون قريناً للأمر بالحقّ، وقد قال تعالى ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(٤): ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾^(٥) فجعل المرجع في كل ما اختلف فيه الله والرسول وأولي الأمر، والإقتران بين الثلاثة في الردّ إليهم يكشف عن وحدة ما يصدر عنهم، فما أنزله الله على رسوله، وهو الكتاب الذي ما فرط الله فيه من شيء، عند الرسول، وما هو عند الرسول عند أولي الأمر، ومن

(١) سورة التوبة: ٧٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٦.

(٣) سورة النساء: ٥٩.

(٤) سورة النساء: ٥٩.

(٥) سورة النساء: ٨٣.

كان قريناً لخاتم النبيين في العصمة والعلم كيف يدرك كنهه .
 وبالإستشهاد بقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(١)
 ويقوله تعالى : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) أرشد إلى أنّ ولاية أمر
 الأمة لا بدّ أن تردّ إلى أهلها، وأهلها هم الذين استأمنهم الله عليها، وأمر بإطاعتهم
 والردّ إليهم في الآيتين، فإنّ لكلّ أمانة أهلاً وأهل هذه الأمانة ليس إلا من كان
 مصوناً عن خيانتها حتىّ تجب إطاعته، وعالمياً بكلّ مسألة، وإلا لما صحّ ردّها إليه
 ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

**

(١) سورة النساء: ٥٨.

(٢) سورة النحل: ٤٣.

(٣) سورة يوسف: ٥٥.

الإمام الحادي عشر

الحسن بن علي الهادي العسكري عليه السلام

ولد في شهر ربيع الآخر، والأشهر أن ولادته في ثمان خلون منه في سنة اثنتين وثلاثين ومأتين، وقبض في الثامن من ربيع الأول سنة ستين ومأتين، وكانت مدة خلافته ست سنين.

كنيته وألقابه عليه السلام

كنيته أبو محمد، وألقابه: الصامت، والهادي، والسراج، والرفيق، والزكي، والنقي، والعسكري.

مكارم أخلاقه وكراماته عليه السلام

وتقتصر منها على ما يلي:

١ - عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن عبد الغفار قال: دخل العبّاسيون على صالح بن وصيف، عندما حبس أبو محمد عليه السلام فقالوا له: ضيق عليه ولا توسع! فقال لهم صالح: ما أصنع به؟ وقد وكتت به رجلين شرّ من قدرت عليه، فقد صاروا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم.

ثم أمر بإحضار الموكلين، فقال لهما: ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟ فقالا له: ما نقول في رجل يصوم النهار، ويقوم الليل كله، لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة، فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائضنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا، فلما سمع ذلك العباسيون انصرفوا خاسئين [خائبين] (١).

٢- عن علي بن محمد عن جماعة من أصحابنا قالوا: سلم أبو محمد عليه السلام إلى نحرير وكان يضيّق عليه ويؤذيه، فقالت له امرأته: اتق الله فإنك لا تدري من في منزلك؟ وذكرت له صلاحه وعبادته [وقالت: إني أخاف عليك منه]، فقال: والله لأرميته بين السباع، ثم استأذن في ذلك فأذن له، فرمى به إليها فلم يشكوا في أكلها، فنظروا إلى الموضع، فوجدوه عليه السلام قائماً يصلي وهي حوله، فأمر بإخراجه إلى داره (٢).

٣- روى أبو هاشم أنه ركب أبو محمد عليه السلام يوماً إلى الصحراء فركبت معه، فبينما نسير وهو قدامي وأنا خلفه، إذ عرض لي فكر في دين كان عليّ قد حان أجله، فجعلت أفكر من [في] أيّ وجه قضاؤه، فالتفت إليّ وقال: يا أبا هاشم، الله يقضيه، ثم انحنى على قربوس سرجه فخطّ بسوطه خطّة في الأرض فقال: انزل فخذ واكتم. فنزلت وإذا بسبيكة ذهب، قال: فوضعتها في حقيّ وسرنا.

فعرض لي الفكر فقلت: إن كان فيها تمام الدين وإلاّ فإنّي أرضي صاحبه بها، ويجب أن ننظر الآن في وجه نفقة الشتاء، وما نحتاج إليه فيه من كسوة وغيرها، فالتفت إليّ ثم انحنى ثانية فخطّ بسوطه خطّة في الأرض مثل الأولى ثم قال: انزل وخذ واكتم. قال: فنزلت فإذا بسبيكة فضّة فجعلتها في الحنفّ الآخر، وسرنا يسيراً

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٣٣٤، إعلام الوري ج ٢ ص ١٥٠، الكافي ج ١ ص ٥١٢.

(٢) إعلام الوري ج ٢ ص ١٥١، الكافي ج ١ ص ٥١٣، وبتفاوت في الإرشاد ج ٢ ص ٣٢٤.

ثم انصرف إلى منزله وانصرفت إلى منزلي . فجلست فحسبت ذلك الدين ، وعرفت مبلغه ، ثم وزنت سبيكة الذهب فخرجت بقسط ذلك الدين ما زادت ولا نقصت ، ثم نظرت ما محتاج إليه لشتوتي من كل وجه ، فعرفت مبلغه الذي لم يكن بد منه على الإقتصاد بلا تقدير ولا إسراف ، ثم وزنت سبيكة الفضة فخرجت على ما قدرته ، ما زادت ولا نقصت ^(١) !

٤- وعن أحمد بن محمد ، عن جعفر بن الشريف الجرجاني قال : حججت سنة فدخلت على أبي محمد عليه السلام بسر من رأى ، وقد كان أصحابنا حملوا معي شيئاً من المال ، فأردت أن أسأله إلى من أدفعه ؟ فقال قبل أن قلت له ذلك : ادفع مامعك إلى المبارك خادمي .

قال : ففعلت [وخرجت] وقلت : إن شيعتك بجرجان يقرؤون عليك السلام ، قال : أولست منصرفاً بعد فراغك من الحج ؟ قلت : بلى ، قال : فإنك تصير إلى جرجان من يومك هذا إلى مئة وسبعين يوماً ، وتدخلها يوم الجمعة ثلاث ليال يمضين من شهر ربيع الآخر في أول النهار ، فأعلمهم أنني أوافيهم في ذلك اليوم [في] آخر النهار ، وامض راشداً فإن الله سيسلمك ويسلم مامعك ، فتقدم على أهلك وولدك ، ويولد لولدك الشريف ابن فسمه الصلت بن الشريف بن جعفر بن الشريف ، وسيبلغ الله به [وسيبلغه الله] ويكون من أوليائنا .

فقلت : يا ابن رسول الله إن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني [هو] من شيعتك كثير المعروف إلى أوليائك يخرج إليهم في السنة من ماله أكثر من مئة ألف درهم ، وهو أحد المتقلبين في نعم الله بجرجان ، فقال : شكر الله لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل صنيعته إلى شيعتنا ، وغفر له ذنوبه ، ورزقه ذكراً سوياً قائلاً بالحق قفل له :

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٤٢١ ح ٢ ، وبتفاوت يسير في الثاقب في المناقب ص ٢١٧ .

يقول لك الحسن بن عليّ: سمّ ابنك أحمد.

فانصرفت من عنده وحججت فسلمني الله حتى وافيت جرجان في يوم الجمعة في أوّل النهار من شهر ربيع الآخر على ما ذكره عليه السلام وجاءني أصحابنا يهنؤوني فأعلمتهم أنّ الإمام عليه السلام وعدني أن يوافيكم في آخر هذا اليوم فتأهبوا لما تحتاجون إليه، وأعدّوا مسألكم وحوائجكم كلّها.

فلما صلّوا الظهر والعصر اجتمعوا كلّهم في داري، فوالله ما شعرنا إلا وقد وافانا أبو محمد عليه السلام فدخل إلينا ونحن مجتمعون فسلم هو أولاً علينا فاستقبلنا وقبّلنا يده، ثمّ قال: إنّي كنت وعدت جعفر بن الشريف أن أوافيكم في آخر هذا اليوم، فصلّيت الظهر والعصر بسرّ من رأى، وصرت إليكم لأجدد بكم عهداً، وها أنا قد جئتكم الآن، فاجمعوا مسألكم وحوائجكم كلّها.

فأوّل من انتدب لمساءلته النضر بن جابر قال: يا ابن رسول الله إنّ ابني جابراً أصيب ببصره منذ أشهر فادع الله [له] أن يرده إليه عينيّه، قال: فهاته، فمسح بيده على عينيّه فعاد بصيراً؛ ثمّ تقدّم رجل فرجل يسألونه حوائجهم وأجابهم إلى كلّ ما سألوه حتى قضى حوائج الجميع، ودعاهم بخير، فانصرف من يومه ذلك^(١).

٥- وعن الحسن بن ظريف أنه قال: اختلج في صدري مسألان أردت الكتاب فيهما إلى أبي محمد عليه السلام فكتبت أسأله عن القائم إذا قام بحمّ يقضي وأين مجلسه الذي يقضي فيه بين الناس؟ وأردت أن أسأله عن شيء لحمّى الرّبّع، فأغفلت خبر الحمّى، فجاء الجواب: سألت عن القائم إذا قام قضى بين الناس بعلمه كقضاء داود عليه السلام لا يسأل البيّنة، وكنت أردت أن تسأل عن الحمّى الرّبّع فأنسيت، فاكتب [في] ورقة وعلّقها على المحموم فإنه يبرأ بإذن الله إن شاء الله ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٤٢٤، وبتفاوت يسير في الثاقب في المناقب ص ٢١٥.

وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١﴾ فَعَلَّقْنَا عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام فَأَفَاقَ (٢).

ومن كراماته عليه السلام ما رواه الخاصة والعامة: أنه قحط الناس بسر من رأى في زمن الحسن الأخير عليه السلام فأمر الخليفة الحاجب وأهل المملكة أن يخرجوا إلى الإِسْتِسْقَاءِ، فخرجوا ثلاثة أيام متوالية إلى المصلّى يستسقون ويدعون فما سقوا. فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء ومعه النصارى والرهبان وكان فيهم راهب فلما مدَّ يده هطلت السماء بالمطر! وخرج في اليوم الثاني فهطلت السماء بالمطر! فشكَّ أكثر الناس، وتعجَّبوا وصبوا إلى النصرانية، فبعث الخليفة إلى الحسن عليه السلام وكان محبوساً فاستخرجه من محبسه وقال: الحق أمة جدك فقد هلكت. فقال: إنِّي خارج في الغد ومزيل الشكِّ إن شاء الله.

فخرج الجاثليق في اليوم الثالث والرُّهبان معه وخرج الحسن عليه السلام في نفر من أصحابه، فلما بصر بالراهب وقد مدَّ يده أمر بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنى ويأخذ ما بين إصبعيه ففعل، وأخذ من بين سبَّابته والوسطى عظماً أسود، فأخذه الحسن عليه السلام بيده ثم قال له: استسق الآن، فاستسقى وكانت السماء متغيمة فتفتشت وطلعت الشمس بيضاء.

فقال الخليفة: ما هذا العظم يا أبا محمد؟ قال عليه السلام: هذا رجل مرَّ بقبر نبيٍّ من الأنبياء فوق في [إلى] يده هذا العظم، وما كشف عن عظم نبيِّ إلا وهطلت السماء بالمطر (٣).

(١) سورة الأنبياء: ٦٩.

(٢) الكافي ج ١ ص ٥٠٩ ح ١٣، وبتفاوت يسير في الإرشاد ج ٢ ص ٣٣١، الثاقب في المناقب ص ٥٦٥،

كشف الغمّة ج ٢ ص ٤١٣، مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٤٣١، إعلام الوري ج ٢ ص ١٤٥.

(٣) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٤٤١، وبتفاوت يسير مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٤٢٥، كشف الغمّة ج ٢

حكمه ومواعظه ﷺ

ومن حكمه ومواعظه ﷺ :

إنكم في آجالٍ منقوصة، وأيام معدودة، والموت يأتي بغتة، من يزرع خيراً يحصد غبطة، ومن يزرع شراً يحصد ندامةً، لكل زارع ما زرع، لا يسبق بطيء بحظه، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له، من أعطي خيراً فالله أعطاه، ومن وقى شراً فالله وقاه^(١).

قلب الأحق في فمه، وفم الحكيم في قلبه^(٢).

لا يشغلك رزق مضمون عن عملٍ مفروض^(٣).

ما ترك الحق عزيزاً إلا ذلّ، ولا أخذ به ذليل إلا عزّ^(٤).

خصلتان ليس فوقهما شيء: الإيمان بالله، ونفع الإخوان^(٥).

إن للسخاء مقداراً فإن زاد عليه فهو سرف، وللحزم مقداراً فإن زاد عليه فهو جبن، وللإقتصاد مقداراً فإن زاد عليه فهو بخل، وللشجاعة مقداراً فإن زادت عليه فهو تهوّر^(٦).

كفأك أدباً تجنّبك ما تكره من غيرك^(٧).

حسن الصورة جمال ظاهر، وحسن العقل جمال باطن^(٨).

← ص ٤٢٩، ومصادر أخرى للخاصة.

الصواعق المحرقة ص ٢٠٧، ينابيع المودة ج ٣ ص ١٩٠ وغيرهما من مصادر العامة.

(١) و (٢) و (٣) و (٤) و (٥) تحف العقول، من قصار هذه المعاني، الحسن بن علي عليه السلام، ص ٤٨٩.

(٦) و (٧) و (٨) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٧٧.

من أنس بالله استوحش من الناس (١) .

من لم يتق وجوه الناس لم يتق الله (٢) .

جعلت الخبائث في بيت، وجعل مفتاحه الكذب (٣) .

ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة، وإنما العبادة كثرة التفكر في أمر الله (٤) .

وقال عليه السلام لشيعته: أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والإجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برٍّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله، صلّوا في عشائهم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه، وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي فيسرني ذلك .

اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جرّوا إلينا كلّ مودّة، وادفعوا عنّا كلّ قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك . لنا حقّ في كتاب الله، وقراءة من رسول الله، وتطهير من الله لا يدّعيه أحدٌ غيرنا إلاّ كذاب .

أكثرُوا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، فإنّ الصلاة على رسول الله عشر حسنات .

احفظوا ما وصّيتكم به، وأستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام (٥) .

**

(١) عدّة الداعي ص ١٩٤، بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٧٧ .

(٢) و (٣) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٧٧ .

(٤) تحف العقول من قصار هذه المعاني للحسن بن علي عليه السلام ص ٤٨٨ .

(٥) تحف العقول من قصار هذه المعاني للحسن بن علي عليه السلام ص ٤٨٨ .

الإمام الثاني عشر
الحجة بن الحسن المهديّ وليّ العصر وصاحب الزمان
صلوات الله عليه وعلى آبائه

ضرورة وجود الإمام في كلّ عصر

روى الفريقان عن رسول الله ﷺ أنه من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية^(١)، وبما أنّ معرفة إمام العصر عليه السلام تفصيلاً لا تتيسر لنا، فنكتفي بمعرفته إجمالاً على سبيل الاختصار.
إنّ وجود الإمام في كلّ عصر ضروري بالعقل والنقل وقد تقدّم ذلك في مبحث الإمامة.

وكان مجمل بعض الأدلّة العقلية المتقدمة

أنّ النبوة والرسالة قد ختمت بنبيّ الإسلام ﷺ، وأنّ مرحلة نزول الوحي وتبليغ الرسالة انتهت برحلة النبيّ ﷺ، ولكن القرآن الذي أنزله الله تعالى لتعليم الإنسان وتربيته باقي وخالد، وهو يحتاج إلى معلّم ومربٍ: وقوانين القرآن التي

(١) راجع صفحة: ٤٦٩.

شرّعت لضمان حقوق الإنسان، هذا الكائن الإجتماعي المدني بالطبع، تحتاج إلى مفسّرٍ ومنفّذٍ.

وذلك أنّ الغرض الإلهي من بعثة خاتم الأنبياء ﷺ، غرضٌ ممتدّ في الأجيال، ولا يتحقّق إلاّ بوجود معلّمٍ عالمٍ بما في القرآن، منزّهٍ عن الخطأ والهوى، متخلّقٍ بأعلى صفات الكمال المقصودة بقوله ﷺ: (إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق)^(١)، فبذلك وحده يتحقّق الكمال العلمي والعملي للبشر، الذي هو الغرض من خلق الإنسان ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٢).

وبالجملّة، فإنّ القرآن كتاب أنزل لإخراج جميع أفراد البشر من الظلمات الفكرية والأخلاقية والعملية إلى عالم النور ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٣) ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٤)، ولا يمكن أن يتحقّق هذا الغرض إلاّ بواسطة إنسان عصمه الله من الأخطاء والأهواء، وإلاّ فمن هو في الظلمات ليس بخارج منها كيف يكون مخرجاً عنها.

ولولا وجود هذا الإنسان لما تيسّر تعلّم الكتاب والحكمة، والقيام بالقسط في الأمّة، بل يتحوّل القرآن الذي أنزله الله من أجل رفع اختلاف الناس إلى سبب لاختلافهم ومادّة ل نزاعهم، بسبب أهوائهم وأفكارهم الخاطئة!

كيف يتعلّل الإنسان أنّ الله الذي لم يترك دور الحاجب في جمال الوجه حتّى

(١) مجمع البيان ج ١٠ ص ٨٦ ذيل تفسير ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

(٢) سورة الفاطر: ١٠.

(٣) سورة إبراهيم: ١.

(٤) سورة الحديد: ٩.

أتقنه، مراعيًا قاعدته في خلق الإنسان في أحسن تقويم، ينزل كتاباً لغرض تصوير سيرة الإنسان في أحسن تقويم، ثم يبطل غرضه من تنزيله ومن إرسال الرُّسل، بعدم نصبه حافظاً وشارحاً للكتاب؟!

ومن هنا يتّضح المغزى في قول النبيّ صلى الله عليه وآله، الذي رواه العامّة: (من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية)^(١)، ونحوه المضامين المشابهة المتعدّدة التي رواها الخاصّة عن الأئمّة عليهم السلام، كالذي كتبه الإمام الرضا عليه السلام إلى المأمون في شرائع الدين (وأنّ الأرض لا تخلو من حجّة الله [الله] تعالى على خلقه في كلّ عصر وأوان، وأنهم العروة الوثقى.. إلى أن قال: ومن مات ولم يعرفهم مات ميتة جاهلية)^(٢).

وأخيراً، عندما نعتقد بالدور الأساسي للإمام المعصوم في كلّ عصر، وتأثيره في إكمال الدين وإتمام نعمة الهداية، فلو ترك الله تبارك وتعالى دينه ناقصاً بدونه، لكان إمّا لعدم إمكان وجوده، أو لعدم القدرة، أو لعدم الحكمة، والثلاثة باطلة عقلاً، فيكون وجوده ثابتاً قطعياً.

**

(١) المعجم الكبير ج ١٩ ص ٣٨٨، مسند الشاميين ج ٢ ص ٤٣٨، مسند أحمد ج ٤ ص ٩٦، مسند أبي داود الطيالسي ص ٢٥٩، المعيار والموازنة ص ٢٤، مسند أبي يعلى ج ١٣ ص ٣٦٦، صحيح ابن حبان ج ١٠ ص ٤٣٤، المعجم الأوسط ج ٦ ص ٧٠، شرح نهج البلاغة ج ٩ ص ١٥٥ و ج ١٣ ص ٢٤٢ ومصادر أخرى للعامّة.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٢٢، وقريب منه في الكافي ج ١ ص ٣٧٦ و... و ج ٢ ص ٢١ و ج ٨ ص ١٤٦، دعائم الإسلام ج ١ ص ٢٥ و ٢٧، الخصال ص ٤٧٩، كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٣٧ و ٤٠٩ و... كفاية الأثر ص ٢٩٦، المسترشد ص ١٧٧ وموارد أخرى، دلائل الإمامة ص ٣٣٧، كتاب الغيبة ص ١٢٧ و ١٢٩ ومصادر أخرى للخاصّة.

ومن الأدلة النقلية على ضرورة وجوده حديث الثقلين

فإنّ هذا الحديث المتفق على صحّته عند الفريقين يدلّ على وجود إمام في كلّ زمان من أهل بيت النبوة ﷺ إلى يوم القيامة، لا يفترق عن القرآن، ولا يفترق القرآن عنه (لن يفترقا حتّى يرده عليّ الحوض)^(١).

ولمّا كانت حجّة الله على الخلق هي الحجّة البالغة، جرت هذه الحقيقة على لسان ابن حجر الهيتمي المعروف بالتعصّب حيث قال: (والحاصل أنّ الحثّ وقع على التمسك بالكتاب والسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت. ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة. ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٤ و ١٧ و ٢٦ و ٥٩ و ج ٥ ص ١٨٢ و ١٩٠، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٢٩، المستدرک علی الصحیحین ج ١ ص ٩٣ و ج ٣ ص ١٠٩ و ١٢٤ و ١٤٨، السنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ١١٤، فضائل الصحابة ص ١٥، مجمع الزوائد ج ١ ص ١٧٠ و ج ٩ ص ١٦٣ و... و ج ١٠ ص ٣٦٣، مسند ابن الجعد ص ٣٩٧، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤١٨، كتاب السنة ص ٣٣٧ و ٦٢٩ و...، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٤٥ و ١٣٠، خصائص أمير المؤمنين ﷺ ص ٩٣، مسند أبي يعلى ج ٢ ص ٢٩٧ و ٣٠٣ و ٣٧٦، المعجم الصغير ج ١ ص ١٣١ و ١٣٥، المعجم الكبير ج ٣ ص ٦٥ و...، ج ٣ ص ١٨٠ و ج ٥ ص ١٥٤، سنن الدارقطني ج ٤ ص ١٦٠، شرح نهج البلاغة ج ٩ ص ١٣٣، الجامع الصغير ج ١ ص ٤٠٢ و ٦٠٥، كنز العمال ج ١ ص ١٧٢ و... و ص ١٨٦ و...، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٢٢ و...، الدرّ المنثور ج ٢ ص ٦٠ ومصادر أخرى كثيرة للعامة.

الكافي ج ١ ص ٢٠٩ و ج ٢ ص ٤١٥، عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٦٢ باب ٣١ ح ٢٥٩ و ج ١ ص ٣٢٩ باب ٢٣ ح ١، دعائم الإسلام ج ١ ص ٢٨، الخصال ص ٦٥ و...، الأمالي للصدوق ص ٥٠٠ المجلس الرابع والستون ح ١٥، كمال الدين وتمام النعمة ص ٦٤ و ٩٤ و ٢٣٤ و...، معاني الأخبار ص ٩٠ و ٩١ و ١١٤ و...، كفاية الأثر ص ١٨ و ٩٢، روضة الواعظين ص ٢٧٣، المسترشد ص ٤٦٧ و ٥٥٩ و... مصادر أخرى كثيرة للخاصة.

كثيرة، وردت عن نيف وعشرين صحابياً^(١).

ومذهب الحقّ وجوب وجود عالمٍ بالقرآن من أهل البيت عليهم السلام، عالم بكلّ ما فيه، وأنّ الأُمَّة بلا استثناء مأمورة بالتمسك بالكتاب والسنة وبهذا الإمام، وأنّ اهتداء أيّ مسلمٍ يتوقّف على هذا التمسك، وإطاعة ذلك الإمام.

فقد ثبت اعتقاد الشيعة بالإمام الثاني عشر عليه السلام وظهوره - مضافاً إلى ما تقدّم - بالأحاديث المتواترة عن المعصومين عليهم السلام، وهي إحدى الطرق المثبتة للإمامة.

هذا مع قطع النظر عمّا ثبت بالبرهان من أنّ الإنسان الكامل - وهو خليفة الله في كلّ زمان - واسطة الفيض في عالم التكوين، وأنّ الله سبحانه هو من منه الوجود، وخليفته وحجّته من به الوجود، وبه ينزل الغيث، وبه يمسخ السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبه ينفس الهمّ ويكشف الضرّ، وللكلام عن مقام العباد الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، وأتمّهم ولادة الأمر في التكوين والتشريع مجال آخر.

وفي القرآن آيات ورد تفسيرها في مصادر العامّة والخاصّة بظهوره ودولته صلوات الله عليه، نذكر بعضها:

١. قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٢).

قال أبو عبد الله الكنجي في كتاب البيان في أخبار صاحب الزمان عليه السلام: (وأما بقاء المهدي عليه السلام فقد جاء في الكتاب والسنة، أمّا الكتاب فقد قال سعيد بن جبير في تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ قال: هو المهدي

(١) الصواعق المحرقة ص ١٥٠.

(٢) سورة التوبة: ٣٣.

من عترة فاطمة عليها السلام (١).

وقريب منه ما في الكافي وكمال الدين وغيرهما. (٢)

وفي تفسير القرطبي فروي أن جميع ملوك الدنيا كلها أربعة مؤمنان وكافران فالؤمنان سليمان بن داوود وإسكندر والكافران نمرود وبختنصر، وسيملكها من هذه الأمة خامس لقوله تعالى «ليظهره على الدين كله» وهو المهدي (٣).

٢. قال الله تعالى: «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» (٤). قال الفخر الرازي في تفسيره: (قال بعض الشيعة: المراد بالغيب المهدي المنتظر الذي وعد الله تعالى به في القرآن والخبر، أما القرآن فقوله: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» (٥)، وأما الخبر فقوله عليه السلام: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي وكنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً» واعلم أنّ تخصيص المطلق من غير الدليل باطل).. (٦).

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان ص ٥٢٨. ونقل عن السدي في الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ١٢١ وج ١١ ص ٤٨، وفي زاد المسير ج ٣ ص ٢٩٠، ينابيع المودة ج ٢ ص ١٠٣ وج ٣ ص ٢٣٩، تفسير الكبير ج ١٥ ص ٤٠ ومصادر أخرى للعامة.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٣٢، كمال الدين وتمام النعمة ص ٦٧٠، الاعتقادات ص ٩٥، تفسير العياشي ج ٢ ص ٨٧ ومصادر أخرى للخاصة.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١١ ص ٤٨.

(٤) سورة البقرة: ٣.

(٥) سورة النور: ٥٥.

(٦) التفسير الكبير ج ٢ ص ٢٨.

ومن الواضح أنّ الرازي يسلم بدلالة القرآن على المهدي عليه السلام وأنّ الإيمان بالغيب يشمل الإيمان به، ولكنّه تصوّر أنّ الشيعة يجعلون الإيمان بالغيب مختصاً به فأورد عليهم بما ذكر! وغفل عن أنّ الإيمان بالإمام المهدي عليه السلام عندهم من مصاديق الإيمان بالغيب، وليس الغيب محصوراً به!

٣. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾^(١). قال ابن حجر: (قال مقاتل بن سليمان ومن شايعه من المفسرين إنّ هذه الآية نزلت في المهدي)^(٢).

٤. قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣)، وفسّرت بالإمام المهدي عليه السلام وحكومته، كما في التبيان وجمع البيان، و تفسير القمي و الغيبة للشيخ الطوسي^(٤).

٥. قال الله تعالى: ﴿إِن نَّشَأُ نُنَزِّلُ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾^(٥). وقد فسّرت «آية» بالنداء الذي يسمع من السماء قرب

(١) سورة الزخرف: ٦١.

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٦٢، وراجع أيضاً فيض القدير ج ٥ ص ٣٨٣، ينابيع المودة ج ٢ ص ٤٥٣ و ج ٣ ص ٣٤٥، ومصادر أخرى للعامة.

العمدة ص ٤٣٠ و ٤٣٥، بحار الأنوار ج ٦ ص ٣٠١ و ج ٥١ ص ٩٨ ومصادر أخرى للخاصة.

(٣) سورة النور: ٥٥.

(٤) الغيبة للشيخ الطوسي ص ١٧٧، تفسير القمي ج ١ ص ١٤، التبيان ج ٧ ص ٤٥٧، مجمع البيان ج ٧ ص ٢٦٧، التفسير الكبير ج ٢ ص ٢٨ ومصادر أخرى.

(٥) سورة الشعراء: ٤.

ظهوره ﷺ^(١)، والنداء هو: (ألا إن حجة الله قد ظهر عند بيت الله فاتبعوه، فإن الحق معه وفيه)^(٢).

٦. قال الله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٣).

قال أمير المؤمنين ﷺ: (لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها. وتلا عقيب ذلك: ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين)^(٤).

٧. قال الله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٥)، في جامع البيان عن أسباط عن السدي قوله (لهم في الدنيا خزي) أما خزيهم في الدنيا فإنهم إذا قام المهدي وفتحت القسطنطينية قتلهم، فذلك الخزي^(٦).

(١) تفسير روح المعاني ج ١٩ ص ٦٠، وقريب منه: الكافي ج ٨ ص ٣١٠، كتاب الغيبة ص ٢٧٠.

(٢) ينابيع المودة ج ٣ ص ٢٩٧، و يدل على دولته ﷺ ما في تفسير النسفي ج ٢ ص ١١٨٤ و مصادر أخرى للعامّة.

تفسير القمي ج ٢ ص ١١٨، كمال الدين و تمام النعمة ص ٣٧٢، كفاية الأثر ص ٢٧٥، و مصادر أخرى للخاصّة.

(٣) سورة القصص: ٥.

(٤) نهج البلاغة الحكم رقم ٢٠٩. وقريب منه في تفسير القمي ج ٢ ص ١٣٣، ينابيع المودة ج ٣ ص ٢٧٢.

(٥) سورة البقرة: ١١٤.

(٦) جامع البيان في تفسير هذه الآية ج ١ ص ٦٩٩.

وذكره أيضاً في الدر المنثور^(١)، والقرطبي^(٢) عن قتادة عن السدي: الخزي لهم في الدنيا قيام المهدي، وفتح عمورية ورومية وقسطنطينية وغير ذلك من مدنها.

٨. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٣). ورد تفسيرها بالإمام المهدي عليه السلام وأصحابه^(٤).

ومضمون هذه الآية موجود في: كتاب المزامير - زبور داود - المزمور السابع والثلاثين: (لأنّ الربّ يحبّ الحقّ ولا يتخلّى عن أتقيائه. إلى الأبد يحفظون. أمّا نسل الأشرار فينقطع. الصّدّيقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد. فم الصديق يلهج بالحكمة، ولسانه ينطق بالحقّ، شريعة إلهه في قلبه، لا تتقلقل خطواته).

وفي المزمور الثاني والسبعين: (اللهمّ أعط أحكامك للملك وبارك لابن الملك. يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحقّ. تحمل الجبال سلاماً للشعب والآكام بالبرّ. يقضي لمساكين الشعب. يخلّص بني البائسين ويسحق الظالم. يخشونك مادامت الشمس ودام القمر إلى دور فدور. ينزل مثل المطر على الجزاز، ومثل الغيوث الذارفة على الأرض. يشرق في أيّامه الصدق، وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر. ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض. أمامه تجثو أهل البرية. وأعداؤه يلحسون التراب).

**

(١) الدر المنثور ج ١ ص ١٠٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٧٩.

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٥.

(٤) تفسير القمّي ج ٢ ص ٧٧ ذيل آية ١٠٥ من سورة الأنبياء، روضة الواعظين ص ٢٦١، شرح الأخبار ج ٣ ص ٣٦٥، الإفصاح ص ١٠٠، ينابيع المودّة ج ٣ ص ٢٤٣ ومصادر أخرى للخاصة والعامة.

وقد تواترت أحاديث البشارة النبوية بالإمام المهدي عليه السلام عند العامة والخاصة: قال أبو الحسين الآبري وهو من كبار علماء العامة: وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواها عن المصطفى في المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين ويملاً الأرض عدلاً، وأن عيسى عليه الصلاة والسلام يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى خلفه...^(١).

قال الشبلنجي في نور الأبصار: (تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله أنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً)^(٢).

وقال ابن أبي الحديد: (وقد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أن الدنيا والتكليف لا ينقضي إلا عليه)^(٣) أي بظهوره عليه السلام. وقال زيني دحلان: (والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة)^(٤).

صفات الإمام المهدي أرواحنا فداه

لا يتسع هذا الموجز للبحث عن صفاته عليه السلام التي خصّه الله تعالى بها، فنكتفي ببعض ما ورد منها في مصادر الفريقين:

المسيح يقتدي به في الصلاة

اتفق العامة والخاصة على أن الأولى بإمامة الجماعة هو الأفضل، وروي أن

(١) تهذيب التهذيب ج ٩ ص ١٢٦، الغيبة للنعمان ص ٧٩ باب ٤ ح ٩.

(٢) نور الأبصار ص ١٨٩.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٠ ص ٩٦.

(٤) الفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٣٣٨.

(إمام القوم وافدهم، فقدّموا أفضلكم)^(١).

وروى العامّة والمخاصّة^(٢) أنه عند ظهوره ينزل عيسى المسيح من السماء إلى الدنيا، ويصلي خلفه!

فمع أنّ عيسى كلمة الله وروح الله، ومُحيي الموتى ومبْرِء الأكمه والأبرص بإذن الله، وهو رابع أولي العزم من الرُّسل، والوجيه عند الله، ومن المقرّبين، إلا أنه في صلاته التي هي معراج المؤمن إلى ربّه، يأتّم بالإمام المهديّ عليه السلام ويخاطب الله تعالى بلسانه، ويجعله واسطة بينه وبين ربّه، ويقتدي به في قيامه وعوده وركوعه وسجوده، ويجاهد بين يديه، ولاريب أنّ الدولة الحقّة والحكومة الإلهية قائمة على أساس الحقّ والعدل والترجيح بالفضل الذي يقتضي تقديم من حقّه التقدّم (من أمّ قوماً وفيهم من هو أعلم منه لم يزل أمرهم إلى سفال إلى يوم القيامة)^(٣).

ذكر الكنجي في كتابه - البيان في أخبار صاحب الزمان - وهذه الأخبار ممّا

(١) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص ٥٦ رقم ١٣٩، وسائل الشيعة ج ٨ ص ٣٤٧ - كتاب الصلاة أبواب صلاة الجماعة باب ٢٦، ومصادر أخرى للعامّة والمخاصّة.

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٦٤، فتح الباري ج ٦ ص ٣٥٨، ارشاد الساري ج ٥ ص ٤١٩، صحيح البخاري ج ٤ ص ١٤٣، صحيح مسلم ج ١ ص ٩٤، مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٢٧٢ و ٣٣٦ ج ٣ ص ٣٦٨، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٦١، المصنف لعبد الرزاق ج ١١ ص ٤٠٠، مصنف ابن أبي شيبة ج ٨ ص ٦٧٨، كنز العمال ج ١٤ ص ٣٣٤، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩٢، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٧ ص ٥٠٠، عقد الدرر الباب العاشر، صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٢١٣، عون المعبود ج ١١ ص ٣٠٩، الاصابة ج ٤ ص ٦٣٧، ومصادر أخرى للعامّة.

الغيبية للنعماني ص ٧٥ الباب الرابع ج ٩، وكشف الغمّة ج ١ ص ٥٢٦ عيون اخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢٠٢ ب ٤٦ ج ١، روضة الواعظين ص ٢٧٣، الاحتجاج ج ١ ص ٥٤، الفضائل ص ١٤٣، تفسير فرات الكوفي ص ١٣٩، كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٣١، ومصادر أخرى للمخاصّة.

(٣) علل الشرائع ج ٢ ص ٣٢٦ باب ٢٠ ح ٤.

ثبت طرقها وصحتها عند السنة، وكذلك ترويه الشيعة على السواء، فهذا هو الإجماع من كافة أهل الإسلام، ومع ثبوت الإجماع على ذلك وصحته فأبيها أفضل الإمام أو المأموم في الصلاة والجهاد معاً؟! (١).

كما روى السلمي في عقد الدرر، عن سالم الأشل قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول: (نظر موسى بن عمران في السفر الأول إلى ما يعطى قائم آل محمد من التمكين والفضل فقال موسى: رب اجعلني قائم آل محمد، فقيل له: إن ذاك من ذرية أحمد. ثم نظر في السفر الثاني فوجد فيه مثل ذلك فقال مثله، فقيل له مثل ذلك. ثم نظر في السفر الثالث فرأى مثله فقال مثله) (٢).

فجع أن موسى عليه السلام، أحد الأنبياء أولي العزم، وكليم الله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (٣)، والمبعوث بالآيات التسع ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ (٤)، ومن ناداه الله وقربه لمناجاته: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ (٥)، فأبي مقام ومنزلة رآه في المهدي حتى تمناه ثلاث مرات؟!

إن تمني موسى بن عمران لأن يبلغ منزلة المهدي لا يحتاج إلى الإثبات برواية أو حديث، فإن إمامة المهدي عليه السلام لنبي من أولي العزم كعيسى بن مريم تكفي لأن يتمني موسى مقامه.

ثم إن نتيجة خلق العالم والإنسان وثمره بعثة جميع الأنبياء من آدم إلى الخاتم تتلخص في أربعة أمور:

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان: ٤٩٨.

(٢) عقد الدرر ص ٢٦، ورواه النعماني في الغيبة ص ٢٤٠.

(٣) سورة النساء: ١٦٤.

(٤) سورة الإسراء: ١٠١.

(٥) سورة مريم: ٥٢.

١. إشراق الأرض بنور معرفة الله وعبادته ليكون مظهراً لقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾^(١).

٢. إحياء الأرض ب حياة العلم والإيمان بعد موتها، قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٢).

٣. قيام دولة العدل الإلهية وزوال الباطل ليتجلّى قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٣).

٤. قيام عامّة الناس بالعدل والقسط، الذي هو الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٤).

وظهور جميع هذه الأمور إنّما يكون على يد المهدي من أهل بيت محمد صلّى الله عليه وآله، الذي (يملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)^(٥). وهو مقام لا عجب أن

(١) سورة الزمر: ٦٩.

(٢) سورة الحديد: ١٧.

(٣) سورة الإسراء: ٨١.

(٤) سورة الحديد: ٢٥.

(٥) كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٣ و ٢٥٧ و ٢٦٢ و ٢٦٤ و ٢٨٠ و ٢٨٥ و ٢٨٨ و موارد أخرى من هذا الكتاب، الخصال ص ٣٩٦، الأمالي للصدوق ص ٧٨ المجلس السابع ح ٣ و ص ٤١٩، التوحيد ص ٨٢، معاني الأخبار ص ١٢٤، كفاية الأثر ص ٤ و ٤٧ و ٦٠ و...، روضة الواعظين ص ٣٢ و ١٠٠ و ٢٥٥ و ٣٩٢، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ١١٠ و...، دلائل الإمامة ص ١٧٦ و مصادر أخرى كثيرة للخاصة.

وقريب منه في البيان للكنجي ص ٥٠٥، صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٢٣٧، مسند أحمد ج ٣ ص ٢٧ و ٢٨ و ٣٦ و ٣٧ و ٥٢ و ٧٠، سنن أبي داود ج ٢ ص ٣٠٩ و ٣١٠، المستدرک على الصحيحين ج ٤ ص ٥١٤ و في التلخيص أيضاً ص ٤٦٥ و ٥٥٧ و في التلخيص أيضاً ص ٥٥٨، مسند أبي يعلى ج ٢ ص ٢٧٤،

يتمناه الأنبياء العظام ﷺ .

الإمام المهدي ﷺ خليفة الله في أرضه

إنّ عنوان الإمام الثاني عشر في روايات العامة والخاصة هو «خليفة الله» (يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها منادٍ ينادي: هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه)^(١). إنَّ الخلافة من المفاهيم الإضافية المتقوّمة بالخليفة والمستخلف عنه، فلا محالة تختلف شؤون الخلافة ومرتبة الخليفة باختلاف مقام من يستخلف عنه، فإذا كان المستخلف عنه فوق كلّ كمال بما لا يتناهى، وهو الذي ليس لعظمته حدٌّ محدود، فيكون الذي استخلفه الله لنفسه، وأقامه مقامه، وأنابه منابه أعلى شأنًا وأجلّ قدرًا من أن تنال العقول منزلته.

ومقتضى إضافة الخليفة إلى اسم «الله» كونه ﷺ آية لجميع أسماء الله الحسنى .

مقامه ﷺ يعلم من مقام أصحابه

وردت أحاديث متعدّدة في مدح أصحابه ﷺ تدلّ على علوّ مقامهم، وهذه

← مجمع الزوائد ج ٧ ص ٣١٣ و ٣١٧ و... عون المعبود ج ١١ ص ٢٤٧، مصنف ابن أبي شيبة ج ٨ ص ٦٧٨ و ٦٧٩، المصنف ج ١١ ص ٣٧٢، بغية الباحث ص ٢٤٨، المعجم الأوسط ج ٢ ص ١٥ و ج ٩ ص ١٧٦، الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٠٢ و ٦٧٢، كنز العمال ج ١٤ ص ٢٦١ و ٢٦٤ و... تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٨٣٨ سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٢٥٣، تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ٣١٤ و... ومصادر أخرى كثيرة للعامة.

(١) كشف الغمّة ج ٢ ص ٤٧٠، كفاية الأثر ص ١٥١، ومصادر أخرى للخاصة. المستدرک علی الصحیحین ج ٤ ص ٤٦٤ و ص ٥٠٢، مسند أحمد ج ٥ ص ٢٧٧، مسند الشاميين ج ٢ ص ٧٢، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٦٧، نور الأبصار للشبلنجي ص ١٨٨، عقد الدرر للسلمي: ١٢٥، تاريخ مدينة دمشق ج ٣٢ ص ٢٨١ ومصادر أخرى للعامة.

غاذج منها: أنّ عددهم عدد أهل بدر^(١)، وأنّ لهم سيوفاً مكتوباً على كلّ سيف منها ألف كلمة ينفتح من كلّ كلمة ألف كلمة^(٢).

وفي روايات العامّة رواية صحيحة على شرط البخاري ومسلم، رواها الذهبي في التلخيص والحاكم في المستدرک^(٣) وفيها: (لا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد يدخل فيهم. على عدّة أصحاب بدر. لم يسبقهم الأوّلون ولا يدركهم الآخرون. وعلى عدّة [عدد] أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر). فإذا كان التابع سابقاً على الأوّلين وحائزاً لمقام القرب المختصّ بالسابقين ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٤)، ولم يدركه في الإستباق إلى الكمالات الآخرون، فما أعظم مقام المتبوع الذي هو باب الله^(٥) وديان دينه وخليفة الله وناصر حقّه وحجّة الله ودليل إرادته.

أنه عليه السلام مظهر للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم

إنّ للنبى خصوصية وهي كونه صلّى الله عليه وآله وسلّم خاتم الأنبياء، كما أنّ للمهدي عليه السلام خصوصية وهي كونه خاتم الأوصياء، وكما أنّ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فاتح الدين فالمهدي عليه السلام خاتمه، وقد دلّت على هذا الأمر روايات العامّة والخاصّة «المهدي منّا، يختم الدين بنا كما فتح بنا»^(٦)، (بكم فتح الله

(١) كفاية الأثر ص ٢٦٧ باب ماجاء عن الكاظم عليه السلام من النصّ على ابنه عليه السلام، وص ٢٨٢ باب ماجاء عن الهادي عليه السلام من النصّ على ابنه.

(٢) الغيبة للنعمانى: ٣١٤ باب ٢٠ ح ٧، كمال الدين وتمام النعمة: ٢٦٨، كفاية الأثر: ٢٨٢.

(٣) المستدرک على الصحيحين ج ٤ ص ٥٥٤.

(٤) سورة الواقعة: ١٠-١١.

(٥) الإحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٣١٦.

(٦) الصواعق المحرقة: ١٦٣، وقريب منه في المعجم الأوسط ج ١ ص ٥٦، وعقد الدرر الباب السابع ←

وبكم يختم^(١).

ولهذا، ظهرت فيه عليه السلام الخصوصيات الجسمية والروحية والإسمية للخاتم صلى الله عليه وآله وسلم.

إنّ افتتاح الدين واختتامه بأبي القاسم محمد كنيةً واسماً وصورةً وسيرةً - مع تعدّد الشخص بخاتم النبيين وخاتم الوصيين - يحكى عند أهل النظر عن مقام ومنزلة سامية فوق الإدراك والبيان .

ونذكر بعض الروايات الواردة في هذا الخصوص :

١ - عن عبدالله قال : قال النبي : يخرج رجل من أمّتي يواطئ اسمه اسمي وخلقُه خلقي ، فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً^(٢) .

٢ - في الصحيح عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : المهدي من ولدي ، اسمه اسمي ، وكنيته كنيّتي ، أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً ، تكون له

← ص ١٤٥، كنز العمال ج ١١ ص ٧٠٤ و ج ١٤ ص ٥٩٨، ينابيع المودة ج ٣ ص ٢٦٢ و ٣٩٢، تاريخ مدينة دمشق ج ٣٢ ص ٢٨٢، كتاب الفتن ص ٢٢٩ ومصادر أخرى للعامة .

كشف الغمّة ج ٢ ص ٤٧٣ الرابع والثلاثون في ذكرى المهدي وبه يؤلّف الله بين قلوبهم ، اليقين ص ٣٢٥، شرح الأخبار ج ٢ ص ٤١ و ج ٣ ص ٣٨٩، بصائر الدرجات ص ٨٣، الإمامة و التبصرة ص ٩٢، كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٣١، الأمل للطوسي ص ٢١ ومصادر أخرى للخاصة .

(١) الكافي ج ٤ ص ٥٧٦ .

(٢) صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٢٣٨ ، وقرّيب منه في سنن أبي داود ج ٢ ص ٣٠٩ ، المستدرک علی الصحیحین ج ٤ ص ٤٤٢ وفي التلخيص أيضاً و ٤٦٤ ، بغية الباحث ص ٢٤٨ ، المعجم الأوسط ج ٢ ص ٥٥ ، المعجم الكبير ج ١٠ ص ١٣٤ و... و ج ١٩ ص ٣٢ ، الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٣٨ ، تاريخ بغداد ج ٩ ص ٤٧٨ ، سنن الترمذی ج ٣ ص ٣٤٣ ومصادر أخرى كثيرة للعامة .

روضة الواعظین ص ٢٦١ ، شرح الأخبار ج ٣ ص ٣٨٦ و ٥٦٦ ، الإفصاح ص ١٠٢ ، الإرشاد ج ٢ ص ٣٤٠ ، العمدة ص ٤٣٦ ومصادر أخرى للخاصة .

غيبية وحيرة، حتى تضلّ الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً^(١).

٣- في الصحيح عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني^(٢).

٤- روى الشيخ الصدوق أعلى الله مقامه - بواسطتين - عن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري وهو من أكابر الثقات، أنه قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخلف [من] بعده، فقال لي مبتدئاً: (يا أحمد بن إسحاق إن الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم عليه السلام ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجّة الله على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض).

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت، ثمّ خرج وعلى عاتقه غلامٌ كأنّ وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله عزّ وجلّ وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنه سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيته، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً.

يا أحمد بن إسحاق مثله في هذه الأمة مثل الخضر عليه السلام، ومثله مثل ذي القرنين، والله ليغيبنّ غيبية لا ينجو فيها من الهلكة إلا من ثبتته الله عزّ وجلّ على القول بإمامته ووفّقه [فيها] للدعاء بتعجيل فرجه.

(١) كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٨٧، باب ٢٥ ح ٤.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة ص ٤١٢، باب ٣٩ ح ٨.

فقال أحمد بن إسحاق: فقلت له: يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟ فنطق الغلام عليه السلام بلسانٍ عربيٍّ فصيح، فقال: أنا بقية الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق.

فقال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسروراً فرحاً، فلما كان من الغد عدت إليه فقلت له: يا ابن رسول الله لقد عظم سروري بما مننت [به] عليّ، فما السنة الجارية فيه من الخضر وذوي القرنين؟ فقال: طول الغيبة يا أحمد.

قلت: يا ابن رسول الله وإنّ غيبته لتطول؟ قال: إي وربيّ حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به، ولا يبقى إلا من أخذ الله عزّ وجلّ عهده لولايتنا، وكتب في قلبه الإيمان، وأيده بروحٍ منه.

يا أحمد بن إسحاق: هذا أمر من أمر الله، وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، فخذ ما آتيتك واكنمه وكن من الشاكرين، تكن معنا غداً في عليين^(١).

٥ - روى العامة والخاصة أنه عليه السلام يخرج من عند الكعبة وجبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره^(٢).

وبما أنّ جبرائيل هو الواسطة في إفاضة العلوم والمعارف الإلهية والحوائج المعنوية، وميكائيل هو الواسطة في إفاضة الأرزاق والحوائج المادية، فتكون مفاتيح خزائن العلوم والأرزاق كلّها بيده عليه السلام.
ويظهر كأنه الكوكب الدرّي^(٣).

(١) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق ص ٣٨٤، ينابيع المودّة ج ٣ ص ٣١٨.
(٢) عقد الدرر ص ٦٥ الباب الخامس، والفصل الأوّل الباب الرابع، الأمالي للمفيد ص ٤٥، روضة الواعظين ص ٢٦٤، كتاب الغيبة للنعماني ص ٣٠٧، الإرشاد ج ٢ ص ٣٨٠ الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٩٢٦ وج ٣ ص ١١٦٧ ومصادر أخرى.
(٣) الجامع الصغير ج ٢ ص ٦٧٢، فيض القدير ج ٦ ص ٣٦٢ رقم ٩٢٤٥، كنز العمال ج ١٤ ص ٢٦٤، ←

وله هيبه موسى وبهاء عيسى وحكم داود وصبر أيّوب^(١).

وعليه جيوب النور تتوقّد من شعاع ضياء القدس^(٢).

٦ - أنه عليه السلام يظهر في يوم عاشوراء، اليوم الذي قتل فيه جدّه سيّد الشهداء

الإمام الحسين عليه السلام^(٣).

وبذلك يظهر تفسير قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ

مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٤)، وتثمر الشجرة المباركة التي سقيت بذلك الدم

الطاهر، ويتجلّى أعلى مصاديق الآية الكريمة ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا

لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾^(٥).

*

← ينابيع المودة ج ٢ ص ١٠٤ و ج ٣ ص ٢٦٣، ومصادر أخرى للعامة.

كتاب الغيبة للنعماني: ص ٩٤، دلائل الإمامة: ص ٤٤١، شرح الأخبار ج ٣ ص ٣٧٨، كشف الغمّة ج ٢

ص ٤٦٩ التامن في صفة وجه المهدي وفي بعض الأحاديث كالقمر الدرّي، العمدة ص ٤٣٩، الطرائف

ص ١٧٨ ومصادر أخرى للخاصّة.

(١) وبتفاوت في الكافي ج ١ ص ٥٢٨، في عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٤٤ باب ٦ ح ٢، كفاية الأثر،

ص ٤٣، كمال الدين وتمام النعمة ص ٣١٠، كتاب الغيبة للنعماني ص ٦٦، الاختصاص ص ٢١٢، الغيبة

للطوسي ص ١٤٦، الإحتجاج ج ١ ص ٨٦ ومصادر أخرى.

(٢) الإمامة والتبصرة ابن بابويه القمي: ص ١١٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٦ باب ٣٠ فيما جاء عن

الرضا عليه السلام من الأخبار المنثورة ح ١٤، كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٧١، كتاب الغيبة للنعماني

ص ١٨٠ ح ٢٨، ومصادر أخرى.

(٣) الغيبة للطوسي ص ٤٥٢، كشف الغمّة ج ٢ ص ٤٦٢، الإرشاد ج ٢ ص ٣٧٩، إعلام الوري ج ٢ ص ٢٨٦ ←

الباب الرابع الفصل الثاني في ذكر السنة التي يقوم فيها... والعدد القويّة ص ٦٥.

وعقد الدرر للسلمي ص ٦٥ الباب الرابع الفصل الأوّل.

(٤) سورة الصف: ٨.

(٥) سورة الإسراء: ٣٣.

طول عمر الإمام المهدي عليه السلام

مما قد يوجب الشبهة في ذهن البسطاء والسطحيين طول عمر الإمام المهدي عليه السلام، فينبغي أن يعلم أنّ طول عمر الإنسان حتى إلى ألوف السنين ليس بمحال عقلاً ولا عادةً، لأنّ المحال العقلي ما ينتهي إلى اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما، كأن نقول كلّ شيء إما موجود أو غير موجود، وكلّ عدد إما فرد أو زوج، واجتماع هذين أو ارتفاعهما محال.

أمّا المحال العادي فهو ما كان بنظر العقل ممكناً، لكنّه مخالف لقوانين الطبيعة، كأن يقع الإنسان في النار ولا يحترق، وأما حياة الإنسان قروناً عديدة، وبقاء خلاياه شاتبة بكامل نشاطها، فليس من القسم الأوّل ولا الثاني، فإذا كان عمر إنسان كنوح (على نبينا وآله وعليه السلام) تسعمائة وخمسين سنة أو أكثر، كان الزائد عليه أيضاً ممكناً، ولهذا ما زال العلماء يبحثون عن سرّ بقاء خلايا الإنسان شاتبة نشيطة.

كما أنه قد ثبت بالقواعد العلمية الحديثة إمكان المحافظة على سلامة المواد المعدنية من التحلل والزوال عن طريق التصرف في أجزائها وتركيباتها، فإدّة الحديد - مثلاً - التي يفسدها الصدأ وغيره، يمكن تبديلها إلى ذهب خالص لا يعرضه أيّ خراب وفساد.

وعليه فإنّ طول عمر الإنسان أمرٌ ممكن عقلاً وعلماً وإن لم يكتشفوا إلى اليوم سرّ ذلك.

هذا مضافاً إلى أنّ الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام وطول عمره إنّما هو بعد الاعتقاد بالقدرة المطلقة لله تعالى، والاعتقاد بنبوّة الأنبياء عليهم السلام وتحقق المعجزات

على أيديهم .

إنّ القدرة التي جعلت النار على إبراهيم برداً وسلاماً، وأبطلت سحر السحرة بعضاً موسى، وأحيت الأموات بنفّس عيسى، وأبقت أهل الكهف قروناً أحياءً نياماً بلا ماءٍ ولا غذاء.. من الهين عليها إبقاء إنسان ألوف السنين حياً يرزق ويعيش بنشاط الشباب، من أجل هدف إبقاء الحجّة لله في أرضه، ونفاذ مشيئته في غلبة الحقّ على الباطل ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

وليس بعيداً عن زماننا يوم انهدم قبر الشيخ الصدوق عليه السلام فوجدوا جثته في قبره غضةً طرية، ورأوا أنّ العوامل الطبيعية لتحلّل الجسد قد توقّف عملها في بدنه الشريف!

فإذا كانت قوانين الطبيعة تخضع للاستثناء في حقّ شخص ولد بدعاء الإمام المهديّ عليه السلام، وألّف كتاباً مثل كمال الدين باسمه، فلا تعجب أن تخضع هذه القوانين للاستثناء في حقّ خليفة الله تعالى في أرضه، ووارث جميع أنبيائه وأوصيائه.

معجزات الإمام المهدي صلوات الله عليه في غيبته

قال الشيخ الطوسي أعلى الله مقامه في كتابه:

(وأما ظهور المعجزات الدالة على صحّة إمامته في زمان الغيبة فهي أكثر من أن تحصى غير أننا نذكر طرفاً منها...)^(٢).

فإذا كانت معجزاته إلى زمن الشيخ الطوسي عليه السلام الذي توفي ٤٦٠ هجرية، أكثر

(١) سورة يس: ٨٢.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٨١.

من حدّ الإحصاء، فكم تبلغ إلى زماننا هذا؟!

ونكتفي في هذا المختصر بما يلي :

١ - قال علي بن عيسى الأربلي الثقة عند الفريقين في كتابه كشف الغمّة: (١)
 (وأنا أذكر من ذلك قصّتين قرب عهدهما من زماني، وحدثني بهما جماعة من ثقات
 إخواني :

كان في بلاد الحلّة شخص يقال له إسماعيل بن الحسن الهرقلي من قرية يقال لها
 هرقل، مات في زماني وما رأيته، حكى لي ولده شمس الدين قال: حكى لي
 والدي أنه خرج فيه وهو شباب على فخذة الأيسر توتة مقدار قبضة الإنسان،
 وكانت في كلّ ربيع تشقق ويخرج منها دم وقيح، ويقطعه ألمها عن كثير من أشغاله،
 وكان مقياً بهرقل، فحضر الحلّة يوماً ودخل إلى مجلس السعيد رضيّ الدين علي
 بن طاووقس رحمته الله، وشكا إليه ما يجده منها، وقال أريد أن أداويها، فأحضر له أطباء
 الحلّة وأراهم الموضوع، فقالوا هذه التوتة فوق العرق الأكل، وعلاجها خطر،
 ومتى قطعت خيف أن ينقطع العرق فيموت، فقال له السعيد رضيّ الدين قدّس
 روحه: أنا متوجّه إلى بغداد وربما كان أطبائها أعرف وأحذق من هؤلاء،
 فاصحبي، فأصعد معه وأحضر الأطباء فقالوا كما قال أولئك، فضاقت صدره فقال
 له السعيد: إنّ الشرع قد فسح لك في الصلاة في هذه الثياب، وعليك الإجتهد في
 الإحتراس، ولا تغرر بنفسك، فالله تعالى قد نهى عن ذلك ورسوله، فقال له
 والدي: إذا كان الأمر على ذلك، وقد وصلت إلى بغداد فأتوجّه إلى زيارة المشهد
 الشريف بسرّ من رأى على مشرفه السلام، ثمّ أنحدر إلى أهلي، فحسن له ذلك،

(١) كشف الغمّة ج ٢ ص ٤٩٣.

فترك ثيابه ونفقته عند السعيد رضي الدين وتوجه، قال: فلما دخلت المشهد وزرت الأئمة عليهم السلام، ونزلت السرداب واستغثت بالله تعالى وبالإمام عليه السلام، وقضيت بعض الليل في السرداب، وبت في المشهد إلى الخميس ثم مضيت إلى دجلة واغتسلت ولبست ثوباً نظيفاً وملأت إبريقاً كان معي، وصعدت أريد المشهد، فرأيت أربعة فرسان خارجين من باب السور، وكان حول المشهد قوم من الشرفاء يرعون أغنامهم، فحسبتهم منهم فالتقينا، فرأيت شابين أحدهما عبد مخطوط، وكل واحد منهم متقلد بسيف، وشيخاً منقّباً بيده رح، والآخر متقلد بسيف وعليه فرجية ملوثة فوق السيف، وهو متحنك بعذبتة، فوقف الشيخ صاحب الرح يمين الطريق، ووضع كعبه في الأرض، ووقف الشابان عن يسار الطريق، وبقي صاحب الفرجية على الطريق مقابل والدي، ثم سلموا عليه فردّ عليهم السلام، فقال له صاحب الفرجية: أنت غداً تروح إلى أهلك؟ فقال: نعم، فقال له: تقدّم حتى أبصر ما يوجعك، قال فكرهت ملامستهم، وقلت في نفسي: أهل البادية ما يكادون يحترزون من النجاسة، وأنا قد خرجت من الماء، وقيصي مبلول، ثم إنني بعد ذلك تقدّمت إليه فلزمني بيده، مدّني إليه وجعل يلمس جانبي من كتفي إلى أن أصابت يده التوتة فعصرها بيده فأوجعني، ثم استوى في سرجه كما كان، فقال لي الشيخ: أفلحت يا إسماعيل، فعجبت من معرفته باسمي، فقلت: أفلحنا وأفلحتم إن شاء الله.

قال: فقال لي الشيخ: هذا هو الإمام، قال: فتقدّمت إليه فاحتضنته وقبّلت فخذه. ثم إنه ساق وأنا أمشي معه محتضنه فقال: ارجع، فقلت: لا أفارقك أبداً. فقال: المصلحة رجوعك، فأعدت عليه مثل القول الأوّل، فقال الشيخ: يا إسماعيل ما تستحيي يقول لك الإمام مرّتين ارجع وتخالفه؟! فجهني بهذا القول فوقفت،

فتقدّم خطوات والتفت إليّ وقال: إذا وصلت بغداد، فلا بدّ أن يطلبك أبو جعفر، يعني الخليفة المستنصر، فإذا حضرت عنده وأعطاك شيئاً فلا تأخذه، وقل لولدنا الرضي ليكتب لك إلى علي بن عوض، فإنني أوصيه يعطيك الذي تريد!

ثمّ سار وأصحابه معه، فلم أزل قائماً أبصرهم إلى أن غابوا عنيّ، وحصل عندي أسف لمفارقتهم، فقعدت إلى الأرض ساعة ثمّ مشيت إلى المشهد فاجتمع القوّام حولي، وقالوا نرى وجهك متغيّراً، أوجعك شيء؟ قلت: لا. قالوا: أخاصمك أحد؟ قلت: لا، ليس عندي ممّا تقولون خبر، لكن أسألکم هل عرفتم الفرسان الذين كانوا عندكم؟

فقالوا: هم من الشرفاء أرباب الغنم، فقلت: لا، بل هو الإمام عليه السلام! فقالوا: الإمام هو الشيخ أو صاحب الفرجية؟ فقلت: هو صاحب الفرجية، فقالوا: أريته المرض الذي فيك؟ فقلت: هو قبضه بيده وأوجعني، ثمّ كشفت رجلي، فلم أرَ لذلك المرض أثراً، فتداخمني الشك من الدهش، فأخرجت رجلي الأخرى فلم أرَ شيئاً، فانطبق الناس عليّ، ومزّقوا قميصي، فأدخلني القوّام خزانه، ومنعوا الناس عنيّ.

وكان ناظر بين النهرين بالمشهد فسمع الضجّة، وسأل عن الخبر فعرفوه، فجاء إلى الخزانة وسألني عن اسمي، وسألني منذكم خرجت من بغداد فعرفته أنّي خرجت في أوّل الأسبوع، فمشى عنيّ.

وبتّ في المشهد وصليت الصبح وخرجت، وخرج الناس معي إلى أن بعدت عن المشهد ورجعوا عنيّ، ووصلت إلى أوانا فبت بها، وبكرت منها أريد بغداد، فرأيت الناس مزدحمين على القنطرة العتيقة، يسألون من ورد عليهم عن اسمه ونسبه وأين كان؟ فسألوني عن اسمي ومن أين جئت فعرفتهم فاجتمعوا عليّ

ومزّقوا ثيابي، ولم يبق لي في روعي حكم، وكان ناظر بين النهرين كتب إلى بغداد وعرفّهم الحال.

ثمّ حملوني إلى بغداد، وازدحم الناس عليّ وكادوا يقتلونني من كثرة الزحام وكان الوزير القميّ رحمه الله تعالى قد طلب السعيد رضيّ الدين رحمه الله، وتقدّم أن يعرفه صحّة الخبر.

قال: فخرج رضيّ الدين ومعه جماعة. فوافينا باب النوبي فرد أصحابه الناس عنيّ فلما رأيّ قال: أعنك يقولون؟ قلت: نعم؟ فنزل عن دابّته وكشف عن فخذي فلم ير شيئاً، فغشي عليه ساعة، وأخذ بيدي وأدخلني على الوزير وهو يبكي، ويقول يا مولانا هذا أخي وأقرب الناس إلى قلبي، فسألني الوزير عن القصة فحكيت له، فأحضر الأطباء الذين أشرفوا عليها وأمرهم بمداواتها، فقالوا: مداؤها إلاّ القطع بالحديد، ومتى قطعها مات! فقال لهم الوزير فبتقدير أن تقطع ولا يموت في كم تبرأ؟ فقالوا في شهرين وتبقى في مكانها حفيرة بيضاء، لا ينبت فيها شعر. فسألهم الوزير: متى رأيتموه؟ قالوا: منذ عشرة أيّام. فكشف الوزير عن الفخذ الذي كان فيه الألم، وهي مثل أختها ليس فيها أثر أصلاً، فصاح أحد الحكماء: هذا عمل المسيح!

فقال الوزير حيث لم يكن عملكم فنحن نعرف من عملها. ثمّ إنه أحضر عند الخليفة المستنصر رحمه الله تعالى، فسأله عن القصة، فعرفّه بها كما جرى، فتقدّم له بألف دينار، فلما حضرت قال: خذ هذه فأنفقها، فقال: ما أجسر أخذ منه حبة واحدة! فقال الخليفة: ممّن تخاف، فقال من الذي فعل معي هذا! قال لا تأخذ من أبي جعفر شيئاً، فبكي الخليفة وتكدّر! وخرج من عنده ولم يأخذ شيئاً.

قال أفقر عباد الله تعالى إلى رحمته علي بن عيسى عفا الله عنه: كنت في بعض الأيام أحكي هذه القصة لجماعة عندي، وكان هذا شمس الدين محمد ولده عندي وأنا لا أعرفه فلما انقضت الحكاية قال: أنا ولده لصلبه، فعجبت من هذا الاتفاق وقلت: هل رأيت فخذته وهي مريضة؟ فقال: لا، لأنني أصبو عن ذلك، ولكنني رأيتها بعدما صلحت، ولا أثر فيها، وقد نبت في موضعها شعر.

وسألت السيد صفي الدين محمد بن محمد بن بشر العلوي الموسوي، ونجم الدين حيدر بن الأيسر رحمهما الله تعالى، وكانا من أعيان الناس وسراهم وذوي الهيئات منهم، وكانا صديقين لي وعزيزين عندي، فأخبراني بصحة هذه القصة وأنها رأياها في حال مرضها، وحال صحتها، وحكى لي ولده هذا: أنه كان بعد ذلك شديد الحزن لفراقه عليه السلام، حتى أنه جاء إلى بغداد، وأقام بها في فصل الشتاء، وكان كل أيام يزور سامراء ويعود إلى بغداد، فزارها في تلك السنة أربعين مرة طمعا أن يعود له الوقت الذي مضى أو يقضي له الحظ بما قضى، ومن الذي أعطاه دهره الرضا، أو ساعده بمطالبة صرف القضاء، فمات رحمه الله بحسرتة، وانتقل إلى الآخرة بغصته، والله يتولاه وإيانا برحمته، بمته وكرامته.

وحكى لي السيد باقي بن عطوة العلوي الحسيني: أن أباه عطوة كان به أدرة وكان زيدي المذهب، وكان ينكر على بنيه الميل إلى مذهب الإمامية ويقول: لا أصدقكم ولا أقول بمذهبكم، حتى يجيء صاحبكم يعني المهدي فيبرئني من هذا المرض، وتكرّر هذا القول منه! فبينما نحن مجتمعون عند وقت عشاء الآخرة، إذ أبونا يصبح ويستغيث بنا، فأتيناه سراعا فقال: الحقوا صاحبكم، فالساعة خرج من عندي، فخرجنا فلم نر أحداً فعدنا إليه وسألناه، فقال: إنه دخل إلي شخص

وقال: يا عطوة، فقلت: مَنْ أنت؟ فقال: أنا صاحب بنيك قد جئت لأبرئك ممّا بك، ثمّ مدّ يده فعصر قروتي ومشى، ومددت يدي فلم أر لها أثراً! قال لي ولده: وبقي مثل الغزال ليس به قلبه.

واشتهرت هذه القصة وسألت عنها غير ابنه فأخبر عنها.

٢- روي عن أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه، قال: لما وصلت بغداد في سنة سبع وثلاثين للحج وهي السنة التي ردّ القرامطة فيها الحجر إلى مكانه من البيت؛ كان أكبر همّي بمن ينصب الحجر، لأنه مضى في أثناء الكتب قصّة أخذه وأنه ينصبه في مكانه الحجّة في الزمان، كما في زمن الحجاج وضعه زين العابدين عليه السلام في مكانه فاستقرّ، فاعتلت علة صعبة خفت فيها على نفسي، ولم يتهيأ لي ما قصدت له، فاستنبت المعروف بابن هشام، وأعطيته رقعة مختومة أسأل فيها عن مدّة عمري، وهل تكون المنية في هذه العلة أم لا؟ وقلت همّي إيصال هذه الرقعة إلى واضع الحجر في مكانه، وأخذ جوابه، وإمّا أندبك لهذا، فقال المعروف: بابن هشام لما حصلت بمكة وعزم على إعادة الحجر في مكانه، وأقت معي منهم من يمنع عني ازدحام الناس؛ فكلّما عمد إنسان لوضعه اضطرب ولم يستقم، فأقبل غلام أسمر اللون حسن الوجه فتناوله ووضع في مكانه فاستقام كأنه لم يزل عنه، وعلت لذلك الأصوات، فانصرف خارجاً من الباب فنهضت من مكاني أتبعه، وأدفع الناس عني يميناً وشمالاً حتى ظنّ بي الإختلاط [اختلاط] في العقل، والناس يفرجون لي، وعيني لا تفارقه حتى انقطع عني الناس، وكنت أسرع الشدّة خلفه؛ وهو يمشي على تودة ولا أدركه؛ فلما حصل بحيث لا يراه أحد غيري وقف والتفت إلي، فقال: هات ما معك، فناولته الرقعة فقال من غير أن ينظر فيها؛ قل له لا خوف عليك في هذه العلة ويكون ما لا بدّ منه بعد ثلاثين سنة. قال: فوقع عليّ الزمع حتى لم أطق

حراكاً وتركني وانصرف، قال أبو القاسم: فأعلمني بهذه الجملة فلما كانت سنة سبع وستين اعتل أبو القاسم، فأخذ ينظر في أمره وتحصيل جهازه إلى قبره، وكتب وصيته واستعمل الجد في ذلك، فقيل له: ما هذا الخوف وترجو أن يتفضل الله بالسلامة فما عليك مخوفة؟ فقال: هذه السنة التي وعدت وخوفت منها فمات في علته^(١).

٣- روي عن أبي الحسن المسترق الضرير: كنت يوماً في مجلس الحسن بن عبدالله بن حمدان، ناصر الدولة، فتذاكرنا أمر الناحية، قال: كنت أزري عليها، إلى أن حضرت مجلس عمي الحسين يوماً، فأخذت أتكلّم في ذلك. فقال: يا بنيّ قد كنت أقول بمقاتلتك هذه إلى أن ندبت لولاية قم حين استصعبت على السلطان، وكان كلّ من ورد إليها من جهة السلطان يحاربه أهلها، فسلم إليّ جيش وخرجت نحوها، فلما بلغت إلى ناحية طزر خرجت إلى الصيد ففاتتني طريدة، فاتّبعتها، وأوغلت في أثرها، حتّى بلغت إلى نهر، فسرت فيه، وكلّما أسير يتّسع النهر، فبينما أنا كذلك إذ طلع عليّ فارس تحته شهباء، وهو متعمّم بعمامة خزّ خضراء، لا أرى منه إلاّ عينيه، وفي رجليه خفّان أحمران، فقال لي: يا حسين. فلا هو أمرني ولا كئاني، فقلت: ماذا تريد؟ قال: لم تزري على الناحية؟ ولم تمنع أصحابي خمس مالك؟ وكنت الرجل الوقور الذي لا يخاف شيئاً فأرعدت [منه] وتهيبته، وقلت له: أفعّل يا سيّدي ما تأمر به.

فقال: إذا مضيت إلى الموضع الذي أنت متوجّه إليه، فدخلته عفواً وكسبت ما كسبته، تحمل خمسة إلى مستحقّه. فقلت: السمع والطاعة.

(١) كشف الغمّة ج ٢ ص ٥٠٢.

فقال: إمض راشداً، ولوى عنان دابّته وانصرف فلم أدر أيّ طريق سلك، وطلبته يميناً وشمالاً فخفي عليّ أمره، وازددت رعباً وانكفأت راجعاً إلى عسكري وتناسيت الحديث .

فلما بلغت قم وعندي أنّي أريد محاربة القوم، خرج إليّ أهلها وقالوا: كنّا نحارب من يبيئنا بخلافهم لنا فأما إذا وافيت أنت فلا خلاف بيننا وبينك، ادخل البلدة فدبرها كما ترى .

فأقمت فيها زماناً، وكسبت أموالاً زائدة على ما كنت أقدر، ثمّ وشا القواديبي إلى السلطان، وحسدت على طول مقامي، وكثرت ما اكتسبت، فعزلت ورجعت إلى بغداد، فابتدأت بدار السلطان وسلّمت عليه، وأتيت إلى منزلي، وجاءني فيمن جاءني محمّد بن عثمان العمري، فتخطّى الناس حتّى اتكأ على تكأتي، فاغتنظت من ذلك، ولم يزل قاعداً ما يبرح، والناس داخلون وخارجون، وأنا أزداد غيظاً .

فلما تصرّم [الناس، وخلا] المجلس، دنا إليّ وقال: بيني وبينك سرّ فاسمعه، فقلت: قل . فقال: صاحب الشهباء والنهر يقول: قد وفينا بما وعدنا .

فذكرت الحديث وارتعت من ذلك، وقلت: السمع والطاعة . فقامت فأخذت بيده، ففتحت الخزان، فلم يزل يخمّسها، إلى أن خمّس شيئاً كنت قد أنسيته ممّا كنت قد جمعته، وانصرف، ولم أشكّ بعد ذلك، وتحقّقت الأمر .

فأنا منذ سمعت هذا من عمّي أبي عبدالله زال ما كان اعترضني من شكّ^(١) .

*

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٤٧٢ .

وجه الاستفادة من وجود الإمام عليه السلام في غيبته

لا شك أنّ غيبة إمام العصر والزمان صلوات الله عليه خسارة كبيرة للأمة وللعالم، وأنّ البشرية قد حرمت من قسم كبيرٍ من البركات المتوقّفة على حضوره، ولكنّ قسماً منها لا يتوقّف على ذلك، فإنّه صلوات الله عليه كالشمس لا يمكن للغيبة أن تمنع تأثير أشعتها في قلوب المؤمنين النقيّة، كما تنفذ أشعة الشمس في باطن الأرض وتغذي الجواهر النفيسة وتنمّيها، ولا تستطيع الصخور ولا طبقات الأرض أن تمنع استفادتها من أشعتها.

وكما أنّ الاستفادة من الألفاظ الخاصّة الإلهية لها طريقان:

الأول: الجهاد في الله، بتصفية النفس من الكدورات المانعة من انعكاس نور عنايته.

والثاني: الإضطرار، فإنّه يرفع الحجاب بين الفطرة ومبدأ الفيض عزّ وجلّ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(١)، فكذلك الاستفادة من الإمام عليه السلام الذي هو الوسيلة للفيض الإلهي تتيسر بطريقتين:

الأول: التزكية فكراً وخلقاً وعملاً ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) (أما تعلم أنّ أمرنا هذا لا ينال إلا بالورع)^(٣).
الثاني: الإضطرار والإلتقاط عن الأسباب المادّية.

(١) سورة النمل: ٦٢.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٣) بصائر الدرجات: الجزء الخامس ص ٢٦٣، باب ١١ ح ٢، دلائل الإمامة ص ٢٥٤، الخرائج والجرائج ج ٢ ص ٧٢٨.

وكم من المضطّرين الذين تقطّعت بهم السبل، توسّلوا إلى الله تعالى بغوث الورى واستغاثوا به، فاستجاب الله لهم.

ختاماً، نعرّف بالقصور والتقصير لساحة الإمام المقدّسة، فهو الذي أتمّ الله به نوره، وبوجوده كلمته، وهو الذي كمال الدين بالإمامة وكمال الإمامة به، وقد ورد في الدعاء له في ليلة ميلاده: (اللهمّ بحقّ ليلتنا هذه ومولودها، ورحمتك وموعودها، التي قرنت إلى فضلها فضلك، فتمتّ كلمتك صدقاً وعدلاً، لا مبدّل لكلماتك ولا معقّب لآياتك، ونورك المتألّق، وضياؤك المشرق، والعلم النور في طخياء الديجور، الغائب المستور، جلّ مولده، وكرم محتده، والملائكة شهّده، والله ناصره ومؤيّده إذا آن ميعاده، والملائكة إمداده، سيف الله الذي لا ينبو، ونوره الذي لا يخبو، وذو الحلم الذي لا يصبو...) (١).

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ (٢) وفي وجوده عليه السلام جمع الشمس والقمر، وشتان ما بين شمس سماء الدنيا وقمرها وشمس سماء الملأ الأعلى وقمرها. والفارق بينهما أن الشمس والقمر ضياء ونور، ولكن المهدي نور الله المتألّق وضياء الله المشرق، وظهوره تأويل قوله تعالى ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ (٣) فإذا كان البصر منقطعاً عن إحساس جرم الشمس التي جعلها الله ضياءً، فكيف لا تكون البصيرة منقطعة عن إدراك حقيقة الشمس المضيئة بضياء الله.

لقد جفّ القلم عن تحرير القدرة الإلهية المدخرة في وجود من هو سيف الله الذي لا ينبو، وكلّ البيان عن تقرير العلم الذي أشرق الله على قلب من هو نور الله الذي لا يخبو.

(٢) سورة يونس: ٥.

(١) مصباح المتهدّد: ٨٤٢، المزار الكبير: ٤١٠.

(٣) سورة الزمر: ٦٩.

شيعه الأئمة الإثني عشر
صلوات الله عليهم

شيعة الأئمة الإثني عشر صلوات الله عليهم

شيعة أهل البيت عليهم السلام هم الذين نزل في شأنهم - على ما في تفاسير العامة والخاصة^(١) - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ

(١) قال الطبري في جامع البيان ج ٣٠ ص ٣٣٥ / ٢٩٢٨ - حدّثنا ابن حميد، قال: ثنا عيسى بن فرقد، عن أبي الجارود، عن محمد بن علي ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ فقال النبي: أنت يا علي وشيعتك. الدر المنثور ج ٦ ص ٣٧٩: وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبي فأقبل عليّ فقال النبي: والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، فكان أصحاب النبي إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البرية.

وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال رسول الله لعلي: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين. وأخرج ابن مردويه عن عليّ قال: قال لي رسول الله: ألم تسمع قول الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب، تدعون غزاً محجلين.

ونقل الشوكاني في فتح القدير ج ٥ ص ٤٧٧. عن ابن عساكر

وقال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٧١: عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبي فأقبل علي بن أبي طالب فقال النبي: قد أتاكم أخي ثمّ التفت إلى الكعبة فضر بها بيده، ثمّ قال: والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، ثمّ قال: إنه أولكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعية، وأقسمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله منزلة، ونزلت: ﴿إِنَّ

خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿١﴾.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٢)، والآية بمقتضى الروايات الواردة من طرق الخاصة والعامّة، وما ذكره المفسّرون من الفريقين نزلت في شأن أمير المؤمنين عليه السلام (٣).

← الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿١﴾، قال: فكان أصحاب محمد إذا أقبل عليّ قالوا: قد جاء خير البرية.

وراجع ينابيع المودّة ج ١ ص ١٩٧ و ٢٢٣، ج ٢ ص ٣٥٧ و ٤٥٢، الصواعق المحرقة الباب الحادي عشر، الفصل الأوّل، الآية الحادية عشرة، ص ١٦١، ومصادر أخرى من كتب التفاسير والأحاديث للعامّة.

وفي المحاسن ج ١ ص ١٧١ ح ١٤٠ عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال: هم شيعتنا أهل البيت.

وفي روضة الواعظين ص ١٠٥: وقال (الباقر عليه السلام) أيضاً: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي مبتدئاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ هم أنت وشيعتك وميعادي وميعادكم الحوض إذا حشر الناس، حيث أنت وشيعتك شباعاً مروّيين غراً محجّلين.

وفي شرح الأخبار ج ١ ص ٢٠٢ ح ١٦٧ عن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي، أنه قال: أنزلت في علي عليه السلام وشيعته آية ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال: هو علي وشيعته. وراجع ج ٣ ص ٤٦٩، الأمالي للشيخ الطوسي ص ٢٥٢ و ٤٠٥ و ٦٧١، ومشكاة الأنوار ص ١٦٧ ومصادر أخرى للخاصّة.

(١) سورة البينة: ٧.

(٢) المائدة: ٥٥.

(٣) ذخائر العقبى ص ١٠٢، المعجم الأوسط ج ٦ ص ٢١٨، معرفة علوم الحديث ص ١٠٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٣ ص ٢٧٧، نظم درر السمطين ص ٨٦، جامع البيان (تفسير الطبري) ج ٦ ص ٣٨٩، أحكام القرآن ج ٢ ص ٥٥٧، شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٠٩ إلى ٢٥٣ و ص ٤٠٣، الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٢٢١، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٤، الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٣، تاريخ مدينة

وقد قال سبحانه بعد هذه الآية ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١).

وروي أن نوباً البكالي قال لأمير المؤمنين عليه السلام: صف لي شيعتك يا أمير المؤمنين، فبكى لذكر شيعته، ثم قال عليه السلام: يا نوف، شيعتي والله الحلماء العلماء بالله ودينه، العاملون بطاعته وأمره^(٢).

وقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٣).

والشيعة على دين أئمتهم عليهم السلام، ودينهم الورع، والعفة، والصدق، والصلاح، والإجتهاد، وأداء الأمانة إلى البرِّ والفاجر، وطول السجود، وقيام الليل، واجتناب المحارم، وانتظار الفرج بالصبر، وحسن الصحبة، وحسن الجوار...^(٤).

وهم أصحاب التخلية عن مساوئ الأخلاق، والتخلية بكمارم الأخلاق،

← دمشق ج ٤٢ ص ٣٥٧، البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٩٤، ومصادر أخرى للعامة.

الكافي ج ١ ص ٢٨٩ و ٤٢٧، دعائم الإسلام ج ١ ص ١٦، الخصال ص ٥٨٠، الأمالي للصدوق ص ١٨٦ المجلس السادس والعشرون ح ٤، روضة الواعظين ص ٩٢، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ١٥١ و ١٧٠ و ١٨٩، الأمالي للطوسي ص ٥٤٩ المجلس السادس والعشرون ح ٤، الإحتجاج ج ١ ص ٧٣ و ٢٠٢، تفسير العياشي ج ١ ص ٣٢٧، تفسير القمّي ج ١ ص ١٧٠، تفسير فرات الكوفي ص ١٢٥، تفسير التبيان ج ٣ ص ٥٥٨ ومصادر أخرى للخاصة.

(١) المائة: ٥٦.

(٢) الأمالي للطوسي ص ٥٧٦ المجلس الرابع والعشرون ح ٣.

(٣) النساء: ٦٩.

(٤) الخصال للصدوق، ج ٢ ص ٤٧٩ أبواب الإثني عشر، ح ٤٦.

ونقتصر في هذا المختصر بذكر حديثين في المساوئ والمكارم، وفي كل جملة منها أبواب من الحكمة العملية لمن تدبر فيها، ولا مجال لشرحها.

الحديث الأول:

قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل سأله أن يعظه:

لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل، ويرجئ التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها بعمل الراغبين، إن أعطي منها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي، وابتغي الزيادة فيما بقي، ينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، يحب الصالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض المذنبين وهو أحدهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه، ويقيم على ما يكره الموت من أجله [له] إن سقم ظل نادماً، وإن صح أمن لاهياً، يعجب بنفسه إذا عوفي، ويقنط إذا ابتلي، إن أصابه بلاء دعا مضطراً، وإن ناله رخاء أعرض [اعترض] مغتوراً، تغلبه نفسه على ما يظن [تظن] ولا يغلبها على ما يستيقن، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه، ويرجو لنفسه بأكثر من عمله، إن استغنى بطر وفتن، وإن افتقر قنط ووهن، يقصر إذا عمل، ويبالغ إذا سأل، إن عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوف التوبة، وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة.

يصف العبرة ولا يعتبر، ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ، فهو بالقول مدلل، ومن العمل مقل، ينافس فيما يفنى، ويسامح فيما يبقى، يرى الغنم مغرمًا، والغرم مغنمًا، يخشى الموت ولا يبادر الفوت، يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه، ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره، فهو على الناس طاعن، ولنفسه مداهن، اللهو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء، يحكم على غيره لنفسه، ولا يحكم عليها لغيره، يرشد غيره ويغوي نفسه، فهو يطاع ويعصي،

ويستوفي ولا يوفي، ويخشى الخلق في غير ربّه، ولا يخشى ربّه في خلقه^(١).

الحديث الثاني:

صحيحة عبدالله بن بكير، عن أبي عبدالله جعفر بن محمد صلوات الله عليهما، قال: إننا لنحبّ من شيعتنا من كان عاقلاً، فهماً، فقيهاً، حليماً، مدارياً، صبوراً، صدوقاً، وقيماً. ثمّ قال: إن الله تبارك وتعالى خصّ الأنبياء بمكارم الأخلاق، فمن كانت فيه فليحمد الله على ذلك، ومن لم تكن [فيه] فليترضّع إلى الله وليسأله. قال قلت: جعلت فداك وما هي؟ قال: الورع، والقنوع، والصبر، والشكر، والحلم، والحياء، والسخاء، والشجاعة، والغيرة، والبرّ، وصدق الحديث، وأداء الأمانة^(٢). وفيما يلي بعض التفصيل لهذه الصفات:

العقل

قدّم عليه السلام العقل، لأنّ دعامة الإنسان العقل^(٣)، فعن رسول الله ﷺ: ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإفطار العاقل أفضل من صوم الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل، ولا بعث الله رسولاً ولا نبياً حتى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من عقول جميع أمته، وما يضمّر النبيّ في نفسه أفضل من اجتهاد جميع المجتهدين، وما أدّى العاقل فرائض الله حتى عقل منه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، إنّ العقلاء هم

(١) نهج البلاغة، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام رقم ١٥٠.

(٢) الأماالي للشيخ المفيد ص ١٩٢.

(٣) ورد في الكافي ج ١ ص ٢٥.

أُولُوا الْأَبَابِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَبَابِ﴾ (١). (٢)

الوفاء

وختم عليه السلام بالوفاء، فعن أبي مالك قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: أخبرني بجميع شرائع الدين؟ قال: قول الحق، والحكم بالعدل، والوفاء بالعهد (٣).
وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاث لم يجعل الله لأحد من الناس فيهن رخصة: برّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين، ووفاء بالعهد بالبرّ والفاجر، وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر (٤).

وفي الصحيح عن أبي جعفر عن أبيه عليه السلام، قال: أربع من كنّ فيه كمل إسلامه، ومحصت عنه ذنوبه، ولقي ربّه عزّ وجلّ وهو عنه راض: مَنْ وفى لله عزّ وجلّ بما جعل [يجعل] على نفسه للناس، وصدق لسانه مع الناس، واستحى من كلّ قبيح عند الله وعند الناس، وحسن خلقه مع أهله (٥).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: أربعة أسرع شيء عقوبة: رجل أحسنت إليه ويكافيك بالإحسان إليه إساءة، ورجل لا تبغي عليه وهو يبغي عليك، ورجل عاهدته على أمرٍ، فمن أمرك الوفاء له ومن أمره الغدر بك، ورجل يصل قرابته ويقطعونه (٦).

(١) الرعد: ١٩.

(٢) المحاسن للبرقي ج ١ ص ١٩٣ باب العقل ح ١١.

(٣) الخصال للصدوق ج ١ ص ١١٣ باب الثلاثة ح ٩٠.

(٤) الخصال للصدوق ج ١ ص ١٢٨ باب الثلاثة، ح ١٢٩.

(٥) الخصال للصدوق ج ١ ص ٢٢٢ باب الأربعة ح ٥٠.

(٦) الخصال للصدوق ج ١ ص ٢٣٠ باب الأربعة ح ٧١.

وعن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أقربكم غداً مني في الموقف أصدقكم للحديث، وآداكم للأمانة، وأوفاكم بالعهد، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس^(١).

وفي وصيته عليه السلام للأشتر: وإياك والمن على رعيّتك بإحسانك، أو التزيّد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإنّ المنّ يبطل الإحسان، والتزيّد يذهب بنور الحقّ، والخلف يوجب المقت عند الله و[عند] الناس، قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٢).^(٣)
ثمّ عدّ عليه السلام مكارم الأخلاق:

الورع

في الموثّق عن عمرو بن سعيد بن هلال الثقيفي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنّي لا ألقاك إلا في السنين، فأخبرني بشيء آخذ به، فقال: أوصيك بتقوى الله، والورع، والإجتهاد، واعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه^(٤).
وفي الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّنا لا نعدّ الرجل مؤمناً حتّى يكون بجميع أمرنا متّبعاً مريداً، ألا وإنّ من اتّباع أمرنا وإرادته الورع، فتزيّنوا به، يرحمكم الله، وكيدوا [كبّدوا] به أعداءنا ينعشكم الله^(٥).

(١) الآمال للشيخ الطوسي ص ٢٢٩ المجلس السابع ح ٥٣.

(٢) سورة الصف: ٣.

(٣) نهج البلاغة، من كتابه إلى الأشتر النخعي.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٧٦ باب الورع ح ١.

(٥) الكافي ج ٢ ص ٧٨، باب الورع ح ١٣.

وسُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام: أيّ الأعمال أعظم عند الله؟ قال: التسليم والورع^(١).
وعن أبي عبدالله بن محمد جعفر عليه السلام أنه قال: اتَّقُوا الله، اتَّقُوا الله، عليكم بالورع،
وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وعقّة البطن والفرج، تكونوا معنا في الرفيق الأعلى^(٢).
وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: فيما ناجى الله تبارك وتعالى موسى: يا موسى ما
تقرب إليّ المتقربون بمثل الورع عن محارمي، فإنّي أبيعهم جنّات عدني [عدن]
لا أشرك معهم أحداً^(٣).

القنوع

عن علي عليه السلام: كفى بالقناعة ملكاً، وبحسن الخلق نعيماً. وسُئِلَ عليه السلام عن قوله
تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^(٤) فقال: هي القناعة^(٥).
وعن الصادق عليه السلام: ومن قنع بالمقسوم استراح من الهمّ والكذب والتعب، وكلّما
نقص من القناعة زاد في الرغبة، والطمع والرغبة في الدنيا أصل كلّ شرّ، وصاحبهما
لا ينجو من النار إلا أن يتوب.
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: القناعة ملك لا يزول وهي مركب رضا الله تعالى، تحمل
صاحبها إلى داره، فأحسن التوكّل فيما لم تعطه، والرضا بما أعطيته، واصبر على ما
أصابك، [فإنّ] ذلك من عزم الأمور^(٦).
وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: من لم يقنعه من الرزق إلا الكثير لم يكفه من

(١) الأماي للصدوق ص ٤٧٩ المجلس الثاني والستون ح ٤.

(٢) الأماي للشيخ الطوسي ص ٢٢٢ المجلس الثامن ح ٣٤.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٨٠ باب اجتناب المحارم ح ٣.

(٤) النحل: ٩٧.

(٥) نهج البلاغة، حكمه عليه السلام رقم ٢٢٩.

(٦) مصباح الشريعة ص ٢٠٣ الباب الثامن والتسعون.

العمل إلا الكثير، ومن كفاه من الرزق القليل فإنه يكفيه من العمل القليل^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ابن آدم إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك، فإن أيسر ما فيها يكفيك، وإن كنت إنما تريد ما لا يكفيك، فإن كل ما فيها لا يكفيك^(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام: إياك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك، فكفى بما قال الله عز وجل نبيه ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾^(٣) وقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٤) فإن دخلك من ذلك شيء فاذا ذكر عيش رسول الله ﷺ فإنما كان قوته الشعير، وحلواه التمر، ووقوده السعف إذا وجدته^(٥).

وعن الرضا عن آبائه عليهم السلام، قال: جاء أبو أيوب خالد بن زيد إلى رسول الله، فقال: يارسول الله، أوصني وأقلل لعلِّي أن أحفظ، قال: أوصيك بخمس: باليأس عمًا في أيدي الناس فإنه الغنى، وإيّاك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاة مودّع، وإيّاك وما يعتذر منه، وأحب لأخيك ما تحب لنفسك^(٦).

الصبر

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(٧).

(١) الكافي ج ٢ ص ١٣٨.

(٢) الكافي ج ٢ ص ١٣٨.

(٣) التوبة: ٨٥.

(٤) طه: ١٣١.

(٥) الكافي ج ٢ ص ١٣٧.

(٦) الأماشي للشيخ الطوسي ص ٥٠٨ المجلس الثامن عشر، ح ١٨.

(٧) البقرة: ١٥٣.

وفي الصحيح عن الفضل عن أبي عبدالله عليه السلام: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان^(١).
وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سيأتي على الناس زمان لا ينال الملك فيه إلا بالقتل والتجبر، ولا الغنى إلا بالغصب والبخل، ولا المحبة إلا باستخراج الدين واتباع الهوى، فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى، وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبة، وصبر على الذل وهو يقدر على العز، آتاه الله ثواب خمسين صديقاً ممن صدق بي^(٢).

وفي الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله عز وجل: إني جعلت الدنيا بين عبادي قرصاً، فمن أقرضني منها قرصاً أعطيته بكل واحدة عشرة إلى سبعمائة ضعف وما شئت من ذلك، ومن لم يقرضني منها قرصاً فأخذت منه شيئاً قسراً فصبر أعطيته ثلاث خصال لو أعطيت واحدة منهن ملائكتي لرضوا بها مني، قال: ثم تلا أبو عبدالله عليه السلام قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ * أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ * فهذه واحدة من ثلاث خصال ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ اثنتان ﴿وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(٣) ثلاث، ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: هذا لمن أخذ الله منه شيئاً قسراً^(٤).

وفي الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اصبروا على المصائب، وصابروا على الفرائض، وربطوا على الأئمة عليهم السلام^(٥).

(١) الكافي ج ٢ ص ٨٩.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٩١.

(٣) سورة البقرة: ١٥٦-١٥٧.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٩٢، وبتفاوت يسير في الخصال ص ١٣٠ باب الثلاثة ح ١٣٥.

(٥) تفسير القمي ج ١ ص ١٢٩ في تفسير آية ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ آل عمران: ٢٠٠.

وعن الرضا عليه السلام، قال: إذا كان يوم القيامة نادى [ينادي] مناد أين الصابرون؟ فيقوم فئام من الناس، ثم ينادي أين المتصبرون؟ فيقوم فئام من الناس، قلت: جعلت فداك وما الصابرون وما المتصبرون؟ قال: الصابرون على أداء الفرائض، والمتصبرون على اجتناب المحارم^(١).

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصبر ثلاثة، صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء [إلى] الأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش^(٢).

الشكر

قال الله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾^(٣)، ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاجٍ نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً* إنا هدّيناه السبيل إنا شاكرًا وإما كفورًا^(٤)، ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(٥)، ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٦).

(١) تفسير القمي ج ١ ص ١٢٩ في تفسير آية «اصبروا وصابروا ورابطوا» آل عمران: ٢٠٠.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٩١.

(٣) سورة النساء: ١٤٧.

(٤) سورة الإنسان: ١ و ٢ و ٣.

(٥) سورة سبأ: ١٣.

(٦) سورة النحل: ١٢١.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: [فيما] أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: يا موسى اشكرني حق شكري. فقال: يارب فكيف أشكرك حق شكرك وليس من شكر أشكرك [به] إلا وأنت أنعمت به عليّ؟ قال: يا موسى الآن شكرتني حين علمت أن ذلك مني^(١). وفي الصحيح عن إسماعيل بن الفضل، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أصبحت وأمسيت فقل عشر مرّات: اللهم ما أصبحت بي من نعمة أو غافية في دين أو دنيا فمنك وحدك، لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر بها عليّ يارب حتى ترضى وبعد الرضا، فإنك إذا قلت ذلك كنت قد أدّيت شكر ما أنعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك الليلة^(٢).

وفي الصحيح عن حفص بن البختري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان نوح عليه السلام يقول ذلك^(٣) إذا أصبح، فسمي بذلك عبداً شكوراً، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من صدق الله نجا^(٤).

وعن الصادق عن آبائه عليهم السلام: الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر الصائم المحتسب، والمعافي الشاكر له من الأجر كأجر المبتلى الصابر، والمعطى الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع^(٥).

وفي الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: يا معاوية من أعطي ثلاثاً لم يحرم ثلاثاً، من أعطي الدعاء أعطي الإجابة، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، ومن أعطي

(١) الكافي ج ٢ ص ٩٨.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٩٩.

(٣) أي الدعاء المذكور في الحديث السابق.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٩٩.

(٥) الكافي ج ٢ ص ٩٤.

التوكل أعطي الكفاية، فإن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(١)، ويقول: ﴿لَسِنٌ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٢)، ويقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٣). (٤)

الحلم

وهو ضبط النفس عن هيجان الغضب، واعتدال القوة الغضبية.
عن الرضا عليه السلام: لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً^(٥).
وعن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين يقول: إنه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه^(٦).

وعن أبي جعفر عليه السلام: إن الله عز وجل يحب الحيي الحليم^(٧).
وعن أمير المؤمنين عليه السلام: لا عز أرفع من الحلم^(٨).
وعن الربيع صاحب المنصور، قال: قال المنصور للصادق: حدّثني عن نفسك بحديث أتعتظ به، ويكون لي زاجر صدق عن الموبقات، فقال الصادق عليه السلام: عليك بالحلم فإنه ركن العلم، واملِك نفسك عند أسباب القدرة فإنك إن تفعل ما تقدر عليه كنت كمن شفى غيضاً، أو تداوي حقداً، أو يحب أن يذكر بالصلوة، واعلم بأنك إن

(١) سورة الطلاق: ٣.

(٢) سورة إبراهيم: ٧.

(٣) سورة غافر: ٦٠.

(٤) ج ١ ص ١٠١ الخصال للصدوق، باب الثلاثة ح ٥٦.

(٥) الكافي ج ٢ ص ١١١.

(٦) و (٧) الكافي ج ٢ ص ١١٢.

(٨) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٣٩٩، المجلس الثاني والخمسون ح ٩.

عاقبت مستحقاً لم تكن غاية ما توصف به إلا العدل، ولا أعرف حالاً أفضل من حال العدل، والحال التي توجب الشكر أفضل من الحال التي توجب الصبر. فقال المنصور: وعظت فأحسننت، وقلت وأوجزت^(١).

وعن علي بن الحسين عليه السلام: ما من جرعة أحب إلى الله من جرعتين، جرعة غيظ ردّها مؤمن بحلم، وجرعة مصيبة ردّها مؤمن بصبر^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاث [خصال] من كنّ فيه استكمل خصال الإيمان: من صبر على الظلم، وكظم غيظه واحتسب، وعفى وغفر كان ممن يدخله الله الجنة بغير حساب، وبشفعه في مثل ربيعة ومضر^(٣).

وفي وصية أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن عليه السلام: يا بُني العقل خليل المرء، والحلم وزيره، والرفق والده، والصبر من خير جنوده^(٤).

وكفي في منزلة الحلم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٥).

الحياء

وهو انقباض النفس عن القبائح.

عن معاذ بن كثير عن أحدهما عليه السلام: الحياء والإيمان مقرونان في قرن، فإذا

(١) الأماي للشيخ الصدوق ص ٧١١، المجلس التاسع والثمانون ح ٩.

(٢) الخصال ص ٥٠، باب الاثنين ح ٦٠، ج ١.

(٣) الخصال ص ١٠٤، باب الثلاثة ح ٦٣، ج ١.

(٤) الأماي للشيخ الطوسي ص ١٤٦، المجلس الخامس ح ٥٣.

(٥) سورة فصلت: ٣٤ و ٣٥.

ذهب أحدهما تبعه صاحبه^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أربع من كنّ فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنباً بدلاً لله حسنات: الصدق والحياء وحسن الخلق، والشكر^(٢).

وعن رسول الله ﷺ: أول ما ينزع الله تعالى من العبد الحياء فيصير ماقتاً ممقتاً، ثم ينزع منه الإيمان [الأمانة]، ثم ينزع منه الرحمة، ثم يخلع دين الإسلام عن عنقه فيصير شيطاناً لعيناً^(٣).

وعن العسكري عليه السلام: من لم يتق وجهه الناس لم يتق الله^(٤).

وعن علي بن الحسين عليه السلام: خف الله لقدرته عليك، واستحي منه لقربه منك^(٥).
وعن الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: الإسلام عريان، فلباسه الحياء، وزينته الوقار [الوفاء]، ومروءته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكل شيء أساس، وأساس الإسلام حبنا أهل البيت^(٦).

السخاء

عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، قريب من النار^(٧).

(١) الكافي ج ٢ ص ١٠٦.

(٢) الكافي ج ٢ ص ١٠٧.

(٣) معاني الأخبار ص ٤١٠، باب نوادر المعاني ح ٩٤.

(٤) و(٥) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٣٣٦.

(٦) الكافي ج ٢ ص ٤٦.

(٧) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٣٠٨، وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قريب منه، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ←

وعن الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: السخاء شجرة في الجنة، أغصانها في الدنيا، من تعلق بغصن منها [من أغصانها] قاده ذلك الغصن إلى الجنة، والبخل شجرة في النار أغصانها في الدنيا، من تعلق بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى النار»^(١).
وعن مالك بن أنس قال: قال الصادق عليه السلام: أعجب لمن يبخل بالدنيا وهي مقبلة عليه أو يبخل عليها وهي مدبرة عنه، فلا الإنفاق مع الإقبال يضره، ولا الإمساك مع الإدبار ينفعه^(٢).

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: إن الله تبارك وتعالى رضي لكم الإسلام ديناً فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أتى رسول الله وفد من اليمن وفيهم رجل كان أعظمهم كلاماً، وأشدهم استقصاء في محاجة النبي صلى الله عليه وآله، فغضب النبي صلى الله عليه وآله حتى التوى عرق الغضب بين عينيه وتربد وجهه وأطرق إلى الأرض، فأتاه جبرئيل، فقال: ربك يقرئك السلام ويقول لك: هذا رجل سخى يطعم الطعام، فسكن عن النبي صلى الله عليه وآله الغضب ورفع رأسه، وقال له: لولا أن جبرئيل أخبرني عن الله عز وجل أنك سخى تطعم الطعام لشردت بك وجعلتك حديثاً لمن خلفك. فقال له الرجل: وإن ربك ليحب السخاء؟ فقال: نعم، قال: إنني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، والذي بعثك بالحق لا رددت من [عن] مالي أحداً^(٤).

ومع أن السامري أضل قوم موسى ودعاهم إلى عبادة العجل، لما هم موسى

← ص ١٢ باب ٣٠ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المنثورة ح ٢٧.

(١) قرب الاسناد ص ١١٧ - رقم ٤٠٩.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٢٣٤، المجلس الثاني والثلاثون ح ٤.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٣٤٤، المجلس السادس والأربعون ح ٣.

(٤) الكافي ج ٤ ص ٣٩.

بقتله أوحى إليه أن لا يقتله لأنه سخي^(١).

الشجاعة

وهي انقياد الغضب للعقل، واعتداله عن الإفراط بالتهوّر المنتهي إلى إلقاء النفس في التهلكة، وعن التفريط بالجبن المنتهي إلى المهانة والذلة وإعانة الظالم بتمكينه من عرضه وماله، وعن الصادق عليه السلام: لا يؤمن رجل فيه الشحّ والحسد والجبن^(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام: المؤمن أصلب من الجبل، الجبل يستقلّ منه، والمؤمن لا يستقلّ من دينه^(٣)، وبها قال إبراهيم: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوِّدُوا مُدْبِرِينَ﴾^(٤)، وبها نال أمير المؤمنين عليه السلام الفتوة التي قال الرسول: لا فتى إلا علي^(٥)، وهي التي توجب الغلبة على الأعداء. وكماها السيطرة على أعدى الأعداء، وهو النفس الأمّارة بالسوء، والهوى، وعن علي عليه السلام: أشجع الناس من غلب هواه^(٦).

وفي الصحيح عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام قال: أتى النبي بأسارى فأمر بقتلهم، وخلق رجلاً من بينهم، فقال الرجل: يا نبيّ الله كيف أطلقت عني من بينهم؟ فقال: أخبرني جبرئيل عن الله جلّ جلاله أنّ فيك خمس خصال يحبّها الله

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ٦٣ ذيل الآية الشريفة: ﴿قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ سورة طه: ٩٧.

(٢) الخصال ص ٨٣، روضة الواعظين ص ٢٤٤.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٢٤١.

(٤) سورة الأنبياء: ٥٧.

(٥) راجع صفحة: ٢٦٠.

(٦) الأمالي للصدوق ص ٧٣ المجلس السادس ح ٤.

ورسوله: الغيرة الشديدة على حرمك، والسخاء، وحسن الخلق، وصدق اللسان، والشجاعة، فلما سمعها الرجل أسلم، وحسن إسلامه، وقاتل مع رسول الله قتالاً شديداً حتى استشهد^(١).

الغيرة

وهي السعي في المحافظة على ما يلزم المحافظة عليه:
عن الصادق عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى غيور، يحب كل غيور، ولغيرته حرم الفواحش ظاهرها وباطنها^(٢).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: كان إبراهيم غيوراً، وأنا أغير منه، وجدع الله أنف من لا يغار من [على] المؤمنين والمسلمين^(٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: يا أهل العراق نبئت أن نسائكم يدافعن الرجال في الطريق، أما تستحون [تستحيون]؟^(٤)

وقال عليه السلام - في حديث آخر - أما تستحون [تستحيون] ولا تغارون نساؤكم يخرجن إلى الأسواق ويزاحمن العلوج^(٥).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا لم يغر الرجل فهو منكوس القلب^(٦).
وعن الصادق عليه السلام: إن المرء يحتاج في منزله وعياله إلى ثلاث خلال يتكلفها

(١) الخصال ص ٢٨٢ باب الخمسة ح ٢٨.

(٢) الكافي ج ٥ ص ٥٣٥.

(٣) الكافي ج ٥ ص ٥٣٦.

(٤) و (٥) الكافي ج ٥ ص ٥٣٧.

(٦) الكافي ج ٥ ص ٥٣٦.

وإن لم يكن في طبعه ذلك: معاشرة جميلة، وسعة بتقدير، وغيره بتحصن^(١).

البر

قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٢) ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^(٣).

عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: اصطنع الخير إلى من هو أهله، وإلى من هو غير أهله، فإن لم تصب من هو أهله فأنت أهله^(٤).

وعن رسول الله ﷺ: رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس، واصطناع الخير إلى كل [أحد] برّ وفاجر^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يزهّدنك في المعروف من لا يشكره لك، فقد يشكرك عليه من لا يستمتع [بشيء] منه، وقد تدرك من شكر الشاكر أكثر ممّا أضع الكافر، والله يحبّ المحسنين^(٦).

وقال الصادق عليه السلام: أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، يقال لهم: إنّ ذنوبكم قد غفرت لكم، فهبوا حسناتكم لمن شئتم، والمعروف واجب على كلّ أحد بقلبه ولسانه ويده، فمن لم يقدر على اصطناع المعروف بيده بقلبه ولسانه،

(١) تحف العقول ص ٣٢٢.

(٢) سورة النساء: ١١٤.

(٣) سورة القصص: ٧٧.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ٣٥ باب ٣١ ح ٧٦ و ٧٧.

(٥) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٣٥ ب ٣١ ح ٧٧.

(٦) نهج البلاغة، حكمه عليه السلام رقم ٢٠٤.

فمن [ومن] لم يقدر عليه بلسانه فلينوه بقلبه^(١).

وفي الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ الصبر والبرَّ والحلم وحسن الخلق من أخلاق الأنبياء^(٢).

وفي الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ أعرابياً من بني تميم أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال [له]: أوصني فكان ممَّا أوصاه: تحبب إلى الناس يحبوك^(٣).

وفي الموثق عن علي بن الحسين عليه السلام، قال: سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم ينادي مناد أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنق من الناس، فتتلقاهم الملائكة فيقولون: وما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا نصل من قطعنا، ونعطي من حرمننا، ونعفو عن ظلمنا، قال: فيقال لهم: صدقتم، ادخلوا الجنة^(٤).

وفي الصحيح - على وجه قوي - عن زرارة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إننا أهل بيت مروءتنا العفو عن ظلمنا^(٥).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، في وصيته لمحمد بن الحنفية، قال: لا يكونن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته، ولا على الإساءة إليك أقوى [أقدر] منك على الإحسان إليه^(٦).

وفي الصحيح عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السلام إنَّ

(١) الاختصاص للشيخ المفيد ص ٢٤١.

(٢) الخصال ص ٢٥١ باب الأربعة ح ١٢١.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٦٤٢.

(٤) الكافي ج ٢ ص ١٠٧.

(٥) الخصال ص ١٠ باب الواحد ح ٣٣.

(٦) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٢٧٩.

أمير المؤمنين عليه السلام صاحب رجلاً ذمياً، فقال له الذمي: أين تريد يا عبد الله؟ قال: أريد الكوفة، فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له الذمي: أأست زعمت أنك تريد الكوفة، فقال له: بلى، فقال له الذمي: فقد تركت الطريق، فقال له: قد علمت. قال: فلم عدلت معي وقد علمت ذلك؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه، وكذلك أمرنا نبينا صلى الله عليه وآله، فقال له الذمي هكذا قال؟ قال: نعم. قال الذمي: لا جرم إنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، فأنا أشهدك أنني على دينك، ورجع الذمي مع أمير المؤمنين عليه السلام، فلما عرفه أسلم^(١).

صدق الحديث

في الموثق عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإن الرجل ربّما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة^(٢).

وفي الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كونوا دعاة للناس [بالخير] بغير ألسنتكم ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية [الإجتهاد والصدق والورع]^(٣). وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: زينة الحديث الصدق^(٤).

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٧٠.

(٢) الكافي ج ٢ ص ١٠٤.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٧٨.

(٤) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ١٧، الأمالي للشيخ الصدوق ص ٥٧٦ المجلس الرابع والسبعون ح ١.

وعن الفضيل بن يسار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا فضيل إن الصادق أول من يصدق الله عز وجل يعلم أنه صادق، وتصدق نفسه تعلم أنه صادق^(١).

وعن زيد بن علي عن آباءه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أقربكم مني غداً وأوجبكم عليّ شفاعتي، أصدقكم لساناً، وأداكم للأمانة، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس^(٢).

وفي الصحيح عن أبي كهمس قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عبد الله بن أبي يعفور يقرؤك السلام، قال: عليك وعليه السلام، إذا أتيت عبد الله فاقراه السلام، وقل له: إن جعفر بن محمد يقول لك: انظر ما بلغ به عليّ عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه، فإن علياً عليه السلام إنما بلغ ما بلغ عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الأمانة^(٣).

ويكفي في مقام الصادقين أن الله سبحانه قال فيهم: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ* لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ* لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥).

أداء الأمانة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ

(١) الكافي ج ٢ ص ١٠٤.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق، ص ٥٩٨ المجلس السادس والسبعون ح ٥.

(٣) الكافي ج ٢ ص ١٠٤.

(٤) سورة المائدة: ١١٩.

(٥) سورة الزمر: ٣٣، ٣٤، ٣٥.

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(١) وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(٢) وقال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٣).

وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت سيّد العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب يقول لشيعته: عليكم بأداء الأمانة، فوالذي بعث محمداً بالحقّ نبياً لو أنّ قاتل أبي الحسين بن عليّ اتّمنني على السيف الذي قتله به لأديته إليه^(٤).

وعن عبد الله بن سنان، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وقد صلّى العصر وهو جالس مستقبل القبلة في المسجد، فقلت: يا ابن رسول الله إنّ بعض السلاطين يأمننا على الأموال يستودعناها، وليس يدفع إليكم خمسكم، أفنؤديها إليهم؟ قال: وربّ هذه القبلة ثلاث مرّات، لو أنّ ابن ملجم قاتل أبي - فإني أطلبه يتستّر لأنّه قتل أبي - اتّمنني على أمانة لأديتها إليه^(٥).

وعن النبيّ ﷺ: من خان أمانة في الدنيا ولم يردّها إلى أهلها، ثمّ أدركه الموت مات على غير ملّتي، ويلقى الله وهو عليه غضبان^(٦).

وعن الحسن بن محبوب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم، قال: قلت: فيكون جباناً؟ قال: نعم، قلت: فيكون كذاباً؟ قال:

(١) سورة الأنفال: ٢٧.

(٢) سورة النساء: ٥٨.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٤) الأمالي للشيخ الصدوق، ص ٣١٨ المجلس الثالث والأربعون ح ٦.

(٥) مشكاة الأنوار ص ١٧٤.

(٦) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٩.

لا ولا جافياً، ثم قال: يجبل المؤمن على كل طبيعة إلا الخيانة والكذب^(١).
 وعن أبي أسامة زيد الشحام قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: إقرأ علي من ترى أنه
 يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام، وأوصيكم بتقوى الله عز وجل، والورع في دينكم،
 والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا
 جاء محمد صلى الله عليه وآله، أدوا الأمانة إلى من اتتمنكم عليها برّاً أو فاجراً، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله
 كان يأمر بأداء الخيط والمخييط، صلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم، وعودوا
 مرضاهم وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى
 الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري فيسرني ذلك ويدخل عليّ منه
 السرور وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره وقيل
 هذا أدب جعفر، فوالله لحدثني أبي عليه السلام أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة
 علي عليه السلام فيكون زينها، آداهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه
 وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان إنه لآدانا للأمانة،
 وأصدقنا للحديث^(٢).

*

هذه جملة من مكارم الأخلاق التي لا بد لكل شيعي من التخلّق بها، ومن أراد
 الكمال كل الكمال في الفضائل الإنسانية فعليه بالتدبّر في كلمات أهل بيت
 العصمة عليهم السلام، ودراية رواياتهم، فإنها معادن العلم والحكمة، ونذكر ثلاثة منها،
 وفيها غنى وكفاية:

١ - عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: « لا يكمل المؤمن إيمانه حتى يحتوي على مئة

(١) الاختصاص ص ٢٣١.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٦٣٦.

وثلاث خصال: فعل، وعمل، ونية، وباطن، وظاهر.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يارسول الله صلى الله عليه وسلم: ما المائة وثلاث خصال؟

فقال: يا علي من صفات المؤمن أن يكون جوال الفكر، جوهرى الذكر، كثيراً علمه، عظيماً حلمه، جميل المنازعة، كريم المراجعة، أوسع الناس صدرًا، وأذلهم نفساً، ضحكه تبسماً، واجتماعه تعلمًا، مذكر الغافل، ومعلم الجاهل، لا يؤذي من يؤذيه، ولا يخوض فيما لا يعنيه، ولا يشمت بمصيبة، ولا يذكر أحدًا بغيبة، بريئاً من المحرمات، واقفًا عند الشبهات، كثير العطاء، قليل الأذى، عوناً للغريب، وأباً لليتيم، بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، مستبشراً بفقره، أحلى من الشهد، وأصلد من الصلد، لا يكشف سرًّا، ولا يهتك سترًا، لطيف الحركات، حلو المشاهدة، كثير العبادة، حسن الوقار، لين الجانب، طويل الصمت، حليماً إذا جهل عليه، صبوراً على من أساء إليه، يبجل الكبير، ويرحم الصغير، أميناً على الأمانات، بعيداً من الخيانات، إلفه التقى، وحلفه الحياء، كثير الحذر، قليل الزلل، حركاته أدب، وكلامه عجب، مقيل العثرة، ولا يتتبع العورة، وقوراً، صبوراً، رضيعاً، شكوراً، قليل الكلام، صدوق اللسان، برًّا، مصوناً، حليماً، رفيقاً، عفيفاً، شريفاً، لا لعان، ولا كذاب، ولا مغتاب، ولا سباب، ولا حسود، ولا بخيل، هشاشاً، بشاشاً، لا حساس، ولا جساس.

يطلب من الأمور أعلاها ومن الأخلاق أسناها، مشمولاً بحفظ الله، مؤيداً بتوفيق الله، ذا قوة في لين، وعزيمة في يقين، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، صبوراً في الشدائد، لا يجور ولا يعتدي، ولا يأتي بما يشتهي، الفقر شعاره، والصبر دثاره، قليل المؤونة، كثير المعونة، كثير الصيام، طويل القيام، قليل المنام. قلبه تقى، وعلمه زكي، إذا قدر عفا، وإذا وعد وفا، يصوم رغباً، ويصلي رهباً،

ويحسن في عمله كأنه ناظر إليه، غَضَّ الطرف، سخي الكف، لا يردّ سائلاً، لا يبخل بنائل، متواصلاً إلى الإخوان، مترادفاً للإحسان، يزن كلامه ويخرس لسانه، لا يغرق في بغضه، ولا يهلك في حبه، ولا يقبل الباطل من صديقه، ولا يرد الحق على عدوه، ولا يتعلم إلا ليعلم، ولا يعلم إلا ليعمل، قليلاً حقه، كثيراً شكره، يطلب النهار معيشته، ويبكي الليل على خطيئته، إن سلك مع أهل الدنيا كان أكيسهم، وإن سلك مع أهل الآخرة كان أورعهم، لا يرضى في كسبه بشبهة، ولا يعمل في دينه برخصة، يعطف على أخيه بزنته، ويرعى ما مضى من قديم صحبتته»^(١).

٢- عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنه قال:

«إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهدية، وتماوت في منطقته، وتخاضع في حركاته، فرويداً لا يغرنكم، فما أكثر من يُعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف نيته ومهانتة وجبن قلبه، فنصب الدين فحاً لها، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره فإن تمكن من حرام اقتحمه.

وإذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويداً لا يغرنكم، فإن شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثر، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتي منها محرماً.

فإذا وجدتموه يعف عن ذلك فرويداً لا يغرنكم، حتى تنظروا ما عقده عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثم لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله.

فإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغركم، حتى تنظروا أمع هواه يكون على

(١) كتاب التمهيد ص ٧٤.

عقله، أو يكون مع عقله على هواه؟ وكيف محبته للرئاسات الباطلة وزهده فيها، فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة بترك الدنيا للدنيا، ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة، حتى إذا قيل له اتق الله، أخذته العزة بالإثم، فحسبه جهنم ولبس المهادا!

فهو يخطب خبط عشواء، يقوده أول باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمدّه ربّه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه! فهو يحلّ ما حرّم الله، ويحرّم ما أحلّ الله، لا ليأبالي بما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته التي قد يتقى من أجلها، فأولئك الذين غضب الله عليهم، ولعنهم، وأعدّ لهم عذاباً مهيناً.

ولكن الرجل كلّ الرجل نعم الرجل، هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبدولة في رضى الله، يرى الذلّ مع الحقّ أقرب إلى عزّ الأبد من العزّ في الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤديه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد، وأن كثير ما يلحقه من سرّائها إن اتّبع هواه يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له ولا زوال.. فذلّكم الرجل نعم الرجل، فبه فتمسّكوا، وبسنّته فاقتدوا، وإلى ربّكم به فتوسّلوا، فإنه لا تردّ له دعوة، ولا تخيب له طلبه»^(١).

بين عليّاً أن معيار كمال الإنسان ليس الأقوال والأفعال الخاضعة، وليس صرف النظر عن شهوة المال والبطن ونحوها، بل ميزان كمال الإنسان إنما هو العقل المصقّى من كدورة الهوى ليكون منشأً الصلاح والإصلاح، والنفس التابعة لأوامر الله تعالى ونواهيها، بحيث لا تنخدع بأية شهوة حتى شهوة الجاه والمقام، وتعرض عن العزّ مع الباطل، ويختار الذلّة مع الحقّ.

(١) الإحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٥٢.

٣- عن عنوان البصري وكان شيخاً كبيراً أتى عليه أربع وتسعون سنة قال: «كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين، فلما قدم جعفر الصادق المدينة اختلفت إليه، وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك، فقال لي يوماً: إني رجل مطلوب ومع ذلك لي أورد في كل ساعة من آناء الليل والنهار، فلا تشغلي عن وردي، وخُذ عن مالك، واختلف إليه كما كنت تختلف إليه، فاغتمت من ذلك، وخرجت من عنده وقلت في نفسي: لو تفرّس فيّ خيراً لما زجرني عن الإختلاف إليه والأخذ عنه، فدخلت مسجد الرسول وسلّمت عليه، ثم رجعت من الغد إلى الروضة وصليت فيها ركعتين، وقلت: أسألك يا الله يا الله أن تعطف عليّ قلب جعفر، وترزقني من علمه ما أهتدي به إلى صراطك المستقيم.

ورجعت إلى داري مغتماً ولم أختلف إلى مالك بن أنس لما أشرب قلبي من حب جعفر، فما خرجت من داري إلا إلى الصلاة المكتوبة حتى عيل صبري، فلما ضاق صدري تنعلت وترديت وقصدت جعفرًا، وكان بعدما صليت العصر، فلما حضرت باب داره استأذنت عليه فخرج خادم له فقال: ما حاجتك؟ فقلت: السلام على الشريف، فقال: هو قائم في مصلاه، فجلست بجذاء بابه، فما لبثت إلا يسيراً إذ خرج خادم فقال: ادخل على بركة الله، فدخلت وسلّمت عليه، فردّ السلام وقال: اجلس غفر الله لك، فجلست فأطرق ملياً، ثم رفع رأسه، وقال: أبو من؟ قلت: أبو عبدالله، قال: ثبت الله كنيته ووفّقك، يا أبا عبدالله ما مسألتك؟

فقلت في نفسي: لو لم يكن لي من زيارته والتسليم غير هذا الدعاء لكان كثيراً، ثم رفع رأسه، ثم قال: ما مسألتك؟ فقلت: سألت الله أن يعطف قلبك عليّ ويرزقني من علمك، وأرجو أن الله تعالى أجابني في الشريف ما سألته.

فقال: يا أبا عبد الله ليس العلم بالتعلم، إنما هو نورٌ يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك .
قلت: يا شريف، فقال: قل يا أبا عبد الله.

قلت: يا أبا عبد الله ما حقيقة العبودية؟ قال: ثلاثة أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله الله ملكاً، لأنّ العبيد لا يكون لهم ملكٌ، يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به، ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً، وجملة اشتغاله فيما أمره تعالى به ونهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوّله الله تعالى ملكاً، هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه، وإذا فوّض العبد تدبير نفسه على مدبره، هانت عليه مصائب الدنيا، وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه، لا يتفرغ منهما إلى المراء والمباهاة مع الناس.

فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاث هانت عليه الدنيا، وإبليس، والخلق، ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً، ولا يطلب ما عند الناس عزاً وعلواً، ولا يدع أيامه باطلاً، فهذا أول درجة التقى، قال الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١).
قلت: يا أبا عبد الله أوصني .

قال: أوصيك بتسعة أشياء فإنها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى، والله أسأل أن يوفقك لاستعمالها. ثلاثة منها في رياضة النفس، وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم، فاحفظها وإياك والتهاون بها، قال عنوان: ففرّغت قلبي له .
فقال: أما اللواتي في الرياضة: فإياك أن تأكل ما لا تشتهيهِ فإنه يورث الحماسة

والبله، ولا تأكل إلا عند الجوع، وإذا أكلت فكل حلالاً وسم الله، واذكر حديث الرسول ﷺ: (ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، فإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه).

وأما اللواتي في الحلم: فمن قال لك إن قلت واحدة سمعت عشرًا، فقل: إن قلت عشرًا لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل له: إن كنت صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي، وإن كنت كاذباً فيما تقول فالله أسأل أن يغفر لك، ومن وعدك بالخنا فعده بالنصيحة والدعاء.

وأما اللواتي في العلم: فاسأل العلماء ما جهلت، وإيّاك أن تسألهم تعنتاً وتجربةً، وإيّاك أن تعمل برأيك شيئاً، وخذ بالإحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً، واهرب من الفتيا هربك من الأسد، ولا تجعل رقبتك للناس جسراً. قم عني يا أبا عبدالله فقد نصحت لك، ولا تفسد عليّ وردي، فإني امرؤ ضنين بنفسي، والسلام على من اتبع الهدى»^(١).

*

ونكتفي بذكر هذه الأحاديث ولم نتعرض لشرحها لأنّ في كلّ حديث، بل في كلّ جملة كنوزاً من العلم والمعرفة، ونشير إلى جملة من هذا الحديث، وهي قوله ﷺ: «فإذا أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية»، بل إلى كلمة منها وهي حقيقة العبودية.

فإنّ العبودية إمّا اعتبارية تدور مدار اعتبار من بيده الإعتبار، وإمّا حقيقية، وهي عبودية الفقير بالذات للغني بالذات.

ومن عرف نفسه علم أنه لا يملك نفسه ولا يملك لنفسه شيئاً، لا نفعاً ولا ضرراً،

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ٢٢٤، مشكاة الأنوار ص ٥٦٢.

ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، وعرف ربّه بما قال أبو عبد الله عليه السلام: « لا يكون الشيء لا من شيء إلا الله، ولا ينقل الشيء من جوهريته إلى جوهر آخر إلا الله، ولا ينقل الشيء من الوجود إلى العدم إلا الله»^(١) وعلم أنّ كلّ ما سوى الله نسبتته إلى إرادة الله نسبة الصور القائمة بالأذهان إلى التفات الإنسان، مع ما به التفاوت بين النسبتين، بأنّ النسبة والمنتسبين في الصور العلمية تزول بالسنة والنوم، والأعيان والأذهان قائمة بالحَيِّ القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، وليس لقيوميته ولخالقيته مثل، ولكنّه قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاشْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾^(٢).

فمن تأمّل في خلق الذباب وما أعطاه الله من القوى والأعضاء والجوارح، وعلم عجز كلّ ما يدعى من دون الله عن خلق ذباب من مادّته وصورته، وإفاضة الحياة على مادته الميتة، وما أودع في صنعه من لطائف الحكمة، وتأمّل في عجز ما يدعى من دون الله عن استنقاذ ما سلبه هذا المخلوق الضعيف، علم أنه عبدٌ مملوك لا يقدر على شيء، وعلم تفسير قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٣)، وعلم ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^(٤). ومن أدرك العبودية الحقيقيّة يعلم أنّها تقتضي حقيقة العبودية، التي توصل العبد إلى العبادة الحقيقيّة، التي هي منزلة الأحرار عن الرقية لما سوى الله، وهم الذين عبدوا الله شكراً لا خوفاً ولا رجاءً.

(١) التوحيد للصدوق ص ٦٨ باب التوحيد ح ٢٢.

(٢) سورة الحج: ٧٣.

(٣) سورة الحج: ٧٤.

(٤) سورة مريم: ٩٣.

والذين يريدون استكمال نفوسهم لا بدّ لهم من إدراك العبودية الحقيقية، وأداء حقّها، وهو تطلّبهم في نفوسهم حقيقة العبودية، التي هي مفتاح العلم الذي ليس بالتعلّم، وإنّما نور يقذفه الله في قلب من يريد الله أن يهديه، وهذا هو مراقبة الكمال التي يصل عباد الله بطيِّ درجاتها إلى مراتب علم اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين، ومن هنا قال عليه السلام: فإن أردت العلم فاطلب حقيقة العبودية.

وليس الغرض من هذه الإشارة تحقيق ما في الحديث من الدقائق، بل الغرض التذكّر للتدبّر في كلمات أهل بيت العصمة عليهم السلام، نسأل الله التوفيق لعبودية الله وعبادته التي هي الغاية من الخلقة، وكفى في مرتبة الواصلين إلى مرتبة العبودية قوله تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَ سَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾^(١).

هذا أقل قليل من كثير ممّا ورد في مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، يستغني بها كلّ لبيب يريد تكميل النفس بالفضائل، عمّا قيل أو يمكن أن يقال في إيصال الإنسان إلى الكمال.

ونختم الكلام بما وصف به أمير المؤمنين عليه السلام شيعة الذين اقتدوا بقائدهم وائتمّوا بإمامهم:

عن نوف البكالي قال: عرضت لي إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حاجة فاستتبت إليه جندب بن زهير والربيع بن خيثم وابن أخته همّام بن عباد بن خيثم وكان من أصحاب البرانس، فأقبلنا معتمدين لقاء أمير المؤمنين عليه السلام فألفيناه حين خرج يؤمّ المسجد فأفضى ونحن معه إلى نفر مبدّنين قد أفاضوا في الأحداث تفكّها، وبعضهم يلهي بعضاً، فلما أشرف لهم أمير المؤمنين عليه السلام أسرعوا إليه قياماً فسلموا فردّ التحية ثمّ قال: من القوم؟ قالوا: أناس من شيعتك يا أمير المؤمنين؟ فقال لهم خيراً ثمّ قال: يا هؤلاء ما لي لأرى فيكم سمة شيعتنا، وحلية أحبّتنا أهل البيت؟ فأمسك القوم حياءً.

قال نوف: فأقبل عليه جندب والربيع فقالا: ما سمة شيعتكم وصفتم يا أمير المؤمنين؟ فتناقل عن جوابها، وقال: اتقيا الله أيّها الرجلان وأحسننا، فإنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

فقال همّام بن عباد وكان عابداً مجتهداً: أسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وخصّكم وحبّاكم، وفضّلكم تفضيلاً إلاّ أنبأتنا بصفة شيعتكم، فقال:

لا تقسم فسأنبئكم جميعاً، وأخذ بيد همّام فدخل المسجد فسبّح ركعتين أوجزهما وأكملهما وجلس وأقبل علينا، وحفّ القوم به، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال:

أما بعد فإنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وتقدَّست أسماؤه، خلق خلقه فالزمهم عبادته وكلفهم طاعته، وقسم بينهم معاشهم، ووضعهم في الدنيا بحيث وضعهم، وهو في ذلك غنيٌّ عنهم، لا تنفعه طاعة من أطاعه، ولا تضرُّه معصية من عصاه منهم، لكنَّه علم تعالى قصورهم عمَّا تصلح عليه شؤونهم، وتستقيم به دهماؤه في عاجلهم وآجلهم، فارتبطهم بإذنه في أمره ونهيه، فأمرهم تخييراً، وكلفهم يسيراً، وأثابهم كثيراً، وأماز سبحانه بعدل حكمه وحكمته بين الموجف من أنامه إلى مرضاته ومحبتِّه، وبين المبطل عنها والمستظهر على نعمته منهم بمعصيته. فذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(١).

ثمَّ وضع أمير المؤمنين صلوات الله عليه يده على منكب همام بن عبادة فقال: ألا من سأل عن شيعة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم في كتابه مع نبيِّه تطهيراً:

فهم العارفون بالله، العاملون بأمر الله، أهل الفضائل والفواضل، منطقتهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، بخعوا لله تعالى بطاعته، وخضعوا له بعبادته، فمضوا غاضبين أبصارهم عمَّا حرَّم الله عليهم، واقفين أسماعهم على العلم بدينهم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت منهم في الرخاء رضياً عن الله بالقضاء، فلولا الآجال التي كتب الله لهم لم تستقرَّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلى لقاء الله والثواب، وخوفاً من العقاب.

عظم الخالق في أنفسهم، وصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن رآها فهم على أرائكها متكتنون، وهم والنار كمن أدخلها فهم فيها يعدُّبون، قلوبهم محزونة،

(١) سورة الجاثية: ٢١.

وشروهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحوائجهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة ومعونتهم في الإسلام عظيمة.

صبروا أيّاماً قليلة فأعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة يسرها لهم ربُّ كريم، أناس أكياس، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وطلبتهم فأعجزوها.

أما الليل فصافون أقدامهم، تالون لأجزاء القرآن يرتلون ترتيلاً، يعظون أنفسهم بأمثاله، ويستشفعون لدائهم بدوائه تارة، وتارة مفترشون جباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم، يمجّدون جباراً عظيماً، ويجأرون إليه جلّ جلاله في فكاك رقابهم، هذا ليلهم.

فأما النهار فحلّماء علماء بررة أتقياء، براهم خوف بارئهم فهم أمثال القداح، يحسبهم الناظر إليهم مرضى وما بالقوم من مرض، أو قد خولطوا، وقد خالط القوم من عظمة ربهم، وشدة سلطانه أمرٌ عظيم طاشت له قلوبهم، وذهلت منه عقولهم، فإذا استفاقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية، لا يرضون له بالقليل، ولا يستكثرون له الجزيل، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إن زكّي أحدهم خاف ممّا يقولون، وقال: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربّي أعلم بي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً ممّا يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، فإنك علام الغيوب، وسائر العيوب.

هذا، ومن علامة أحدهم أن ترى له قوة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً على علم، وفهماً في فقه، وعلماً في حلم، وكيساً في رفق، وقصداً في غنى، وتجملاً في فاقة، وصبراً في شدة، وخشوعاً في عبادة، ورحمة للمجهود، وإعطاءً في حقّ، ورفقاً في كسب، وطلباً في حلال، وتعقفاً في طمع، وطمعاً في غير طبع - أي دنس - ونشاطاً في هدى، واعتصاماً في شهوة، وبرّاً في استقامة.

لا يغرُّه ما جهله، ولا يدع إحصاء ما عمله، يستبطنه نفسه في العمل، وهو من صالح عمله على وجل، يصبح وشغله الذكر، ويُمسي وهمُّه الشكر، يبيت حذراً من سنة الغفلة، ويصبح فرحاً لما أصاب من الفضل والرحمة، إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سُؤلها فيما إليه تشره، رغبته فيما يبقى، وزهادته فيما يفنى، قد قرن العمل بالعلم، والعلم بالحلم، يظلُّ دائماً نشاطه، بعيداً كسله، قريباً أمله، قليلاً زلله، متوقِّعاً أجله، خاشعاً قلبه، ذاكراً ربِّه، قانعةً نفسه، عازباً جهله، محرزاً دينه، ميّناً داؤه، كاظماً غيظه، صافياً خلقه، آمناً منه جاره، سهلاً أمره، معدوماً كبره، بيّناً صبره، كثيراً ذكره، لا يعمل شيئاً من الخير رياءً، ولا يتركه حياءً.

الخير منه مأمول، والشرّ منه مأمون، إن كان بين الغافلين كتب في الذاكرين، وإن كان مع الذاكرين لم يكتب من الغافلين، يعفو عن ظلمه، ويعطي من حرمة، ويصل من قطعه، قريبٌ معروفه، صادقٌ قوله، حسنٌ فعله، مقبلٌ خيره، مدبرٌ شرّه، غائبٌ مكره.

في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يينغض، ولا ياتم فيمن يحبّ، ولا يدعي ما ليس له، ولا يجحد ما عليه، يعترف بالحقّ قبل أن يشهد به عليه.

لا يضيع ما استحفظه، ولا يناز بالأتقاب، لا يبغى على أحد، ولا يغلبه الحسد، ولا يضارُّ بالجار، ولا يشمت بالمصاب، مؤدّ للأمانات، عامل بالطاعات، سريع إلى الخيرات، بطيء عن المنكرات، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويجتنبه.

لا يدخل في الأمور بجهل ولا يخرج من الحقّ بعجز، إن صمت لم يعيه الصمت، وإن نطق لم يعيه اللفظ، وإن ضحك لم يعل به صوته، قانع بالذي قُدّر له، لا يجمع به

الغيظ، ولا يغلبه الهوى، ولا يقهره الشحُّ، يخالط الناس بعلم، ويفارقهم بسلم، يتكلم ليغنم، ويسأل ليفهم، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة، أراح الناس من نفسه، وأتعبها لآخرته، إن بغى عليه صبر ليكون الله تعالى هو المنتصر له.

يقتدي بمن سلف من أهل الخير قبله، فهو قدوة لمن خلف من طالب البر بعده.

أولئك عمال الله، ومطايا أمره وطاعته، وسرج أرضه وبريته.

أولئك شيعتنا وأحببنا، ومنا ومعنا، ألا، ها شوقاً إليهم!

فصاح همام بن عباد صيحة وقع مغشياً عليه، فحرّكوه فإذا هو قد فارق

الدنيا رحمة الله عليه^(١).

هذا نموذج من تعليم أئمتنا وتربية قادتنا، فلولا احتجاج الإسلام بأوهام

المنتحلين له، واختفاء أنوار هداية أئمة المسلمين بأعمال المدّعين للاتّام بهم، لظهر

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٢).

**

(١) كنز الفوائد ص ٣٦.

(٢) سورة الفتح: ٢٨.

فروع الدين

فروع الدين

لا يتسع المجال للبحث عن الحكم والأسرار في فروع الدين، فهي قوانين وشرائع ربّانية لتنظيم أحوال الإنسان الشخصية والاجتماعية، وعلاقته مع الخالق والخلق، والفقهاء الذي دوّن في ثمانية وأربعين كتاباً، وكلّ كتاب منه مشتمل على أبواب، لا يتيسّر استقصاء حكمها المبيّنة فضلاً عمّا لا يصاب منها بالعقول. وإنّما نذكر شيئاً من حكمة الصلاة والزكاة:

من حكم الصلاة وأسرارها

تشتمل الصلاة على أجزاء وشروط وموانع:
فشرط إباحة المكان في الصلاة ينّبّه المصلّي أن لا يعتدي على حقّ أحد.
وشرط الطهارة من الخبث والمحدث يرشده إلى أنّ النجاسة التي تطهّر بالماء، أو الكدورة المعنوية التي تحصل قهراً في الروح من الجنابة - مثلاً وإن كانت من غير اختيار - وتزول بالغسل، توجبان بطلان الصلاة، وتمنعان الإنسان من التوجّه إلى ذي الجلال والإكرام سبحانه.
وبهذا يمكن أن يتصوّر تأثير قذارة الأعمال القبيحة الاختيارية، مثل الكذب، والخيانة، والظلم، والتعدّي، وكدورة الأخلاق الرذيلة، في حرمانه من حقيقة الصلاة التي هي معراج المؤمن، وقربان كلّ تقوّ.

إنّ فصول الأذان الذي هو دعوة إلى الحضور في محضر الله تعالى ، وفصول الإقامة التي هي مقدّمة لتهيئة الروح للعروج إلى مقام القرب منه سبحانه، تشتمل على خلاصة معارف الإسلام.

والتأمّل في افتتاح الأذان والإقامة بالتكبير، واختتامها بالتهليل، يصوّر لنا جوّ التربية والتعليم في الإسلام.

ولمّا كان ابتداء التكبير بلفظ الجلالة «الله» وختام التهليل أيضاً به، فإنّ المصلّي يتعلّم أنه «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ»^(١).

كما أنّ افتتاح الأذان والإقامة بكلمة (الله) وانتهائها بهما، واستحباب الأذان في أذن المولود الأيمن، والإقامة في أذنه اليسرى، واستحباب تلقين المحتضر كلمة التوحيد، يعني أنّ افتتاح حياة الإنسان وختامها يكون باسم الله تعالى.

وتكرار لا إله إلاّ الله في آخر الأذان بعد الشهادة بهما مرّتين في أوله، يكشف عن دور هذه الكلمة الطيّبة في تكامل الإنسان علماً وعملاً. وهذه الجملة خصائص في لفظها ومعناها:

فحروفها نفس حروف كلمة (الله)، وهي من الذكر الخفيّ الذي لا يتطرّق الرياء إليه، حيث يمكن للإنسان أن يذكر الله بها ولا يظهر عليه.

وهي تشتمل على نفي وإثبات، والإعتقاد الراسخ بهما يؤثّر في نفي الباطل وإثبات الحقّ، في عقائده وأخلاقه وأعماله.

ومنّه يظهر معنى الحديث القدسي في رواية سلسلة الذهب « لا إله إلاّ الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي»^(٢).

(١) سورة الحديد: ٣.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٣٥ باب ٣٧ ح ٤، الأمالي للصدوق ص ٣٠٦ المجلس الحادي ←

وينكشف عمق كلام الرسول الأكرم ﷺ: (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)^(١)،
 وبهذا النبي والإثبات ترتبط الروح بنور السماوات والأرض، وتتخلق بأخلاق الله
 تعالى! كما أنه بالشهادة بالرسالة يجدد العهد بالرسول وما أرسل به.
 والشهادة لا اعتبار بها إذا لم تكن بالإدراك الحسي في الحسيات، ولا اعتداد
 بها إذا لم تكن بالإدراك العقلي اليقيني في المعقولات.
 وبالشهادة بالتوحيد والرسالة يرى الشاهد في كل أذان وإقامة بعين قلبه
 وحدانية الإله ورسالة رسوله ﷺ، ثم يستبق إلى الفلاح بحمي على الفلاح، وإلى
 خير العمل بحمي على خير العمل.
 وفي الأذان والإقامة يكون المبدأ والمنتهى هو الله، والوسط هو الصراط
 المستقيم الذي أرسل الله رسوله به، فيستعد العبد للعروج إلى الله بالكلم الطيب
 الصاعد إليه، والعمل الصالح الذي يرفعه سبحانه.
 وعندما يصق المصلي روحه بالتدبر في معنى (لا إله إلا الله)، يصل إلى مستوى:
 ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢).

*

وعندما يتجه إلى فاطر السماوات والأرض، يرتفع عن الأرض والسما،
 ويحرق الحجب السبعة بتكبيراته السبع.

← والاربعون ح ٨ ومصادر أخرى للخاصة.

تاريخ مدينة دمشق ج ٥ ص ٤٦٢، يبايع المودة ج ٣ ص ١٢٢، الدر المنثور ج ٤ ص ٢٩٣ و مصادر
 أخرى للعامة.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٥٦.

(٢) سورة الأنعام: ٧٩.

وعندما يرفع يديه إلى جانب أذنيه، يجعل كل شيء غير الله وراء ظهره .
وعندما يقول (الله أكبر) يلغي أمام عظمة الله تعالى كل أفكار الذهن البشري
وأوهامه عنه تعالى، وكل الأوصاف والحدود، فهو سبحانه أكبر من أن يوصف .

*

ثم يبدأ كلامه مع الله تعالى، والصلاة كلام الإنسان مع الله، والقرآن كلام الله
مع الإنسان، لكن الإنسان يبدأ كلامه مع الله بكلام الله تعالى، لأنه لا يمكن للإنسان
أن يحمده إلا بما علمه الله من حمده، وبجرمة كلام الله تعالى يصير كلام الإنسان
لائقاً لأن يسمع (سمع الله لمن حمده).

*

والصلاة لا بد أن يقرأ فيها بفاتحة الكتاب بمقتضى (لا صلاة إلا بفاتحة
الكتاب)^(١)، وكما أن القرآن الذي هو كلام الخالق مع الخلق يبدأ بسورة الحمد،
فكذلك الصلاة التي هي تكلم الخلق مع الخالق، تبدأ بسورة الحمد .
والمصلي لا بد أن يأتي بالحمد والسورة بقصد القراءة، لكن الوصول إلى حقيقة
الصلاة إنما يحصل بالتوجه إلى المعاني والإشارات واللطائف التي في أفعال الصلاة
وأقوالها، ولذا نشير إلى بعض خصائص سورة الحمد :

تضمنت هذه السورة المباركة خلاصة الإسلام، ففيها معرفة المبدأ والمعاد،
وفيهما أسماء الله تعالى وصفاته، وهذه السورة عهد الإنسان مع الله، وعهد الله
للإنسان، وحسب بعض الروايات^(٢) فإن اسم الله الأعظم مقطوع [موزع] فيها .
وتمتاز سورة الحمد بأن الله تعالى قسمها بينه وبين عبده، فنصفها إلى (مالك

(١) عوالي اللئالي ج ٢ ص ٢١٨ ح ١٣ .

(٢) ثواب الأعمال ص ١٠٤ .

يوم الدين) لله تعالى ، ونصفها الآخر من آية (إهدنا الصراط المستقيم) إلى آخرها للإنسان ، وآية (إياك نعبد وإياك نستعين) مشتركة لله تعالى وعباده ، العبادة لله والإستعانة للإنسان^(١).

تبتدئ السورة باسم الله تعالى ، الذي به بدأ فجر الرسالة المحمّدية فقال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٢).

ومن خصائص اسم الله تعالى أنه اسم للذات الجامعة لجميع الأسماء الحسنی ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٣).

ومعنى (الله) كما روي عن عليّ ؑ: «المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله إليه»^(٤). وغاية ما يمكن للبشر من معرفته سبحانه، أن يعرفوا عجزهم عن معرفته.

وقد وصف الله تعالى نفسه بـ (الرحمن الرحيم)، ولا يتسع هذا الموجز لشرح الرحمة الرحمانية والرحيمية، ومما ينبغي الإلتفات إليه أنّ الله تعالى جعل ابتداء كلامه مع الإنسان، وابتداء كلام الإنسان معه، بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) وجعل هذه الجملة السماوية طليعة قول المسلم وعمله، وألزمه بتكرارها كلّ يوم في صلواته الخمس، وعلمّه أنّ نظام الكون قائم على الرحمة، وأنّ كتاب التكوين والتشريع يبدأ بالرحمة.

وحتى الحدود والتعزيرات رحمة لمن تأمل فيها وفقّهها، وهذا يتّضح من مراتب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه إذا أعرض عضو من

(١) التبيان ج ١ ص ٤٦، مجمع البيان ج ١ ص ٤٨.

(٢) سورة العلق: ١.

(٣) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٤) التوحيد ص ٨٩، باب تفسير قل هو الله أحد.

المجتمع عن الصلاح، أو أقبل إلى الفساد، فلا بدّ من معالجته أولاً بالحسنى والطرق الملائمة، كما نرى في قصّة نبيّ الله موسى على نبينا وآله و عليه السلام، حينما بعثه الله وأخاه بتسع آيات بينات إلى طاغية مثل فرعون بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(١)، لأنّ الغرض من البعثة ليست السيطرة والسلطنة، بل الهداية والتذكّر والخشية لله تعالى.

فما دام علاج العضو الفاسد ممكناً بالأدوية لا يجوز إجراء عملية جراحية، بل يجب المحافظة عليه، لكن عندما لا يصلح حتى بالعملية، فإنّ قطعه يكون لمصلحة بقيّة أعضاء البدن، وكذلك الشخص الفاسد الذي لا علاج له، يكون إقامة الحدّ عليه رحمة له لقلّة تورّطه فيما يفسد عليه دنياه وآخرته، وللمجتمع لسدّ باب سراية الفساد إلى سائر الأفراد.

*

بعد البسملة، يقرأ المصلّي (الحمد لله ربّ العالمين) فيقرّر أنّ كلّ الحمد والثناء لله تعالى، لأنّه سبحانه (ربّ العالمين)، وكلّ كمال وجمال مظهرٌ من مظاهر تربيته. وعندما يقرأ المصلّي هذه الآية ويرى آثار ربوبية الله تعالى وتربيته، في نفسه وفي العالم، في سمائه، وأرضه، وجماده، ونباته، وحيوانه، وإنسانه.. يدرك أنّ الثناء مختصّ به.

وبما أنّ آثار تربيته تعالى في جميع المخلوقات، من أخس الكائنات إلى أشرفها، ظهور رحمته العامّة والخاصّة، يقول المصلّي ثانيةً: (الرحمن الرحيم). وبعد أن يستغرق في فضل الله ورحمته، يتذكّر عدله تعالى، فيقول: (مالك يوم الدين).

(١) سورة طه: ٤٤.

ومجازاة العباد في يوم الدين ضرورة لتحقيق العدل، لأنّ معصية الإنسان لله تعالى تعدّ على حرمة، والتعدّي على حرمة غير المتناهي لا يقاس بالتعدّي على حرمة غيره، فصاحب العظمة غير المتناهية حرمة غير متناهية! ومعصية الذي حقّه ونعمته على الإنسان لا تعدّ ولا تحصى، لا بدّ أن تجازى بما يناسبها.

والذنب الذي يرتكبه الإنسان مع ربّه ليس بالأمر السهل كما قد يتخيّل، فإنّ الطاقة التي يصرفها فيه حصيلة الكون، إذ حياته مترابطة مع الكون، فالذنب الذي يرتكبه الإنسان خيانة لما يسعى إليه عالم الكون.

لذلك كان لا بدّ من كتابٍ وحسابٍ وجزاءٍ بالعدل، في ذلك اليوم العظيم، الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ* يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(١).

ولكن مع ذلك كلّ عدله عين الفضل، لأنّ الجزاء من الرحمن على العصيان لا يقاس بما يستحقه العبد على الطغيان، لتجرّيه على ربّ العرش العظيم، سبحانه من هو في اطاعته وعتوانه جواد كريم.

إنّ المصلّي العارف عندما يقرأ (مالك يوم الدين) ترتعد فرائضه، ولذا كان إمام العارفين وزين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام عندما يصل إليها يكرّرها ويبكي، حتّى يكاد أن يموت^(٢).

إنّ آيتي (الرحمن الرحيم) و (مالك يوم الدين) تعطيان المصلّي جناحي الخوف

(١) سورة الحج: ١ و٢.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٦٠٢.

والرجاء، فيعرف بها رحمة الله وعزّته، فيطمع بالأولى المغفرة والثواب، ويرى في الثانية المجازاة والعقاب!

الالتفات إلى الخطاب

وبعدما أقبل قلب المصلي الى عظمة الألوهية والربوبية ورحمانيته اليه ورحيميته وفضله وعدله، وأدرك أن غيره لا يليق أن يكون معبوداً ينتقل من الغيبة إلى الخطاب فيقول: (إيّاك نعبد).

وبما أنّ العبادة تحتاج إلى هداية وحول وقوّة، يقول (وإيّاك نستعين)، ففي (نعبد) يرى أن العبادة منه، وفي (نستعين) يرى أنّها بالله تعالى حيث (لا حول ولا قوّة إلاّ بالله).

وفي (إيّاك نعبد) ينفي الجبر، وفي (إيّاك نستعين) ينفي التفويض.
وبهيئة المتكلم مع الغير (نعبد) يربط نفسه بجماعة المسلمين، فيتحقق عملاً كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة.

*

وبعد أن يؤدّي المصليّ مراسم العبودية، يدخل في مرحلة الدعاء، مرحلة طلب العبد من مولاه.. فيقول (اهدنا الصراط المستقيم)، وبذلك يطلب أعظم جوهر ينفعه في كلّ مراحل وجوده، لأنّ علوّهمة الإنسان، وإكرام مقام الألوهية يقتضي أن يطلب طلباً عظيماً، هو جوهر الهداية إلى الصراط المستقيم، السليم من كلّ إفراط وتفريط.

والخطّ المستقيم واحد لا تعدّد فيه، فالله واحد وصراطه واحد، وهو خطّ يبدأ من نقطة نقص الإنسان التي يقول عنها الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ

لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا»^(١) وينتهي إلى الكمال المطلق: «وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ»^(٢) (إلهي ماذا وجد من فقدك؟ وما الذي فقد من وجدك)^(٣).

وعندما يطلب المسلم في صلاته من ربه أن يهديه «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» وهو الصراط الذي فصله الله تعالى في قوله: «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا»^(٤)، فهو بذلك يطلب أن يرزقه معية النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وأن يبعده عن المغضوب عليهم وعن الضالين، وهذا الدعاء يلزمه التخلّق بأخلاق الأنبياء والأولياء والتجنّب عن طريق المغضوب عليهم وأهل الضلال.

وبمقتضى قوله تعالى: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ»^(٥) عليه أن يتوجّه بكلّه إلى القدّوس الذي هو «نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(٦) ويرى عظّمته سبحانه بعين قلبه وحقيقة إيمانه.

*

ثمّ ينحني راکعاً لعظّمته امتثالاً لقوله: «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ»^(٧)، ويقول:
سبحان ربّي العظيم وبحمده.

(١) سورة النحل: ٧٨.

(٢) سورة النجم: ٤٢.

(٣) إقبال الأعمال ص ٣٤٩ دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة.

(٤) سورة النساء: ٦٩.

(٥) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٦) سورة النور: ٣٥.

(٧) سورة الواقعة: ٧٤.

وبذلك يأخذ نصيبه من أسرار الركوع، ويتهيأ لمقام القرب من ربه في السجود، ثم يقع على الأرض امتثالاً لقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(١)، ويعفّر جبينه على التراب، فيتذكّر قدرة ربه الذي أضاء نور عقله من التراب المظلم، وليرى في سجوده على التراب سرّ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾^(٢)، ويقول: سبحان ربي الأعلى وبحمده، ثم يرفع رأسه فيدرك سرّ ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٣)، ويرى حياته الدنيوية.

ثم يقول (الله أكبر) ثم يعود للسجود على التراب، ويتذكّر يوم يرى الموت بعد حياته ويتخذ منه مسكناً، ثم يرى الحياة بعد الموت فيرفع رأسه، ويتذكّر حياته بعد الممات، ويعرف من السجدين معنى قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^(٤)، فيفهم بذلك مراحل وجوده.

*

إنّ ما ذكرناه ليس إلاّ أشعة أو لمعة من أنوار شمس الحكمة والهداية في الصلاة، ومن أجل الاختصار نترك الإشارة إلى أسرار السورة بعد الحمد، وأسرار الأذكار، والقيام، والقعود، والقنوت، والتسبيحات الأربع، والتشهد، والتسليم، ومستحبات الصلاة وآدابها.

*

(١) سورة الأعلى: ١.

(٢) سورة المؤمنون: ١٢.

(٣) سورة المؤمنون: ١٤.

(٤) سورة طه: ٥٥.

مقارنة بين صلاتنا وصلاة المسيحيين

نذكر نموذج العبادة المسيحية مقابل ما ذكرنا من نموذج العبادة في الإسلام، قال في إنجيل متى، الإصحاح السادس:

(وحيثما تصلون لا تكثرروا الكلام باطلاً كالأمم، فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم. فلا تتشبهوا بهم. لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه. فصلوا أنتم هكذا:

أبانا الذي في السموات. ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم. واغفر لنا ذنوبنا كما تغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا. ولا تدخلنا في تجربة. لكن نجنا من الشرير. لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين) انتهى.

ونشير هنا إلى بعض النقاط في هذه الصلاة:

١- أتمها تخاطب الله تعالى بلفظ (أبانا الذي في السموات)!

وإطلاق لفظ الأب على الله تعالى إن كان على وجه التحقيق فتعالى الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد، وإن كان على وجه التشبيه فجلاً جلاله أن يشبهه بخلقه، وحينئذ تكون صلاتهم وعبادتهم للمخلوق لا للخالق!

أمّا العبادة في الإسلام فهي لله تعالى الذي ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير.. فلا تعطيل للعقل عن معرفته، ولا تشبيه له بشيء من خلقه.

٢- بعد هذا الثناء على الله تعالى نرى أن صلاة المسيحي تعلمه أن يطلب من الله تعالى الخبز الذي يكون لجسده كالغلف للحيوان (خبزنا كفافنا أعطنا اليوم)!. بينما يطلب المسلم في صلاته بعد الثناء على ربه، نور البصيرة في عقله حتى يجد

الصراط المستقيم للحركة إلى الغرض المقصود من خلقه والتوفيق للسير إلى هدفه ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فلا جوهر أشرف وأعلى من الهداية التي هي كمال الإنسان ولا طريق إلى المقصد أعدل وأقوم وأقرب من الصراط المستقيم، ولا هدف أجلّ وأعلى من الله تبارك وتعالى.

٣- كل مسيحي لا يغفر للمذنبين إليه ولا يتجاوز عن إساءة من أساء إليه، كيف يمكن أن يعبد ربه بهذه الصلاة، لأنه بقوله (كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا) يكذب في صلاته، والكذب من القبائح عند العقول، ومن الكبائر عند الشرائع الإلهية، ولا يمكن التقرب إلى الله بالقبيح، وعبادته بمعصيته، والاستغفار بالذنب من الذنوب.

ونكتفي بهذه المقايسة للصلاة الإسلامية عن صلوات بقية الأديان.

من حكم تشريع الزكاة والإنفاق

الصلاة ارتباط الإنسان بالخالق، والزكاة ارتباط الإنسان بالخلق. وقد قرن الله الزكاة بالصلاة في آيات عديدة، فعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا: «فرض الله الزكاة مع الصلاة»^(١)، فالإنسان في حياته مدني بالطبع، وما يحصل لديه من مال ومقام وعلم وكمال، إنما يتم بواسطة علاقاته الاجتماعية، فالمجتمع الذي يعيش فيه صاحب حق مادي ومعنوي عليه، وشريك له فيما ادّخره من كسبه، وعندما يطبق أحكام الإسلام في أداء ما يجب عليه من زكاة وصدقات، فقد أدّى ما عليه من حق المجتمع.

إنّ تشريعات الإسلام للزكاة ولبقية الصدقات والإنفاق، تشريعات حكيمة

(١) الكافي ج ٣ ص ٤٩٦.

لو طبقت لما بقي فقير في المجتمع، ولتحقق مدينة آمنة مطمئنة من طغيان الفقراء والمحتاجين.

قال الصادق عليه السلام: (إنَّ الله عزَّ وجلَّ فرض للفقراء في مال الأغنياء ما يسعهم، ولو علم أن ذلك لا يسعهم لزادهم. إنهم لم يؤتوا من قبل فريضة الله عزَّ وجلَّ، ولكن أتوا من منع من منعهم حقهم لا ممَّا فرض الله لهم. ولو أنَّ الناس أدوا حقوقهم لكانوا عائشين بخير)^(١).

وبسبب خطورة المفساد التي تترتب على عدم إعطاء المحتاجين حقوقهم، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢).

وبسبب تأثير البذل والعطاء في إزالة الفقر والمسكنة من المجتمع، وتطهير نفوس الأفراد من الشحِّ والبخل حثَّ الكتاب والسنة على الإنفاق والإيثار^(٣).

فضل الصدقات والإنفاق وتوسيع حقلهما

وقد بلغ من فضل الاهتمام بالفقراء أنَّ إشباع عائلة وكسوتها وحفظ كرامتها من ذلِّ السؤال أفضل عند الله من سبعين حجة^(٤).

وقد وسَّع الإسلام دائرة الصدقة والإحسان حتى شملت الإحسان إلى الحيوان فقد قال الإمام الباقر عليه السلام: (إنَّ الله تبارك وتعالى يحبُّ إيراد الكبد الحرَّى، ومن سقى

(١) الكافي ج ٣ ص ٤٩٧.

(٢) سورة التوبة: ٣٤.

(٣) الكافي ج ٤ ص ٤١.

(٤) الكافي ج ٤ ص ٢.

كبداً حرّى من بهيمة وغيرها، أظله الله يوم لا ظلّ إلا ظله^(١). ولم يحرصهما بعباء المال، بل جعل أيّ نوع من مساعدة الضعيف وإرشاد الأعمى إلى الطريق صدقة، وجعل بذل ماء الوجه من أجل مساعدة المحتاجين زكاة الجاه والمقام، وزكاة العلم تعليم الجهال، وبالجملة فلم يكتف بالمساعدة في الأمور المادّية فقط وقال: «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»^(٢)، والرزق ما يكون به قوام حياة الإنسان من أيّ جهة كان، ولهذا قال الإمام الصادق عليه السلام: «وممّا علّمناهم يبشّون»^(٣).

آداب الصدقات والإنفاق

وقد وضع الإسلام آداباً للصدقات، من جملتها أن يستر الصدقة ولا يعلنها^(٤) حفاظاً على عزّ المؤمن، وسمعة المحتاج، وأن يستقلّها وإن كثرت^(٥)، وأن يعرف أنّ أخذها أفضل من تلك الصدقة^(٦) مهما كانت، وأن لا يمينّ بصدقته^(٧)، بل يعرف أنّ للمحتاج المتّة عليه لأنه أوجب تطهير ماله وقلبه، وأن يبادر إلى إعطائه ولا يحوّجه إلى السؤال؛ فقد قال الصادق عليه السلام: (المعروف ابتداء، وأمّا من أعطيته بعد المسألة فإنمّا كافيته بما بذل لك من وجهه)^(٨)، وأن يستر وجهه عن المحتاج

(١) الكافي ج ٤ ص ٥٨.

(٢) سورة البقرة: ٣.

(٣) البحار ج ٢ ص ١٧.

(٤) الكافي ج ٤ ص ٧ و ٢٤.

(٥) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٣١ ح ١٢.

(٦) الخصال ص ٦١٩.

(٧) الكافي ج ٤ ص ٢٢.

(٨) الكافي ج ٤ ص ٢٣.

حتى لا يستحي، وأن يطلب منه الدعاء، وأن يقبل اليد التي أعطى بها الصدقة، لأن أخذ الصدقة في الظاهر هو المحتاج وأخذها في الواقع لله عز وجل، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾^(١).

الإنفاق والإيثار ودرجات الكمال

بلغ اهتمام الإسلام بقضاء حوائج المحتاجين أنه فتح باب الإيثار، قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٢)، وأوصل الإيثار إلى منتهى درجات الكمال فقال تعالى عن أهله صلوات الله عليهم: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾^(٣).

إشارة إلى الآثار الاجتماعية للإنفاق

إن ما تقدم ليس إلا نبذة من حكمة تشريع الإسلام للزكاة والصدقات، هذا التشريع المقدس الذي يطهر نفوس الأغنياء من كدورة البخل والحرص والطمع وصدئها، ويطهر أموالهم من حقوق الفقراء التي هي بمنزلة دمائهم فلا يبتلى الغني بضغط الدم ولا الفقير بفقر الدم، ويوثق العلاقة بين الطبقة الغنية والفقيرة، ويبدل العلاقة بينهما من العلى إلى الألفة، ويقلل الفاصلة بين هاتين الطبقتين اللتين يتكوّن منهما المجتمع.

وهو تشريع يسد حاجات الفقراء، في ظل حفظ كرامتهم، ويطفى نار حسد

(١) سورة التوبة: ١٠٤، وراجع وسائل الشيعة ج ٩ ص ٤٣٣، وما بعدها من أبواب الصدقة.

(٢) سورة الحشر: ٩.

(٣) سورة الإنسان: ٨ و ٩.

الفقراء بماء رحمة الإنفاق الذي استمنّ الغني من الفقير في ذلك الإنفاق، وحفظ - في حصار الزكاة والصدقات - أموال الأغنياء التي هي بمنزلة الدم في شريان المجتمع، وحفظ قوّة نظامه الإقتصادي وسلامته، ولذا عبّر أمير المؤمنين عليه السلام عن الزكاة بما يدل على أنها حصن لأموال الأغنياء، فقال عليه السلام: «وَحَصَّنَا أَمْوَالَكُم بِالزَّكَاةِ»^(١).

ألا ينقطع جذور الفقر الماديّة والمعنوية من المجتمع بإجراء هذا البرنامج من إنفاق أموال الأغنياء إلى إنفاق علوم العلماء؟!!

*

المدينة الإسلامية الفاضلة التي تحفظ حقوق الإنسان وكرامته

بعد هذه النبذة عن حكمة تشريعات الإسلام في الصلاة والزكاة، وتأثيرهما في سعادة الفرد والمجتمع، نلفت النظر إلى مستوى المدينة الفاضلة التي يستطيع الإسلام أن يحقّقها بتشريعاته التي تشمل كلّ علاقات الإنسان وحقوقه وجميع حركاته وسكناته وأفعاله وتروكه، وتنظم في مجموعة الاحكام الوضعية بأنواعها والتكليفية بأقسامها التي انقسمت متعلقاتها بالواجبات من الحق والملك والحجية والولاية والحكومة وغيرها والمحرمات والمستحبات والمكروهات والمباحات، تلك التشريعات التي تحرص على صيانة حياة الإنسان وحرّيته وكرامته، وحقوقه، وترشده الى مصالحه ومفاسده، ومنافعه ومضاره في جميع نشآت وجوده، وإن كان إدراك كلها متعذراً، والنيل الى جلها متعسراً، إلا أن ما يتيسر منه يدل على الحكم المكنونة في قوانين هذه الشريعة والألطف الحفية في أحكامها.

فإنّ نظرة في الأحكام والآداب التي قررها الإسلام لحقوق الحيوان المسخّر

(١) نهج البلاغة، حكمة رقم ١٤٦.

لخدمة الإنسان، تكشف لنا عن نظرة الإسلام السامية الى حقوق الإنسان .
 روي عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : للدابة على صاحبها خصال : يبدأ بعلفها إذا نزل ، ويعرض عليها الماء إذا مرّ به ، ولا يضرب وجهها فإنها تسبّح بحمد ربّها ، ولا يقف على ظهرها إلا في سبيل الله ، ولا يحملها فوق طاقتها ، ولا يكلفها من المشي ما لا تطيق ^(١) .

وفي قوله صلى الله عليه وآله : للدابة على صاحبها دلالة على أن هذه الخصال حقوق للدابة ، وعلى صاحبها أداء الحق الى ذي الحق .

وفي روايات أخرى أن لا يقبح وجهها ، ولا يسرع في السير إلا في الأرض الجذباء ، وأن يتركها ترعى في الأرض المعشبة ، ولا يتخذ ظهرها مجلساً يتحدث عليها ^(٢) .

و من أكل في منزله طعاماً فسقط شيء فليتناوله ، و من أكل في الصحراء او خارجاً فليتركه للطير والسبع و لو فخذ شاة ، تستفيد منه الحيوانات حتى السباع ^(٣) .

كما نهت الشريعة المقدّسة عن البول في الماء لأنّ للماء أهلاً ^(٤) ، وذلك في زمان لم يكن يعرف أحد وجود الحيوانات المجهرية !

فمن هذه النماذج من حقوق الحيوان في الشريعة ، نعرف برنامجها في المحافظة على حقوق الإنسان ، وتحقيق العدالة في مجتمعه !

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٨٧ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٨٨ و ١٩٠ .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٣٠٠ .

(٤) الخصال ص ٦١٣ .

هدف إعمار الدنيا والآخرة

إن أحكام الشريعة المقدّسة تحقّق إعمار الدنيا والآخرة، وسلامة البدن والروح معاً، فقد اهتمّت الشريعة المقدّسة بالحياة المادّية والمعنوية، كلُّ حسب قيمتها، وذلك بمقتضى العدل والحكمة وترابط الدنيا والآخرة، وترابط الجسد والروح ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(١) لكن اهتمامها بعمران الدنيا ورفاه الإنسان فيها تبعي، بينما اهتمامها بالآخرة استقلالي، وذلك بمقتضى طبيعة خلقها.

وقد ورد تفسير الحسنة في الدنيا، في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢) في كلام الإمام عليه السلام بالسعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق، والحسنة في الآخرة برضوان الله تعالى في الجنة^(٣).

أهمية الزراعة والتجارة في الشريعة

اهتمّت الشريعة المقدّسة بالتنمية الاقتصادية، خاصّة بالزراعة والتجارة.. ودعت المؤمن بحكم قاعدة ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤)، إلى السعي ليكون غنياً عزيزاً، وقد ورد عن الصادق عليه السلام: «وما في الأعمال شيء أحبّ إلى الله من الزراعة»^(٥)، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يستصلح الأراضي ويجفر الآبار ويغرس

(١) سورة القصص: ٧٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٠١.

(٣) الكافي ج ٥ ص ٧١.

(٤) سورة المنافقين: ٨.

(٥) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٣٨٤.

النخل والأشجار^(١).

وفي رواية أنّ الصادق عليه السلام قال لرجل ترك العمل في السوق: «أغد إلى عزك»^(٢)،
وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «تعرضوا للتجارة»^(٣).
والتجارة والبيع والشراء في الإسلام مبنية على العقل والأمانة والتدبير
والمعرفة بفقهاء التجارة وأحكامها، ففي الحديث «لا يقعدن في السوق إلا من يعقل
الشراء والبيع»^(٤)، وفي آخر: «الفقه ثم المتجر»^(٥).

أحكام المعاملات في الإسلام

في الإسلام أحكام للمعاملات من الواجبات والمستحبات والمحرمات
والمكروهات، لا يتسع المجال لتفصيلها، فنكتفي بتعداد مجموعة متنوعة منها:
المنع من الربا، وحلف البائع على بضاعته ومدحها، وذم المشتري لما يريد أن
يشتريه، وإخفاء العيب، والتدليس والغش في أي أخذ وعطاء.
وعلى المتعامل إعطاء الحقّ وأخذ الحقّ، وأداء الأمانة والتحرز عن الخيانة
وقبول الإقالة من النادم، وإمهال المعسر، وإذا وكله أحد أن يشتري له متاعاً فلا
يبيعه مما عنده، وإن وكله أن يبيع سلعة فلا يشتريها لنفسه، وإذا اکتال أو وزن أن
يعطي أكثر من حقه ويأخذ أقل من حقه.

(١) وسائل الشيعة ج ١٧، كتاب التجارة، أبواب مقدماتها باب ٩ و ١٠ وج ١٩ ص ١٨٦ كتاب الوقوف

والصدقات باب ٦ ح ٢.

(٢) الكافي ج ٥ ص ١٤٩.

(٣) الخصال ص ٦٢١، أبواب المائة وما فوقه ح ١٠.

(٤) الكافي ج ٥ ص ١٥٤.

(٥) الكافي ج ٥ ص ١٥٠.

وأنّ التاجر فاجر إلا أن يصدق في قوله، وإن وعد أحداً بحسن المعاملة فلا يأخذ منه رجماً، وأن يساوي بين المشتريين ولا يلاحظ علاقتهم به، وأن يساوي بين المشتري الماكس والمشتري الذي لا يماكس في المتاع الذي له قيمة معلومة، وأن يتعلّم الكتابة والتسجيل في عمله ولا يعمل بدونها، وأن لا يحتكر ما يحتاج إليه الناس، وأن يكون سهل المعاملة سهل البيع والشراء، وأن يعطي حقّ الناس بسهولة ويأخذ حقه منهم بسهولة، فلا يتشدد على من له عليه حقّ، وأن لا يطلب التخفيف بعد تمام المعاملة، وأن يبادر إلى المسجد عندما يسمع صوت الأذان، ويصنّف قلبه بذكر الله تعالى، ويرتقي من عالم الطبيعة إلى ما فوق الطبيعة ﴿فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(١).

(١) سورة النور: ٣٦ و ٣٧.

ختام فيه نقطتان

النقطة الأولى التعبد في الدين:

إن من يلاحظ بناء صرح هذا الدين القيم في أصوله وفروعه، ويتفكر في تشريعاته للعبادات والمعاملات، ويتأمل في سياسته في إدارة النفس والبيت والمدينة، وفي مجموعة آداب الإسلام من مستحبات ومكروهات، يدرك بيقين أن هذه القوانين والتشريعات قامت على أساس حكمة بالغة.

ومن الطبيعي أن إدراك الحكمة في قوانين دين شرع أحكامه لسعادة الإنسان في عوالم حياته كلها، يتوقف على إحاطتنا بهذه العوالم، ومعرفة حاجات الإنسان فيها وطرق تأمينها، بل الإنصاف أن إدراك الحكمة بشكل كامل لحكم شرعي واحد لا يتيسر للإنسان، لأن هذا الحكم جزء من برنامج للإنسان في عوالم حياته جميعاً.

لهذا، فإن عدم إدراكنا للحكمة من تشريعات الإسلام، لا يكون دليلاً على عدم وجودها، بل يكون دليلاً على قصورنا عن ذلك.

فكما أن كتاب خلق الطبيعة والكون، فيه محكمات ومتشابهات لاتعلم حكمة وجودها، ولا يجوز بحكم العقل أن ترفع اليد عن العلم بالجهل، وأن ينقض اليقين بالشك، كذلك كتاب الأحكام والتشريعات فيه محكمات ومتشابهات، وهذا هو مقتضى طبيعة تشريع مشرعه الحكيم اللطيف الخبير الذي هو بكل شيء عليم

وبكل شيء محيط، فإن كتاب الأحكام والتشريعات فيه محكمات ومتشابهات، ولا يصح لنا إذا رأينا المتشابه أن نرفع يدينا عن المحكم، ونتخيل وجود العيب في الخلق أو في التشريع ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾^(١).

إن من الضروري للإنسان أن يعرف أن حياته الدنيا بالنسبة إلى حياته الآخرة، إنما هي كحياة الجنين في رحم أمه بالنسبة إلى حياته في الدنيا، فالجنين مهما كان له عقل وشعور، لا يمكنه أن يفهم وجه الحكمة من خلق أعضائه وقواه، ولماذا يُكوّن الله له جهاز البصر والسمع والتنفس، وما هي الفائدة له من هذه الأعضاء، وما هي الحكمة من تكوين جهاز إدراكه وتفكره وتعقله، لكنّه عندما يخرج إلى الدنيا يفهم ذلك!

وكذلك جنين روح الإنسان الذي يعيش في رحم الطبيعة، لا بدّ له أن يتجهّز بأعضاء وقوى، هي الوسائل لحياته الأبدية، ولا يكون ذلك إلا بتطبيقه تعاليم ربه وأحكامه، وسوف تتضح له الحكمة من هذه التعاليم عندما يضع قدمه في عالم الآخرة، ويعرف أنه كان كالجنين في عالم الدنيا!

لهذا كان التعبّد بأحكام الدين من ضروريّات خِلقَة الإنسان، بل من ضروريّات تكامله، ذلك أن قيمة العامل بعمله، وقيمة العمل بنيتّه والدافع إليه والمحرك إلى فعله، وقد أرشد النبي ﷺ إلى هذه الحقيقة بقوله: (إنما الأعمال بالنيّات ولكل امرئ ما نوى)^(٢).

ولهذا كان من صفات المقرّبين ومقامهم أنّهم يطيعون الله تعالى، لله فقط، بقطع

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) تهذيب الأحكام ج ٤ ص ١٨٦.

النظر عن معرفتهم للنفع والضرر، والمصلحة والمفسدة.

النقطة الثانية، غير القادر على استنباط الأحكام يجب أن يقلد

مرجعاً

بما أن محافظة الإنسان على صحته وسلامته، تتوقف على رعايته لقوانين طبية ومقررات صحية، فلا بد لمعرفة أن يكون هو طبيباً، أو يراجع طبيباً موثقاً فيعمل بتعاليمه، أو يعمل بالإحتياط فيتجنب كل ما يحتمل أنه مضر بصحته حتى يعرف حكمه، أو يجد من يعرف ذلك ويسأله.

بل إن التقليد من ضرورات حياة الإنسان، سواء في ذلك الجاهل والعالم، أما احتياج الجاهل إلى التقليد فواضح، وأما العالم فلأن دائرة تخصص كل عالم ومتخصص لا تشمل إلا جزءاً يسيراً من دائرة حاجات حياته، فعالم الطب مثلاً لا بد أن يقلد المهندس والمعمار في بناء بيته، ويقلد خبير السيارات في تصليح سيارته، وعندما يركب الطائرة فهو يقلد الطيار، وإذا ركب الباخرة فهو يقلد الملاح، بل مع تشعب علم الطب، فإن متخصص العضو أو القسم من أعضاء الإنسان، لا بد له أن يقلد طبيباً آخر في غير مجال تخصصه. والنتيجة أن حياة أي إنسان لا تتم إلا بالتقليد.

وعلى هذا، فالإنسان الذي يؤمن بدين، ويعلم أنه عين له تكاليف وشرع له واجبات ومحرمات، فهو بحكم عقله وفطرته ملزم للعمل بالوظائف المقررة من تحصيل العلم بها أو تقليد من يكون واجداً لشرائط الإفتاء من العلم والعدالة وغيرهما أو الإحتياط.

وعندما لا يكون عالماً ولا عاملاً بالإحتياط، فطريقه منحصر في تقليد مرجع

متخصّص فيها، وفي صورة اختلاف آراء المراجع المتخصّصين وفتاواهم، يتعيّن عليه أن يقلّد أعلمهم، كما لو اختلف طبيبان في تشخيص المرض والعلاج، فيجب عليه بحكم عقله الرجوع إلى أعلمهما.

وفي الختام، إنّ الإسلام دين علم، وكلّ عمل فيه لابدّ أن ينتهي إلى العلم ولو بواسطة، فتقليد المرجع يكون عملاً بعلم، لأنّه مستند إلى رأي مرجع متخصّص في أحكام الدين، وهو ما يقضي به العلم والفطرة والعقل السليم ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١).

**